الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب



توماس هيغهامر



الشبكة العربية للأبحاث والنشر

ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

توماس هيغهامر

ترجمة

أمين الأيوبي

مراجعة

سعود السويدا



الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

الفهرسة أثناء النشر - إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر

هيغهامر، توماس

الجهاد في السعودية: قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب/ توماس هيغهامر؛ ترجمة أمين الأيوبي؛ مراجعة سعود السويدا.

٤٠٠ ص.

ببليوغرافية: ص ٣٧٣ - ٤٠٠.

ISBN 978-614-431-031-1

١. الإسلام والدولة - السعودية. ٢. الجهاد - تاريخ. أ. الأيوبي، أمين (مترجم). ب. السويدا، سعود (مراجع). ج. العنوان.

322.4209538

Jihad in Saudi Arabia
Violence and Pan-Islamism since 1979

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٣

الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بيروت - لبنان

هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١) - ٢٤٧٩٤٧ (٧١-٩٦١)

E-mail: info@arabiyanetwork.com

المحتويـات

مقدّمة

كانت أمسية هادئة من يوم اثنين في الرياض عندما انفجرت سيارات مفخّخة في مجمّعات سكنية. أودى الهجوم الانتحاري الثلاثي في ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣ بحياة خمسة وثلاثين شخصاً وآذن ببداية موجة عنف طال أمدها في المملكة العربية السعودية. وفي غضون السنين القليلة التالية، حصدت الحملةُ التي شنّها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أرواح نحو ٣٠٠ شخص وشوّهت آخرين كُثر. ولم يسبق أن شهدت المملكة في تاريخها الحديث مثل هذا العنف الداخلي؛ إن لجهة نطاقه أو مدته.

إنّ العنف الذي شهدته المملكة في عام ٢٠٠٣ مثير للاهتمام؛ لأنّه وضع نهاية للمفارقة التي ميّزت الإسلام السياسي السعودي في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته، ولا سيما التناقض الغريب بين العدد الكبير من السعوديين الضالعين في أنشطة عسكرية خارج البلاد وبين الغياب شبه المطلق للعنف الإسلامي داخلها. فلو استثنينا عدداً قليلاً من الحوادث المعزولة، نجت المملكة إلى حدّ بعيد من الاضطرابات التي أرّقت مصر والجزائر في العقود السابقة. لماذا إذاً انطلقت حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في عام ٢٠٠٣ وليس قبل ذلك؟

يجادل هذا الكتاب بأنّ السبب هو اختلاف الحركة الجهادية في المملكة العربية السعودية عن نظيراتها في الجمهوريات العربية، كونها مدفوعة أساساً بدعوة متشددة إلى الوحدة الإسلامية لا بأيديولوجيا اجتماعية ثوريّة. يرجع الطابع الخارجيُّ التوجّه للتيار الإسلامي السعودي إلى القلة النسبية للمظالم الاجتماعية والاقتصادية، ولتطوّر ثقافة سياسية

معيّنة أضحت فيها نصرةُ المسلمين المضطهَدين في الخارج مصدراً رئيساً للشرعيّة السياسية والمكانة الاجتماعية. كانت أعمال العنف التي شهدتها المملكة في عام ٢٠٠٣ شذوذاً تاريخياً من تدبير فرع من الحركة الجهادية السعودية جنح إلى التشدد في معسكرات التدريب الأفغانية. لكن على النقيض من حركات التمرّد المصرية والجزائرية التي استمرّت سنين، فقدت حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب زخمها ولم يكد يمضي على انطلاقها ثمانية عشر شهراً؛ لأن المسلّحين شكّلوا مكوّناً غريباً في المشهد الإسلامي ولم يحظوا بدعم شعبي يُذكر.

تحتلّ المملكة العربية السعودية مكاناً محورياً في التاريخ المعاصر للتيار الإسلامي الجهادي. روّجت المملكة منذ طفرة النفط في سبعينيات القرن الماضي لتفسيرها الوهّابي المحافظ للإسلام في العالم. وأضحت منذ ثمانينيات القرن الماضي منبعاً أساساً للمقاتلين ومورِداً مالياً للفدائيين المسلمين في أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها من المناطق. وفي الأمس القريب، تضررت سمعة البلاد كونها وطن أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، فضلاً عن خمسة عشر من تسعة عشر رجلاً نفّذوا هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. وأمست المملكة في نظر كثيرين في الغرب مرادفاً لصعود التطرّف الإسلامي، ومسؤولة عنه جزئياً في أواخر القرن العشرين ومستهلّ القرن الحادي والعشرين.

إلا أنّ آليات العمل الداخلية في الإسلام السياسي السعودي لم تُستكشَف بالقدر الكافي على نحو واضح. حتى إنّ المملكة صُوِّرت في كثير من المؤلفات بأنها خزّان أسود يضخّ التطرّف في النظام الدولي بانتظام. وإلى وقت قريب، عالجت دراساتٌ قليلة الإسلام السياسي السعودي من منطلق امتلاكه قوى محرّكة داخلية، واحتضانه جهات متنوّعة لها توجّهات سياسية. تجلّى هذا الغموض الذي يكتنف الإسلام السياسي السعودي عدة مرات في حوادث عنيفة طنّانة ولكن منعزلة، في العقود الأخيرة، مثل: حادثة احتلال الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، وتفجير الرياض في عام ١٩٩٥، وتفجير الخُبَر في عام ١٩٩٦. أُخذ المراقبون في كل من هذه الحوادث على حين غرّة؛ لتتلاشى تأثيراتها

بسرعة وسط هالة من السرّية والتكّهنات. وهذا الكتاب يستعين بمصادر أولية جديدة؛ لتسليط الضوء على تاريخ الإسلام السياسي الذي يتّخذ العنف سلاحاً، وعلى قواه المحرِّكة في المملكة العربية السعودية.

إذا عاينّا الإسلام السياسي السعودي من منظور سياسي مقارِن، نجده مثيراً للاهتمام إلى حدّ بعيد لعدة خصائص تنفرد بها السياسة والمجتمع السعوديان. أبرز هذه الخصائص الدور المركزي والتفسير المُحافِظ للدِّين في المملكة. ترعى المملكة هويتها من منطلق كونها قلب الإسلام، بمنح المؤسسات الدينية صلاحيات وأموالاً كثيرة؛ وبجعل الدِّين جزءاً مركزياً في خطابها. كما إنّ النظام السياسي السعودي غير شائع أيضاً لأنّه ملكيّة مطلقة تحكمها أسرة مَلَكية كبيرة (آل سعود)، بالتحالف مع أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب (آل الشيخ). زد على ذلك، أنّه تحكم المملكةَ إحدى أكثر الأسر الحاكمة المعمّرة في المنطقة وأنّها واحدة من دول قليلة شرق أوسطية لم تمتدّ إليها يد الاستعمار الغربي أو تشهد انقلابات عسكرية. وعلى الصعيد الاقتصادي، مكّن النفطُ المملكةَ من أن تكون أثرى الدول الأخرى التي أفرزت جماعات جهادية كبيرة في المنطقة، مثل: مصر واليمن. وعلى الصعيد الاجتماعي، تتميّز المملكة من جملة أمور أخرى بهيمنة الهياكل الاجتماعية التقليدية، مثل: القبائل والأُسر العريقة. والأشدّ لفتاً للنظر سرعة التغيّر الاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته المملكة في أواخر القرن العشرين ومداه. تثير هذه العوامل وغيرها أسئلة محيّرة تتخطى بأهميتها الميادين الضيّقة للدراسات السعودية أو دراسات التيارات الجهادية. مثال ذلك، ما هي العوامل التي تساعد تياراً إسلامياً عسكرياً على البروز في دولة إسلامية؟ وكيف تؤثّر خصائصُ السياسة والمجتمع السعودي في القوى التي تؤجّج النزاعات؟ وكيف يبرز التطرّف الفردي في مجتمعات قبلية وثرية مفرطة التحفّظ؟[1].

---

(١) لمطالعة كتب عامة تُعنى بالمملكة العربية السعودية، انظر: Alexei Vassiliev, *The History of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2000); Madawi Al-Rasheed, *A History of Saudi Arabia* (New York: Cambridge University Press, 2002), and Robert Lacey, *The Kingdom: Arabia and the House of Saud* (New York: Avon, 1981).

مع بروز هذه الأسئلة العريضة، يركّز هذا الكتاب على تطوّر التيار الجهادي في المملكة العربية السعودية بعد عام ١٩٨٠. وأنا أعني بالتيار الجهادي «التيارَ الإسلامي السنّي العسكري»، بينما يعرَّف التيار الإسلامي عموماً بأنه «نشاط إسلامي فاعل». ومع أننا سنتطرّق إلى الجهات الإسلامية التي لا تؤمن بالعنف متى اقتضت المناسبة ذلك، لا يتحدّث هذا الكتاب على التيار الإسلامي السياسي السعودي ولا على النظام السياسي السعودي بوجه عام. كما إننا أعرضنا عن الحديث على نشاط التيار الإسلامي الشيعي العسكري، مثل أحداث الشغب التي اندلعت في المنطقة الشرقية في عام ١٩٧٩، أو أحداث الشغب التي اندلعت في موسم الحجّ عام ١٩٨٧ أو تفجير الخُبَر في عام ١٩٩٦؛ لأنه يمثّل ظاهرة سياسية منفصلة إلى حدّ بعيد. ولم نتطرّق إلى العنف الإسلامي السابق مثل ثورة الإخوان في عشرينيات القرن الماضي، لتناول باحثين آخرين لها ولقلّة انعكاساتها المباشرة على التيار العسكري بعد العام ١٩٨٠[٢].

يقلّل التحليل من شأن اثنتين من أشهر حقب تاريخ الإسلاميين السعوديين لأسباب لا تُدرَك بالبداهة. **الحقبة الأولى** هي الحصار الشهير للمسجد الحرام بمكّة المكرّمة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩؛ كانت هذه الحادثة المثيرة التي أودت بحياة مئات الأشخاص من تدبير فرقة تمسّكت بنبوءات بقيادة جُهَيمان العُتيبي صاحب الشخصية الكاريزمية. مثّل الثوار الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الإخوان زمرة جنحت إلى التطرّف من منظّمة شديدة الورع تأسّست في المدينة المنوّرة في أواخر ستينيات

---

(٢) للاطلاع على مزيد من المعلومات عن التيار الشيعي المسلّح، انظر: Fouad N. Ibrahim, *The Shi'is of Saudi Arabia* (London: Saqi, 2007); Toby Jones, «Rebellion on the Saudi Periphery: Modernity, Marginalization, and the Shi'a Uprising of 1979,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 38, no. 2 (2006), and Thomas Hegghammer, «Deconstructing the Myth about al-Qa'ida and Khobar,» *Sentinel*, vol. 1, no. 3 (2008).

ولمعرفة المزيد عن الإخوان في عشرينيات القرن الماضي، انظر: John S. Habib, *Ibn Saud's Warriors of Islam: The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom, 1910-1930*, Social, Economic and Political Studies of the Middle East; v. 27 (Leiden: Brill, 1978), and Joseph Kostiner, *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*, Studies in Middle Eastern History (NewYork; Oxford; Oxford University Press, 1993).

القرن الماضي عُرفت باسم «الجماعة السلفية المُحتسِبة». توصّلت هذه الزمرة التي مالت إلى التطرّف تحت تأثير مجادلات مع علماء في المدينة المنوّرة وشخصية جُهَيمان الملتهبة، وأخيراً بفعل قضاء سنتين في شبه عزلة عن المجتمع وفي خلوات كانت في الصحراء، إلى أنّ نهاية العالم باتت قريبة. اعتقدت أنّ المهدي، وهو رجل مسلم يُنتَظَر ظهوره، تجلّى في أحد أفراد الزمرة، وأنّ مبايعته واجبة في الحرم على رأس القرن الهجري الجديد. لم نتعمّق في تفاصيل جماعة جُهَيمان في كتابنا لأنه قُضي عليها كمنظّمة في عام ١٩٧٩، ولأنّها مثّلت جناحاً متشدّداً في التيار الإسلامي السعودي ومتمايِزاً عن الحركة الداعية إلى إقامة خلافة إسلامية والتي أنجبت تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. كان لحادثة احتلال الحرم أثر غير مباشر في الإسلام السياسي السعودي؛ لأنها دفعت النظام إلى منح العلماء مزيداً من السلطة، وإلى منح الناشطين الإسلاميين مساحة سياسية أكبر في أوائل ثمانينيات القرن الماضي. على أنه لا يوجد من الناحية الفعلية أي صلات جوهرية لا تنظيمية ولا أيديولوجية بين جهيمان وتنظيم القاعدة[٣].

وبالمثل، أشرنا عرَضاً في هذا الكتاب إلى بروز ما سُمّي حركة الصحوة في ثمانينيات القرن الماضي وفي مستهل تسعينياته؛ ولأن الصحوة حركة إصلاحية لا تؤمن بالعنف، اختلفت في غاياتها ووسائلها وقاعدتها الاجتماعية عن المتطرّفين الإسلاميين الداعين إلى إقامة الخلافة الإسلامية على جبهات الجهاد في الخارج. نشأت حركة الصحوة التي شكّلت أيديولوجيتها مزيجاً من الوهّابية المحافِظة وأيديولوجية الإخوان المسلمين البراغماتية في الجامعات السعودية في أوائل سبعينيات القرن الماضي بتأثير معلّمين منفيين من أعضاء حَرَكَتي الإخوان المصرية

---

(٣) بالغ ياروسلاف تروفيموف في إبراز الصلة بين جُهَيمان والقاعدة في قصته اللامعة **حصار مكة**. انظر: Yaroslav Trofimov, *The Siege of Mecca: The Forgotten Uprising in Islam's Holiest Shrine and the Birth of al Qaeda* (New York: Doubleday, 2007).

لمعرفة المزيد عن جذور جماعة جُهَيمان، انظر: Thomas Hegghammer and Stéphane Lacroix, «Rejectionist Islamism in Saudi Arabia: The Story of Juhayman al-'Utaybi Revisited,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 39, no. 1 (2007).

والسورية. انخرط الصحويون في مناقشات دينية في أواسط الثمانينيات ضد التيار الأدبي الذي عُرف بالحداثة. وعقب اندلاع أزمة الخليج وانتشار القوات الأمريكية على أراضي المملكة العربية السعودية، رفعت الصحوة بقيادة الشيخين الكاريزميَّين سَفَر الحَوالي وسلْمان العودة مطالب سياسية رسمية إلى الحكومة السعودية، أشهرها مطلبان: **الأول** بعنوان «خطاب المطالب» عام ١٩٩١، **والثاني** بعنوان «مذكرة النصيحة» في عام ١٩٩٢. في هذه المرحلة، شكّل تيارٌ في حركة الصحوة منظّمةً رسمية اسمها «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية»، وسرعان ما أُرغم مؤسِّسوها على اللجوء إلى لندن. ولاذت حركة الصحوة بالصمت عقب قمعها في أيلول/سبتمبر ١٩٩٤؛ لتعود إلى البروز وقد اعتراها ضعف شديد في أواخر تسعينيات القرن الماضي. لا ريب في أنه سيكون للصحوة مكان في تحليلنا؛ لأنها شكّلت جزءاً مهماً من المشهد السياسي الذي نشطت فيه الحركة الجهادية، لكنّ تاريخ الصحوة وقواها الداخلية المحرِّكة لن تكون موضوع بحث رئيس[٤].

إنّ اختيار المصطلحات والمفاهيم في هذا الكتاب الرامي إلى التميز بين الجهات والتيارات الأيديولوجية المتنوّعة مبني على افتراضين أساسيَّين:

الأول هو أنّ الإسلام السياسي غير متجانس سياسياً، فالإسلاميون يعملون على بلوغ أهداف مختلفة قصيرة الأجل ومتوسّطة الأجل، ويُظهرون نقاط اختلاف منهجيّة في نشاطهم السياسي.

والثاني هو أنّ أوصافاً دينية عديدة شاع استخدامها في الكتب التي تحدثت عن الإسلام السياسي، مثل: عبارات السلفية والوهّابية والسلفيين الجهاديين والتكفيريين، لا تتناسب مع أنماط النشاط السياسي الدقيقة والملحوظة لدى الإسلاميين. لذلك آثرتُ استعمال عبارات تُبرز المحتوى

---

(٤) للاطلاع على المزيد من المعلومات عن الصحوة، انظر: Mamoun Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), and Stéphane Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph.D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007).

السياسي للأيديولوجيا المعنيّة أو الأولويات السياسية الملحّة لجهة فاعلة معيّنة، مثل: عبارتي «ثوري» و«متزمّت». وأنا أجادل بأنّ هذه المقاربة شرط أساس لتحليل الحركات الاجتماعية؛ لأنّ الحركة الاجتماعية بطبيعتها تجتمع على مجموعة مشتركة من الخيارات السياسية. فالحديث عن «حركة اجتماعية سلفيّة» ليس فيه منطق؛ لسبب بسيط وهو أنّ للجهات التي توصَف بأنها سلفيّة أجندات سياسية شديدة التباين ومتناقضة تماماً في الأغلب. ونحن لا نقصد بذلك القول إنه يجب التخلّي عن استعمال مصطلحي السلفية والوهّابية، ولكن أردنا الإشارة إلى أنّ استعمالهما في تحليل الخطاب الدِّيني أجدى منه في تحليل السلوك السياسي[٥].

وللسبب عينه لا جدوى من اعتبار صلة التيار الوهّابي بالتيار العسكري المعاصر علاقةً سببيّة. فالتيار الوهّابي الذي حمل اسم الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، وهو شخصية تاريخية عاشت في القرن الثامن عشر، ليس مذهباً سياسياً ولكنّه تعاليم دينية قائمة شرحتْها ونافحت عنها أجيال متعاقبة من العلماء. وفي العصر الحديث، لا تزال التعاليمُ الوهّابية الأساسَ الذي يبني عليه النظامُ ومعارضوه الذين يؤمنون بالعنف خطابهم، لكنّ استنتاجاتهم السياسية شديدة التباين، كما بيّنتْ مضاوي الرشيد في كتابها **مساءلة الدولة السعودية** (*Contesting the Saudi State*). وإذا كانت الوهّابية تصوغ طريقة إعداد الناشطين وخصومهم لأجنداتهم وإضفاء الشرعية عليها، فهي لا تُملي المحتوى الجوهري لنشاطهم[٦].

---

(٥) انظر: John D. McCarthy and Mayer N. Zald, «Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory,» *American Journal of Sociology*, vol. 82, no. 6 (1977), p. 1218, and Thomas Hegghammer, «Jihadi Salafis or Revolutionaries?: On Theology and Politics in the Study of Militant Islamism,» in: Roel Meijer, ed., *Global Salafism: Islam's New Religious Movement* (London; New York: Hurst and Columbia University Press, 2009).

(٦) لمعرفة المزيد عن الوهّابية، انظر: David Commins, *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia* (London; New York: I. B. Tauris, 2006); Guido Steinberg, *Religion und Staat in Saudi-Arabien: Die wahhabitischen Gelehrten, 1902-1953* (Würzburg: Egon, 2002); Madawi Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, Cambridge Middle East Studies; 25 (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2007), and Mohammed Ayoob and Hasan Kosebalaban, eds., *Religion and Politics in Saudi Arabia: Wahhabism and the State* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 2008).

إنّ أسماء الجهات المستعملَة في هذا الكتاب مستمدَّة من إطار مفاهيمي واسع يراد منه التمييز بين الأوجه المثالية للأنشطة الإسلامية (انظر الجدول الرقم (١) أدناه). يعتمد هذا الإطار على فكرة وجود خمسة أسس منطقية لأغلب صور النشاط الإسلامي. وأنا أُدرج تحت عبارة «الأساس المنطقي» الأهدافَ والاستراتيجيات السياسية المرصودة المتوسطة المدى. تمثّل هذه الأسسُ المنطقية، التي ربما يكون لها تجلّيات عنيفة وتجلّيات غير عنيفة، الغايات الرئيسة الخمس التي يسعى إلى تحقيقها الإسلاميون. وهي تمثّل في حالة الجماعات التي تتّخذ العنف سلاحاً أهمّ الأهداف المتوسطة الأجل لصراعهم المسلّح:

- يقاتل **الثوريون الاجتماعيون** نظماً إسلامية يعتبرونها غير شرعية من أجل الوصول إلى السلطة.

- يناضل **التحرّريون الذين يتخذون العنف سلاحاً** لتحرير بقعة معيّنة من محتلّ محلّي غير مسلم.

- يقاتل **الوحدويون الذين يتخذون العنف سلاحاً** لصدّ عدوان الكافرين عن الأمّة الإسلامية برمّتها وعن أراضيها. من هؤلاء الوحدويين يخوض الجهاديون حروبهم في مناطق تشهد صراعات محلّية، بينما يقاتل **الجهاديون العالميون** الغرب بالوسائل كافة وفي سائر الأماكن.

- يستخدم **حرّاس العقيدة** العنف لتقويم السلوك الأخلاقي لأشقائهم المسلمين.

- يقاتل **الطائفيون الذين يتّخذون العنف سلاحاً** لترويع الطائفة المنافسة وتهميشها (سنّية أو شيعية).

هذه الفئات ليست حصرية على نحو متبادل، بل هي حوافز مثالية متداخلة جزئياً. ذلك أنّ أغلب الإسلاميين يعملون على تحقيق كثير من هذه الأهداف أو حتى كلها، لكن لكل جهة أساس منطقي غالب يحدّد الشكلَ الأساس لسلوكها العنيف.

الجدول الرقم (١)
تصنيف الأنشطة الإسلامية المعتمد على الأساس المنطقي مع أمثلة من الواقع السعودي

الأساس المنطقي	شكل غير عنفي		شكل عنفي	
	الطابع	أمثلة	الطابع	أمثلة
سُلطويّ التوجّه	إصلاحي	الصحوة	إسلام سياسي ثوري اجتماعي	لا يوجد
وطنيّ التوجّه	تحرّري	لا يوجد	تحرّري يؤمن بالعنف	لا يوجد
أُمميّ التوجّه	الدعوة إلى الوحدة الإسلامية باللين	رابطة العالم الإسلامي	الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بالعنف جهادي كلاسيكي جهادي عالمي	السعوديون في أفغانستان والشيشان والبوسنة والعراق، تنظيم القاعدة، تنظيم القاعدة في جزيرة العرب
أخلاقيّ التوجه	متزمّت	الجماعة السلفية المُحتسِبة	حراسة العقيدة	إخوان جُهَيمان، الحسبة غير المنظمة
طائفيّ التوجّه	طائفي	لا يوجد	طائفي يؤمن بالعنف	لا يوجد

تبرز في التحليل الآتي مصطلحات ثلاثة بحاجة إلى مزيد من الإسهاب، وهي «الإسلام السياسي الثوري الاجتماعي» و«الإسلام الجهادي الكلاسيكي» و«الإسلام الجهادي العالمي». **المصطلح الأول** متلازم مع أفكار سيّد قطب، ويشير إلى النشاط الهادف إلى إسقاط نظام حكم مسلم بتدبير انقلاب عسكري. وهذا هو الشكل الأساس للنشاط الإسلامي العسكري في مصر وسوريا في سبعينيات القرن الماضي، وكذلك في الجزائر في التسعينيات. استهدفت هذه الجماعات بأعمالها العنيفة أهدافاً حكوميّة في الأساس، والموضوع أو الإطار المهيمن الذي تكررت الإشارة إليه في مؤلفاتها هو الفساد والقمع وسوء سيرة الحاكم المسلم.

ويشير **المصطلحان الأخيران** إلى الأشكال المتشددة للنشاط الداعي إلى الوحدة الإسلامية. يقترح المؤلف مصطلح **الإسلام الجهادي الكلاسيكي**

لأن مبدأه الأساس أقرب إلى مفاهيم الجهاد منه إلى أيديولوجيات الجهات المسلّحة الأخرى. إنّ المذهب الجهادي الكلاسيكي ابتكار حديث أول من صاغه عبدُ الله عزّام في سياق الجهاد في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي. جادل عزّام بأنّ انتهاك الكفّار حرمة أرض إسلامية يستلزم مشاركة عسكرية فورية من جانب الرجال المكلّفين كلّهم شرعاً بالدفاع عن تلك الأرض أيّاً كان موقعها. وبذلك تغيّر المحتوى السياسي للجهاد المعاصر من صراع مع نظم مسلمة على السلطة، إلى صراع دفاعي مع الكفار دفاعاً عن الأرض. وهذا المفهوم الجهادي أقرب إلى الآراء التقليدية في الجهاد المشروع، ومن هنا جاءت شهرته، لكنّ عزّام اختلف مع جمهور العلماء بقوله إنّ القتال فرض عين على كل المسلمين وليس على السكان المتأثّرين بشكل مباشر فقط[٧].

لطالما جرى الخلط بين الجهاد الكلاسيكي وشقيقه الأيديولوجي الأكثر تشدداً، أعني مذهب الجهاد العالمي الذي طوّره أسامة بن لادن في أواسط تسعينيات القرن الماضي. يرى المذهبان أنّ محاربة القوى الكافرة التي تقمع المسلمين أَولى من قتال الحكومات المسلمة الفاسدة، وكلاهما أطّر صراعه بالمُثُل مستخدماً خطاباً موضوعُه الدائم اضطهاد الكافرين للمسلمين، والذي يتجلّى في العادة بقوائم طويلة لصور معاناة المسلمين. لكن في حين دافع عزّام عن الحرب الفدائية ضمن مناطق صراع محدّدة مع أعداء يرتدون زيّاً عسكرياً، دعا بن لادن إلى شنّ هجمات تُوقع أعداداً كبيرة من الضحايا خارج مناطق الصراع. وهذا هو سبب إحجام العرب من الناحية الفعلية في أفغانستان في عقد الثمانينيات، أو في البوسنة والشيشان في عقد التسعينيات، وجميعهم جهاديون كلاسيكيون، عن تنفيذ عمليات دولية، بينما استهدف المسلّحون التابعون لتنظيم القاعدة نطاقاً واسعاً من الأهداف الغربية في أماكن شتى. إن الفارق بين الجهاديين الكلاسيكيين والجهاديين العالميين مهم، لأن الفريقين اختلفا في المملكة العربية

(٧) للاطلاع على مراجعات لمفهوم الجهاد بموجب التعاليم التقليدية، انظر: David Cook, *Understanding Jihad* (Berkeley, CA: University of California Press, 2005), and Michael Bonner, *Jihad in Islamic History: Doctrines and Practice* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006).

السعودية في أواخر التسعينيات ومطلع القرن الحادي والعشرين، وخصوصاً في مسألة حصر القتال بالمملكة أو خوضه خارجها.

اللافت أنّ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بوسائل متشددة تشاطر الأيديولوجيات القوميّة بعض أوجه الشبه البنيوية، ولا سيما التركيز على تحرير الأرض، مع التركيز على قتال الأعداء الخارجيين والتشديد على الوحدة الداخلية في مواجهة التهديدات الخارجية. يمكن بكل تأكيد اعتبار الإسلام السياسي الوحدوي قوميةً كلّية مرتكزة على مجتمع الأمّة المتصوَّرة التي يحددها الدِّين وكذلك اللغة، وإن بدرجة معيّنة (أعني اللغة العربية لتمتّعها بمنزلة خاصّة في الإسلام). وإذا كانت الأمّة الإسلامية بطبيعتها غير مناطقية لشمولها المسلمين أينما وُجدوا، فلدى الإسلاميين الوحدويين حسّ واضح بما يشكّل الأرض الإسلامية، وعلى التحديد سائر الأراضي التي حكمها المسلمون في يوم من الأيام، بدءاً بالأندلس في الغرب، وانتهاءً بإندونيسيا في الشرق. ربما يعترض بعض المفكرين على النظر إلى الإسلام السياسي الوحدوي بأنّه قومية كلّية، لكنّ هذا المنظور يصبح بدهياً عند ربطه بالتفريق المثالي بين الأيديولوجيات الثورية المثالية والأيديولوجيات الإثنية القومية، وهو ربط أثبت بالتجربة نفعَه العميم في تحليل التيار العسكري خارج الشرق الأوسط. من ذلك أن بيتر والدْمان (Peter Waldmann) وثّق الفوارق العامة في أنماط السلوك والتجنيد بين الجماعات القومية الإثنية والجماعات اليسارية المتطرّفة في أوروبا في عقدَي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وكما سنبيّن في موضع لاحق من هذا الكتاب، بعض هذه الفوارق يميّز العلاقة بين الناشطين الثوريين الاجتماعيين والناشطين الإسلاميين الوحدويين(٨).

إذا عاينّا تاريخ العنف الإسلامي السنّي في المملكة من خلال عدسة

(٨) Peter Waldmann, «Ethnic and Socio-revolutionary Terrorism: A Comparison of Structures,» in: Donatella Della Porta, ed., *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations*, International Social Movements Research; vol. 4 (Greenwich: JAI Press Inc., 1992).

المفاهيم الآنفة الذكر، يبرز نمط واضح ولافت وهو أنّ للعنف طابعاً إسلامياً وحدوياً متشدداً، فضلاً عن اتّصافه ببعض سمات المحافظة على الأخلاق، بينما نجد العنف الثوري الاجتماعي نادراً للغاية. وقد شهد التاريخ المعاصر للمملكة العربية السعودية سبع حوادث تجلّى فيها العنف الإسلامي السنّي، **أولها** احتلال الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، وهو ظاهرة فريدة مع كونه أقرب ما يكون إلى العنف المدفوع بحراسة العقيدة لأنه أريد منه أن يكون عملاً تطهيرياً أخلاقياً شاملاً. والحادثة **الثانية** اشتملت على سلسلة هجمات محدودة على أهداف أمريكية في أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١. و**الثالثة** سلسلة من نحو عشر هجمات لا يُعرف عنها الكثير استهدفت رموز الفساد الأخلاقي (محلات بيع أشرطة الفيديو، ومراكز نسائية، وغير ذلك) في محافظة القصيم وفي الرياض في وقت قريب من عام ١٩٩١، نفّذت تلك الهجمات مجموعة صغيرة من المتزمّتين المتطرّفين الذين رأوا أعمالهم تجسيداً للحِسبة والمحافظة على الآداب. و**الرابعة** تفجير الرياض الذي استهدف منشأة عسكرية أمريكية في عام ١٩٩٥. و**الخامسة** موجة أخذت شكل سلسلة هجمات محدودة النطاق على وافدين غربيين بين عام ٢٠٠٠ ومطلع العام ٢٠٠٣ (باستخدام سيارات مفخّخة، وإطلاق النار من السيارات، وإرسال رسائل مفخّخة وغير ذلك)؛ وإذْ لم يُلقَ القبض على أي من المهاجمين، يرجَّح أن يكون هذا العنف من صنيع مسلّحين هواة مدفوعين بكراهية الغرب. والموجة **السادسة** عبارة عن سلسلة من خمس محاولات اغتيال استهدفت قضاة ورجال شرطة في مدينة سكاكا الشمالية بمحافظة الجوف أواخر عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣. ربما تمثّل أحداث سكاكا أعمال العنف الوحيدة التي طالت ممثّلين حكوميين مدنيين في التاريخ السعودي الحديث(٩).

---

(٩) للاطلاع على تفاصيل الهجمات التي وقعت في عام ١٩٩١، انظر: Elizabeth Rubin, «The Jihadi Who Kept Asking Why,» *New York Times*, 7/3/2004.

انظر أيضاً: المقابلات التي أجراها المؤلف مع منصور النقيدان في الرياض في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، ومع ناصر البرّاك في الدمام في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥. ولمعرفة المزيد عن تفجير الرياض عام ١٩٩٥، انظر: Joshua Teitelbaum, *Holier than Thou: Saudi Arabia's Islamic Opposition*, Policy Papers; no. 52 (Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2000).

موجة العنف **السابعة** والأهمّ على الإطلاق هي حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. أبرز التنظيمُ أجندةً إسلامية وحدوية أساساً في أقواله وأفعاله. كانت المصالحُ الغربية هدفَ عامّة هجماته، لكنّه لم يستهدف وزير أو قصر ملكي أو مبنى حكومي مدني خارج الجهاز الأمني. والهجمات التي استهدفت القوى الأمنية ووزير الداخلية جاءت متأخرة نسبياً في الحملة بعد أن أضحى الثأر دافعاً. ودأب تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في منشوراته على تبرير عنفه بأنّه ردّ فعل دفاعي على عدوان الولايات المتحدة على العالم الإسلامي. ربما أرادت القيادة العليا لتنظيم القاعدة تغيير النظام، لكن يتضح من أدبيات تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ولا سيّما المقابلات الكثيرة التي أُجريت مع مسلّحين وسيرهم الذاتية التي نشرتها مجلة **صوت الجهاد**، أنّ عامة أعضاء التنظيم من الطبقة المتوسطة والمتدنية رأَوا أنهم يخوضون صراعاً إسلامياً وحدوياً أساساً.

لذلك، يبدو أن التيار الإسلامي السياسي الوحدوي هو التيار الغالب في المملكة العربية السعودية في العقود الأخيرة. وبالتالي، فإنّ تاريخ الحركة الجهادية السعودية يمثّل إلى حدّ بعيد تاريخ تيار فرعي إسلامي وحدوي متشدد انبثق عن الإسلام السياسي السعودي. إذاً ما السبيل إلى تقديم أفضل تعليل لصعود هذا التيار وانطلاق حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؟

عموماً، تستعرض المؤلّفات المنشورة ثلاثة أطر أساسية لتفسير تطوّر التيار الجهادي السعودي. يشمل الإطار الأول تحليلات على المستوى التنظيمي تعزو حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب إلى قرار اتخذه أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بفتح جبهة قتالية في المملكة العربية السعودية. وفي هذا السياق قدّم كل من أنتوني كوردسمان (Anthony H. Cordesman) ونواف عُبَيد ودومينيك توماس

= ولمعرفة المزيد عن الهجمات التي وقعت بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ وعن عمليات الاغتيال في سكاكا، انظر: J. E. Peterson, «Saudi Arabia: Internal Security Incidents Since 1979,» *Arabian Peninsula Background Note*, no. 3 (2005).

(Dominique Thomas) وبروس ريدل (Bruce Riedel) رؤى قيّمة للغاية حيال فكر القاعدة الاستراتيجي والمرحلة الأولى من تاريخ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. لكنّ هذه التحليلات لا تشرح بشكل وافٍ الأسباب التي حملت بن لادن على اتخاذ قرار إطلاق الحملة في عام ٢٠٠٣ وليس قبلها. زد على ذلك أن التحليلات على المستوى التنظيمي تميل إلى إغفال قضايا العنف الأعمق[١٠].

هذا ما دفع بعض المفكرين إلى تقديم تفسيرات بنيوية تعتبر العنف نتيجة طبيعية لمشكلات اجتماعية واقتصادية عميقة أو لأوجه الخلل الوظيفي للجهاز الحكومي السعودي. شدّد بعضهم على البُعد الاقتصادي، وجادل بأنّ العنف عصف بالمملكة العربية السعودية لأنها في مرحلة تنمية اقتصادية معرّضة للعمليات الإرهابية. وأقرّ آخرون، منهم جوشوا تيتلْبوم (Joshua Teitelbaum)، بأهمية العوامل الاجتماعية الاقتصادية، لكنهم أشاروا إلى أن المشكلة الحقيقية في «أيديولوجيا التشدد الدِّيني» الذي يشكل أساس شرعية المملكة. وهناك تحليل متصل لكنه أشدّ تعقيداً، قدّمته مضاوي الرشيد في كتابها المهم **مساءلة الدولة السعودية** الذي عالجت فيه الإسلام السياسي السعودي. ترى مضاوي أنّ التيار الجهادي السعودي أصبح واحداً من عدة صور للتيار الوهّابي، بعد أن خسرت الدولة السعودية ذات الحكم المطلق احتكارها للخطاب الوهّابي بفعل ضغوط العولمة. لم تقدّم مضاوي تفسيراً واضحاً لاندلاع أعمال العنف في عام ٢٠٠٣، ربما لأنه لم يكن مقصد كتابها، لكنّها ألمحت بالفعل إلى أنّ الطابع الاستبدادي للدولة، واستغلالها للوهّابية هما السببان الرئيسان لبروز التيار الجهادي السعودي. على أنّ المشكلة الأساسية في هذه التفسيرات عدم مراعاتها التباينات الزمنيّة في مستويات العنف إلّا نادراً، وأنّها غير مناسبة على الخصوص لتفسير العنف

---

(١٠) Anthony H. Cordesman and Nawaf Obaid, *Al-Qaeda in Saudi Arabia: Asymmetric Threats and Islamic Extremists* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005); Dominique Thomas, *Les Hommes d'Al-Qaïda: Discours et stratégie*, Ligne d'horizon (Paris: Michalon, 2005), pp. 39-58; and Bruce Riedel and Bilal Y. Saab, «Al Qaeda's Third Front: Saudi Arabia,» *Washington Quarterly*, vol. 31, no. 2 (2008).

المحدود الذي شهدته المملكة. إن العنف السياسي ليس تعبيراً مباشراً عن ضغوط بنيوية إلّا نادراً؛ لأنّ الصراع العنيف يقتضي وجود جهات يمكنها تعبئة الأنصار وتنفيذ نواياها عملياً[١١].

لذلك، برز تفسير ثالث متّصل بُني على نظرية الحركة الاجتماعية؛ حيث اعتُبرت حملةُ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مرحلةً عنيفة في «دورة نزاع» الحركة الإسلامية السعودية. هذه هي المقاربة التي اعتمدها رويل ميجير (Roel Meijer)، في المجادلة بأنّ المرحلة العنيفة أفرزها قمعُ المعارضة الإسلامية التي لا تؤمن بالعنف في عام ١٩٩٥. لكنّها مقاربة تفترض وجود حركة إسلامية متماسكة، بينما توجد فوارق أيديولوجية مهمّة والقليل من الصلات التنظيمية بين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب والمعارضة التي نشطت في مطلع تسعينيات القرن الماضي. وبالإضافة إلى ذلك، لا تقدّم هذه المقاربة تفسيراً شافياً للتوقيت المحدّد لحملة التنظيم[١٢].

للتغلّب على هذا التحدّي المنهجي الثلاثي، وبالتحديد إغفال التحليلات التنظيمية الأسبابَ العميقة، وعجز التفسيرات البنيوية عن تفسير التوقيت، وعدم ملاءمة نظرية الحركة الاجتماعية بالقدر الكافي مع الحركة الإسلامية السعودية عموماً، أقترحُ وضع إطار عمل لحركة اجتماعية متعددة المستويات لدراسة الحركة الجهادية السعودية المعرَّفة على نحو أكثر حصراً. وأنا أعتمد في ذلك على عمل دوناتيلا ديلا بورتا (Donatella Della Porta) التي درست التيار اليساري المتطرّف في إيطاليا

---

(١١) Robert Looney, «Combating Terrorism Through Reforms: Implications of the Bremer-Kasarda Model for Saudi Arabia,» *Strategic Insights*, vol. 3, no. 4 (2004); Joshua Teitelbaum, «Terrorist Challenges to Saudi Arabian Internal Security,» *Middle East Review of International Affairs*, vol. 9, no. 3 (2005), and Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, pp. 134-174.

(١٢) Roel Meijer, «The «Cycle of Contention» and the Limits of Terrorism in Saudi Arabia,» in: Paul Aarts and Gerd Nonneman, eds., *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London: Hurst, 2005).

[وصدرت النسخة العربية من الكتاب عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ٢٠١٢ بعنوان: **المملكة العربية في الميزان: الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية**].

وألمانيا؛ عبر التفريق بين المتغيّرات على المستوى الكلّي؛ مثل: أنماط رقابة الاحتجاجات؛ والمتغيّرات على المستوى المتوسط؛ مثل: القوى المحرّكة التنظيمية السرّية؛ والمتغيّرات على المستوى الجزئي، مثل: عمليات التجنيد وتشريب الأفكار المتشددة؛ حيث يسهّل إطار العمل القوي هذا تصوير كل من الأسباب الجذرية والتباينات التكتيكية، وتقييم أثر التغيّرات المتزامنة عند مستويات التحليل المختلفة(١٣).

لذلك، يحدّد التحليل الآتي أهمّ المراحل الزمنية، ويعاين كلاً منها على المستوى الكلّي والمتوسط والجزئي. سأدرس على **المستوى الكلّي** التطوّرات السياسية الدولية بشكل أساس؛ والفضاء السياسي المحلّي المتاح للنشاط الجهادي؛ والتطوّرات الأيديولوجية في المجتمع الإسلامي الأرحب. وعلى **المستوى المتوسط**، سأركز على «العوامل المحرّكة الأولى»؛ وعلى المنظِّمين؛ وعلى الاستراتيجيات التي اعتمدوها لتعبئة المناصرين. وعلى **المستوى الجزئي**، سأعاين مجموعات الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والدوافع المعلَنة؛ وأنماط التحاق المجنّدين الفرديين بالمعارضة. وأودّ أن أشير إلى أن الفصول كافة عند مستوى تحليلي معيّن ليست متناسقة بالكامل، وذلك عائد جزئياً إلى تغطيتها حقباً زمنية متفاوتة الطول. لكنها تجيب عن الأسئلة العريضة ذاتها المتصلة بالسياق وتطرّف الجماعات والأفراد على التوالي.

أوْلينا عناية خاصة في مجمل مراحل هذا التحليل لفهم التعبئة وتفسيرها؛ أي تبيان أسباب حشد الموارد البشرية والمادّية وغير المادّية وتنظيمها للعمل السياسي وكيفية القيام بذلك. كما أوليتُ بعض العناية لطريقة تأطير الجهات صراعها بهدف استقطاب المناصرين، وللقوى المحرّكة التي تؤثّر في القدرة التعبوية لأطر تلك الجهات. لذلك يتجلّى مفهوم «الأيديولوجيا» الواسع في سائر مراحل التحليل الثلاث كجزء من البيئة التي نشط فيها المعارضون، وكجزء من استراتيجيتهم

---

(١٣) Donatella Della Porta, *Social Movements, Political Violence, and the State: A Comparative Analysis of Italy and Germany*, Cambridge Studies in Comparative Politics (Cambridge [UK]; New York: Cambridge University Press, 1995), pp. 9-14.

في تعبئة المناصرين، وكجزء من عملية التجنيد الفردي(١٤).

المشكلة بالطبع هي أن هذا النوع من التحليل يتطلّب قدراً كبيراً من المعلومات المفصّلة عن الجهات الفاعلة، بينما الجماعات التي نتعامل معها هنا صغيرة وعنيفة وسرّية. لا ريب في أنّ تأليف هذا الكتاب قبل عشر سنين كان مهمة مستحيلة، بيد أن تطورات حديثة ثلاثة حملت التيار الجهادي السعودي على إبداء مزيد من العلانية. **التطور الأول** والأهم هو شبكة الإنترنت التي أطلقت ثورة في الدراسة الأكاديمية للإسلام الحركي العسكري. عمد الجهاديون في أواخر تسعينيات القرن الماضي إلى استخدام شبكة الإنترنت كمركز توزيع ومكتبة ومنصّة لتبادل المعلومات والترويج للكتب والتسجيلات الصوتية والفيديوية. وقد نشر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب خصوصاً كمّاً مدهشاً من الوثائق عن نفسه في عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، ما يجعله أكثر جماعة عنفيّة وثّقت أنشطتها على مرّ التاريخ. ومن نافلة القول إنه يتعيّن استخدام الوثائق المنشورة على المواقع الإلكترونية الجهادية بحذر، لكنّ صحة الوثائق ليست موضع جدل بالقدر الذي يراه المشكّكون. فالتزوير صعب لأنه تمكن دائماً مقارنة الوثائق الإفرادية بمصادر أخرى للتأكّد من اتساق الأسلوب والمضمون. ومن ناحية أخرى انعدام الدقة همّ أكبر لكن يمكن التصدي لهذه المشكلة بالاعتماد على الأدلة التي تمّ جمعها. وهذه الدراسة مبنيّة على آلاف النصوص والتسجيلات الصوتية والفيديوية التي جُمعت بطريقة ممنهجة عبر الإنترنت على مدى ست سنين(١٥).

---

(١٤) David A. Snow and Robert D. Benford, «Ideology, Frame Resonance, and Participant Mobilization,» in: Bert Klandermans, Hans Peter Kriesi and Sidney Tarrow, eds., *International Social Movements: From Structure to Action: Comparing Social Movement Research across Cultures* (Greenwich: JAI Press, 1988).

(١٥) تضمّن الإنتاج الأدبي الكبير لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب خمس سلاسل منشورات مختلفة: مجلة **صوت الجهاد** التي صدر منها ثلاثون عدداً (تألف كل عدد من ٣٠ ـ ٥٠ صفحة)؛ ومجلة **معسكر البتّار** التي صدر منها اثنان وعشرون عدداً (من ٣٠ ـ ٥٠ صفحة)؛ و**الخنساء** (على اسم شاعرة من القرن السابع) وصدر منها عدد واحد؛ و**التقرير الإخباري** وصدر منه ثلاثة وعشرون عدداً؛ و**البيان** التي صدر منها ثلاثة أعداد على الأقل. كما أنتج تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عدداً من الأفلام التي تراوحت مددها بين ٤٠ و٩٠ دقيقة وثّق فيها عمليّاته بتفاصيل مدهشة، مثل «عزائم الشهداء» و«شهداء المواجهات» و«بدر الرياض» و«فيلق القدس» و«غارة الفلّوجة».

التطور الآخر الذي جعل هذه الدراسة ممكنة، هو انفتاح المملكة العربية السعودية على علماء الاجتماع الغربيين بدءاً بالعام ٢٠٠٢ تقريباً.

استطاع المؤلف القيام بعمل ميداني واسع في المملكة العربية السعودية في خمس رحلات بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨. ومع أنني لم أستطع الوصول إلى أي من الأعضاء الناشطين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، فقد أجريت مقابلات مع أصدقائهم ومع أُسرهم ومع قدامى المجاهدين على جبهات الجهاد في الخارج ومع متشددين سابقين ومع إسلاميين معتدلين ومع صحافيين ومعلّقين مختصّين في مختلف أنحاء المملكة. كما إنني لم أُفصح عن هويّات بعض المتعاونين لأسباب غنية عن البيان.

التطور الثالث كان تغيّر موقف السلطات السعودية من تقاسم المعلومات بعد إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب شرارةَ أعمال العنف. باتت وزارة الداخلية أكثر استعداداً بدرجة كبيرة لإعطاء معلومات عن الحوادث الأمنية بدءاً بشهر أيار/ مايو ٢٠٠٣ منها قبل ذلك. والراجح أنّ هذا التغيّر عكس إدراك أن الإنترنت والقنوات التلفزيونية الفضائية كسرت احتكار الدولة للمعلومات، وحاجةَ الحكومة إلى تقديم روايتها الخاصة للأحداث لتكون بديلاً من روايات المسلّحين. كما سُمح لوسائل الإعلام السعودية المحلّية بعرض قدر معيّن من التحقيقات الإخبارية وإن بقيت خاضعة لرقابة الدولة.

اعتمد الكتاب عند التحليل على المستوى الجزئي على مجموعة مؤلفة من ٥٣٩ سيرة ذاتية لمسلّحين سعوديين نشطوا في ميادين عديدة؛ بدءاً بالجهاد الأفغاني في ثمانينيات القرن الماضي وانتهاءً بحملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب (باستثناء العراق). راجع المؤلّف منفرداً السيَرَ الذاتية التي جمعها من مصادر مفتوحة طوال مدة زادت على أربع سنين. وقد أدرجنا مزيداً من المعلومات المفصّلة عن المصادر وعن البيانات الاجتماعية والاقتصادية في الملحق الأول؛ وإذْ لم نطمح إلى أن يكون التحليل على المستوى الجزئي دراسة مقارنة بشكل أساس، فقد أعرضنا عن الدارسة المنهجية لكمّ هائل ومتنامٍ من مجموعات الدراسات

المعتمدة على النماذج الذاتية للتشدد الفردي. لكنّ تحليلنا يُلقي نظرة مفصّلة نسبياً على كيفية تحوّل بعض السعوديين إلى ناشطين مسلّحين(١٦).

لا مفرّ من احتواء الكتاب على أخطاء وقائعية معيّنة وحالات سهو، وكذلك هي سائر الدراسات الغنية التجريبية التي تُعنى بظواهر تكتنفها هالة من السرّية. ومع ذلك، أعتقد أن البيانات مسهبة ومتنوعة بما يكفي لتقديم إجابات مبنية على أسس قوية نسبياً عن بعض الأسئلة التي أتينا على ذكرها.

بعبارة غاية في البساطة أقول إنّ حجتي الأساسية هي أنّ التيار الجهادي السعودي أقرب إلى التيار الوحدوي الإسلامي منه إلى التيار الثوري، خلافاً لما هو سائد في الجمهوريات العربية؛ حيث العكس هو الصحيح. وأجادل أيضاً بأنّ حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثّلت عودة حركة جهادية إلى الوطن بعد أن مرّت في ثلاث مراحل.

امتدت **المرحلة الأولى** من أواسط ثمانينيات القرن الماضي إلى أواسط تسعينياته، وشهدت تكوين حركة جهادية كلاسيكية انخرطت في صراعات تحرّر وطني محلّية في أماكن، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان، باسم الوحدة الإسلامية. وكان لبروز الحركة الجهادية الكلاسيكية في هذا الوقت أسباب ثلاثة: **الأول**؛ أنّ الزيادة في عدد الصراعات التي تدور رحاها بين المسلمين وغير المسلمين وبروزها جعل

---

(١٦) للاطلاع على دراسات عن التطرّف الفردي في سياقات أخرى، انظر على سبيل المثال: Saad Eddin Ibrahim, «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Notes and Preliminary Findings,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 12, no. 4 (1981); Ayla Hammond Schbley, «Torn Between God, Family and Money: The Changing Profile of Lebanon's Religious Terrorists,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 23, no. 3 (2000); Ami Pedahzur, Leonard Weinberg and Arie Perliger, «Altruism and Fatalism: The Characteristics of Palestinian Suicide Terrorists,» *Deviant Behaviour*, vol. 24, no. 4 (2003); Alan B. Krueger and Jitka Malečková, «Education, Poverty and Terrorism: Is there a Causal Connection?,» *Journal of Economic Perspectives*, vol. 17, no. 4 (2003); Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), and Edwin Bakker, *Jihadi Terrorists in Europe: Their Characteristics and the Circumstances in Which They Joined the Jihad: An Exploratory Study*, Clingendael Security Paper; no. 2 (The Hague: Netherlands Institute of International Relations, 2006).

الخطاب الوحدوي الإسلامي أكثر صدقية من الناحية العملية. و**الثاني**؛ أن العوامل السياسية المحلّية أتاحت نافذة فرص سياسية نافعة للنشاط الوحدوي الإسلامي المتشدد. و**الثالث**؛ أداء عبد الله عزّام ورفاقه الممتاز في تنظيم حركة اجتماعية.

شهدت **المرحلة الثانية** التي امتدت من أواسط تسعينيات القرن الماضي إلى عام ٢٠٠١، بروز فرع «جهادي عالمي» أكثر تشدداً من الحركة الجهادية السعودية. كان الجهاديون العالميون إسلاميين وحدويين متشددين أيضاً، لكنّهم اختلفوا عن الجهاديين الكلاسيكيين بمعاداتهم للولايات المتحدة واستعدادهم لاستخدام تكتيكات عنفيّة دولية. استقطب هؤلاء الجهاديون العالميون الممثّلون بتنظيم القاعدة عدة سعوديين في أواخر تسعينيات القرن الماضي لنجاح بن لادن في تأسيس بنية تحتية للتجنيد المحلّي، فحاز مساندة علماء دين متشددين، واستغلّ التعاطف الشعبي مع القضيتين الشيشانية والفلسطينية.

وفي **المرحلة الثالثة** التي امتدت من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠٠٦، أنجب الفرعُ الجهادي العالمي تنظيمَ القاعدة في جزيرة العرب، الذي شنّ حرباً على الوجود الغربي في المملكة العربية السعودية. لكنّ السبب المباشر لحملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كان القرار الذي اتخذه أسامة بن لادن بفتح جبهة قتالية في المملكة بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. وفي ربيع العام ٢٠٠٢، عاد عدة مئات من المقاتلين السعوديين إلى المملكة العربية السعودية قادمين من أفغانستان، وبدؤوا بالتحضير لعمليات عسكرية بإشراف يوسف العُيَيْري. ومما سهل عملية التعبئة فرض السلطات الأمنَ بطريقة غير منظمة، وحالة الاستقطاب التي هيمنت على الساحة الإسلامية، وظهور صور جديدة لمعاناة المسلمين.

هذا الكتاب مبني على شبكة أساسية من ثلاثة أعمدة تغطي ثلاث حقب زمنية وثلاثة مستويات تحليلية. نشرح في **القسم الأول** صعود التيار الجهادي الكلاسيكي في المملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٩ و١٩٩٥. ونحلّل في الفصول الثلاثة الأولى بروز حركة جهادية كلاسيكية

على المستويات الثلاثة الكلّي والمتوسط والجزئي على التوالي. ويوغل **القسم الثاني** في الزمن ويقْصُر التركيز على الجهاديين العالميين ويعاين التفاف بعض السعوديين حول تنظيم القاعدة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١. لذلك كرّسنا الفصول الثلاثة التالية لعملية تجنيد العناصر في تنظيم القاعدة في أفغانستان، ولوكلائه والأشخاص المستهدفين فيه. ونعاين في **القسم الثالث والأخير** تشكيل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ ونكرّس الفصل السابع والثامن والتاسع لأوجه تشكّل التنظيم على المستوى الكلّي والمتوسط والجزئي. ونختم الكتاب بالفصل العاشر ونبيّن فيه كيفية تطوّر الحملة وأسباب إخفاقها.

الفصل الأول

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

«عانت عدة دول إسلامية شقيقة في السنين القليلة الماضية أزمات غير عادية وكوارث طبيعية. وهبّت الحكومة دائماً لإسعاف تلك الدول المنكوبة لتعزيز روابط الأخوة بين الدول الإسلامية؛ امتثالاً لتعاليم الإسلام التي تدعو إلى التعاون والتضامن بين البشر».

وزارة المالية السعودية (١٩٩١)(*)

(*) *The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World* (Riyadh: Ministry of Finance and National Economy, 1991), p. 24.

تخلّى آلاف السعوديين عن حياة الدّعة في أواسط الثمانينيات وأواسط التسعينيات، وتوجّهوا إلى القتال في أفغانستان وطاجيكستان والبوسنة والشيشان. عرّضوا حياتهم للخطر من أجل أشخاص لم يلتقوا بهم سابقاً، ومن أجل أراضٍ بالكاد يستطيعون تحديد مواقعها على الخريطة. وقد أنفقت المملكة العربية السعودية في زمن تراجع أسعار النفط مليارات الدولارات لتحرير بلدان تفصلها عنها آلافُ الأميال. ومع أن جيشها كان أضعف من أن يدفع عن حقولها النفطية هجوماً عراقياً في عام ١٩٩١، فقد شجعت شبابها على المشاركة في حروب المسلمين الأخرى في أوروبا وفي آسيا الوسطى.

كانت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية القوة المحرّكة لهذا السلوك المثير للاهتمام، وهي أيديولوجيا مبنية على اعتبار سائر المسلمين شعباً واحداً يتحمّل كل فرد من أفراده مسؤولية الدفاع عن الأفراد الآخرين، في أوقات المحن. شهد العالم الإسلامي، في الثمانينيات، بروز تفسير أخذ طابعاً عسكرياً على نحو متزايد للوحدة الإسلامية؛ ورأى أن الأمّة محاطة بتهديدات خارجية؛ وشدّد، على وجه الخصوص، على نصرة المسلمين الذين يخوضون نزاعات مع غير المسلمين. وسعى أشدّ مناصري هذه الأيديولوجيا تطرّفاً إلى إقناع المواطنين العاديين بالمشاركة، عسكرياً، في صراعات التحرّر الوطني التي يخوضها مسلمون آخرون.

لكي نفهم أسباب نجاح هذا المسعى، آنذاك، وكيف أنّ نجاحه في المملكة العربية السعودية فاق نجاحه في أغلب الدول الإسلامية الأخرى، ينبغي أن نعاين تطوّر الفرص السياسية التي أتيحت للنشاط الإسلامي الوحدوي المتطرّف في المملكة، من أواسط سبعينيات القرن

الماضي إلى أواسط تسعينياته. وكما سنرى بعد قليل، شكّل انشغالُ المملكة العربية السعودية الدائم بشرعية الوحدة الإسلامية؛ وكذلك القوى المحرّكةُ للسياسة المحلّية السعودية النافذةَ التي أتاحت هذه الفرص.

أولاً: تشكّل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

إذا كانت وحدة المسلمين، في صورتها المثالية، منصوصاً عليها في مفهوم الأمّة القرآني (جماعة المؤمنين)، فإنّ التاريخ الفكري للدعوة إلى الوحدة الإسلامية، يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر وبروز الإسلام السياسي الحديث. وفي سياق القرن العشرين، أفرز مفهومُ الأمّة مجموعةً من الظواهر السياسية. وعموماً، يمكننا التفريق بين ثلاثة تجلّيات للدعوة إلى الوحدة الإسلامية: الدعوة إلى إقامة الخلافة، وتنسيق السياسة الخارجية، والتعبئة الشعبية.

إنّ الوحدة الإسلامية، في نظر المفكرين الإسلاميين الأوائل، من أمثال: رشيد رضا الذي نشر مؤلّفاته، في وقت قريب من سقوط الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤، تشير، ضمناً، إلى مشروع حقيقي لبناء وحدة سياسية رسميّة في العالم الإسلامي. وقد شهد عقد العشرينيات وعقد الخمسينيات من القرن الماضي محاولات عديدة لتوحيد الدول الإسلامية في منظمة شبيهة بالخلافة. لكنّ الدعوات القومية المحلّية والسياسة الواقعية، حالت دون تحقيق هذا المشروع الذي كان في حكم الميت، في أواخر خمسينيات القرن الماضي[1].

وفي الستينيات ومطلع السبعينيات، نشطت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في صورة أقلّ مثالية، من خلال دعوة الملك فيصل، عاهل المملكة العربية السعودية إلى التنسيق والعون المتبادل بين الدول

---

(١) Jacob M. Landau, *The Politics of Pan-Islam: Ideology and Organization* (Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1990), and James Piscatori, «Imagining Pan-Islam,» in: Shahram Akbarzadeh and Fethi Mansouri, eds., *Islam and Political Violence* (London: I. B. Tauris, 2007).

الإسلامية. صِيغَ مفهوم «التضامن الإسلامي»، الذي اقترحه الملك فيصل، مذهباً في السياسة الخارجية لا مشروعَ وحدة سياسية؛ ليكون المقابل، إلى حدّ بعيد، للقومية العربية العلمانية التي دعا إليها جمال عبد الناصر. كانت الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الملك فيصل أداةً لبناء حلف، قبل أي شيء آخر، في زمن الحرب العربية الباردة بين مصر والمملكة العربية السعودية. لكنه خدم غاية سياسية محلّية أيضاً، وتحديداً تعزيز المؤهلات الشرعيّة الدِّينية للنظام السعودي. ولمّا كانت المملكة منشأ الوهّابية ومهد الإسلام، فقد جعلت الاستقامةَ الدينية ركيزة أساسية لشرعيتها؛ أي إن قيادة الأمّة الإسلامية ومساعدتها كانت الطريقة التي اعتمدها الملك فيصل في دعوى الاستقامة الدينية[٢].

لا ريب في أنّ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في عهد الملك فيصل، كانت مثيرة للسخرية بعض الشيء، بالنّظر إلى عداء العلماء الوهّابيين التاريخي للمسلمين من غير الوهّابيين؛ إذْ إنّهم إلى مستهلّ القرن العشرين، لم يعتبروا في الغالب غيرَ الوهّابيين مسلمين أصلاً. لكنّ ذلك تغيّر مع العولمة التي جعلت السعوديين على اتصال مع «الكافرين الأصليين» في الدول غير المسلمة. وفي أواخر الخمسينيات، باتت المؤسسة الدينية السعودية تنظر إلى المسلمين الآخرين على أنهم مؤمنون تتوجّب نصرتهم. جاء ما يشبه الاعتراف الرسمي بأنّ غير الوهّابيين مسلمون؛ عندما عقد مفتي عام المملكة محمد بن إبراهيم اجتماعاً رسمياً لأول مرّة في عام ١٩٥٤، مع علماء كبار غير وهّابيين، مثل: حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية، ومحمد الطاهر بن عاشور الفقيه المالكي التونسي[٣].

وبهدف الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، شكّل الملك فيصل عدداً من

---

(٢) Abdullah M. Sindi, «King Faisal and Pan-Islamism,» paper presented at: *King Faisal and the Modernisation of Saudi Arabia* (conference), edited by Willard A. Beling (London: Croom Helm, 1980).

(٣) Reinhard Schulze, *Islamischer Internationalismus im 20 Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltliga*, Social, Economic, and Political Studies of the Middle East; v. 41 (Leiden; New York: Brill, 1990), p. 123.

المؤسسات على المستويين الوطني وفوق الوطني، عملت على تعزيز التعاون والتضامن المتبادل والوعي الديني في العالم الإسلامي. أبرز هذه المؤسسات رابطةُ العالم الإسلامي التي تأسست في أيار/ مايو عام ١٩٦٢، ومنظّمة المؤتمر الإسلامي التي تأسّست، بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٢. شاركت رابطة العالم الإسلامي في طائفة واسعة من الأنشطة الثقافية والتعليمية والخيرية، وخدمت بوصفها منظمة جامعة لعدد كبير من المنظمات الصغيرة. ومع أنها منظّمة غير حكومية، من الناحية الشكلية، فلا تزال إلى اليوم متأثّرة بنفوذ المملكة العربية السعودية ودعمها المالي السخيّ.

كما تأثّرت رابطة العالم الإسلامي، التي تتخذ من مكّة المكرّمة مقرّاً لها، بحركة الإخوان المسلمين التي تمتّع أعضاؤها الفارّون من حملات القمع في مصر وسوريا بحضور قوي فيها. وإذا كانت رابطة العالم الإسلامي تنشط على المستوى الاجتماعي، فإنّ منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة حكومية دولية لها نفوذ عظيم في المجال الدبلوماسي. وبالإضافة إلى كونها منتدى لتنسيق السياسة الخارجية بين الدول الإسلامية، تملك المنظمة صلاحية تشكيل مؤسسات مالية وجمعيات خيرية. وهذا ما تجلّى خصوصاً بعد أن ملأت أزمةُ النفط في عام ١٩٧٣ خزائن دولها الأعضاء بالمال[٤].

ساعدت المنظمات الإسلامية الدولية، التي أسسها الملك فيصل، على بروز تطور ثالث للدعوة إلى الوحدة الإسلامية، أعني حركةً تجمع المساعدات الشعبية لمن يحتاج إليها من المسلمين. طوّرت هذه الحركة الوحدوية الإسلامية الشعبية التي برزت في الأجواء الدولية التي اكتنفت الحجاز، في سبعينيات القرن الماضي، خطاباً مثيراً للقلق تحدّث عن أخطار خارجية تهدّد الأمّة وعن الحاجة إلى تكافل المسلمين العاديين في

(٤) لمعرفة المزيد عن منظمة المؤتمر الإسلامي، انظر: Naveed S. Sheikh, *The New Politics of Islam: Pan-Islamic Foreign Policy in a World of States* (London; New York: RoutledgeCurzon, 2003).

ولمعرفة المزيد عن رابطة العالم الإسلامي، انظر: Schulze, Ibid.

ما بينهم. وقد انتفع الوحدويون الإسلاميون الشعبويون من التمويل السعودي، من خلال رابطة العالم الإسلامي؛ وتعاونوا مع جهات حكومية متى تسنّى لهم ذلك، لكنها جهات فاعلة غير حكومية لم تقيّدها السياسة الواقعية، بل ضغطت على الدول لتقديم مزيد من الدعم لقضايا المسلمين في شتى أنحاء العالم.

رأى الوحدويون الإسلاميون الشعبويون أن مفهوم التضامن الإسلامي متصل، عضوياً، بمعاناة المسلمين. لذلك، سعت المنظمات الإسلامية الدولية، منذ تأسيسها، إلى نشر الوعي بمحن المسلمين في ربوع العالم، من خلال المنشورات والمنابر الإعلامية. وقد أدّى هذا الجهد المنسَّق الذي تلازم مع تطوّرات تكنولوجية في الطباعة والتوزيع، في أواخر السبعينيات، إلى انتشار المنشورات الإسلامية التي تحدّثت عن محن المسلمين في مختلف أنحاء العالم. وبات في مقدور المسلمين في المغرب، مثلاً، قراءة الأخبار المتّصلة بمسلمي الشتات في البلقان أو بالوضع في إندونيسيا من خلال مجلات مثل **أخبار العالم الإسلامي**، ومجلة **رابطة العالم الإسلامي**، وبالتالي، قربت المسافات التي تفصل بين مكونات الأمّة(٥).

أخذت الدعوةُ إلى الوحدة الإسلامية بُعداً سياسياً متعاظماً في سياق سبعينيات القرن الماضي. ولو استثنينا دعم القضية الفلسطينية، أخذت الأنشطة الأولى لرابطة العالم الإسلامي ولمنظّمة المؤتمر الإسلامي طابعاً غير سياسي، وركّزت على المساعدات الإنسانية وعلى الإغاثة من الكوارث. كما شهدت هذه الحقبة تأسيس عدد كبير من الجمعيات الخيرية وصناديق التنمية التي عملت على تخفيف وطأة الفقر وعلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي. لكن ومع نهاية السبعينيات، أخذت القضايا غير السياسية تعطي مكانها لصور معاناة منشؤها سياسي، مثل: الحروب والاضطهاد والتمييز. وهذا ما يتضح من أجندات الاجتماعات السنوية لكلّ من «منظمة المؤتمر الإسلامي»

---

(٥) William Ochsenwald, «Saudi Arabia and the Islamic Revival,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 13, no. 3 (1981), p. 281.

و«رابطة العالم الإسلامي» ومن محتويات المجلات التي ترعاها «رابطة العالم الإسلامي». ولا ريب في أنّ نوعي هذه المحن وجهان لعملة واحدة من المنظور العالمي للوحدة الإسلامية. لذلك، أمسى التضامن الإسلامي مسوّغاً لطائفة من أشكال المساعدات الأخرى، بدءاً بالمساعدات التنموية وانتهاءً بشحنات الأسلحة السرّية(٦).

شكّلت سابقة دعم الملك فيصل للقضية الإسلامية الإسلامية الذي صيغ بعبارات وحدوية إسلامية رافداً لهذه العملية. ففي عام ١٩٤٨، أشرف فيصل الذي كان أميراً، آنذاك، على تشكيل «لجنة مساعدة فلسطين». وبعد أن أصبح ملكاً، قدّم مساعدات سخيّة للصراع الفلسطيني المسلّح مع إسرائيل ومرّر أغلب المساعدات التنموية السعودية إلى دول الطوق وإلى أعداء إسرائيل. وبعد حرب العام ١٩٦٧، أطلقت الحكومة السعودية عدة مبادرات محلّية لجمع الأموال نصرةً للقضية الفلسطينية. وفي كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٧، شكّل الملك فيصل «اللجنة الشعبية لمساعدة أُسر شهداء وسجناء ومجاهدي فلسطين»، وهي منظمة لا تزال قائمة إلى اليوم. ترأس اللجنة آنذاك - وإلى الآن - الأمير سلمان، شقيق الملك فيصل لأبيه، وعملت على «تقديم كافة أشكال الدعم السياسي والأخلاقي والمادّي للشعب الفلسطيني». وفي سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، نظّمت اللجنةُ حملات خاصة لجمع الأموال والتبرعات، ولا سيما في أثناء اندلاع الأزمات الإقليمية، مثل: الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢؛ واندلاع الانتفاضة في عام ١٩٨٧. وكما سنرى، بعد قليل، أعيد في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته بناء عدة هياكل تنظيمية واستراتيجيات زيادة الوعي التي صيغت في

---

(٦) لمعرفة المزيد عن تبلور القطاع الخيري الإسلامي، انظر: J. Millard Burr and Robert O. Collins, *Alms for Jihad: Charity and Terrorism in the Islamic World* (Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2006); Jonathan Benthall, «L'Humanitarisme islamique,» *Cultures et Conflits*, no. 60 (décembre 2005), et Abdel-Rahman Ghandour, *Jihad humanitaire: Enquête sur les ONG islamiques*, préf. de Rony Brauman (Paris: Flammarion, 2002).

وللاطلاع على مناقشة لتسيّس رابطة العالم الإسلامي، انظر: **قرارات وتوصيات أهم المؤتمرات التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي** (مكّة المكرّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩١).

أواخر الستينيات؛ لحشد الدعم لقضايا أخرى، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان[٧].

جرى تبرير الدعم السعودي للمقاومة الفلسطينية وتقنينه باستمرار باسم الدِّين، والتمست الحكومة موافقة كبار العلماء على سياساتها. وفي أواخر عام ١٩٦٨، ناشدَتِ اللجنةُ الشعبية مفتي عام المملكة، محمد بن إبراهيم، الحكمَ في إمكانية صرف أموال الزكاة التي تُجمع في المملكة العربية السعودية في دعم المقاومة الفلسطينية. وفي ٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨، أفتى المفتي بجواز «استخدام جزء من أموال الزكاة بشرط أن تتولّى الحكومة الإشراف على صرفها... في شراء الأسلحة للفدائيين الذين يقاتلون أعداء الله اليهود». وقد شكّلت هذه الفتوى سابقة مهمة وأسهمت في توسيع مفهوم الأعمال الخيرية ليشمل الدعم الخاص لصراع عنيف[٨].

شهدت حقبة أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات، إضفاء طابع أمني على الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. ففي شباط/فبراير ١٩٧٩، نظّم «المعهد الإسلامي لتكنولوجيا الدفاع» الذي تأسس حديثاً برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي أول «مؤتمر أمني إسلامي» في لندن؛ حيث ركّز على «طرق ووسائل تعزيز الدفاع عن العالم الإسلامي». وفي العام ذاته، أصدر المعهد مجلّة شهرية اسمها **المراجعة الدفاعية الإسلامية**. وفي

---

(٧) أطلقت اللجنة في عام ١٩٦٨ مشروع «ريال فلسطين» تحت شعار «ادفع ريالاً وأنقذ عربياً». وأُطلِق مشروع آخر هو «سجل الشرف»، وكان دعوةً لجمع تبرعات منتظمة. وشهدت السنة ذاتها إطلاق «مشروع الالتزام الفلسطيني بخمسة بالمئة»؛ حيث التزم الفلسطينيون المقيمون في المملكة العربية السعودية باقتطاع خمسة بالمئة من رواتبهم لمصلحة اللجنة الشعبية. تلا ذلك في عام ١٩٦٩ «مشروع الواحد بالمئة» الذي دعا السعوديين إلى التبرّع بواحد بالمئة من رواتبهم للمقاومة الفلسطينية. وبحسب الخبير السياسي والاقتصادي ستيفن هيرتوغ، تشكّل «ضريبة الجهاد» هذه أول وآخر مخطط حكومي لفرض ضرائب على الدخل في التاريخ السعودي. انظر: عبد الرحيم محمود جاموس، **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)، ص ٢٦ و٣٤. وللاطلاع على قائمة بالمؤلفات السعودية التي تناولت القضية الفلسطينية، انظر: فيصل بن محمود بن عبد الرحمن الساعي، **القضية الفلسطينية بأقلام سعودية** (مكّة المكرمة، جامعة أمّ القرى، ٢٠٠٢).

(٨) جاموس، المصدر نفسه، ص ٤٦ و٩٤.

عام ١٩٨٠، أجازت منظمة المؤتمر الإسلامي قراراً بعنوان «أمن الدول الإسلامية وتضامنها» وقد شدد، لأول مرة، على أنّ «أمن أي دولة إسلامية يهمّ كافة الدول الإسلامية»، وشُكّلت في العام التالي «لجنة أمن إسلامي» تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وطوال الثمانينيات والتسعينيات، أعربت المنظمة عن تضامنها مع عدة دول أعضاء، في نزاعاتها مع دول غير مسلمة، والتي صدف أن غالبها مسيحية، مثل: نزاع إيران مع الولايات المتحدة في عام ١٩٨٠، وصراع لبنان مع إسرائيل في عام ١٩٨٢، ونزاع جزر كوموروس مع فرنسا طوال عقد الثمانينيات، وصراع الصومال مع إثيوبيا في عام ١٩٨٤، وصراع أذربيجان مع أرمينيا على إقليم ناغورنو كرباخ في عام ١٩٨٨، وصراع السودان مع «المخططات الخارجية» في عام ١٩٩١. وفي حالتي أفغانستان والبوسنة، أقرّت المنظّمة، بالطبع، إجراءات تجاوزت بكثير حدّ الإدانة الشفهية لتكتسي الدعوةُ إلى الوحدة الإسلامية بُعداً عسكرياً[٩].

تجلّى إضفاء الطابع الأمني على التضامن الإسلامي، في المملكة العربية السعودية أيضاً؛ إذْ تميّزت الحقبة الممتدة بين أواخر السبعينيات وعقد الثمانينيات بتنامي المشاركة السعودية في النزاعات السياسية الدولية بين المسلمين وغير المسلمين. بادئ ذي بدء، تعاظم، بدرجة كبيرة، مستوى الدعم المالي السعودي للمسلمين الذين يواجهون صراعات، بدءاً بأواخر سبعينيات القرن الماضي. وفي أواخر الثمانينيات، زاد الإنفاق على القضيتين الأفغانية والفلسطينية مع أنّ العائدات النفطية تراجعت، بشكل ملحوظ، في الحقبة ذاتها (انظر الشكلين الرقمين (١ ـ ١) و(١ ـ ٢)).

وبالإضافة إلى ذلك، اشتمل الدعم السعودي على تقديم مساعدات عسكرية في حالة أفغانستان (وإن بقي الدعم المخصّص لفلسطين مالياً

---

(٩) **مجلة رابطة العالم الإسلامي**: السنة ٦، العدد ٤ (١٩٧٩)، ص ٦٤ والسنة ٨، العدد ٤ (١٩٨١)، ص ٦٣، و Mohammad El Sayed Selim, ed., *The Organization of the Islamic Conference in a Changing World* (Cairo: Cairo University, Center for Political Research and Studies, 1994), pp. 117 and 119.

صِرفاً). وأصبحت الحربُ الأفغانية الصراعَ الخارجي الأول منذ حربي عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ بين العرب والإسرائيليين، التي شهدت مشاركة عسكرية شخصية سعودية (أرسل الجيش السعودي وحدات عسكرية صغيرة إلى الأردن في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧). أخيراً، توسّع النطاق الجغرافي للتدخل ووصل إلى آسيا الوسطى، في الثمانينيات وإلى أوروبا في التسعينيات، بعد أن كان مقتصراً على العالم العربي في أوائل السبعينيات[١٠].

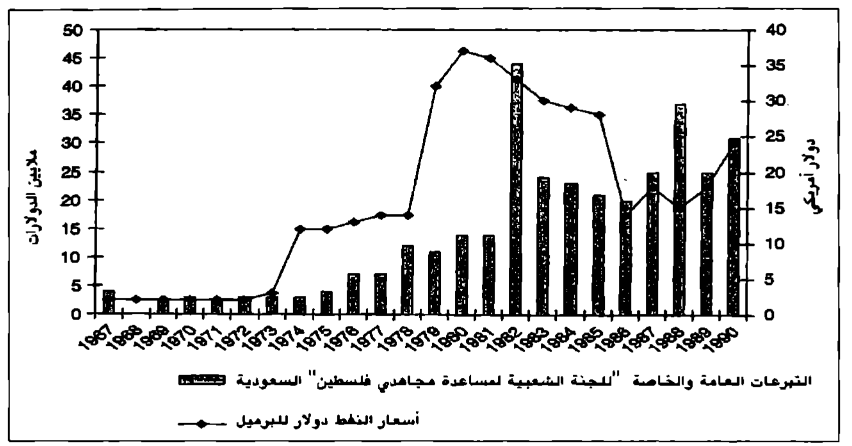
جاء تنامي النزعة الوحدوية الإسلامية الشعبوية في الثمانينيات، أولاً وقبل كل شيء، ثمرة جهد دعائي متراكم بذلته منظمات إسلامية دولية عملت بلا هوادة منذ السبعينيات على نشر الوعي بمعاناة المسلمين في مختلف أنحاء العالم. والعامل الثاني هو الزيادة الفعلية في عدد الصراعات العنيفة في المنطقة، مثل: الصراع الأفغاني والحرب في لبنان والانتفاضة الفلسطينية. وهذا ما منح الإطارَ الإسلامي الوحدوي مزيداً من الصدقية العملية، وبالتالي، منحه مزيداً من القدرة التعبوية. وضَمِنَ انتشار الوسائل الإخبارية مشاهدة عدد أكبر من الأشخاص في المملكة العربية السعودية الصراعات ذاتها. لكن هناك عامل آخر هو أفول نجم المنافس الأيديولوجي الرئيس للوحدويين الإسلاميين وأعني القومية العربية. ذلك أنّ العار الذي ألحقته حربُ العام ١٩٦٧ بدعاة الوحدة العربية، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، والحرب الأهلية اللبنانية خلّفت فراغاً أيديولوجياً ملأه دعاة الوحدة الإسلامية. ومما قوّى هذا الميل تأجّج صراعات عديدة شغلت العالم الإسلامي، في الثمانينيات وفي مطلع التسعينيات، في دول غير عربية، مثل: أفغانستان والبوسنة والشيشان.

---

(١٠) زُعم أن وحدة عسكرية مؤلفة من ٥١٣ سعودياً شاركت في حرب العام ١٩٤٨؛ دفاعاً عن فلسطين، منهم ١٣٤ «سقطوا شهداء»، انظر: جاموس، المصدر نفسه، ص ١٨. وفي أثناء حرب العام ١٩٦٧، أُرسل لواء سعودي مؤلف من ٣٠٠٠ جندي إلى جنوب الأردن لكنه لم يخض حرباً، انظر: Alexei Vassiliev, *The History of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2000), p. 384.

الشكل الرقم (١ ـ ١)

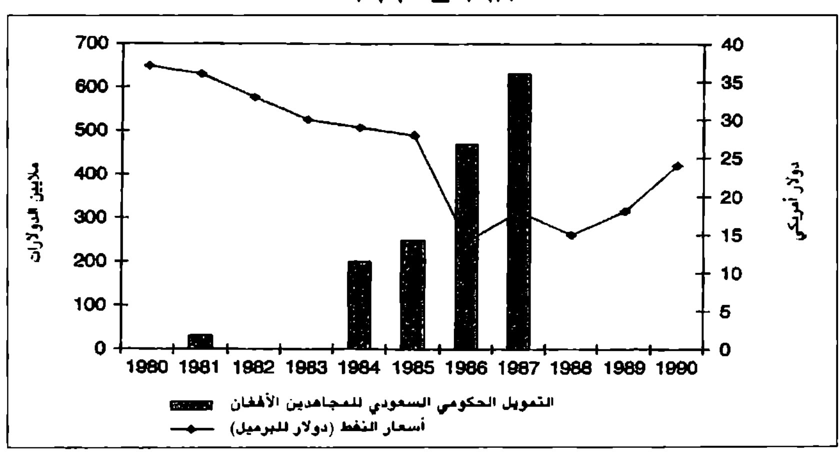
التمويل السعودي للمقاومة الفلسطينية بالنسبة إلى أسعار النفط، ١٩٦٧ ـ ١٩٩٠



المصدر: عبد الرحيم محمود جاموس، **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١)، ص ٥٦، و*BP Statistical Review of World Energy* (June 2006).

الشكل الرقم (١ ـ ٢)

التمويل الحكومي السعودي للمجاهدين الأفغان بالنسبة إلى أسعار النفط، ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠(*)



(*) ينقص الشكل، البيانات العائدة إلى السنتين ١٩٨٢ و١٩٨٣.

المصدر: Steve Coll, *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001* (New York: Penguin Press, 2004), pp. 65, 102 and 151, and *BP Statistical Review of World Energy* (June 2006).

إلى جانب العوامل المتصلة بالجهاد الأفغاني التي سنعاينها بعد قليل، برز تطوّران شكّلا مصدر إلهام لسياسة وحدوية إسلامية أنشط، تبنّتها الحكومة السعودية في ثمانينيات القرن الماضي.

الأول كان انتصار الثورة الإيرانية التي نازعت المملكةَ العربية السعودية قيادةَ العالم الإسلامي واعتمدت خطاباً شعبياً معادياً بشدة للولايات المتحدة الحليف الرئيس للمملكة.

والتطوّر **الثاني** كان تراجع أسعار النفط، في أواسط الثمانينيات، الذي أحدث أزمة اقتصادية خطيرة، أرغمت المملكة على التراجع عن وعدها بتوفير وظائف لخرّيجي الجامعات فضلاً عن أمور أخرى[١١].

تحدّى هذان التطوّران ركيزتين أساسيتين لشرعية النظام السعودي، هما: استقامته الدِّينية وقدرته على توفير الرفاه الاقتصادي. وتحت وطأة هذه الضغوط وصعود حركة الصحوة في أواخر الثمانينيات، رأت الحكومة السعودية في الدفاع عن قضايا الوحدة الإسلامية وسيلة نافعة لصرف بعض التذمّر المحلّي بعيداً عنها. إن سياسة صرف الانتباه مشهورة في دول إسلامية أخرى؛ ففي الجزائر مثلاً، زادت الحكومة إنفاقها على القطاع الدِّيني بشكل ملحوظ في الثمانينيات، وقت تراجع نصيب الفرد في الناتج المحلّي الإجمالي، أي إن الدعوة الشعبوية إلى الوحدة الإسلامية كانت إلى حدّ ما إشغالاً للشعب في المملكة العربية السعودية بهموم خارجية[١٢].

---

(١١) لمعرفة المزيد عن الحرب الباردة السعودية الإيرانية، انظر: Jacob Goldberg, «Saudi Arabia and the Iranian Revolution: The Religious Dimension,» in: David Menashri, ed., *The Iranian Revolution and the Muslim World*, Westview Special Studies on the Middle East (Boulder, CO: Westview Press, 1990).

ولمعرفة المزيد عن التراجع الاقتصادي، انظر: Elaine Sciolino, «In Saudi Oasis of Calm, Some See Seeds of Unrest,» *New York Times*, 15/5/1985, and Robert Lacey, *Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Modernists, Terrorists, and the Struggle for Saudi Arabia* (New York: Viking, 2009), chap. 10.

(١٢) للاطلاع على تفاصيل صعود حركة الصحوة في أواخر الثمانينيات، انظر: Matrook Alfaleh, «The Impact of the Processes of Modernization and Social Mobilization on the Social and Political Structures of the Arab Countries with Special Emphasis on Saudi Arabia,» (Ph. D Dissertation, University of Kansas, 1987), p. 176, and Stéphane Lacroix, «Les Champs de la =

تزامن صعود الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، في الثمانينيات، مع عملية مميزة تمثّلت في إضفاء الطابع الاجتماعي المُحافِظ على المجتمع السعودي. ذلك أنه، في بداية العقد، وردّاً ولو من بعض النواحي على احتلال جُهَيمان الحرم المكّي في عام ١٩٧٩، قرّر النظام إبطاء عملية التحرّر الاجتماعي التي كانت تواكب الطفرة النفطية في السبعينيات. بناءً على ذلك، وسّعت الدولةُ صلاحيات المؤسسة الدِّينية وزادت موازناتها زيادة كبيرة. سارع العلماء الذين ألحّوا من أجل هذا التغيير طوال سنين إلى انتهاز الفرصة؛ لتعميم المبادئ الوهّابية الصارمة وتوطيدها في ما يتصل بممارسة العبادات والسلوك الأخلاقي، على نحو أشدّ من أي وقت مضى. وكان عاقبة ذلك أنه اجتاحت المملكةَ العربية السعودية في الثمانينيات موجةُ نزوع إلى الممارسات الاجتماعية المحافِظة. أُغلقت دور السينما المحدودة التي كانت قائمة بشكلٍ غير رسمي، ومنعت المذيعات من تقديم النشرات الإخبارية على الهواء، وزاد ظهور رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سائر مدن البلاد(١٣).

لكنّ «الدعوة الوهّابية» و«الدعوة إلى الوحدة الإسلامية» في المملكة في عام ١٩٨٠، شكّلتا عمليّتين منفصلتين، كان لكل منهما أسبابها ونتائجها. فإذا كانت **الأولى** عملية محلّية صرفة آزرها العلماء الوهّابيون النجديون، وأثمرت زيادةً في الطابع الاجتماعي المُحافِظ، فقد كان للثانية ارتدادات دولية عزّزتها منظمات تتّخذ من الحجاز مقرّاً لها، مثل «رابطة العالم الإسلامي»، وأثمرت تشدداً سياسياً. على أنّ كلتا العمليتين أوجدت مزيداً من الحيّز السياسي للأنشطة الإسلامية على اختلاف أنواعها. لذلك، باتت نافذة الفرص السياسية المتاحة للأنشطة

---

discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph.D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007), p. 327ff. =

ولمعرفة المزيد عن السياسات الإلهائية الجزائرية، انظر: Abdelaziz Testas, «The Roots of Algeria's Religious and Ethnic Violence,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 25 (2002), p. 78.

(١٣) Gwenn Okruhlik, «Networks of Dissent: Islamism and Reform in Saudi Arabia,» *Current History*, vol. 101, no. 651 (2002); Michaela Prokop, «Saudi Arabia: The Politics of Education,» *International Affairs*, vol. 79, no. 1 (2003), p. 78, and Tim Niblock, *Saudi Arabia: Power, Legitimacy and Survival*, Contemporary Middle East (London: Routledge, 2006), pp. 83-85.

الإسلامية، وخصوصاً الرامية إلى تعبئة الناس للجهاد في أفغانستان، نافعة للغاية.

ثانياً: الجهاد الأفغاني والدولة السعودية

نتيجة للغزو السوفياتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩، طالبت المنظمات الإسلامية العابرة للحدود بإعلان الجهاد لطرد المحتلّ السوفياتي، ما أعطى الصراع بُعداً دينياً سُخِّرت له موارد متنوعة ضخمة حكومية وغير حكومية، من العالم الإسلامي بعامة، ومن المملكة العربية السعودية بخاصة. وبذلك انتقلت المملكة بمشاركتها في أفغانستان، من موقف اللافاعل ومن الاقتصار على تقديم الدعم المالي إلى مقاربة فاعلة وعسكرية في التعاطي مع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية(١٤).

بلغ الدعمُ السعودي للمقاومة الأفغانية مدى وعمقاً لم يُعرف له مثيل، بل إنّه تجاوز المساعدات التي قُدّمت للفلسطينيين؛ ذلك أنّ الدعم المالي للمجاهدين الأفغان، بين عامي ١٩٨٤ و١٩٨٩، فاق الدعم الذي قدّمته المملكة لمنظمة التحرير الفلسطينية، في أيّ حقبة تمتدّ خمس سنين متوالية، منذ سبعينيات القرن الماضي. وعلى سبيل المثال، حصلت منظمة التحرير على ما مجموعه ٣,٧٢ مليار ريال سعودي (٩٩٢ مليون دولار) من الحكومة السعودية، في سحابة أربع عشرة سنة، بين عامي ١٩٧٨ و١٩٩١، بينما حصل المجاهدون الأفغان على ٦,٧٥ مليار ريال سعودي على الأقل (١,٨ مليار دولار)، في سحابة ثلاث سنين، بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩. والدعم العسكري السعودي للقضية الأفغانية كذلك كان أوضح منه للقضية الفلسطينية. وإن كانت المملكةُ قد موّلت كثيراً من مشتريات منظمة التحرير من الأسلحة، فإنّ الفلسطينيين لم يكونوا، يوماً، في حاجة إلى عون سعودي لشراء السلاح، وهم لم يرغبوا، بالتأكيد، في استقدام متطوّعين سعوديين غير مؤهلين. كما إنّ حِلف المملكة مع الولايات المتحدّة جعل إرسال مقاتلين إلى فلسطين

---

(١٤) Gilles Kepel, *Jihad: The Trail of Political Islam*, translated by Anthony F. Roberts (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002), p. 136ff.

صعباً، من الناحية السياسية. زد على ذلك، أن اختراق حدود إسرائيل عسير جداً على المقاتلين المتطوعين، علماً بأن أياً من دول الطوق لم يعد يوفر قاعدة مناسبة للتسلّل إلى إسرائيل، بعد العام ١٩٧٠. ومن ناحية أخرى، كان العمل التطوعي في أفغانستان مجازاً من الأمريكيين، ومرحَّباً به من الأفغان، وميسَّراً لوجود معبر اسمه باكستان. وهذا ما أتاح للدولة السعودية تقديم دعم عسكري ولوجستي مباشر، وأتاح للمواطنين السعوديين المشاركة في القتال[١٥].

في مطلع الثمانينيات، كان الدعم السعودي دبلوماسياً وسياسياً وإنسانياً، في الأساس، على الصعيد الدبلوماسي، عمل السعوديون من خلال «منظمة المؤتمر الإسلامي» على ضمان عزل نظام كابل وعلى حشد الدعم للمقاومة الأفغانية. وعلى الصعيد السياسي، مارست الرياض ضغوطاً كبيرة على فصائل المجاهدين الأفغان ليرصّوا صفوفهم وأصرّت على اتحادهم كشرط لتوسيع مساعداتها لهم. كما قدّمت الحكومة السعودية قدراً معيناً من الدعم المالي للجمعيات الخيرية أساساً ولحزب الاتحاد بقيادة عبد ربّ الرسول سيّاف. مُرّرت المساعدات السعودية الرسمية في السنين الأولى من خلال منظمتين رئيستين، هما: «جمعية الهلال الأحمر السعودي» و«اللجنة الشعبية لجمع التبرّعات». تشكّلت هذه الأخيرة، في مطلع العام ١٩٨٠ برئاسة الأمير سلمان على شاكلة اللجنة الشعبية لمساعدة فلسطين. وفي وقت لاحق من العام ذاته، حملت اللجنة الشعبية اسم «اللجنة السعودية للإغاثة». وفي أيار/مايو ١٩٨٠، سلّم وزيرُ الخارجية سعود الفيصل منظمةَ المؤتمر الإسلامي شيكاً بمبلغ ٨١,٣ مليون ريال سعودي (٢١,٧ مليون دولار)؛ لمساعدة اللاجئين الأفغان، وسلّم الأميرُ سلمان حكومةَ باكستان مبلغاً إضافياً بقيمة ٥٠ مليون ريال سعودي (١٣,٣ مليون دولار) «من الشعب السعودي»[١٦].

---

(١٥) *The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World.*

هذه الأرقام لا تتضمن التبرعات الخاصة.

(١٦) باسل محمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ط ٢ (الرياض: لجنة البرّ الإسلامية، ١٩٩١)، ص ٣٧ ـ ٣٨، و William B. Quandt, *Saudi Arabia in the 1980s: Foreign Policy, Security* =

بيد أن دعم الحكومة السعودية للمقاومة الأفغانية، لم يبلغ مستويات كبيرة إلّا في أواسط الثمانينيات. وفي وقت لاحق، ذكر عبد الله عزّام، المنظّم الرئيس لتعبئة العرب، أنّ دعم الحكومة السعودية وشعبها للجهاد الأفغاني لم يبدأ إلّا في العام ١٩٨٣. والسؤال الذي يطرح نفسه، هو لماذا زاد الدعم في أواسط الثمانينيات؟ يكمن جزء مهم من الجواب في السياسة الأمريكية. كانت المملكة العربية السعودية قد تعهّدت؛ استجابةً لطلب الأمريكيين بتقديم مساعدات، في عام ١٩٨٠ أو ١٩٨١، مساوية للتمويل الذي أقرّه الكونغرس الأمريكي للمقاومة الأفغانية. واتفق الطرفان على الإسهام، بالتساوي في الأموال التي أشرفت وكالة الاستخبارات المركزية على توزيعها على المجاهدين الأفغان، بدءاً بعام ١٩٨٢. لكنّ المبالغ المالية التي رصدها الكونغرس الأمريكي، إضافة إلى المملكة العربية السعودية، زادت زيادة كبيرة في عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥، بفعل التطوّرات السياسية التي شهدتها الساحة المحلّية الأمريكية. ولولا الضغط والمبادرة الأمريكيتان ما وصلت المشاركة السعودية في أفغانستان، على الأرجح، إلى المستوى الذي وصلت إليه؛ أي إنّ زيادة التمويل، في أواسط الثمانينيات، لم تكن مسألة موازنة فقط، بل كانت إشارة سياسية واضحة من واشنطن؛ لاستخدام الوسائل المتاحة كافة؛ لنصرة المجاهدين الأفغان[١٧].

عندما نناقش قضية الدعم السعودي للجهاد الأفغاني، لا ينبغي النظر

---

and Oil (Washington, DC: Brookings Institution, 1981), p. 42; Steve Coll, *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001* (New York: Penguin Press, 2004), pp. 82-83; David Holden and Richard Johns, *The House of Saud* (London: Sidgwick and Jackson, 1981), p. 537; Barnett R. Rubin, *The Fragmentation of Afghanistan: State Formation and Collapse in the International System*, 2nd ed. (New Haven, CT: Yale University Press, 2002), p. 193; «Support for the Afghan Jihad Effort,» *Journal of the Muslim World League*, vol. 7, no. 8 (1980), p. 60, and «Aid for Afghan Refugees,» *Journal of the Muslim World League*, vol. 8, no. 10 (1981), p. 43.

(١٧) بشير أبو رمان وعبد الله السعيد، **العالم والمجاهد والشهيد الشيخ عبد الله عزّام** (عمّان: دار البشير، ١٩٩٠)، ص ٨٤؛ Coll, Ibid., pp. 81-82, 90-91 and 102; Rubin, Ibid., pp. 180 and 196; Jonathan Randal, *Osama: The Making of a Terrorist* (New York: Vintage Books, 2004), p. 72, and George Crile, *Charlie Wilson's War: The Extraordinary Story of the Largest Covert Operation in History* (New York: Atlantic Monthly Press, 2003), p. 238.

إلى مرسل الدعم ومتلقّيه كجهتين متكاملتين، علينا، **أولاً**، أن نشير إلى أنّه لم يكن لدى الحكومة سيطرة ومراقبة كاملة لعملية نقل الأموال وخروج المتطوّعين من المملكة العربية السعودية؛ إذْ إن كثيراً من تلك المساعدات جاءت من منظمات شبه رسمية، مثل: جمعيات خيرية ومؤسسات دينية وكذلك من متبرّعين خاصّين. وكان يعمل عدد كبير من الجمعيات الخيرية السعودية في أفغانستان وباكستان، في أواسط الثمانينيات وأواخرها. وقدّم كثير منها للمقاتلين خدمات لوجستية وغيرها، بالإضافة إلى أنشطتها الإنسانية أو الدعوية؛ وعلى سبيل المثال، كان مندوب «رابطة العالم الإسلامي» في بيشاور منذ عام ١٩٨٦ وائل جُلَيدان وليس أحداً آخر، وهو صديق مقرّب من أسامة بن لادن وأحد أوائل أعضاء مكتب الخدمات التابع لعبد الله عزّام. وشكّلت «جمعيةُ الهلال الأحمر السعودي» حلقةً في سلسلة توريد الأسلحة، وهي التي أقامت مكاتب لها في المناطق الحدودية لأسباب منها خفض تكلفة نقل الأسلحة، واستُخدمت سيارات الإسعاف في مناسبة واحدة، على الأقل، في نقل مقاتلين أصحّاء من جبهة القتال وإليها. كان طمس الخطوط الفاصلة بين المساعدة الإنسانية والمساعدة العسكرية نتيجة طبيعيّة مهمة لصعود النزعة الوحدوية الإسلامية العسكرية في الثمانينيات والتسعينيات، وعاملاً في اعتبار المشاركة في الجهاد العنيف عملاً خيرياً، لكنّ الرقابة الحكومية على القطاع الخيري لم تكن مطلقة(١٨).

من الأمثلة الجيدة على الطبيعة المائعة للدعم السعودي، في مراحله الأولى، دورُ ناصر الرشيد، وهو مسؤول رفيع في «جمعية الهلال الأحمر السعودي» وأحد أوائل موظفي الإغاثة السعوديين في أفغانستان. زار الرشيد معسكرات المجاهدين الأفغان، في خريف العام ١٩٨١ أو ١٩٨٢، وهاله افتقار آلاف المقاتلين؛ في معسكري ورساك (Warsak) وأبو بكر، إلى البطانيات والخيام قبيل فصل الشتاء، فاشترى المعدات اللازمة من

---

(١٨) محمد، المصدر نفسه، ص ١٨٦، و Muhammad Amir Rana and Mubasher Bukhari, *Arabs in Afghan Jihad* (Lahore: Pak Institute for Peace Studies, 2007); Rubin, Ibid., pp. 197 and 231, and Coll, Ibid., p. 86.

ماله الخاص. لذلك، يصعب تصنيف هذا النوع من المساعدة بأنه رسمي، تماماً، أو غير رسمي[١٩].

كان لدى الحكومة، بالطبع، برامجها وأدواتها الخاصة لمؤازرة الجهاد الأفغاني، فتعاونت الاستخبارات السعودية، بشكل وثيق، مع وكالة الاستخبارات المركزيّة وسمحت لها باستعمال الأراضي السعودية كمعبر لشحنات الأسلحة المتوجّهة إلى باكستان. كما عملت الاستخبارات السعودية بشكل مستقل عن الأمريكيين في باكستان وأفغانستان. وفي ذروة المشاركة السعودية في أفغانستان، كان الأمير تركي الفيصل، مدير الاستخبارات السعودية، يسافر إلى باكستان خمس مرات شهرياً. لكنّ أغلب الدعم السعودي الرسمي للجهاد الأفغاني وصل إلى الأفغان لا إلى العرب، وإن كان ذلك لا ينفي وجود قدر من الاتصال والتعاون المحدود بين طبقة الموظفين السعوديين والمقاتلين العرب. فمن المعلوم أنّ الأمير تركي الفيصل اتصل بأسامة بن لادن، وقتئذٍ، وإن لم تتّضح طبيعة العلاقة بينهما على وجه الدقّة. وتعاون الدبلوماسيون والمسؤولون الاستخباريون السعوديون مع «مكتب الخدمات» التابع لعبد الله عزّام في مناسبات خاصة. ووصف بن لادن نفسُه كيف ساعده توفيق المدار، السفير السعودي في إسلام أباد، على نقل جرّافة من المملكة العربية السعودية إلى باكستان في عام ١٩٨٥. استُخدمت هذه الجرّافة، لاحقاً، في بناء معسكرات التدريب في أفغانستان. ومع ذلك، لا يقارَن هذا الدعم بمئات ملايين الدولارات التي أغدقتها الحكومة السعودية على الميليشيات الأفغانية[٢٠].

ربما لا يكون للتفريق الدقيق بين المهامّ التي تولّتها جهات حكومية وجهات شبه حكومية وجهات غير حكوميةٍ أهميةٌ في تحليلنا، لكنّ النقطة

---

(١٩) عبد الله عزام، **آيات الرحمن في جهاد الأفغان** (عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٦)، ص ١٨٤، وجاسر الجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» **المجلة** (١١ أيار/ مايو ١٩٩٦)، ص ٢٠.

(٢٠) محمد، المصدر نفسه، ص ٨٧؛ Mark Huband, *Warriors of the Prophet: The Struggle for Islam* (Boulder, CO: Westview Press, 1999), p. 10; Mohammad Yousaf and Mark Adkin, *Afghanistan-the Bear Trap: The Defeat of a Superpower*, 2nd ed. (Barnsley: Leo Cooper, 2001), p. 100; Coll, Ibid., pp. 82 and 86-87; Jamal Khashoggi: «Kingdom Has Big Role to Play in Afghanistan's Reconstruction: Prince Turki,» *Arab News*, 9/11/2001, and «Osama Offered to Form Army to Challenge Saddam's Forces: Turki,» *Arab News*, 7/11/2001.

الأساسية هي توافر فرص سياسية ممتازة للتعبئة. فلم تضع الدولة أي عراقيل في طريق من سعى إلى تجنيد سعوديين للقتال في أفغانستان، وجمع الأموال لأنشطتهم، مثل: عبد الله عزّام وأسامة بن لادن. لكن لا مفرَّ من القول إن كيانات حكومية أو شبه حكومية، مثل: «رابطة العالم الإسلامي» حثّت السعوديين على التوجّه إلى أفغانستان. ومن المعلوم، أنّ خطوط الطيران السعودية قدّمت حسماً بنسبة ٧٥ بالمئة على تذاكر سفر الرحلات المتوجِّهة إلى بيشاور، في أواخر الثمانينيات. ونقلت وسائلُ الإعلام السعودية التي تخضع لرقابة الدولة مجريات الأحداث بإسهاب من أفغانستان بدءاً بأواسط الثمانينيات، وبثّ التلفزيون السعودي المحاضرات التي ألقاها عبد ربّ الرسول سيّاف، أحد قادة المجاهدين أمام الملك في مِنى في أثناء موسم الحج. وأعادت الصحف السعودية نشر بيانات وفتاوى صادرة عن علماء بشأن أفغانستان، حتى إن بعض المقالات تحدّث عن كرامات الشهداء العرب الذين سقطوا في ميادين القتال في أفغانستان. كما نظّمت السلطات حملات لجمع التبرّعات «للجنة نصرة المجاهدين الأفغان» التي ترأسها الأمير سلمان[٢١].

ربما كانت المؤسسةُ الدِّينية الكيانَ الرسمي الوحيد الذي تردّد بعض الشيء في تحريض الشباب على القتال في أفغانستان. فمن التصوّرات الخاطئة الشائعة، في دراسة تاريخ هذه الحقبة، وصف العلماء الوهّابيين بأنهم الدعاة الأُول؛ لتعبئة الناس للقتال في أفغانستان. في الواقع، قلّة هم العلماء، إن وُجدوا، من المؤسسة الدِّينية الذين رغّبوا السعوديين في الجهاد في أفغانستان بوصفه فرض عين. ذلك أنّ عامّة العلماء رَأَوا أنّ الجهاد هناك، فرض كفاية وحرصوا على أن تصل الموارد المادّية والبشرية المرصودة للقضية الأفغانية إلى أفراد ومنظمات «عقيدتها سليمة». وما إصرار الحكومة السعودية على تمويل عبد ربّ الرسول

---

(٢١) محمد، المصدر نفسه، ص ٤٦؛ **القدس العربي**، ٢٠/٣/٢٠٠٥؛ فتحي الزبيدي، **الجهاد الأفغاني في الكتابات العربية المعاصرة** (دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٦)؛ صالح الورداني، **فقهاء النفط: راية الإسلام أم راية آل سعود؟** (القاهرة: المدبولي الصغير، ١٩٩٤)، ص ٨٧ - ٩٤؛ Huband, Ibid., p. 3, and Coll, Ibid., p. 84.

سيّاف الذي تلقّى تدريبه في السعودية، ولكنه كان مهمَّشاً، سياسياً، عوضاً عن تمويل فصائل المقاومة الأفغانية ذات الشرعية السياسية الأكبر، سوى إذعان ضمني للمؤسسة الدِّينية. وفي أواخر الثمانينيات، أدّى القلق حيال صحة معتقَد المجاهدين إلى اختلاف العلماء مع الحكومة في تحديد أولوية من يجب تمويلهم، فآثرت الاستخباراتُ السعودية عبدَ ربّ الرسول سيّاف، في حين مالت المؤسسة الوهّابية إلى جميل الرّحمن وجماعته الأكثر ميلاً إلى الممارسات الاجتماعية المحافِظة في كونار (Kunar) (انظر أدناه)[٢٢].

كما ساورت الشكوكُ الوسطَ الإسلامي بعامة، وحركة الصحوة بخاصة، حيال ذهاب السعوديين إلى أفغانستان للقتال هناك. بنت الصحوةُ معارضتها على حجتين، **أولاهما**؛ أن العقيدة الدِّينية للمقاومة الأفغانية لا تخلو من شوائب، و**الثانية**؛ أن الصراع يخدم مصالح الأمريكيين. أحد أبرز هؤلاء المشككين الشيخ سَفَر الحَوالي الذي انتقد عبد الله عزّام؛ في محاضرة شهيرة عنوانها «مفهوم الجهاد». ثم إن موقف الحوالي جلب عليه لوم منظّرين جهاديين بارزين، مثل: الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز المصري الجنسية (في أوائل التسعينيات) ويوسف العُيَيْري (في عام ٢٠٠٣). وإن كان الشيخ سلْمان العودة، الصحوي الكاريزمي الآخر، أقلّ مجاهرة برأيه، فقد أعلن، في عام ٢٠٠٤، معارضَته مشاركة السعوديين في القتال في أفغانستان، في عقد الثمانينيات؛ لدحض اتهامات من قال إنه يحرّض السعوديين على القتال في العراق. كما كان الشيخ محمد المُنَجِّد في عداد من انتقدوا علناً مشاركة الأفغان العرب، وهو شخصية دينية بارزة في المنطقة الشرقية[٢٣].

---

(٢٢) Rubin, *The Fragmentation of Afghanistan: State Formation and Collapse in the International System*, pp. 195, 199, 242 and 261, and Coll, Ibid., p. 83.

(٢٣) مقابلة أجراها المؤلف مع ناصر البرّاك، ومقابلة أجراها أيضاً مع يوسف الدَّيني في جدّة في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤؛ سفر الحوالي، «مفهوم الجهاد،» موقع سفر الحوالي (١٩٨٩)، <http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.showcontent&contentID=648>؛ عبد القادر ابن عبد العزيز، «ردّ كلام الحوالي في كتاب الدفاع،» منبر التوحيد والجهاد (١٩٩٠)، <http://www.tawhed.ws>؛ يوسف العييري، «الحملة العالمية لمقاومة العدوان،» منبر التوحيد والجهاد (٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws/pr?i=723>، وسلمان بن فهد العودة، «يا ابن (الوطن) لا تفترِ

على أنه بعد أن حازت القضية الأفغانية شعبيةً في النصف الثاني من عقد الثمانينيات، قلّة هم العلماء المعروفون الذين عارضوا، علناً، المضيّ إلى أفغانستان؛ إذْ تبنّى جمهور العلماء في المملكة العربية السعودية وغيرها موقفاً غامضاً. وعلى سبيل المثال، أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز كبير العلماء بأن «مساعدة ونصرة أشقائنا الأفغان المقاتلين والمنفيين فرض عين على المسلمين، اليوم، بالمال وبالنفس أو بالاثنين معاً كل بحسب قدرته». لأول وهلة تبدو الفتوى واضحة، لكنّنا لا نجد لدى معاينتها عن قرب ما يشير إلى أن القتال في أفغانستان واجب على جميع المسلمين. وتتفق عامّة المصادر السعودية التي أجرى المؤلف مقابلات معها على أنّ الشيخ ابن باز لم يصرّح، يوماً، بأنّ الجهاد في أفغانستان فرض عين على جميع المسلمين[(٢٤)].

بالعودة إلى ثمانينيات القرن الماضي، أصرّ المسؤولون السعوديون على أنّ ما يفعلونه ليس سوى استجابة لمطلب شعبي بفعل شيء حيال أفغانستان. وفي مقابلة أجراها الأمير تركي الفيصل في عام ٢٠٠١، قال إنه لم يكن أمام الحكومة السعودية، إبّان الاحتلال السوفياتي لأفغانستان من خيار، سوى دعم المتطوّعين السعوديين، وأضاف إن منع أي دولة عربية المتطوعين من القيام «بواجبهم المقدس» في أفغانستان سيكون «خطأ جسيماً»؛ لأنه «لأول مرة منذ سنين، يفعل المسلمون شيئاً ضدّ غازٍ وينجحون فيه». وقال جمال خاشقجي مستشار الأمير تركي «أحسنت المملكة العربية صنعاً بإرسالها المجاهدين إلى أفغانستان، وقد عاد جميع المجاهدين السعوديين في عام ١٩٩٢، وهم أناس مسالمون»[(٢٥)].

على أهلك!،» الإسلام اليوم، ١٩/ ١١/ ٢٠٠٤، <http://www.islamtoday.net/albasheer/show_news_content.cfm?id=35746>.

(٢٤) **الجهاد**، العدد ٢٢ (أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦)، ص ٢٥، ومحمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ص ٧٤.

(٢٥) Khashoggi, «Osama Offered to Form Army to Challenge Saddam's Forces: Turki,» and Madawi Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, Cambridge Middle East Studies; 25 (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2007), p. 102.

تُغفل هذه التصريحات استغلال الحكومة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية؛ لتحقيق مكاسب على الصعيد المحلّي وعلى صعيد السياسة الخارجية. لقد شكّل الجهاد الأفغاني فرصة ذهبية لكي ترسّخ المملكةُ العربية السعودية صورتها، بأنها المدافِعة عن قضايا المسلمين ومحرِّرة أراضيهم. وبالتالي، أعطى الموقفُ الوحدوي الإسلامي المقدام الذي اتخذته المملكةُ نظامَها صبغة شرعية مؤقتة. لكنه حرّك عجلة القوى الفاعلة لدعوة وحدوية إسلامية متطرّفة، سرعان ما أثبتت أنّها أداة مقتدرة في أيدي المعارضة السعودية المحلّية.

ثالثاً: مزايدات دعاة الوحدة الإسلامية

انتكست حظوظ الحكومة السعودية بغزو صدام حسين للكويت في ٢ آب/أغسطس ١٩٩٠. وقد حمل التهديد العراقي المتصوَّر لحقول النفط السعودية الملك فهد على السماح بنشر قوات أمريكية على التراب السعودي، وهو قرار قوّض الصدقية الوحدوية الإسلامية للمملكة؛ على الرغم من تمتّع شبه الجزيرة العربية بمكانة خاصة ومشرَّفة في الإسلام كونها «أرض الحرمين»، أي مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة[٢٦].

ومع اشتداد الأزمة، في خريف العام ١٩٩٠، وتدفّق الجنود الأمريكيين إلى المملكة، بذلت الحكومة قصارى جهدها لتأطير النزاع مع العراق بعبارات وحدوية إسلامية، ولحشد دعم المسلمين في الداخل والخارج «دفاعاً عن الأراضي الإسلامية المقدسة». وطلبت المملكة مشاركة ما أمكن من قوى عسكرية تابعة لحلفائها المسلمين؛ للقتال تحت قيادتها، فاستجابت لذلك الطلب أربع وعشرون دولة من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا. وأطلقت الحكومة، أيضاً، حملة تعبئة دفاع مدني لم تعرف لها البلاد مثيلاً. وأقيمت مراكز تجنيد في مختلف أنحاء البلاد ووُزّعت على المتطوعين بزّات رسمية وأُخضعوا لدورات عسكرية، فأُرسل الشباب إلى معسكرات التدريب وتلقّت السيدات دورات في

---

(٢٦) Bernard Lewis, «License to Kill: Usama Bin Ladin's Declaration of Jihad,» *Foreign Affairs*, vol. 77, no. 6 (November-December 1998).

التمريض. وبغرض نفخ الروح الوطنية، تحدّثت الصحافة السعودية عن الاستجابة الشعبية العارمة لنداء الدفاع عن أرض الوطن، ووصفت، بالتفصيل، الفظاعات التي ارتكبتها القوى العراقية في الشمال(٢٧).

بيد أنّ السلطات خاضت معركة أيديولوجية مُضنية، لأنّ أغلب السعوديين توجّسوا من قدوم القوات الأمريكية ورأى بعضهم أن الغزو الذي قام به صدام إنما هو بتدبير من الأمريكيين؛ ليستخدموه ذريعة لغزو المنطقة. لذلك، لقي قرارُ المملكة العربية السعودية التماسَ الدعم الأمريكي إدانة شرسة في الأوساط الإسلامية، داخل المملكة وخارجها. لم يكن ذلك مفاجئاً؛ للاستياء الشديد، أصلاً، من الوجود الغربي في المملكة، قبل انتشار القوى الأمريكية. رأى أغلب المسلمين في قدوم القوى الأمريكية تدنيساً للأراضي المقدّسة وتحدّياً لوصية رسول الله (ﷺ)، وهو على فراش الموت بأنه «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب». ورأى كثيرون أن تدخّل «الصليبيين» أخطر من تهديد صدام حسين. وفي المملكة، ما من فريق ردّ على انتشار القوى الأمريكية بقوةِ ردِّ الصحوة، تلك الحركة المعارِضة الإسلامية المعتدلة التي علا شأنها طوال عقدي السبعينيات والثمانينيات، وباتت مستعدّة الآن لمواجهة النظام سياسياً(٢٨).

بناءً على ذلك، وجّه الشيخ سَفَر الحَوالي أحد أشدّ الانتقادات إلى الوجود العسكري الأمريكي في كتابه **كشف الغُمّة عن علماء الأمّة** (وعد كيسنجر). لاقى كتاب الحوالي الذي جمع فيه محاضرات ألقاها، في خريف العام ١٩٩٠، وأخذ شكل رسالة مفتوحة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز،

---

(٢٧) Alan Munro, *An Embassy at War: Politics and Diplomacy behind the Gulf War* (London: Brassey's, 1996), pp. 131-132.

(٢٨) لمعرفة ردود فعل الإسلاميين على مجيء القوى الأمريكية، انظر: James P. Piscatori, «Religion and RealPolitik: Islamic Responses to the Gulf War,» in: James Piscatori, ed., *Islamic Fundamentalisms and the Gulf Crisis* (Chicago, IL: Fundamentalism Project, American Academy of Arts and Sciences, 1991), and Maha Azzam, «The Gulf Crisis: Perceptions in the Muslim World,» *International Affairs*, vol. 67, no. 3 (1991).

وللاطلاع على مناقشة لنزعة العداء للأمريكيين، انظر: Sciolino, «In Saudi Oasis of Calm, Some See Seeds of Unrest».

المرجعية الدِّينية الأولى في المملكة، رواجاً كبيراً داخل البلاد وخارجها. الكتاب تحليل جيوسياسي لأسباب حرب الخليج ومضامينها، جادل فيه الحوالي بأن أمريكا هي من أوقد حرب الخليج؛ لتضمن لها وجوداً عسكرياً في شبه الجزيرة العربية، وتُذلّ الإسلام وتسحق الحركة الإسلامية. في رأي الحوالي، السياسة الأمريكية ترمي، بوضوح، إلى السيطرة على الأراضي السعودية:

«فغيُر خافٍ عليكم ما نزل بأمة الإسلام من فاجعة وكارثة لن ينساها التاريخ إلى قيام الساعة، تلك التي ابتدأت، ظاهراً، بغزو الجيش البعثي العراقي للكويت، ثم تداعي أمم الغرب النصرانية وتوابعها على المنطقة جميعها وإنزال عشرات الألوف من الجيش الأمريكي وغيره في الرياض وجدة والطائف وينبع وعسير، فضلاً عن المنطقة الشرقية والشمالية، وتطويق المنافذ البحرية لجزيرة العرب جميعها بذريعة الحصار الاقتصادي للعراق»[٢٩].

صاغ الحوالي تحليله في سياق الخطاب وحدوي إسلامي صريح، علّق فيه على انتهاك قوى غير مسلمة حُرمة الأرض، وأكّد أن الأمّة برمّتها معنيّة بهذه القضية. وتحدّث عن «احتلال الصليبيين» شبه الجزيرة العربية بهدف «سرقة موارد» الأمّة الإسلامية. كما تشوب الكتابَ نزعة شديدة العداء للأمريكيين وهو يذكّر القارئ بأنّ «الغرب عدوّنا من الآن إلى يوم القيامة»[٣٠].

لكنّ استخدام الصحويين الخطاب الوحدوي الإسلامي كان ذرائعياً؛ إذْ إن جوهر أجندة الصحوة كان الإصلاح السياسي الداخلي، كما تجلّى في الالتماسين الرئيسيَّين أعني «خطاب المطالب» و«مذكّرة النصيحة». لكنّ انتقاد الإصلاحيين فشل الحكومة في حماية شبه الجزيرة العربية

---

(٢٩) سفر الحوالي، **كشف الغمّة عن علماء الأمّة** (الرياض: دار الحكمة، ١٩٩١)، ص ٧. وللاطلاع على مزيد من انتقادات الصحويين، انظر: Mamoun Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), p. 67ff.

(٣٠) الحوالي، المصدر نفسه، ص ٢١ وما بعدها. كما نقل خالد بن السيد أقوال الحوالي، في: Khalid Bin Sayeed, *Western Dominance and Political Islam: Challenge and Response* (Albany, NY: State University of New York Press, 1995), p. 86.

وتأسّفهم للوضع في البوسنة لم يكن سوى استغلال لرصيد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وتوظيفه في مواجهتهم مع الحكومة. لذلك، رأت الصحوة في تواجد القوى الأمريكية قضيةً رمزية. ومع ذلك، مثّل الانتقاد الصحوي تحدياً قوياً لصدقية النظام كمدافع عن القضايا الإسلامية. وفي غضون شهور قليلة، تبدّد الرأسمالُ السياسي الذي جمعه النظام من مؤازرته الجهاد الأفغاني(٣١).

ما قامت به الصحوة، في الواقع، كان منازعةَ النظام موردَ الشرعية ذاته الذي أفاده في أواخر الثمانينيات، أعني الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. وبات النظام متَّهماً، الآن، بخيانة الأمّة، فأنّى يمكن الملك التطلّع إلى الاضطلاع بدور محرّر أراضي المسلمين، إذا كانت بلاده تعجّ بالجنود الأمريكيين؟ ولمواجهة تحدّي الصحوة أُرغمت الحكومة على البحث عن سبل للتعويض عن الصدقية المفقودة بالتشديد على قضايا إسلامية أخرى. وفي عام ١٩٩٢، سنحت فرصة جديدة لإظهار التضامن الوحدوي الإسلامي في آخر مكان يمكن تخيّل إظهاره فيه، وهو أوروبا الشرقية.

اندلعت الحرب البوسنية بين البوسنيين المسلمين والبوسنيين الصرب (والبوسنيين الكروات في حقب متقطعة) بين آذار/ مارس ١٩٩٢ وتشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥، وكانت صراعاً معقّداً شكّل فيه الدِّين معلم هوية أكثر منه قوة محرّكة. لكنّ الوحدويين الإسلاميين في العالم العربي رَأَوا الصراع، من منظور مُفرط في التبسيط، بأنه اعتداء الصرب المسيحيين على المسلمين المقهورين. وبالتالي، أضحى «الجهادُ البوسني» ميدانَ المعركة الرئيس الأول للوحدويين الإسلاميين بعد الجهاد الأفغاني والمقصدَ الجديد لأعداد كبيرة من المقاتلين المتطوعين العرب. وبذلك مثّل، أيضاً، أوّل فرصة؛ لكي تستعيد الدولة السعودية بعضاً من صدقيتها الوحدوية الإسلامية التي خسرتها في أزمة الخليج.

على أنّ البوسنة لم تكن ساحة سهلة؛ لبذل مجهود جهادي دولي.

---

(٣١) لمعرفة تفاصيل برنامج الإصلاح المحلّي الذي اقترحته الصحوة، انظر: Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» p. 410 ff.

بداية نقول إن المجتمع الدولي لم يعد يرحّب بمشاركة الإسلاميين العرب الذين حازوا سمعة سيئة في مصر والجزائر في مطلع التسعينيات. كما إن المسلمين البوسنيين أكثر علمانية وأقلّ اتصالاً بالعالم العربي من الأفغان والباكستانيين. وبالإضافة إلى ذلك، لم يتوافر بلد يوفر العمق الاستراتيجي للجهد الجهادي، مثل: باكستان بالنسبة إلى أفغانستان. أخيراً، إذا كانت أفغانستان «منطقة حرّة» لا تحكمها دقائق القانون الدولي، فقد جرى التعامل مع الصراع البوسني، ضمن إطار الأمم المتحدة في مرحلة مبكرة إلى أن تدخّل حلف الناتو في نهاية المطاف. وهذه العوامل كلها، قيّدت قدرة الجهاديين الأجانب على إقامة بنية تحتيّة كبيرة في البوسنة، وحصرت نطاق الدعم الذي أمكن للحكومة السعودية تقديمه للبوسنيين.

ومن ناحية أخرى، سنحت فرصة عظيمة للتجنيد الخاص وجمع الأموال داخل المملكة العربية السعودية لمصلحة البوسنة. وبات النظام يرفع رايات الوحدة الإسلامية أكثر من أي وقت مضى؛ لأنه يواجه منافسة دولية وداخلية على تأدية دور المدافِع عن القضايا الإسلامية.

على المستوى الداخلي، شكّكت حركة الصحوة في مؤهلات النظام الوحدوية الإسلامية وطرحت نفسها مدافعاً أكثر شرعية وصدقاً عن بلاد الحرمين. وجاهرت الحركة بمؤازرتها الجهاد البوسني. وفي صيف عام ١٩٩٣، وقّع شيوخ الصحوة بياناً جماعياً شجب ضمناً موقف الحكومة؛ لعدم تقديمها الدعم الكافي للقضية البوسنية(٣٢).

وعلى المستوى الدولي، سعت دول أخرى، مثل: السودان وإيران لاستغلال الأزمة البوسنية؛ لتحقيق مكاسب سياسية إقليمية. ففي نيسان/ أبريل ١٩٩١ بعد حرب الخليج، شكّل حسن الترابي، المفكر الإسلامي

---

(٣٢) مجلة **الجزيرة العربية**، العدد ٣١ (آب/ أغسطس ١٩٩٣)، ص ٩، ورد في: Stéphane Lacroix, *Les Islamistes saoudiens-Une insurrection manqué*, Proche orient (Paris: Presses Universitaires de France, 2010).

وقد صدر هذا الكتاب عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر بعنوان: **زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية** (٢٠١٢).

السوداني، «المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي»، في حركة معاكسة لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي اتهمها بأنها تمثّل «إسلام الأثرياء». سارع المؤتمر إلى إعلان دعمه للمسلمين البوسنيين، وسمحت سياسة الباب المفتوح أمام العرب التي اعتمدتها السودان للشبكات الإسلامية العسكرية، بإدارة العمليات في البوسنة انطلاقاً من أراضيه. ومن جانب آخر، أقامت إيران من قبل علاقات قديمة بالقادة السياسيين البوسنيين وكانت أول دولة إسلامية تقدّم دعماً مادياً كبيراً للبوسنيين. وفي أواسط التسعينيات، اندلعت حرب كلامية بين المملكة العربية السعودية وإيران بشأن من الذي قدّم أكبر قدر من المساعدات للبوسنة. وبحسب أحد المسؤولين السعوديين، كانت طهران الأكثر صخباً، لكنّ إسهاماتها المالية في قضية المسلمين لم تصل إلى مستوى إسهامات الرياض(٣٣).

بدأ الدعم الرسمي السعودي للقضية البوسنية على طريقة مجربة وفعالة، فاستعانت المملكةُ بمنظمة المؤتمر الإسلامي لحشد الدعم للقضية، وللضغط على الأمم المتحدة لتفرض عقوبات على صربيا، ولرفع حظر الأسلحة عن البوسنة. كما حثّت حليفها الأمريكي على زيادة مشاركته المباشرة في الدفاع عن مسلمي البوسنة. ومن جهة أخرى قامت بتشكيل لجنة لجمع الأموال برئاسة الأمير سلمان. وفي ٥ حزيران/ يونيو ١٩٩٢، شكّلت الحكومةُ «اللجنة العليا لجمع التبرّعات لمسلمي البوسنة والهرسك» ضمّت عدداً من الفروع المحلّية التي عُرفت باسم «اللجان الشعبية»(٣٤).

---

(٣٣) لمعرفة المزيد عن المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي، انظر: Abdullah A. Gallab, *The First Islamist Republic: Development and Disintegration of Islamism in the Sudan* (Aldershot, UK; Burlington, VT: Ashgate, 2008), pp. 125-126.

ولمعرفة تفاصيل التمويل الإيراني والسعودي، انظر: Evan Kohlmann, *Al-Qaida's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network* (London: Berg, 2004), p. 45; John Pomfret, «How Bosnia's Muslims Dodged the Arms Embargo,» *Washington Post*, 22/9/1996; Ann Devroy, «Internal US Probe Faults Policy on Bosnian Arms,» *Washington Post*, 16/4/1996, and Michael Dobbs, «Saudis Funded Weapons for Bosnia, Official Says,» *Washington Post*, 2/2/1996.

(٣٤) زياد صالح الهذلول ومحمد عبد الله الحميضي، **القصة الكاملة للدور السعودي في البوسنة والهرسك** (الرياض: مطبعة الحُميداني، ١٩٩٨)، ص ١٦٥ ـ ١٩٥؛ **أُخوة الإسلام: المملكة العربية السعودية ومسلمو البوسنة والهرسك** (لندن: دار الهاني للكتب والنشر، ١٩٩٣)، ص ٢٩؛ Selim, ed., *The Organization of the Islamic Conference in a Changing World*, pp. 121-123, and Dobbs, Ibid.

كما نظّمت الحكومة السعودية حملة إعلامية متواصلة لجمع التبرعات وزيادة الوعي العام بما يجري في البوسنة، وسيّر وزير الإعلام السعودي رحلات لنقل الصحافيين السعوديين إلى سراييفو، كما أطلق حملات تبرعات حظيت بتغطية إعلامية كثيفة شاركت فيها شخصيات دينية رفيعة وأفراد من الأسرة المالكة. وجرى تكرار كثير من مظاهر التضامن الإسلامي الرمزية التي استُخدمت في أثناء الجهاد الأفغاني. ورعت المملكة رحلة لأداء فريضة الحج ونظّمت احتفالات بعيد الأضحى للبوسنيين المسلمين، على غرار ما فعلت مع اللاجئين الأفغان في الثمانينيات.

وفي عام ١٩٩٣، مُنح علي عزّت بيغوفيتش (Alija Izetbegoviæ)، رئيس البوسنة والهرسك، جائزة الملك فيصل العالمية؛ لجهوده في خدمة الإسلام على غرار عبد رب الرسول سيّاف في عام ١٩٨٥. وأكد كثير من قدامى المجاهدين السعوديين الذين أجريتُ مقابلات معهم أنّ الجهاد البوسني كان أكثر بروزاً في الحياة العامة من الجهاد الأفغاني في الثمانينيات[٣٥].

إن مقدار الأموال التي جُمعت للقضية البوسنية مقياس جيد لمدى الحملة الإعلامية وأثرها، بحسب تقارير اللجنة العليا، جمعت اللجنة مبلغاً مذهلاً بلغ ١,٤ مليار ريال سعودي (٣٧٣ مليون دولار) من جهات مانحة حكومية وخاصة، بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٧. لا توجد قضيّة دوليّة أخرى حصلت على قدر مشابه من التبرعات السعودية الشعبية في مثل هذا الزمن الوجيز. وبغرض المقارنة، «لم تتجاوز» التبرعات السعودية للجنة الشعبية لفلسطين في سحابة أربع عشرة سنة كاملة ٨٥٠ مليون ريال سعودي (٢٢٧ مليون دولار) بين عامي ١٩٧٨ و١٩٩١. ويتبيّن أن لعبة المزايدات بين الدولة والصحوة رفعت الحماسة الشعبية للوحدة الإسلامية إلى مستويات لا سابق لها، وكما قال مقاتل عربي سابق، «وقفت المملكة العربية السعودية بأكملها بدءاً بالحكومة ومروراً بالعلماء

(٣٥) الهذلول والحميضي، المصدر نفسه، ص ٣٩١، ومقابلات أجراها المؤلف مع سعوديين ومغتربين في الغرب، الرياض، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧.

وانتهاءً بالأشخاص العاديين بجانب حضّ الشباب على الجهاد في البوسنة والهرسك»(٣٦).

يصعب تقييم مستوى الدعم الحكومي المادّي للبوسنة وطبيعته؛ لأنّه لا يوجد فصل واضح، كما في أفغانستان، بين القطاعين الحكومي والخاص. وهناك دليل على أن الحكومة السعودية قدّمت مساعدة عسكرية مباشرة للسلطات البوسنية، فذكرت صحيفة **الواشنطن بوست** (*The Washington Post*) في شباط/ فبراير ١٩٩٦، نقلاً عن مصادر سعودية رفيعة المستوى أنّ الحكومة السعودية موّلت عملية عسكرية بلغت تكلفتها ٣٠٠ مليون دولار؛ لتمرير أسلحة للبوسنة بمعرفة الولايات المتحدة وتعاونها الضمني(٣٧).

إلا أنّ أغلب المساعدات العسكرية السعودية وصلت إلى الجيش البوسني لا إلى المقاتلين الأجانب. زد على ذلك، أن الحكومة السعودية اتخذت تدابير، في عام ١٩٩٣؛ لإبقاء الدعم المالي للجهاد البوسني تحت إشراف الدولة، ففرضت قيوداً على الحوالات المالية المرسَلة إلى الخارج، وأغلقت مكتب «لجنة البرّ الإسلامية» بجدّة، وهي منظمة خيرية مستقلّة عملت كـ «مكتب خدمات» للمقاتلين العرب في البوسنة. لذلك، وجدت الحكومة السعودية نفسها عرضة لانتقادات الوسط الجهادي المتكرّرة لعدم بذلها ما يكفي لنصرة البوسنة. ووجّه العرب أنفسهم في البوسنة انتقادات لاذعة إلى المملكة؛ لعدم مؤازرتها المجاهدين العرب ولإيثارها تمرير الأموال لوكالات دولية أو لمشاريع إعادة إعمار مشتركة

---

(٣٦) الهذلول والحميضي، المصدر نفسه، ص ١٨٥؛ **القدس العربي**، ٢/ ٤/ ٢٠٠٥؛ *The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World.*

يمكن التعويل على الأرقام السعودية؛ لأن مكتب تحقيقات الشرطة الألمانية أشار في وثائقه إلى تحويل الأمير سلمان ما يزيد على ١٢٠ مليون دولار لحساب «وكالة إغاثة العالم الثالث»، في مصرف نمساوي بين تموز/ يوليو ١٩٩٢ وتشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥. انظر: Federal Office of Criminal Investigation, «Expert Report Concerning the Area Financial Investigation,» 28 August 2003, <http://www.nytimes.com>.

(٣٧) Dobbs, «Saudis Funded Weapons for Bosnia, Official Says;» Irwin Molotsky, «US Linked to Saudi Aid for Bosnians,» *New York Times*, 2/2/1996, and Stephen Engelberg, «US Denies Aiding Saudis in Arming the Bosnians,» *New York Times*, 3/2/1996.

عوضاً عن ذلك. وأصدر أسامة بن لادن بياناً خاصاً في آب/أغسطس ١٩٩٥، اشتكى فيه من القيود التي فرضتها الحكومة السعودية على الدعم الخاص للجهاد البوسني[٣٨].

ولكي تدرأ الحكومة انتقادات الوسط الإسلامي، بذلت قصارى جهدها؛ لإشهار إسهاماتها في القضية البوسنية. وعلى سبيل المثال، عام ١٩٩٨ رعت نشر كتاب من ٧٤٠ صفحة بعنوان **القصة الكاملة للدور السعودي في البوسنة والهرسك**. عدّد هذا الكتاب، الفاخر الطباعة، إسهامات الحكومة السعودية، وخصوصاً الأسرة المالكة، في الجهاد البوسني. بيد أن عروض الحكومة السعودية لصور التضامن الإسلامي لم تبهر المجاهدين السعوديين. فأشار أسامة بن لادن، بدقّة، في بيان أصدره عام ١٩٩٥، إلى أنّ «الملك يسعى إلى الهروب من الحقائق الداخلية بصرف الانتباه بعيداً عن مشكلاته وتركيزه على المشكلات الدائرة خارج البلاد. إنه يصرف الانتباه، ويدغدغ مشاعر الأمّة برفع شعار دعم البوسنة والهرسك»[٣٩].

شكّلت زيادة القيود المفروضة على الدعم الخاص للمجاهدين العرب في البوسنة جزءاً من إعادة تقييم تدريجية للسياسة الحكومية تجاه الوسط الجهادي تُوّجت بقطيعة، في أواخر العام ١٩٩٥. وكان النظام قد تفطّن، في مطلع التسعينيات، إلى حقيقة تعذّر السيطرة على المجاهدين وتشكيلهم تهديداً للاستقرار الدولي والمحلّي. فالأعمال الشنيعة التي ارتُكبت في الجزائر ومصر والبوسنة، فضلاً عن الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك (World Trade Center in New York) عام

---

(٣٨) انظر: Steve Coll and Steve LeVine, «Global Network Provides Money, Haven,» *Washington Post*, 3/8/1993, and Sam Roe, Laurie Cohen and Stephen Franklin, «How Saudi Wealth Fuelled Holy War,» *Chicago Tribune*, 22/2/2004.

انظر أيضاً مقابلة مع شيخ المجاهدين أبي عبد العزيز، في: مجلة **الصراط المستقيم**، العدد ٣٣ (١٩٩٤)، وأسامة بن لادن، «مأساة البوسنة وخداع خادم الحرمين،» (البيان الرقم ١٨، الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح، ١٩٩٥).

(٣٩) الهذلول والحميضي، **القصة الكاملة للدور السعودي في البوسنة والهرسك**، وابن لادن، المصدر نفسه.

١٩٩٣، أبانت التهديد الذي شكله ما سُمّي بالأفغان العرب. كما إنه ساء الحكومةَ السعودية جداً انتقاد بعض أكبر متلقّي الدعم المالي السعودي طوال سنين المملكةَ جهاراً، مثل: الفلسطينيين والإسلاميين الأفغان؛ لطريقة تعاطيها مع أزمة الخليج في عام ١٩٩٠.

ركزت استراتيجية الحكومة السعودية على الدعوة إلى الوحدة العربية؛ لغايات سياسية فيما سعت إلى إبقاء المساعدات السعودية التي تقدَّم إلى البوسنة تحت السيطرة الحكومية. المشكلة هي أنّ أيادي الحكومة كانت مقيَّدة بحظر السلاح وبتردّد المجتمع الدولي في التدخل. وإذا لم يكن الخيار العسكري الرسمي وارداً، وجدت الحكومة نفسها عالقة بين سقف وعودها المرتفع ومطالب الوسط الإسلامي.

أتاح صعود التيار الوحدوي الإسلامي، في الثمانينيات ومطلع التسعينيات، نافذة فرص سياسية نافعة للغاية للجهات الساعية لاستنفار السعوديين للنشاط الجهادي في الخارج، ما جعل التيار الجهادي الكلاسيكي مقبولاً، اجتماعياً، في المملكة، بفعل عمليات سياسية في سياق تاريخي معيّن لا بفعل الوهّابية أو تطرّف إسلامي ذاتي. فالسياسة الحكومية الشعبوية والمزايدات قوّت الدعم الشعبي للدعوة إلى الوحدة الإسلامية العسكرية الطابع، وهذا بدوره أشاع مناخاً سياسياً جعل المشاركة في الصراعات المسلّحة في الخارج من ضروب حبّ الخير للآخرين. وهنا يكمن مفتاح فهم العلاقة الغامضة، تاريخياً، للمملكة العربية السعودية مع العنف الإسلامي، وهي علاقة أفرزت، في بعض الأحيان، ما سمّاه دانيال بايمان وغيره «الرعاية اللافاعلة للإرهاب»[(٤٠)].

إن توقّف الدعم الرسمي المباشر للقضايا الجهادية، في أواسط التسعينيات، لم يمنع من استمرار الدعم الخاص لهذه القضايا. فليس في استطاعة أحد إخماد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بمرسوم، وقُدّر لها أن تظلّ قوة شديدة الفاعلية في السياسة السعودية طوال سنين.

---

(٤٠) Daniel Byman, *Deadly Connections: States that Sponsor Terrorism* (Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2005), pp. 223-228.

لذلك؛ بقيت قدرة الدولة على ضرب شبكات دعم المجاهدين مقيّدة. وعلى سبيل المثال، لم يكن اعتقال الأشخاص الضالعين في جمع الأموال للشيشان سهلاً على السلطات، في أواخر التسعينيات؛ لأنّ السعوديين اعتبروا هذا النشاط عملاً خيريّاً وليس إرهاباً. وبعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر أضحى هذا التردّد مصدراً رئيساً للخلاف بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية. ولم يجرؤِ النظام السعودي على اتخاذ تدابير معاكسة لمشاعر الوحدة الإسلامية إلّا بعد إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حملته في عام ٢٠٠٣. لكن بحلول ذلك الوقت، كانت الحركة الجهادية السعودية قد استغلّت نافذة الفرص الذهبية تلك في تعزيز قواها بدرجة كبيرة(٤١).

---

(٤١) Gawdat Bahgat, «Saudi Arabia and the War on Terrorism,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 26, no. 1 (2004), pp. 51-63; F. Gregory Gause, «Saudi Arabia and the War on Terrorism,» in: Adam Garfinkle, ed., *A Practical Guide to Winning the War on Terrorism*, Hoover Institution Press Publication; no. 530 (Stanford, CA: Stanford University, Hoover Institution Press, 2004), pp. 94-100, and Roger Hardy, «Ambivalent Ally: Saudi Arabia and the «War on Terror»,» in: Madawi Al-Rasheed, ed., *Kingdom without Borders: Saudi Arabia's Political, Religious and Media Frontiers* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 99-112.

الفصل الثاني

المجاهدون الكلاسيكيون

عندما كتبت هذا النص لم يخطر لي أنه يستطيع أن يترك أثراً كبيراً، بحيث إن عددنا ربما سيصل إلى عشرة أضعاف.

عبد الله عزّام (١٩٨٨)(*)

(*) انظر مقدمة عبد الله عزّام، في: **الحق بالقافلة**، ط ٢ ([د. م.: د. ن.]، ١٩٨٨). وقد تمت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي.

من أهم النواحي التي تسترعي الانتباه في الحركة الجهادية السعودية هي سرعة تشكّلها. فلو عدنا إلى مطلع الثمانينيات، لم يكن في المملكة العربية السعودية وسط ذو شأن للإسلاميين السنّة المسلّحين، ولم يمثّل جُهَيمان ومن معه من الثوّار، سوى ظاهرة محدودة ومعزولة في المشهد السياسي السعودي. لكن بحلول أواسط التسعينيات، كان هناك آلاف المحاربين السعوديين على جبهات القتال في أفغانستان والبوسنة والشيشان. فكيف تمّت هذه التعبئة؟

أولاً: أفغانستان مهد الحركة الجهادية

وُلدت الحركة الجهادية السعودية في أفغانستان، في ثمانينيات القرن الماضي. وفي ذلك البلد أقيمت العلاقات الشخصية والهياكل التنظيمية والثقافة الداخلية التي صاغت تطوّر الحركة، في وقت لاحق. لكن، لماذا تدخّل العرب وكيف تسنّى لهم التدخّل على التحديد؟ الواضح أن تدخّلهم لم يكن ردّاً تلقائياً على الغزو السوفياتي؛ لأنّ العرب لم يتطوّعوا للقتال في مناطق الصراع الأخرى، في الماضي، ولم يتوجّهوا إلى أفغانستان بأعداد كبيرة إلّا في الحقبة الممتدّة بين أواسط عقد الثمانينيات وأواخره.

المثير في الأمر، زعم بعض الإسلاميين والمسؤولين، اليوم، أنّ تعبئة العرب للقتال في أفغانستان كانت كثيفة وفورية، وأنّ آلاف المقاتلين المتطوّعين قصدوا أفغانستان، بعد شهور قليلة من غزوها. وفي ذلك، تناقض صارخ مع أدلّة تاريخيّة، ترجع إلى أوائل الثمانينيات وتشير، بقوة، إلى أنّ بضع عشرات من المقاتلين، فقط، وصلوا إلى أفغانستان، قبل العام ١٩٨٤. ويبدو أن الذاكرة الجماعية المتصلة بالجهاد الأفغاني بُنيت بأثر رجعي؛ لتُلائم المفهومَ المثالي لنهوض عفوي للأمة

الإسلامية. وقد مثّلت هذه الأسطورة، في نظر المسؤولين الرسميين، فائدةً إضافيةً؛ لأنها تبرِّئ الحكومات من المسؤولية عن ظاهرة الأفغان العرب. في الواقع، لم ينهض العرب، في الحال، لتحرير أفغانستان، بل إنّ مشاركتهم جاءت على نحو أقل عاطفية بكثير[1].

بدأت قصة التعبئة العربية لأفغانستان في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٨٠، عندما أوفد المرشد العام للإخوان المسلمين، في مصر، مبعوثاً اسمه كمال السنانيري، وهو زوج شقيقة سيد قطب، في رحلة استمرت أربعين يوماً إلى باكستان؛ لتقييم وضع الجهاد الأفغاني ودراسة آفاق المشاركة. في هذه الحقبة، كان قسم من الإخوان المسلمين يروّج لأجندة وحدوية إسلامية، وكان الإخوان المسلمون المصريون قد أقاموا صلات وطيدة بالإسلاميين الأفغان الذين تلقوا تعليمهم في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة. وفي وقت قريب من أيلول/ سبتمبر ١٩٨١، عرّج السنانيري على المملكة العربية السعودية؛ لأداء فريضة الحجّ، في أثناء عودته إلى مصر؛ لاصطحاب أُسرته إلى باكستان. وفي مكّة المكرّمة، لقي، بمحض الصدفة، صديقاً أردنياً فلسطيني الأصل وأخاً في حركة الإخوان المسلمين اسمه عبد الله عزّام. حدّث السنانيري عبدَ الله عزّام

(١) تحدّث القائد الأفغاني عبد رب الرسول سيّاف في مقابلة أجراها في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٣ عن المشاركة العربية فقال «إذا اعتبرنا قدوم اثنين أو ثلاثة [من العرب] في السنة مشاركة، ربما يعني ذلك أنّ العرب مشاركون، وإذا لم نأخذ هذا العدد في الاعتبار، فلا يمكن اعتبارهم مشاركين»، انظر: **مجلة الدعوة** (١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٣). وفي سنة ١٩٨٤، كتب عبد الله عزّام: لم يدخل ساحة القتال من غير الأفغانيين سوى النزر اليسير الذي لا يذكر؟ وأما الذين استمروا معهم من المسلمين في المعركة فهم دون أصابع اليدين». انظر: عبد الله عزام، **آيات الرحمن في جهاد الأفغان** (عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٦)، ص ١٨٥. وادّعى مسؤولون سعوديون، اعتماداً على تأشيرات الخروج، أن نحو ألف سعودي سافروا إلى باكستان في عام ١٩٨٠. انظر: Robert Lacey, *Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Modernists, Terrorists, and the Struggle for Saudi Arabia* (New York: Viking, 2009), chap. 13.

لكنّ هذا الرقم لا يشي شيئاً ما لم نعرف عدد السعوديين الذين كانوا يسافرون إلى باكستان قبل الغزو السوفياتي، وعدد المقاتلين الذين كانوا في عداد هؤلاء الألف في مقابل عمّال الإغاثة والوعّاظ. وفي أثناء عملي البحثي لهذا الكتاب، جمعت أسماء المقاتلين المتطوعين السعوديين التي أمكنني الحصول عليها كافة، بدءاً بالثمانينيات، وهم ١١٣، ولم أجد في هؤلاء سوى نسبة ضئيلة سافرت إلى باكستان، قبل العام ١٩٨٤. وما من سبب يدعو المقاتلين الأوائل إلى الاختفاء من السجلات التاريخية ببساطة؛ لأن المفترض أن يكون حضورهم أشد بروزاً كونهم طلائعيين.

عن الوضع في أفغانستان وأقنعه، في وقت لاحق، بمرافقته في سفره إلى إسلام أباد بعد أن يُحضر أُسرته من مصر. لكنّ شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٨١، لم يكن وقتاً جيداً لإسلاميي مصر؛ إذْ اعتُقل السنانيري، في أثناء حملة قمع واسعة النطاق، قام بها جهاز الشرطة وسدّدت ضربة للوسط الإسلامي، في ذلك الشهر، وزُعم أنه قضى نحبه، تحت التعذيب في السجن. لكنّ عزّام التزم بجزئه من الاتفاق وسافر إلى إسلام أباد بمفرده، في أواخر عام ١٩٨١؛ ليصبح أهم شخصية تدير حملة تعبئة المتطوعين العرب للجهاد في أفغانستان[٢].

ربما شكّل اللقاء الذي جمع بالصدفة بين عزّام والسنانيري أحد أهم الحوادث التاريخية، لكنّه يوضح أيضاً، الدور الحيوي الذي اضطلعت به شبكات الإخوان المسلمين في استنفار العرب للقتال في أفغانستان. شكّل الإخوان المسلمون حلقة الوصل الرئيسة بين العالم العربي والمجاهدين الأفغان، في مطلع عقد الثمانينيات. وعلى سبيل المثال، عندما أخفق قادة المجاهدين الأفغان في الاتفاق على قيادة اتحاد سياسي في عام ١٩٨٣، فوّضوا لجنة مؤلّفة من سبعة عشر عالماً عربياً تعيين القائد، وكان عامة أعضائها شخصيات من الإخوان. كما استعمل الإخوان نفوذهم في المنظمات الإسلامية الدولية، مثل: «رابطة العالم الإسلامي» التي تمتّعوا فيها بتمثيل جيد، بالنظر إلى لجوء الإخوان المسلمين المصريين والسوريين إلى الحجاز؛ فراراً من عمليات القمع في الخمسينيات والستينيات. وكانت منظمة المؤتمر الإسلامي حاضرة في باكستان، بدءاً بالعام ١٩٨١، واضطلعت بدور مهم في التعبئة. ومن أبرز الدلالات على ذلك، أنّ المنظمة دفعت راتب عبد الله عزّام، في أثناء عمله في الجامعة الإسلامية الدوليّة في

---

(٢) باسل محمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ط ٢ (الرياض: لجنة البرّ الإسلامية، ١٩٩١)، ص ٣٩؛ أيمن الظواهري، «فرسان تحت راية النبي،» **الشرق الأوسط**، ٢ - ١٢/ ١٢/ ٢٠٠١، ومقابلة أجراها المؤلف مع حُذيفة عزّام، في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦. تزوّج كمال السنانيري بأمينة، شقيقة سيد قطب. واعتُقل في عمليات القمع التي استهدفت الإخوان المسلمين بأمر من عبد الناصر في عام ١٩٥٤، وأمضى السنين العشرين التالية في السجن؛ انظر: John Calvert, *Sayyid Qutb and the Origins of Radical Islamism* (New York: Columbia University Press; London: Hurst, 2010), conclusion.

إسلام أباد منذ وصوله عام ١٩٨١ إلى أن غادر منصبه في عام ١٩٨٦[٣].

أول مشاركة سعودية في أفغانستان، تمّت من خلال رابطة العالم الإسلامي والإخوان المسلمين. وبالنظر إلى أنّ أعظم نفوذ امتلكه الإخوان المسلمون في السعودية كان في الحجاز، وخصوصاً في المدينة المنوّرة، فقد بدأت التعبئة للجهاد في أفغانستان هناك. أول «الأفغان السعوديين» كانوا عمال إغاثة من جمعية الهلال الأحمر السعودي، ومن اللجنة السعودية للإغاثة الذين توجّهوا إلى أفغانستان، في عام ١٩٨٠. ثم تتابُع وصول مبعوثي رابطة العالم الإسلامي في جدّة وطلاب وموظفين من جامعة المدينة بدأ في عام ١٩٨١. وأقام قادة المجاهدين الأفغان، ولا سيما عبد رب الرسول سيّاف، في المنطقة واختلطوا بالناس هناك، في أثناء زياراتهم إلى المملكة. لكنّ عامة السعوديين الذين توجّهوا إلى المنطقة، بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٤، كانوا إداريين وعمّال إغاثة. وجاءت المشاركة العسكرية، في وقت لاحق، ونتيجة الإدارة التنظيمية لعبد الله عزّام، قبل أي شيء آخر[٤].

علا شأن عبد الله عزّام الفلسطيني المولد والشيخ الأزهري في حركة الإخوان المسلمين الأردنية، في سبعينيات القرن الماضي، وحاز لقب «سيد قطب الأردن». وعقب خسارته منصبه الجامعي؛ لأسباب سياسية، في مطلع العام ١٩٨١، سافر إلى المملكة العربية السعودية، فحصل على منصب في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة في ربيع العام نفسه. لكنّه التقى بعد نصف عام فقط بالسنانيري، وسافر بالطائرة، قبيل نهاية السنة، إلى إسلام أباد؛ حيث حصل على وظيفة في الجامعة الإسلامية الدولية التي تأسست، حديثاً، براتب من رابطة العالم الإسلامي. وخلال السنين الثلاث التالية، قسّم عزّام وقته بين مهامّه التعليمية، والعمل الدبلوماسي

---

(٣) محمد، المصدر نفسه؛ محمد المجذوب، **ذكريات لا تنسى مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان** (المدينة المنوّرة: نادي المدينة المنوّرة الأدبي، ١٩٨٤)؛ مقابلة أجراها المؤلف مع جمال إسماعيل، إسلام آباد في آذار/ مارس ٢٠٠٨، و Gilles Kepel, *The War for Muslim Minds: Islam and the West*, translated by Pascale Ghazaleh (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2004), pp. 174-176.

(٤) مقابلة أجراها المؤلف مع يوسف الدّيني، وجاسر الجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» **المجلة** (١١ أيار/ مايو ١٩٩٦).

بين الفصائل الأفغانية في بيشاور، ونشر الوعي بالجهاد الأفغاني. وأولى عزّام المملكةَ العربية السعودية عناية خاصة، وعقد محادثات كثيرة في الحجاز في مطلع الثمانينيات[٥].

وفي أيار/ مايو ١٩٨٢، نشر عزّام مقالته الأولى عن الجهاد الأفغاني، في صحيفة المجتمع التابعة للإخوان المسلمين. وجمع، في وقت لاحق، مقالاته الصحافية في كتاب سمّاه **آيات الرّحمن في جهاد الأفغان**، وهي حول كرامات الشهيد حين يلقى مصرعه. ذاع صيت الكتاب وعمق تأثيره في العالم العربي، إلى حدّ أن طباعته أُعيدت أكثر من عشر مرات في العقد التالي. وفي سنة ١٩٨٤، ألّف كتاب **الدفاع عن أراضي المسلمين**، وجادل فيه بأن الجهاد في أفغانستان فرض عين على جميع المسلمين. وكان لهذين الكتابين تأثير عظيم في استنفار العرب للقتال في أفغانستان. وكما أشار، في وقت لاحق، باسل محمد، المؤرّخ الأوّل لسيَر الأفغان العرب، قائلاً: «أمران عبّآ الرأي العام الإسلامي لصالح أفغانستان: الكرامات وفتاوى الجهاد بأفغانستان»[٦].

كانت فتاوى عزّام بشأن الجهاد في أفغانستان أبعد ما تكون عن الإجماع؛ إذْ إنّ الموقف السائد للعلماء، آنذاك، هو أنّ الجهاد فرض عين على الأفغان لا على سائر المسلمين. وبالإضافة إلى العلماء السعوديين الذين أتينا على ذكرهم، في الفصل السابق، بقيت شخصيات دوليّة بارزة متشكّكة، منها الشيخ يوسف القرضاوي الذي جادل بأنّه يكفي دعم الأفغان مادياً. وسخر حسن الترابي، خصوصاً، من عزّام قائلاً إن فتواه تقتضي تجميع سائر الحركات الإسلامية في أفغانستان؛ ما يؤدّي إلى

---

(٥) محمد، المصدر نفسه ص ٤٥؛ أبو مجاهد، **الشهيد عبد الله عزّام... بين الميلاد والاستشهاد** (بيشاور، باكستان: مركز الشهيد عزّام العلمي، ١٩٩١)، ومقابلة أجراها المؤلف مع حُذيفة عزّام وجمال إسماعيل.

(٦) عبد الله عزام: **آيات الرحمن في جهاد الأفغان**؛ «آيات وبشائر وكرامات في الجهاد الأفغاني،» مجلة **المجتمع**، العدد ٥٦٩ (١٩٨٢)، و**الدفاع عن أراضي المسلمين** (عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٧)، ومحمد، المصدر نفسه ص ٧٣. يعود تاريخ النُسخ الأولى لكتاب **آيات الرّحمن** إلى العام ١٩٨٥ و**الدفاع عن أراضي المسلمين** إلى العام ١٩٨٧. وباسل محمد هو من جادل بحق في كتابه **الأنصار العرب** بأنّ الكتابين نُشرا أول مرة، في العام ١٩٨٣ والعام ١٩٨٤ على التوالي.

انكشافها وإلى إضعاف الصراعات مع الكافرين في غيرها من المناطق. وكما قال عزّام نفسه، في وقت لاحق: «وزّعت الكتاب، فغضب البعض، وسُرّ البعض، واستهجن البعض، عنَّفَنا أشقّاؤنا وهاجمونا قائلين: أنت تحرّض الشباب علينا». لكن مع اكتساب التعبئة زخماً ومع ميل كفّة الحرب لمصلحة المجاهدين، تبنّى مزيد من العلماء موقف عزّام(٧).

أثار اجتهادُ عبد الله عزّام جدلاً؛ لأنّه تعارض مع مفاهيم الجهاد السائدة، لدى السواد الأعظم من العلماء وعامّة الجماعات المتطرّفة على حدّ سواء في ذلك الوقت. دعا عزّام، في الأساس، إلى المشاركة العسكرية العالمية، على المستوى الخاص، في أيّ صراع مناطقي بين المسلمين وغير المسلمين. ورأى عزّام أنّه يتوجّب على سائر المسلمين القتال؛ لتحرير أراضيهم المحتلّة كافة، وهو ما آرق غالبية العلماء الذين قالوا إنّ واجب المشاركة في الصراعات المناطقية يقع على عاتق السكان المعنيين به، من دون سواهم كما في الجهاد الأفغاني. والأهم من ذلك أنّ أجندة عزّام اختلفت عن أجندات أغلب الإسلاميين المسلّحين، وقتئذٍ، الذين كانوا منهمكين في صراعات ثورية مع نظم محلّية، كما في مصر وسوريا أو في صراعات مناطقيّة مع محتلّ محلّي كما في فلسطين. وهذا التركيز المناطقي في مذهب عزّام هو الذي ميّزه عن الثوريين الاجتماعيين، بينما اختلفت رؤيته الوحدوية الإسلامية عن رؤية التحرّريين الوحدويين. بناءً على ذلك، شكّل مذهب عزّام الجهادي الكلاسيكي تحوّلاً مذهبياً في تاريخ الفكر الإسلامي الراديكالي.

كانت محصلةُ تأثير المشاركة المتزايدة للمنظمات الإسلامية وزيارات عبد رب الرسول سيّاف المتكررة إلى المملكة العربية السعودية واجتهادات عزّام زيادة اهتمام العرب بأفغانستان. وبدءاً بأواخر عام ١٩٨٣، تضاعفت أعداد المتطوّعين العرب، وإن بمعدّل حفنة من

---

(٧) **الجهاد**: العدد ٥ (نيسان/ أبريل ١٩٨٥)، ص ٢١، والعدد ٣٧ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧)، ص ١٢، ومحمد، المصدر نفسه، ص ٧٤، ٧٦ و٨٩. للاطلاع على صور تأييد العلماء لرأي عزّام بعد العام ١٩٨٦، انظر مثلاً: **الجهاد**: العدد ٢٢ (أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦)، ص ٣٢، والعدد ٤٠ (آذار/ مارس ١٩٨٨)، ص ١٨.

الأشخاص في الشهر. وفي أوائل العام ١٩٨٤، حطّت جماعة مؤلّفة من نحو عشرة إلى عشرين شاباً عربياً رحالها في بيشاور، واتُخذت أولى الخطوات الرامية إلى تنسيق جهد عربي معيّن. وفي شباط/ فبراير ١٩٨٤، سُمح لجماعة من العرب بالتوجّه إلى معسكر بدر، التابع لعبد رب الرسول سيّاف، بالقرب من قرية بابي على الحدود الأفغانية الباكستانية. زُعم أن رجلَ أعمالٍ سعودياً تكفّل بالإنفاق على هذا المعسكر؛ لأنّه أراد تشكيل «كتيبة بدر قوامها ٣١٣ رجلاً يعرفون شؤون دينهم». كانت تلك بداية تطوير بنية تحتية تدريبية خاصّة بالمتطوّعين العرب[٨].

كان أسامة بن لادن من بين الأشخاص الذين قَدِموا في عام ١٩٨٤، وكان في سن السابعة والعشرين، وهو ابن السعودي اليمني الأصل محمد بن لادن عملاق قطاع البناء في المملكة. تبلورت الميول السياسيّة لدى بن لادن في جدّة، في أواخر السبعينيات، بتأثير مدرّس في الثانوية العامة من الإخوان المسلمين السوريين. لكننا لا نعرف، على كثرة المؤلَّفات التي تحدّثت عن بن لادن، الأسباب التي دفعته إلى تكريس حياته للقضية الأفغانية. ويرجَّح أنّه كان لعبد الله عزّام تأثير كبير، إما في عام ١٩٨١ عندما تقاطع دربا الرجلين في جامعة جدّة، أو في بعض المهرجانات التي تحدّث فيها عزّام عن أفغانستان، في عامي ١٩٨٢ و١٩٨٣. وأياً يكن السبب الدقيق لذلك، اضطلع بن لادن بدور حاسم في التعبئة لأفغانستان كونه الراعي الرئيس لمكتب الخدمات الذي أسسه عزّام في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٤[٩]. تولّدت لدى عزّام دوافع

(٨) ذكر عبد الله أنس أنه كان في بيشاور اثنا عشر عربياً عندما وصل إليها في أواخر عام ١٩٨٣. انظر: عبد الله أنس، **ولادة الأفغان العرب: سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام** (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٢)، ص ١٩.

(٩) لمعرفة المزيد عن الميول السياسية لأسامة قبل ذهابه إلى أفغانستان وعن تواصله المفترض مع عزّام في عام ١٩٨١، انظر: محمد، المصدر نفسه، ص ٨٨؛ Steve Coll, *The Bin Ladens: An Arabian Family in the American Century* (New York: Penguin Press, 2008), pp. 198-212 and 245-260, and Jonathan Randal, *Osama: The Making of a Terrorist* (New York: Vintage Books, 2004).

لكن برز دليل جديد يشير إلى أنه ربما التقى بن لادن بعزّام في الولايات المتحدة عام ١٩٧٩. انظر: Najwa Bin Laden, Omar Bin Laden, and Jean Sasson, *Growing up Bin Laden: Osama's Wife and Son Take Us Inside their Secret World* (New York: St. Martin's Press, 2009), p. 25.

ثلاثة؛ لتأسيس مكتب الخدمات، في ذلك الوقت بالذات: **الأول**؛ أنه ملّ من التوسّط بين قادة المجاهدين الأفغان المتخاصمين، **والثاني**؛ استياؤه المتزايد من حركة الإخوان المسلمين الأردنية التي حصرت نشاطها بعمليات الإغاثة ورفضت تجنيد مقاتلين وإرسالهم إلى أفغانستان، وانفصاله عنها في نهاية المطاف، **والثالث**؛ إحساسه بواجب إيواء الأعداد المتزايدة من العرب الذين قدموا إلى بيشاور[١٠].

مثّل تأسيس مكتب الخدمات نقطة تحوّل في مشاركة العرب في الجهاد الأفغاني؛ لأنّه وفّر أساساً لمقاربة أكثر منهجية في التعبئة. فقد سهّل سير العمليات في سلسلة التعبئة بأكملها من جمع الأموال والتجنيد على المستوى الدولي عبر إيواء المتطوّعين القادمين إلى باكستان، إلى نشر الأفراد وتوزيع الأسلحة داخل أفغانستان. وكان للأنشطة الإعلاميّة نصيب كبير من اهتمام المكتب، مثل: إصدار مجلة **الجهاد** وإنتاج أفلام فيديو دعائية، ما أسهم في تعاظم إلمام العالم الإسلامي بالجهاد الأفغاني بدءاً بالعام ١٩٨٥. أدّى المكتب مهمة إنسانية ولم يكن مكتب لوجستيّات شبه عسكري فقط. في الواقع، اشتملت جلّ أنشطته، إن لم يكن كلّها، في بيشاور على تقديم الرعاية الصحية، والموادّ الغذائية والخدمات التعليمية للاجئين الأفغان، وخصوصاً الأيتام. لكنّ الطابع الغامض للمكتب، كان انعكاساً لعدم تفريق الجهاديين الكلاسيكيين بين المساعدات الإنسانية والدعم العسكري للمسلمين المضطّهدين؛ أكثر منه محاولة للتستّر على العمل العسكري[١١].

ساعد مكتب الخدمات، أيضاً، على جذب الجمعيّات الخيرية الإسلامية الحقيقية إلى المجهود العسكري. واتبع في سبيل ذلك

---

(١٠) Bernard Rougier, *Everyday Jihad: The Rise of Militant Islam among Palestinians in Lebanon*, translated by Pascale Ghazaleh (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2007), pp. 83-84.

(١١) مقابلة أجراها المؤلف مع أبي عبد الله البلخي، عمّان، في أيار/ مايو ٢٠٠٨، ومقابلة مع حذيفة عزّام وجمال إسماعيل. وقد صدر العدد الأول لمجلة **الجهاد** في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٤، وزاد مجموع ما صدر منها على ستين عدداً. أنتج أبو عمران، مدير إنتاج الأفلام في مكتب الخدمات، ثلاثة أفلام فيديو هي: «Tushawni 1»؛ «Tushawni 2»، و«مرآة الجهاد»؛ انظر: محمد، المصدر نفسه، ص ١٩٤. لمعرفة المزيد عن مجلة **الجهاد** وعن الوسائل الإعلامية العربية الأخرى في بيشاور، انظر: Ahmad Muaffaq Zaidan, *The Afghan Arabs Media at Jihad* (Islamabad: Pakistan Futuristics and Institute, 1999).

استراتيجيات، منها تعيين أفراد بارزين منتسبين إلى المكتب مندوبين عن المنظمات الإسلامية في بيشاور. بناءً على ذلك، عُيّن جمال خليفة مندوباً لمنظمة المؤتمر الإسلامي ووائل جُلَيدان مندوباً لجمعية الهلال الأحمر السعودي في بيشاور عام ١٩٨٥، وكلاهما صديق لبن لادن وعضو نشط في مكتب الخدمات. والاستراتيجية الأخرى تمثّلت في مناشدة الجمعيات الخيرية والمنظّمات العربية في بيشاور توسيع دعمها اللوجستي؛ ليشمل مكتب الخدمات ما جرّ تلك الهيئات إلى المجهود الحربي. كما استخدم أسامة بن لادن صلاتِه الأُسرية في حشد الموارد لمكتب الخدمات. وعلاوةً على إنفاقه دخلَه السنوي الخاص البالغ ٣٠٠,٠٠٠ دولار في السنة، أقنع أشقّاءه الأقلّ تديّناً بمساعدته على شراء أسلحة ومعدات بناءٍ ونقلٍ وشحنها من المملكة العربية السعودية إلى أفغانستان[١٢].

تميّزت عمليّة تجنيد السعوديين بالبطء، في مراحلها الأولى؛ إذْ لم يكن يوجد، في أواخر عام ١٩٨٤، سوى حفنة من السعوديين في الوسط العربي الذي هيمن عليه الأردنيون في بيشاور، ولم يُقِم أي منهم هناك بشكل دائم. وليس في تأريخ باسل محمد للجهاد الأفغاني ذِكر سوى لنحو ستة عشر مقاتلاً سعودياً أقاموا بأفغانستان، قبل العام ١٩٨٥. ولم تتسارع وتيرة تجنيد المقاتلين المتطوّعين السعوديين، شيئاً فشيئاً إلّا في عام ١٩٨٥، وإن لم يزد عدد المقاتلين السعوديين الدائمين على الخمسين، قبل مطلع العام ١٩٨٧. ترأس أسامة بن لادن جهد تجنيد السعوديين بنفسه في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦، فكان يلقي كلمات في جدّة والمدينة المنوّرة، ويوزّع مؤلَّفات عبد الله عزّام ويروّج لزياراته إلى المملكة. حثّ أصدقاءه ومعارفه على الذهاب إلى أفغانستان، وعرض سداد نفقاتهم. وكنتيجة جزئية لجهود بن لادن، كان أغلب السعوديين الذين مضوا إلى أفغانستان، في هذه الحقبة، من المدينة المنوّرة وجدّة، ومنهم من انتمى إلى أوساطٍ ميولها إخوانية، مثل: وائل جُلَيدان وموسى القرني[١٣].

---

(١٢) انظر: محمد، المصدر نفسه، ص ١٤٠، ١٦٥ - ١٦٦، ١٩٣ و١٩٨، و Coll, *The Bin Ladens: An Arabian Family in the American Century*, pp. 284-296.

(١٣) محمد، المصدر نفسه، ص ٨٥ - ٨٦ و١١٩؛ الجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» ص ٢٠، و Stéphane Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de =

بعد أن حطّ بن لادن رحاله، نهائياً، في باكستان في آذار/ مارس ١٩٨٦، عمل بدرجة من الاستقلالية عن عبد الله عزّام وعن مكتب الخدمات. وفي أعقاب معركة نشبت في جاجي في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٦، اقتنع بحاجة العرب الماسّة إلى التدريب، فأسّس معسكراً منفصلاً في أفغانستان عُرف لاحقاً باسم المأسدة. وقد شجّعته هذه الخطوة على تكثيف جهوده التجنيدية، بدرجة كبيرة، في المملكة العربية السعودية. وخلال الحقبة الممتدّة بين تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦ وأيار/ مايو ١٩٨٧، قام بخمس رحلات على الأقل إلى المملكة، وكان يُحضر معه، في كل مرّة، ما بين عشرة إلى ثلاثين متطوّعاً جديداً من المدينة المنوّرة أساساً. كما أوفد أصدقاءه في بعثات تجنيدية إلى مناطق مختلفة في المملكة، فأرسل عبد الرّحمن السُّرَيحي، مثلاً، إلى جدّة وتميم العدناني إلى المنطقة الشرقية، وشخصاً يُدعى أبا حنيفة إلى الطائف[١٤].

وفي أواسط عام ١٩٨٧، زادت أعداد المتطوّعين القادمين من المملكة العربية السعودية زيادة كبيرة، كما قَدِمت أعداد متزايدة من المتطوعين من مناطق أخرى غير الحجاز. جاءت هذه الزيادة ثمرة اشتهار الجهاد الأفغاني قبل أي شيء آخر؛ إذْ أخذت صناعة الإعلام العربية بالتطوّر في بيشاور، وبيعت أعداد متزايدة من المجلات الجهادية، في المملكة العربية السعودية. كما واصل عبد الله عزّام، نفسه، كتابة رسائل علميّة مؤثّرة، مثل: **الحق بالقافلة** التي لاقت رواجاً كبيراً. زِدْ على ذلك أن الصحافة السعودية الرئيسة زادت مقالاتها التي تحدّثت عن الأفغان العرب بدءاً بسنة ١٩٨٦. وشجّع بن لادن وعزّام الصحافيين السعوديين، مثل: جمال خاشقجي، على زيارة أفغانستان ومهّدوا لها الطريق. وبدءاً بعام ١٩٨٦، سلّطت المجلات التي ترعاها رابطة العالم الإسلامي، مثل: الرابطة وأخبار العالم الإسلامي، الضوء على مشاركة السعوديين، محرّضة، ضمناً، أشقّاءهم على اللحاق بهم. وعلى سبيل المثال، تباهت

---

l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph.D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de = Paris, 2007), pp. 312-314.

(١٤) **الجهاد**: العدد ٥٠ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨)، ص ٣٣، والعدد ٥٣ (نيسان/ أبريل ١٩٨٩)، ص ٣٦، ومحمد، المصدر نفسه، ص ١٨٤، ٢١٤، ٢١٦، ٢٤٣ و٣٠٥.

مجلة **الرابطة** على صدر صفحتها الأولى في نيسان/أبريل ١٩٨٧ بأنّ «أغلبَ الشهداء سعوديون»، ونشرت في أيار/مايو ١٩٨٨ سير لشهداء عرب نقلاً عن مجلة **الجهاد**(١٥).

العامل الآخر هو تأثير الشبكة الطبيعية لقدوم المقاتلين المتطوّعين السعوديين بدءاً بالعام ١٩٨٤؛ إذْ إنّ كل شخص جديد أصبح مصدر إلهام لأشخاص آخرين من أسرته أو وسطه الاجتماعي أو مدرسته أو الحيّ الذي كان يقيم فيه؛ لكي يلحق به. والظاهر أنّ أواسط عام ١٩٨٧ شكلت نقطة التحوّل في التعبئة؛ لأنّ التجنيد تجاوز بعدَها الشبكاتِ الاجتماعية الشخصية، وشمل أغلب المناطق في البلاد. في هذه المرحلة، قلّص بن لادن جهوده التعبوية في المملكة العربية السعودية؛ لأنه لم تعد هناك حاجة إليها. ومن الناحية الفعلية، أضحى التيارُ الجهادي السعودي حركةً اجتماعية.

أفضل مؤشر على اكتساب الحركة الجهادية قوّةَ دفع ذاتية أنها بقيت، في أواخر الثمانينيات، تجذب الأفراد إلى أفغانستان، بعد وقت طويل من انسحاب السوفيات في شباط/فبراير ١٩٨٩. وكان للعرب حضور قوي في بيشاور وأفغانستان طوال ما يسمّى الحرب الأهلية الأفغانية بين المجاهدين والنظام الشيوعي الذي ترأسه نجيب الله. ولم يصل عهد جهاد الأفغان العرب إلى خاتمته فعلاً إلّا في نيسان/أبريل ١٩٩٢ عندما أضحى وجودُ العرب في المنطقة غير لازم وغير مرغوب، ولا سيما من جانب السلطات الباكستانية، عقب استيلاء المجاهدين على كابل.

وإن عاد كثير من المتطوعين العرب، منهم: أسامة بن لادن نفسه، إلى ديارهم في عام ١٩٨٩، فقد بقيت بيوت الضيافة ومعسكرات

---

(١٥) حسن البنيّان، «أقدم الأفغان العرب السعوديين: شهادة ميلاد القاعدة، فكرة التنظيم مصرية،» **الشرق الأوسط**، ٢١/١١/٢٠٠١؛ **الرابطة**، العدد ٢٦٥ (نيسان/أبريل ١٩٨٧)، والعدد ٢٧٨ (أيار/مايو ١٩٨٨)، ص ٤٩ ـ ٥٣؛ **الجهاد**، العدد ٥٣ (نيسان/أبريل ١٩٨٩)؛ Zaidan, *The Afghan Arabs Media at Jihad*; Peter L. Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader* (New York: Free Press, 2006), p. 50ff; Mark Huband, *Warriors of the Prophet: The Struggle for Islam* (Boulder, CO: Westview Press, 1999), p. 3; Jamal Khashoggi: «Arab Youths Fight Shoulder to Shoulder with Mujahideen,» *Arab News*, 4/5/1988, and «Arab Mujahideen in Afghanistan-II: Masada Exemplifies the Unity of Islamic Ummah,» *Arab News*, 14/5/1988.

التدريب مفتوحة، خلال الحقبة الممتدة من عام ١٩٨٩ إلى عام ١٩٩٢. والتحق أغلب السعوديين، وإن لم يكن كلّهم ممن قدموا بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩٢، بـ «جمعية الدعوة إلى القرآن والحديث» في منطقة كونار النائية شمال غرب أفغانستان(١٦).

جميل الرّحمن هو الاسم المستعار لأحد قادة المجاهدين الأفغان يدعى مولوي حسين الذي انشقّ عن «الحزب الإسلامي»، بزعامة قلب الدِّين حكمتيار؛ لأسباب أيديولوجية في عام ١٩٨٥. أسس جميل في وقت قريب من العام ١٩٨٦، منظّمة مستقلّة في كونار، بتشجيع من رجال أعمال محافظين سعوديين وكويتيين ودعم مالي منهم. وقد استقطبت هذه المنظمة عدة سعوديين لخطّها السلفي المتشدّد ما أكسبها دعم العلماء السعوديين الرسميين. رأى المشايخ السعوديون أن جماعة جميل الرّحمن أنقى عقائدياً من مكتب الخدمات الذي هيمن عليه الإخوان المسلمون ومن الفصائل الثورية المصرية والأردنية في بيشاور. تتلمذ جميل الرّحمن على «أهل الحديث» في باكستان، وركّزت «جمعية الدعوة»، التي ترأسها، على القضايا الاجتماعية والشعائرية أكثر من الفصائل الأخرى. وفرضت، قسراً، حظر عبادة القبور والممارسات المحلّية الأخرى التي اعتُبرت بدعاً. تمتعت جماعة جميل الرّحمن بِصِلات واسعة في المملكة العربية السعودية، ونشرت مجلة **المجاهد** في بيشاور وكان انتشارها في المملكة أوسع من انتشار مجلة **الجهاد** التي أصدرها عزّام. لكنّ وتيرة قدوم السعوديين تباطأت، عقب اغتيال جميل الرّحمن في عام ١٩٩١، وانقطعت، تقريباً، بعد سقوط كابل، في عام ١٩٩٢(١٧).

---

(١٦) كانت جمعية الدعوة على علاقة وثيقة للغاية بالمنظمة الإسلامية الباكستانية «مركز الدعوة والإرشاد»، وبجناحها المسلّح عسكر طيبة. وشارك بعض المقاتلين العرب في تدريب ميليشيا عسكر طيبة في كونار في أوائل التسعينيات. انظر: مولانا أمير حمزة، **قافلة دعوة جهاد** (بالأردو) ([د. م.]: دار الأندلس، ٢٠٠٤).

(١٧) Barnett R. Rubin, «Arab Islamists in Afghanistan,» in: John L. Esposito, ed., *Political Islam: Revolution, Radicalism, or Reform?* (Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1997), pp. 96-97; Olivier Roy, *Islam and Resistance in Afghanistan*, Cambridge Middle East Library, 2nd ed. (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990), p. 118, and Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» pp. 318-322.

لا تتوافر بيانات دقيقة عن العدد الإجمالي للسعوديين الذين توجّهوا إلى أفغانستان، في الثمانينيات ومطلع التسعينيات. ذكر بعض المؤلفين أنّ عددهم وصل إلى عشرين ألفاً، بينما تفاوتت تقديرات الأفغان العرب السابقين بين بضعة آلاف وخمسة عشر ألفاً. وزُعم أن وزارة الداخلية السعودية أعدّت تقريراً في عام ١٩٩٥، ذكر أنّ اثني عشر ألفَ سعودي توجّهوا إلى أفغانستان[١٨]، وأياً يكن العدد الإجمالي الفعلي، لم يتلقّ تدريباً عسكرياً أو يشارك في القتال غير عدد قليل منهم، لأنّ أغلب هؤلاء السعوديين كانوا يقيمون في أفغانستان مدة شهر أو شهرين، في أثناء العطلة الصيفية، وتشير الأدلة القوليّة إلى أنّ أغلبهم لم يخض قتالاً على الإطلاق. وتحدّثت المنشوارت الجهادية عن استشهاد ٥٠ إلى ٣٠٠ سعودي فقط، في أثناء الحرب الأفغانية. لكن حتّى لو كان العدد «الحقيقي» للمجاهدين السعوديين بضع آلاف، فهو يظلّ عدداً كبيراً لغياب الوسط الإسلامي العسكري شبه المطلق عن الساحة السعودية في مطلع الثمانينيات، وهذا يعني ولادة حركة كاملة في سحابة خمس سنوات[١٩].

أسهمت التجربة الأفغانية في تسييس المتطوعين السعوديين وأطلعتهم على النقاشات التي كانت تحتدم في البوتقة الجهادية في بيشاور. شكّلت هذه المدينة الحدودية الباكستانية مقرّ إقامة بعض أهم الجماعات الثورية الاجتماعية والمنظرين الأيديولوجيين في العالم الإسلامي آنذاك. وبالمقابل، لم يكن لدى السعوديين الذين قدموا إلى بيشاور، في الثمانينيات، أي فكرة،

= وعندما بحث المؤلف في مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥، وجد أنّ المجلات الجهادية لا تزال على رفوفها. ووجد نسخة واحدة من كل عدد من مجلة **الجهاد**، لكنه وجد عشر نسخ من كل عدد من مجلة **المجاهد**.

(١٨) الجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» وأكرم حجازي، «رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية،» **القدس العربي**، ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٦؛ Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader*, pp. 41-42; James Bruce, «Arab Veterans of the Afghan War,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 7, no. 4 (1995), and Anthony H. Cordesman, *Islamic Extremism in Saudi Arabia and the Attack on Al Khobar* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2001), p. 4.

(١٩) الجاسر، المصدر نفسه، ص ٢٣، و Randal, *Osama: The Making of a Terrorist*, p. 76. جمع هذا المؤلِّف أسماء ثلاثة وأربعين سعودياً قُتلوا في أفغانستان قبل العام ١٩٩٢ وسيرهم الأساسية.

من الناحية الفعلية، عن النشاط العنيف المناوئ للنظام. ولا ريب في أنّ بعض السعوديين تأثّر بالمناخ الثوري وبالكتاب الذي صدر في سنة ١٩٨٩، بعنوان **الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية** لأبي محمد المقدسي ذي الجنسية الأردنية والتدريب السعودي والمقيم في بيشاور. شكّل الكتابُ أول بحث علمي ثوري اجتماعي صيغ بلغة الخطاب الدِّيني الوهّابي ولذلك كان مُلهباً في المملكة العربية السعودية، خصوصاً. لهذا السبب، اعتبرت الحكومةُ السعودية المقدسي أحد ألدّ أعدائها. لكن لا ينبغي المبالغة في تقدير «التأثير التكفيري» لبيشاور في التيار الإسلامي السعودي؛ إذْ إنه لم يكن في نية الغالبية العظمى من السعوديين الذين عادوا من أفغانستان، كمجاهدين كلاسيكيين، محاربة النظام السعودي[٢٠].

ومن ناحية أخرى، ليس في تقدير الأهمية الإجمالية للتجربة الأفغانية في تبلور الحركة الجهادية مبالغة. لقد أفرز الجهاد الأفغاني خطاباً وعالماً خيالياً ورمزياً، صاغ النشاط الإسلامي العسكري في التسعينيات، ولا يزال يصوغه إلى اليوم. زد على ذلك أنّه أعيد إنتاج العناصر الرئيسة في هياكل التعبئة وآليات التجنيد المستخدمة في الجهاد الأفغاني في سياقات متتابعة، كما سنرى بعد قليل. والأهم من ذلك أن أفغانستان بَنَت شهرة وصاغت روابط اجتماعية، خرّجت كادراً من الجهاديين المحترفين. وقُدّر لهؤلاء أن يصبحوا المنظّمين الأساسيين في ساحات الجهاد في التسعينيات بدءاً بالبوسنة[٢١].

ثانياً: الجهاد في البوسنة، الانحدار

قلّة هم الذين قدّروا، وأقلّ منهم الأفغان العرب أنفسهم، أن الساحة التالية للجهاد بعد أفغانستان ستكون إقليماً بيوغوسلافيا. عندما وصلت طليعة

---

(٢٠) مشاري الذايدي، «مطبخ بيشاور وطبخة غرناطة،» **الشرق الأوسط**، ١٥/ ٥/ ٢٠٠٣، وأبو محمد المقدسي، **الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية** (١٩٨٩)، <http:// www.tawhed.ws/r?i = r8830mff>.

(٢١) انظر على سبيل المثال: Anthony Davis, «Foreign Combatants in Afghanistan,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 5, no. 7 (1993), and Gilles Kepel: «Les Strategies islamistes de legitimation de la violence,» *Raisons politiques*, no. 9 (2003), p. 88, and «Terrorisme islamiste: De l'anticommunisme au jihad anti-américain,» *Ramses* (2003), pp. 45-46.

المقاتلين العرب، لم يكن لديهم أي معرفة بالمنطقة عملياً. وكما ذكر سعودي جاهد في البوسنة: «لم نعرف أين تقع البوسنة، أفي أميركا هي أم في نصف الكرة الجنوبي أم في آسيا؟ لم يكن لدينا أدنى فكرة عن مكانها. وبعد أن تبيّن لنا أنها جزء من يوغوسلافيا في أوروبا الشرقية، بقينا غير متأكدين من عدد المسلمين الموجودين هناك ولم نعرف كيف دخلها الإسلام ومتى كان ذلك». وفي غضون ستة شهور من وصول القادمين الأُول، بات مئات المقاتلين المتطوّعين من أنحاء العالم العربي كافة يجوبون التلال البوسنية بعتادهم الحربي، وتبعهم خلق كثير(٢٢).

اندلع الصراع البوسني فيما كان البساط يُسحَب من تحت أرجل الأفغان العرب في باكستان واحتاج كثيرٌ من المسلّحين إلى مكان جديد يتوجهون إليه. بدأت الحركة الجهادية في البوسنة، في أواخر شهر نيسان/ أبريل أو في مطلع أيار/ مايو ١٩٩٢، عندما اجتمع وفد من أربعة من الأفغان العرب البارزين قدموا من بيشاور، على رأسهم السعودي عبد الرّحمن الدوسري (الملقَّب بأبي عبد العزيز، والملقَّب «برباروس» على اسم أميرال عثماني عاش في القرن السادس عشر) بالشيخ المصري أنور شعبان المقيم بإيطاليا، وذهبوا جميعاً في رحلة استكشافية مشتركة إلى البوسنة؛ للوقوف على الأوضاع هناك وسبر آفاق المشاركة العربية. سبق أن تعرّف الجميع إلى بعضهم في أفغانستان ولمحوا نفعاً متبادَلاً في القتال هناك: أراد برباروس إيجاد قاعدة بديلة عن بيشاور، وأراد شعبان الاضطلاع بدور يشبه دور عبد الله عزّام في الجهاد البوسني. سُرّوا بما رأَوا وأقاموا معسكراً قريباً من زينيكا وبدؤوا باستنفار شبكتهم الأفغانية العربية المختلفة الجنسيات. أشاعوا الحديث عن الحاجة إلى مجاهدين، وفي غضون أسابيع قدم مزيد من المقاتلين العرب، ودارت عجلة المجنّدين وجامعي الأموال في مختلف أنحاء الشرق الأوسط(٢٣).

تحرك شعبان وبرباروس بسرعة، ربما آخذَين نموذج مكتب الخدمات

---

(٢٢) Evan Kohlmann, *Al-Qaida's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network* (London: Berg, 2004), p. 19.

(٢٣) انظر مقابلة مع شيخ المجاهدين أبو عبد العزيز، في: مجلة **الصراط المستقيم**، العدد ٣٣ (١٩٩٤)، وانظر أيضاً: Kohlmann, Ibid., p. 23.

في الاعتبار، وأقاموا مكوّنَين تنظيميَّين جوهريَّين، وعلى التحديد وحدة لوجستية وكادراً من المدرِّبين النخبويين. وفي مرحلة معيّنة في مطلع صيف العام ١٩٩٢، افتتحت المنظمة الخيرية التي تسمى «لجنة البرّ الإسلامية» مكتباً برئاسة شخص يدعى إنعام أرناؤوط في زَغرب (Zagreb) في جمهورية كرواتيا المجاورة. أصبحت اللجنة التي عُرفت أيضاً باسم «جمعية البرّ الخيرية» مكتب خدمات الجهاد البوسني، من الناحية الفعلية. وبحسب أرناؤوط نفسه، رعت اللجنة المقاتلين المتطوّعين، والتقت بهم في المطار، ونقلتهم الى البوسنة ووفرت لهم الإقامة في مرافق الجمعية، كما شحنت الاسلحة والتجهيزات العسكرية إلى البوسنة وكل ذلك تحت غطاء العمل الإنساني. كما أصدرت اللجنة منشورات وأفلام فيديو؛ لجمع الأموال من المانحين الموسرين في الخليج. كما وسّعت جمعيات خيرية إسلامية أخرى، مثل: «هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية» و«وكالة إغاثة العالم الثالث» خدماتها، مثل: توفير تأشيرات زيارة وبطاقات هويّة مزوّرة للمقاتلين العرب، لكنّ لجنة البرّ الإسلامية كانت الكيان الأهم. وفي عام ٢٠٠٥، كشف مقاتل بحريني سابق احتُجز في البوسنة اسمه علي أحمد علي حمد تفاصيل كثيرة عن الجمعيات الخيرية السعودية التي عملت في البوسنة في أثناء الحرب. وذكر، على الخصوص، أنّ موظفين يعملون في مؤسسة الحرمين و«اللجنة العليا السعودية لشؤون اللاجئين» عامتهم من قدامى المجاهدين السعوديين في أفغانستان. وذكر، أيضاً، أنّ اللجنة العليا السعودية قدّمت الأموال والمركبات والرعاية الصحيّة للمقاتلين العرب، وأنّها استخدمت مركّبات تحمل لوحات دبلوماسية في نقل المقاتلين الجرحى. وأشار المفوّض السامي لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة، في وقت لاحق، إلى أنّه «برغم أن غالبية تلك الوكالات مجرِّبة وعالية المهنية، فإن البعض الآخر ليس كذلك. كان لبعضها روابط مريبة بأطراف محاربة، وجماعات أصولية، ومرتزقة، ووكالات استخبارية، ومهرّبي أسلحة وتجار في السوق السوداء»[٢٤].

---

(٢٤) **الشرق الأوسط**: ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٥، و٨/ ٨/ ٢٠٠٦؛ Evan F. Kohlmann, «The Role of Islamic Charities in International Terrorist Recruitment and Financing,» *DIIS Working Paper* =

اكتمل بناء المكوّن الأساس الثاني، أعني الكادر العسكري، في خريف العام ١٩٩٢، عقب زيارة لزغرب قام بها جمال الفضل، مبعوث أسامة بن لادن، قادماً من السودان. اجتمع الفضل ببرباروس وإنعام أرناؤوط وأبي الزبير المدني (قريب بن لادن) في زغرب، واتفقوا على إرسال توصية مشتركة باستقدام تسعة مدرّبين نخبويين من مخيم سادا (Sada) الأفغاني إلى البوسنة. كانت خطوة مهمّة؛ لأنها أفهمت أوساط الأفغان العرب أن شخصيات قيادية، مثل: أسامة بن لادن تؤازر الجهد الجهادي البوسني(٢٥).

وردت أولى التقارير التي تحدّثت عن سقوط بعض العرب في ساحات القتال في حزيران/يونيو ١٩٩٢، وبحلول أيلول/سبتمبر ١٩٩٢، باتت وحدات مؤلفة من خمسين عربياً، على الأكثر، جاهزة للعمل. وفي نهاية العام ١٩٩٢، كان قد توجّه إلى البوسنة نحو ٥٠٠ متطوع أجنبي (عامّتهم من العرب). وتواصل تدفق المجنّدين حتى أواسط العام ١٩٩٣، على الأقل، عندما ظهر أنه تباطأ بعض الشيء. وعندما انتهى الصراع في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٥، كان قد شارك في القتال في البوسنة ألف عربي على الأقل(٢٦).

الظاهر أنّه تمّ تقسيم المجاهدين، في النصف الأول من مجريات الحرب على الأقل، إلى وحدتين منفصلتين. فمن ناحية، تشكّلت وحدة

(Danish Institute for International Studies) (2006), pp. 6-10; *USA v. Enaam Arnaout- Government's* = *Evidentiary Proer* (Northern District of Illinois, 2003), and Eric Lichtblau, «Documents Back Saudi Link to Extremists,» *New York Times*, 24/6/2009.

انظر أيضاً وثائق مرجعية ذات صلة على الموقع <http://www.nytimes.com>.

انظر أيضاً: Mark Cutts, «The Humanitarian Operation in Bosnia, 1992-1995: Dilemmas of Negotiating Humanitarian Access,» *New Issues in Refugee Research* (UNHCR), Working Paper, no. 8 (1999), p. 24, <http://www.unhcr.org/3ae6a0c58.html>.

(٢٥) *USA v. Usama Bin Ladin [et al.]* (District Court of Southern New York, 2001), pp. 315-316.

(٢٦) Milan Vego, «The Army of Bosnia and Hercegovina,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 5, no. 2 (1993).

تفاوتت تقديرات العدد الإجمالي للمقاتلين العرب «بين ٥٠٠ و١٠٠٠». انظر: Bruce, «Arab Veterans of the Afghan War».

وبين ما يصل إلى ٦٠٠٠. انظر: Stephen Schwartz, «Wahhabism and al Qaeda in Bosnia Herzegovina,» *Terrorism Monitor*, vol. 2, no. 20 (2004).

تقليدية حسنة التنظيم اسمها «كتيبة المجاهدين» ضُمّت إلى الجيش البوسني. ومن ناحية أخرى، انخرطت كوكبة من مجموعات أصغر وأقل تماسكاً في عمليات ارتجالية مثيرة للجدل. ضمّت المجموعة الأولى، والتي اعتُبرت الوحدة الرئيسة للمتطوّعين الأجانب، مصريين وجزائريين وخليطاً من أبناء جنسيات أخرى. والظاهر أنّها تألّفت من نحو ٥٠٠ رجل على الأكثر. تولّى برباروس إمارة هذه الوحدة أولاً، ثم خلفه شخص يدعى أبا معالي في عام ١٩٩٣، فيما كان أنور شعبان القائد السياسي والروحي لكتيبة المجاهدين. وترأس الوحدة الثانية السعودي أبو الزبير الحائلي، وكانت أصغر حجماً وضمّت مقاتلين أكثر خبرة. وقد ضمّت مجموعات صغيرة انتشرت في أماكن مختلفة، وكانت تلتحق بالقوى الأخرى عند اندلاع معارك طاحنة. وتطوّرت بعض الوحدات العربية، ولا سيّما في معسكر الحائلي، إلى عصابات إجراميّة خارجة عن السيطرة نفّرت أغلب الناس بسيرتها ولطّخت سمعة العرب[٢٧].

برز السعوديون على ساحة البوسنة منذ المراحل الأولى. وقد قدم بعضهم من بيشاور، مباشرة، مثل برباروس، في حين توجّه آخرون من المملكة العربية السعودية رأساً إلى البوسنة. والواضح أن السعوديين شكّلوا أغلب المجاهدين في المعارك التي شارك فيها العرب في خريف العام ١٩٩٢. والظّاهر أنّ تدفّق السعوديين تباطأ بعض الشيء في وقت لاحق من الحرب، وأنّهم هيمنوا على مجموعة الحائلي.

اضطلع برباروس بدور أساس في الترويج للقضية البوسنية، في المملكة العربية السعودية. سافر إلى الشرق الأوسط في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩٢، في رحلة مهمّة لجمع التبرّعات، وجال على تركيا والأردن والكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية وباكستان. ونشط، على وجه الخصوص، في بلده الأم فأجرى مقابلات مطوّلة مع الصحافة

---

(٢٧) **القدس العربي**: ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٥، و٢/ ٤/ ٢٠٠٥؛ مقابلة مع شيخ المجاهدين أبو عبد العزيز، في: مجلة **الصراط المستقيم**، العدد ٣٣ (١٩٩٤)، Bruce, Ibid., and «Bin Laden and the Balkans: the Politics of Anti-Terrorism,» International Crisis Group, 9 November 2011, pp. 11-12, <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2001/bin-laden-and-the-balkans-the-politics-of-anti-terrorism.aspx>.

السعودية وألقى محاضرات كثيرة. وراجت تسجيلات خطبه داخل المملكة وخارجها. وهناك شريط سمعي شهير سجّل مناقشة بين برباروس والشيخ السلفي البارز ناصر الدِّين الألباني، في أثناء لقاء انعقد في عمّان[٢٨].

إحدى أهمّ المهام التي أنيطت ببرباروس، كانت إقناع العلماء بأنّ الوضع في البوسنة جهاد مشروع يستحق دعماً مالياً وعسكرياً. وجد برباروس ورفاقه الناشطون رغبة لدى كثير من العلماء في الإنصات، بالنظر إلى المناخ الإسلامي الوحدوي السائد في المملكة آنذاك. وكما ذكر المجاهد السابق ناصر البحري، في وقت لاحق: «لا يوجد شيخ أو واعظ لم يتحدث عن الجهاد بالبوسنة والهرسك وعن معاناة المسلمين في المناطق الأخرى». وقد اضطلع العلماء بدور حاسم؛ لأنهم شكّلوا حلقة الوصل الرئيسة بين المانحين والمتطوعين، وليس لأنهم أثبتوا المشروعية الدِّينية للقضية فقط. وعندما استعلم المتطوّعون عن كيفية التوجّه إلى البوسنة، دلّهم هؤلاء العلماء أنفسهم على متبرّع، أو قدّموا لهم المال من التبرّعات المتاحة. وكما بيّن ناصر البحري المجاهد السابق:

«أنا على سبيل المثال جهّزتني، في أول انطلاقة لي للجهاد، امرأة تعمل مدرّسة، سمعت عن مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك، فأرادت المساهمة بالدفاع عنهم، فتساءلت ما هو أفضل شيء يمكنني المشاركة به ذلك؟ فكان الجواب: جهّزي مجاهداً، فقالت: أتبرع براتب شهر كامل لتجهيز مجاهد، وكان يساوي تقريباً ألفي دولار، وكان ذلك المبلغ أول تجهيز لي للجهاد في البوسنة والهرسك»[٢٩].

وهناك مجنّد سعودي مهم آخر صديق لبرباروس يدعى خالد الحربي (الملقّب بأبي سليمان المكّي) عمل مدرّساً للتربية الدِّينية في مكّة، قبل أن يصبح مجاهداً ذائع الصيت في أفغانستان. وعقب زيارة الحربي للبوسنة والهرسك في مطلع صيف العام ١٩٩٢، عاد إلى المملكة لإحضار مزيد من المتطوعين. ونظراً إلى أنه مدرّس سابق وأحد الأفغان العرب، تمتع

---

(٢٨) **القدس العربي**، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥، و Kohlmann, «The Role of Islamic Charities in International Terrorist Recruitment and Financing».

(٢٩) **القدس العربي**، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥.

بشبكة واسعة من المعارف استمدّ المتطوعين منها، ولا سيما في بلده مكّة وفي باقي أنحاء الحجاز، وهذا سبب كون كثير من السعوديين الأوائل، الذين قاتلوا في البوسنة، من مكّة المكرّمة وجدّة(٣٠).

انطلقت حملة تعبئة السعوديين على ما يرام، لكنها تباطأت شيئاً فشيئاً. واتضح، بحلول عام ١٩٩٥، أنّ الجهاد البوسني قد أخفق؛ إذْ إن المجتمع الدولي ناوأ العرب، والحكومة السعودية لم تقدّم لهم مساعدات بقدر ما تمنّوا، وبدا البوسنيّون ناكرين للجميل وغير مبالين. وبحلول وقت توقيع معاهدة دايتون، في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٥، كان أغلب السعوديين قد رحلوا عن البوسنة عائدين إلى المملكة. رأى بعضهم أنهم أكملوا مهمتهم وأرادوا العودة إلى حياتهم الطبيعية، وتوقف بعضهم الآخر، ببساطة، «لالتقاط الأنفاس» استعداداً لمغامرات جديدة. وعندما سئل ناصر البحري عن المكان الذي توجّه إليه المجاهدون العرب بعد تنكيس راية الجهاد البوسني أجاب «قررت مجموعة منهم التوجّه إلى الفلبين، فيما توجهت مجموعة أخرى إلى الشيشان. وكنت في عداد المجموعة الثالثة التي قصدت الصومال. ولذلك تحوّلوا من «شهاب» واحد إلى عدة «نيازك»»(٣١).

ثالثاً: طاجيكستان، والشيشان، وجبهات الجهاد الثانوية

لم تكن الحربُ البوسنية الصراعَ الوحيد الذي جذب المجاهدين السعوديين في النصف الأول من عقد التسعينيات؛ إذْ دارت رحى عدد من الصراعات المسلّحة، في الوقت عينه تقريباً، وخصوصاً في الجزائر والصومال والفيليبين وكشمير وإرتريا (Eriterea) وطاجيكستان والشيشان. وفي مرحلة معيّنة شارك المسلّحون السعوديون في هذه الصراعات كلّها، وإن بدرجات متفاوتة جداً.

عندما وصل الجهاد الأفغاني إلى خاتمته، في ربيع العام ١٩٩٢، بحث المجاهدون عن ساحات جديدة يمكنهم القتال فيها ذوداً عن الأمّة.

---

(٣٠) **القدس العربي**، ٢/٤/٢٠٠٥.

(٣١) المصدر نفسه.

كان كثيرٌ من هؤلاء الناشطين فَتِياً، وليس لديه معرفة جيدة بالسياسة الدولية أو إلمام بالثقافات الأجنبية، لذلك تضمّن البحث عن ميادين قتالية جديدة عنصر ارتجال غالباً. سرت أقاويل عديدة مختلفة في بيشاور عن فرص متاحة للجهاد، جذب كل منها مجموعة صغيرة من الأفراد المغامرين. وبعد سقوط كابل، حاول بعض السعوديين الوصول إلى كشمير. لكنّ الحكومة الباكستانية لم تسمح بذلك؛ خشيةَ الإضرار بعلاقاتها بالهند. وسافر آخرون إلى أماكن مثل الفيليبين وإرتريا، في أواسط التسعينيات، وإن لم يتكشّف كثيرٌ عن تفاصيل مشاركاتهم هناك[٣٢].

برز اسم الجزائر كثيراً في الحوارات العامة السعودية؛ لأسباب منها: متابعة وعّاظ صحويين الحرب الجزائرية باهتمام شديد، مثل: الشيخ سَفَر الحَوالي وانتقادهم النظام السعودي؛ لعدم مؤازرته الجبهة الإسلامية للإنقاذ. كما تعاطف الوسط الإسلامي السعودي برمته مع الإسلاميين الجزائريين، لكنّ المشاركة، عسكرياً، في ذلك الصراع لم تكن واردة على الإطلاق في أذهان أغلب الجهاديين السعوديين؛ لأنه صراع داخلي وليس جهاداً كلاسيكياً بين مسلمين وغير مسلمين؛ وإذْ أجرى أسامة بن لادن اتصالات متفرقة مع مسلّحين جزائريين من قاعدته في السودان، الظاهر أنه لم يرسل أشخاصاً إلى هناك. ومع ذلك، توجّه عدد قليل من الجهاديين

---

(٣٢) مقابلة مع شيخ المجاهدين أبي عبد العزيز، في: مجلة **الصراط المستقيم**، العدد ٣٣ (١٩٩٤)، والجاسر، «قصة الأفغان السعوديين،» ص ٢٢. زُعم أن جمال خليفة، زوج أخت أسامة بن لادن عمل مسؤول ارتباط بين بن لادن وجماعات مسلّحة فيليبينية في التسعينيات. انظر: Anonymous, *Through Our Enemies' Eye: Osama bin Laden, Radical Islam, and the Future of America* (Washington, DC: Brassey's, 2002), pp. 180-182.

وفي أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥، اعتُقل سعوديان، هما صالح القُوَيعي وزايد الأمير في مانيلا بتهم تتعلّق بالإرهاب. انظر: Robert McFadden, «Nine Suspected of Terrorism are Arrested in Manila,» *New York Times*, 31/12/1995.

وصف جمال الفضل اللقاءات التي عُقدت في الخرطوم بين القاعدة وجماعة إرترية تسمى «جماعة الجهاد في إرتريا». انظر: *USA v. Usama Bin Ladin [et al.]*, pp. 328-329.

ونحن نعرف، في الحدّ الأدنى، اسميْ سعوديَّين قاتلا في إرِتريا، الأول هو عبد العزيز المقرن والثاني يكنّى أبا حسن المكي. انظر: حمد القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك** (كتاب إلكتروني)، ط ٢ (٢٠٠٢)، ص ١٦٨ ـ ١٦٩، <http://www.saaid.net/Doat/hamad/index.htm>.

السعوديين إلى الجزائر، منهم: عبد العزيز المقرن الذي أقام هناك نحو شهر في عام ١٩٩٤ أو ١٩٩٥، بعد أن تعرّف إلى جزائريين في البوسنة. وزُعم أنه شارك في تهريب الأسلحة بين إسبانيا والجزائر، لكنه اضطُرّ إلى الهرب بعد أن فكّكت السلطاتُ الجزائرية خليتَه[٣٣].

شهد الصومال أيضاً قدوم أعداد ضئيلة من الجهاديين السعوديين، وانقسمت مشاركة هؤلاء إلى مرحلتين؛ **في المرحلة الأولى** سعى أسامة بن لادن إلى مساندة المقاومة الصومالية لقوات الأمم المتحدة التي انتشرت في «عملية استعادة الأمل» عام ١٩٩٣. رأى بن لادن، في هذا التدخّل، انتهاكاً آخر لبلاد المسلمين ومسعى من جانب الولايات المتحدة؛ لإيجاد موطئ قدم لها في أفريقيا؛ لغزو دول في الشرق الأوسط. لذلك، أوفد فريقاً صغيراً من مدرّبين عسكريين من السودان إلى الصومال. قاد المهمةَ مسلّحون مصريون مجرّبون مثل أبي حفص المصري، وإن تضمّن الفريق بعض السعوديين، مثل: يوسف العُيَيْري (الذي أسّس تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق)، ومحمد عودة أحد الذين دبّروا تفجيرات شرق أفريقيا عام ١٩٩٨؛ وإذْ لم يتضح الدور الدقيق الذي اضطلع به العرب في أحداث ١٩٩٣، تشير الأدلّة التي ظهرت مؤخراً إلى أنّ مشاركة بن لادن أكبر مما كان يُظَنّ سابقاً[٣٤].

جاءت المرحلة الثانية لمشاركة العرب في الصومال في سياق الصراع في أوغادين بين الصومال وإثيوبيا. ففي عام ١٩٩٤ أو ١٩٩٥، انتقلت مجموعات صغيرة من العرب الذين قاتلوا في البوسنة عبر المملكة العربية السعودية أو اليمن إلى أوغادين؛ لمؤازرة «الاتحاد الإسلامي» في حربه مع الإثيوبيين المسيحيين، من هؤلاء: عبد العزيز المقرن الذي أصبح، في ما بعد، نائب أمير القاعدة في جزيرة العرب

---

(٣٣) «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣)، و Mamoun Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), pp. 83-84.

(٣٤) محمد السالم، «يوسف العُيَيْري؛ شموخ في زمن الهوان،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣)، و Clint Watts, Jacob Shapiro and Vahid Brown, *Al-Qa'ida's (Mis)Adventures in the Horn of Africa* (West Point: Combating Terrorism Center, 2007).

والذي أُسر، في النهاية، وسُجن في إثيوبيا؛ حيث أمضى سنتين ونصف السنة، قبل تسليمه إلى المملكة العربية السعودية[٣٥].

الساحة الأهم التي شارك فيها الأفغان العرب، في مطلع التسعينيات، هي: طاجيكستان التي شهدت في عام ١٩٩٢ حرباً أهلية، استمرّت خمس سنين بعد استقلال البلاد عن الاتحاد السوفياتي. ارتُكبت سلسلة من المجازر في كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير ١٩٩٣؛ ما أرغم المعارضة الإسلامية الطاجيكية وآلاف المدنيين على الفرار إلى أفغانستان. التمس حزبُ النهضة الإسلامي الطاجيكي المساعدة من العرب في بيشاور. حصل ذلك، وقت شروعهم بمغادرة باكستان وأفغانستان وبعد خيبة أمل كثيرٍ منهم في أمراء الحرب الأفغان المتناحرين. وكما هي الحال في الجزائر، لم يكن الصراع الإسلامي في طاجيكستان جهاداً كلاسيكيّاً واضحاً؛ لأنّ النظام الجديد مسلم في ظاهره. بيد أنّ المساندة الروسية القوية للحكومة الطاجيكية جعلت بعض المقاتلين الأجانب يرون في الصراع، هناك، مقاومةً لاحتلال روسي فعلي، وامتداداً للجهاد في أفغانستان. لذلك، توجّهت مجموعات متتالية ثلاث، من المقاتلين العرب إلى طاجيكستان، في ربيع وصيف العام ١٩٩٣؛ لمقارعة النظام المدعوم من روسيا في دوشنبيه. أغلب هؤلاء المقاتلين كانوا سعوديين وذاع صيت بعضهم في وقت لاحق، مثل: سامر السُّوَيلم (خطّاب). وقد أقاموا في جنوب طاجيكستان إلى أن أُرغموا على الرحيل في عام ١٩٩٥[٣٦].

---

(٣٥) «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)».

(٣٦) قاد المجموعات الثلاث يعقوب البحر، و(ابن) خطّاب (سامر السويلم)، وأسامة أزمراي (والي خان) على التوالي. وزُعم أن إحدى هذه المجموعات تلقّت أموالاً من الشيخ سلمان العودة. وبينما سُرّحت المجموعة الأخيرة في وقت مبكر، قاتلت المجموعتان الأوليان نحو سنتين. وقد توغّلت مجموعة يعقوب البحر في عمق الأراضي الطاجيكية، بينما نشط خطّاب في المناطق الحدودية. وضمّت سرية الخطّاب عدداً من الأشخاص الذي أصبحوا، لاحقاً، أعضاء بارزين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثل خالد السُّبَيت وصالح العوفي. انظر: **الشرق الأوسط**، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤؛ **القدس العربي**، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥؛ أبو الزبير المدني، في: القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك**، ص ١١٩ ـ ١٢٠؛ عيسى بن سعد العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٥ (٢٠٠٤)؛ Raid Qusti, «Background of the Most Wanted Terrorists-Part 2,» *Arab News*, 12/12/2003; Huband, *Warriors of the Prophet: The Struggle for Islam*, p. 14, and *USA v. Usama Bin Ladin [et al.]*, p. 355.

احتدم الصراع، مرة أخرى، في عام ١٩٩٦، وانجرّ الروس إلى التدخّل عسكرياً ما أعطى الجهاد صبغة أكثر كلاسيكية. وقد شكّل ذلك دافعاً للعرب؛ ليحاولوا ثانية المشاركة في الجهاد الطاجيكي في أواسط عام ١٩٩٦. ضمّت هذه المفرزة التي عُرفت، لاحقاً، باسم «المجموعة الشمالية» بعض من طُردوا في عام ١٩٩٥، فضلاً عن عدد من المتطوّعين الجدد. قاد شخص يدعى حمزة الغامدي المجموعة التي ضمّت ستة وثلاثين شخصاً، عامتهم من السعوديين. وقد استطاعت الوصول إلى شمال أفغانستان، لكنّها لم تستطع دخول طاجيكستان، فاتجهت جنوباً نحو جلال أباد؛ حيث التقت بسعودي آخر استقرّ في أفغانستان، مؤخّراً هو أسامة بن لادن. وانضمّ إلى تنظيم القاعدة، في نهاية المطاف، عدد من أعضاء المجموعة الشمالية، منهم من أضحى شخصيّات شهيرة، مثل: عبد الرحيم النّاشري وعمر الفاروق وناصر البحري(٣٧).

مع وصول الجهاد الطاجيكي إلى خاتمته، سنحت فرص جديدة في جمهورية الشيشان القوقازية؛ حيث دارت رحى حرب بين دعاة الانفصال وروسيا، في أواخر عام ١٩٩٥، ثم استعرت نار حرب أخرى، في عام ١٩٩٩. يمكن وصف الصراع الشيشاني بسهولة بأنه جهاد كلاسيكي؛ لأن الصراع اندلع بين سكان مسلمين محلّيين ومحتلّين غير مسلمين، وقد كان صراعاً وحشياً للغاية. أضحت الشيشان، في نظر الحركة الجهادية السعودية، قضيةً مهمة للغاية جذبت المتطوعين حتى في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وفي الواقع، أمست الشيشان، في أواخر التسعينيات، ومطلع العقد الأول من القرن الحالي، مقصداً أكثر جذباً للمقاتلين المتطوعين السعوديين من أفغانستان؛ لأنه جهاد كلاسيكي أقلّ إثارة للجدل من الجهاد العالمي الذي أعلنه بن لادن على أمريكا.

أمكن العرب المشاركة في حرب الشيشان، في بادئ الأمر، بفضل إسلامي شيشاني أردنيّ المولد اسمه فتحي محمد حبيب (الملقّب بأبي سيّاف). عاش حبيب طفولته في عمّان ودرس الهندسة في ألمانيا وأمريكا قبل توجّهه إلى أفغانستان في الثمانينيات؛ حيث عمل بشكل وثيق مع سيّاف. ثم

(٣٧) القدس العربي، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥.

استقرّ في الشيشان في عام ١٩٩٢؛ حيث أسّس مدرسة إسلامية وبدأ باستخدام صلاته بالعرب في جمع التبرّعات للعمل الدعوي في الشيشان. وعندما اندلعت الحرب الأولى، في أواخر عام ١٩٩٤، استخدم صلاته في استقدام الأفغان العرب إلى الشيشان. وفي مطلع العام ١٩٩٥، تلقّى خطّاب نبأ غزو الروس للشيشان فيما كانت فرص الجهاد في طاجيكستان تتضاءل. فقد بعث الشيخ فتحي برسالة إلى خطّاب حثّه فيها على المجيء إلى الشيشان فلبّى طلبه في ربيع عام ١٩٩٥. ومن ثَمّ لحِق بخطّاب أقدم رفاق السلاح في أفغانستان. وقُدّر لبعض أصحاب خطّاب الأُول أن يصبحوا شخصيات جهادية أسطورية، مثل: محمد التميمي (الملقّب بأبي عمر السيف) كبير منظّري العرب الشيشانيين، وعبد العزيز الغامدي (الملقّب بأبي الوليد الغامدي) وهو أحد من خلفوا خطّاباً في قيادة المجاهدين الأجانب في الشيشان؛ وسُهَيل السهلي (الملقّب بياسين البحر) الذي قاد أولى كتائب المقاتلين الأجانب في شمال العراق، في مطلع العام ٢٠٠٣[٣٨].

ما إن وصل خطّاب إلى الشيشان حتى شرع في بناء وحدة تحتية تدريبية، أدارها بالتعاون مع القائد الشيشاني الأسطوري شامل بساييف. وبحلول أواسط عام ١٩٩٥، أقيمت سلسلة إمداد لوجستي؛ لتيسير وفود المقاتلين الأجانب وكانت محطتاها الرئيستان إسطنبول (تركيا) وباكو (Baku) (عاصمة أذربيجان). أشرف العرب العاملون، تحت غطاء لجنة البرّ الخيرية، على المخبأ في باكو. وقد تمتع خطّاب بقدر من المساندة اللوجستية والمالية من داخل المملكة العربية السعودية؛ إذْ أفتى العلماء

(٣٨) انظر: Murad al-Shishani, *The Rise and Fall of Foreign Fighters in Chechnya* (Washington, DC: Jamestown Foundation, 2006), p. 7; Mowaffaq al-Nowaiser, «Khattab, the Man who Died for the Cause of Chechnya,» *Arab News*, 4/5/2002; «World Exclusive Interview with Field Commander Shamil Basayev,» (Azzam Publications, 2000), <http://www.islamicawakening.com>, and Julie Wilhelmsen, *When Separatists Become Islamists: The Case of Chechnya* (Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Rapport), 2004), p. 33.

انظر أيضاً: مقابلة أجراها المؤلف مع فارس بن حزام، دبي، في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥، وأبو الزبير المدني، في: القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك**، ص ١٢١ و١٢٧. لم يكن خطّاب أول العرب الذين قدموا إلى الشيشان؛ إذْ زُعم أن سعودياً اسمه فيحان العُتيبي (الملقّب بأبي تراب النجدي) ذهب إلى هناك قبله، لكنه اضطرّ إلى الرحيل؛ لأنه لم يجد عربياً غيره فلم يستطع التواصل مع المقاتلين المحلّيين.

السعوديون بأن المقاومة الشيشانية جهاد مشروع، وأرسل متبرعون سعوديون غير رسميين الأموال إلى خطّاب وإلى رفاقه الشيشانيين. وفي أواخر عام ١٩٩٦، استقبلت المملكةُ جرحى المجاهدين الذين أصيبوا في الشيشان لتلقّي العلاج الطبي الذي غطّت مصاريفه جمعيات خيرية وغضّت الدولةُ الطرف عنه. وعقب انتهاء الحرب الشيشانية الأولى، وسّع خطّاب أنشطته في الشيشان وبنى مزيداً من المعسكرات وأسّس معهداً تولّى فيه أصدقاء خطّاب السعوديون القدامى تدريس قادة الثوار الشيشان العلوم الشرعية والعسكرية. وغداة اندلاع الحرب الشيشانية الثانية، في أواخر عام ١٩٩٩، أغلق الروس حدود البلاد، من الناحية الفعلية؛ فلم يفلح غير عدد ضئيل جداً من المتطوعين الأجانب في الوصول إلى الشيشان، بعد العام ٢٠٠٠؛ وإذْ استمرّ وصول المساعدات المالية، فقد تقلّصت كثيراً، بعد الحملة التي طالت الجمعيات الخيرية الإسلامية بعد عام ٢٠٠١[٣٩].

لا يُعرف، على وجه الدقة، عدد العرب الذين التحقوا بخطّاب بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٩، لكنّ الظاهر أن العدد لم يتجاوز عدة مئات، بل إنه ربما لم يتجاوز المئة. وقد جمع الصحافي والباحث الأردني مراد الشيشاني تراجم واحد وخمسين عربياً قاتلوا في الشيشان، منهم ثلاثون سعودياً. قدم أغلب هؤلاء السعوديين إلى الشيشان، في أثناء الفترة بين الحربين أي بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٩. كما إن اندلاع الحرب الثانية في خريف عام ١٩٩٩، حرّك عواطف جيل جديد من السعوديين الذين أرادوا المشاركة في الجهاد في الشيشان، لكن في تلك المرحلة، غدا الوصول إلى هناك صعباً جداً. لذلك، حطّ كثير من المجنّدين، بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، رحالهم في أفغانستان؛ حيث استقطبهم تنظيم

---

(٣٩) العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية»؛ Al-Shishani, Ibid., pp. 13-14; Aukai Collin, *My Jihad: The True Story of an American Mujahid's Amazing Journey from Usama Bin Laden's Training Camps to Counterterrorism with the FBI and CIA* (Guilford, Conn.: Lyons Press, 2002), p. 123; *USA v. Usama Bin Ladin [et al.]*, pp. 300-302, and Miriam Lanskoy, «Daghestan and Chechnya: The Wahhabi Challenge to the State,» *SAIS Review*, vol. 22, no. 2 (2002).

لمعرفة المزيد عن العرب الذين قاتلوا في الشيشان، انظر: Yossef Bodansky, *Chechen Jihad: Al Qaeda's Training Ground and the Next Wave of Terror* (New York: Harper, 2007).

القاعدة بقيادة أسامة بن لادن بعد أن كانت وجهتهم الشيشان(٤٠).

ذُكر أن علاقة خطّاب ببن لادن شابها فتور. ذلك أن خطّاب سعى، في أواخر الثمانينيات، إلى التمتع بقدر من الاستقلالية عن بن لادن وعن عزّام على حد سواء. وفي وقت قريب من عامي ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨، زُعم أن بن لادن دعا خطّاباً إلى توثيق عُرى التعاون معه، وأن خطّاب عرض رفضه بأدب في رسالة جوابية مكتوبة. لم يكن النفور أو التنافس، فقط، سبب الجفاء بين خطّاب وبن لادن، بل إنه عكس خلافاً أيديولوجياً بين فرعي الحركة الجهادية السعودية «الكلاسيكي» و«العالمي». فخطّاب لم يؤمن بمبدأ مهاجمة الولايات المتحدة الذي دعا إليه بن لادن كما لم يوافق على استهداف المدنيين. وفي سياق متصل، وصفت المصادر السعودية الوسط الجهادي في المملكة بأنه منقسم إلى «خطّابيين» و«بن لادنيين»، وكان الفريق الأول هو الأكثر عدداً(٤١).

استمرّ الحضور السعودي في الشيشان إلى أواسط العقد الأول من القرن الحالي على الأقل. ونشط خطّاب كقائد فدائي إلى أن اغتيل برسالة مسمومة أرسلتها الاستخبارات الروسية في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٢. ثم علا شأن رفيقه القديم أبي عمر السيف فأصبح أبرز المنظرين في الوسط الجهادي الدولي إلى أن قُتل هو الآخر، في أوائل كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥.

تُصوّر المؤلَّفات التاريخية الإسلامية صعود الحركة الجهادية السعودية بأنه نهوض عفوي للناس لصدّ العدوان الخارجي في أفغانستان والبوسنة والشيشان. لكنّ الواقع أعقد من ذلك بكثير، فهؤلاء «الناس» لم ينهضوا في أي من هذه القضايا واستنفارهم كان أبعد ما يكون عن العفوية. ومع أنه استُنفر بضع آلاف من الرجال، فذلك جاء ثمرة جهد ممنهج ومتواصل بذلته جماعات تنظيمية من أفراد متفانين.

أهم العوامل التي أسهمت في نجاح التعبئة صياغة عبد الله عزّام

---

(٤٠) Wilhelmsen, Ibid., p. 29, and Al-Shishani, Ibid.

(٤١) مقابلات أجراها المؤلف مع ناصر البرّاك وفارس بن حزام، و Almrei v. *Canada* (2005 FC 1645), (Federal Court of Canada, Ottawa, 2005), para. 366.

مذهب الجهاد الكلاسيكي في مطلع الثمانينيات؛ إذْ طرح مبرّراً جديداً ومُقنعاً للغاية؛ لمشاركة الأفراد في صراعات التحرّر الوطني التي يخوضها مسلمون آخرون. تمتّع مذهب عزّام بقدرة تعبوية عظيمة؛ لأنّه حرّك مشاعر الوحدة الإسلامية من دون ابتعاد عن مفهوم الجهاد المعهود، وإصراره، في الوقت عينه، على أنّ الجهاد فرض عين على جميع المسلمين، دفع العلماء إلى الوقوف على الحياد ومنحِ الجهاديين حرّية القتال حيث أرادوا.

اعتمدت التعبئة على المستوى التنظيمي على صيغة طوّرها مكتب الخدمات في أفغانستان، في ثمانينيات القرن الماضي، قوامها بناء بنية تحتية منفصلة للمقاتلين العرب، والتعاون الممنهج مع وسائل الإعلام واستغلال الجمعيات الخيرية في تحقيق غايات عسكرية. وقد طُبّقت المبادئ ذاتها على تعبئة السعوديين للجهاد في البوسنة والشيشان، وكذلك في عملية التجنيد بمعسكرات القاعدة في أفغانستان، في أواخر التسعينيات، وإن بدرجة أقلّ، غير أن بعض هذه العوامل أسهم في توهين الحركة الجهادية في أواسط التسعينيات. فالانعزال غدا شائبة، فبدا العرب دخلاء غرباء في البوسنة، بينما استغلّ الروس تواجد العرب في الشيشان في نزع مشروعية المقاومة الشيشانية. وكان التنظيم الرسمي نقطة ضعف متى انقلبت الجهات الفاعلة الحكومية عليهم. وفي نهاية المطاف، افتضح أمر استغلال الجمعيات الخيرية وضعفت صدقية الحركة الجهادية.

مع الضعف يبرز التطرّف، ربما وصلت الحركة الجهادية الكلاسيكية السعودية إلى ذروتها على صعيد الأعداد والدعم الشعبي، في وقت قريب من عام ١٩٨٩. لكنّ الظاهر أن عدد الأشخاص القادرين والمستعدين للسفر إلى الخارج للجهاد، تراجع، من ذلك الحين فصاعداً، وذلك لأسباب مختلفة. فالأشخاص الذين بَقَوا من أبناء الحركة كانوا الأكثر التزاماً واستعداداً للتضحية بأكثر من أيام العطل؛ للذود عن الأمّة الإسلامية. ومع تقلّص حجم الحركة ازدادت تطرّفاً وإثارة للجدل ما أدّى، في النهاية، إلى ولادة التيار الجهادي العالمي. وإذا كان فهم كيفية إسهام تجارب العيش في معسكرات التدريب والقتال في دفع المجاهدين السعوديين إلى التطرّف بمرور الوقت أمراً سهلاً، فالسؤال المحيّر هو عن الأسباب التي حدت بهؤلاء الناس إلى خوض تلك التجارب في المقام الأول.

الفصل الثالث

التجنيد والتوجه إلى جبهات الجهاد الأولى

وأدركنا أننا (أمّة) لها مكانتها المتميزة بين الأمم، وإلا ما الذي أخرجني من السعودية، وأصولي من اليمن لأذهب للقتال في البوسنة؟

ناصر البحري(*)

(*) القدس العربي، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥.

يتوخّى الراوي في أغلب الروايات التاريخية التي تحكي عن الجهاد في أفغانستان، في الثمانينيات، الحرص الشديد على تأكيد حجم التعبئة العربية، إلى حدّ أنه يترك انطباعاً لدى القارئ بأن الأفغان العرب شكلوا حركة مهيمنة، لكنّ الواضح أنّ الحال لم تكن كذلك. وحتى لو قبلنا بأن عدد المجاهدين السعوديين بلغ عشرين ألفاً، وهو تقدير مرتفع، يظلّ هذا العدد جزءاً صغيراً من سكان السعودية الذين تراوح عددهم بين ٦ ملايين و١٢ مليوناً آنذاك. وإذا رأى المرء ما يراه المؤلف أن عدد السعوديين الذين تلقوا تدريبات جدّية على استعمال الأسلحة، في تلك المرحلة، تراوح بين ألف شخص وخمسة آلاف على الأرجح، فنحن نتحدث، بالتأكيد، عن ظاهرة هامشية. وهذا يستتبع طرح السؤال الآتي: من هم الذين سافروا للجهاد ولماذا؟ سأحلّل، في هذا الفصل، سِيَر مئة وواحد وستين سعودياً، سافروا إلى أفغانستان والبوسنة وطاجيكستان والشيشان مجاهدين، قبل عام ١٩٩٦، بمعاينة خلفية كل منهم ودوافعه وأسلوب تجنيده(١).

أولاً: هيمنة حجازية

إذا نظرنا من زاوية اجتماعية واقتصادية، نجد أنّ المجاهدين السعوديين الأوائل شكلوا جماعة لا تسترعي الانتباه (انظر البيانات ذات الصلة في الملحق الرقم (١)). تألفت هذه المجموعة من شباب في أوائل العشرينيات من العمر، قدموا من خلفيات حضرية من الطبقة الوسطى. بيد أن طيف خلفيات الأفراد كان واسعاً وتضمن أشخاصاً

---

(١) للاطلاع على أعداد سكان السعودية، انظر: Alexei Vassiliev, *The History of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2000), p. 457.

عاديين وأعياناً. إن انعدام التجانس كان أقوى في المجاهدين الأوائل، في هذه المجموعة منه في مجموعة مجنّدي القاعدة في أواخر التسعينيات ومقاتلي تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في عام ٢٠٠٣، ما يعكس على الأرجح حقيقة أن التطوّع للجهاد كان نشاطاً أقلّ خطراً وإثارة للجدل، نسبياً، في الثمانينيات ومطلع التسعينيات.

لم يكن المجاهدون الأوائل كمجموعة مُعدَمين ولا متعصّبين دينياً قبل رحيلهم؛ إذْ يوصَف بعض المقاتلين بأنهم عاشوا سابقاً حياةً فيها بعض مظاهر الانحراف، ولم يعمل في القطاع الدِّيني غير عدد صغير منهم. لكنّ ذلك لا يعني أنهم كانوا مجرمين أو مدمنين على المخدرات. فإذا ظهرت علامات الانحراف في أقلية من هذه السير، فإن عدداً قليلاً منهم، إن وُجد أصلاً، دخل مخافر الشرطة قبل رحيله الأول. وعموماً، يظهر أن الإقصاء والحرمان لم يكونا عاملَين مهمَّين جداً، بل إنه كان لبعض المجنّدين مستقبل مشرق جداً، منهم أسامة بن لادن الذي عاش في بحبوحة، والشاب سامر السُّوَيلم (خطّاب) الذي كان تلميذاً نجيباً التحق بشركة أرامكو (Aramco) وخطط للدراسة في الولايات المتحدة[٢].

إحدى السمات المميِّزة للمجاهدين الأوائل أصلهم الجغرافي، وقد كان لمنطقة الحجاز تمثيل زائد، وبخاصة بالنسبة إلى المجنّدين قبل عام ١٩٨٧. والراجح أنّ سبب ذلك كون المحرِّضون الأوائل على الجهاد حجازيين، وبسبب الحضور القوي للشبكات الإسلامية الدولية المهمة، في مثلث المدن العالمية مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وجدّة. لكن مع تتابع الجهاد، أضحى السواد الأعظم للمجنّدين أقل تجانساً جغرافياً؛ فبدءاً بأواخر الثمانينيات، أصبحت أغلب المناطق ممَثَّلة، وإن بدرجات متفاوتة. تجدر الإشارة إلى الحضور القوي للمجنّدين القادمين من المنطقة الشرقية في العينة الفرعية ممن جاهدوا في الشيشان، ما يعكس في الراجح تأثير الشبكة الراجع إلى المشاركة المبكرة لخطّاب ورفاقه،

---

(٢) انظر: «The Martyrs of Afghanistan,» pp. 64-67, <http://www.alfirdaws.org>, and Mowaffaq al-Nowaiser, «Khattab, the Man who Died for the Cause of Chechnya,» *Arab News*, 4/5/2002.

لكن، على العموم، لا تُنبئنا الأحوالُ الاجتماعية والاقتصادية بالكثير عن أسباب توجّه هؤلاء إلى أفغانستان.

ثانياً: من أجل الأمّة والحياة الآخرة

لا ريب في أن الحكم على دوافع الجهاديين، بناء على إفاداتهم الخاصة، عمل محفوف بالمخاطر. فالسِّير التي تزخر بها المؤلفات الجهادية ذات طابع تمجيدي وتقدّم تبريرات معقلنة لقرار الشخص في المشاركة في الجهاد. زد على ذلك أن الدوافع معقدة ومركَّبة، بينما لمحة عامة، مثل التي نقدّمها هنا، ستكون اختزالية لا محالة. لكنّ هذه المصادر، على علّاتها، تظلّ مدخلنا الوحيد وغير المستكشَف، إلى الآن؛ لولوج عقول المجاهدين السعوديين الأوائل.

الدافع الرئيس المعلَن عنه في سِيَر السعوديين الذين توجهوا إلى جبهات الجهاد الأولى هو الرغبة في نصرة المسلمين المضطهدين. تُسلّط عامة السِّيَر الضوء على أمور ليست في حاجة إلى بيان، وهي أنّ جهات غير مسلمة احتلّت أراضي المسلمين في أفغانستان أو البوسنة أو الشيشان واضطهدتهم.

يقدّم لنا ناصر البحري أحد أوضح تفسيرات دور الوحدة الإسلامية في تحريض السعوديين على الجهاد في الخارج، في الثمانينيات وفي مطلع التسعينيات، وكان حارساً شخصياً لبن لادن، أجرت صحيفة **القدس العربي** حواراً مطوّلاً معه، في عام ٢٠٠٥. وقد وصف، بوضوح تحليلي مدهش، وعيَه السياسي المتزايد بشأن الأوضاع في أجزاء أخرى في العالم الإسلامي، وشعور الإحساس بالقهر والتضامن الوحدوي الإسلامي:

«فكان دافعنا الأساسي للجهاد هو الدفاع عن أراضي المسلمين، من خلال المآسي التي كنّا نشاهدها، والأحداث التي كنا نراها، بكاء الأطفال، ترمّل النساء، الأرقام الكبيرة لعمليات هتك الأعراض، فتأثرنا لذلك تأثراً كبيراً، وعندما انطلقنا للجهاد عشنا في واقع مرير ومناظر أعظم مما كنّا نتوقّعها أو نسمع عنها أو نشاهدها في وسائل الإعلام،

وكأننا كنا مثل القطة المغمّضة، وفتحت عيونها على هذا الهول؛ حيث بدأنا الاحتكاك الفعلي مع التيارات الأخرى من أعداء الأمة، وأصبح همّ (الأمّة) ينمو في رؤوسنا، وأدركنا أننا (أمةّ) لها مكانتها المتميّزة بين الأمم، وإلا ما الذي أخرجني من السعودية، وأصولي من اليمن لأذهب للقتال في البوسنة؟ موضوع القومية خرج من رؤوسنا وأصبحت عندنا نظرة أكبر من ذلك، وهو موضوع الأمة، وإن كانت القضية في بدايتها بسيطة جداً، فهذه كانت عملية حافز ودافع لنا للجهاد»[٣].

لدينا كثير من الأمثلة على أشخاص يبدو أنهم كانوا مدفوعين برغبة في الدفاع عن كرامة الأمّة الإسلامية أو رفع الظلم عنها. كتب أحد الأفغان السعوديين في وصيته «الجهاد هو سبيلنا الوحيد لكي نعيد للأمة كرامتها». وفي المقابلات التي أجراها مؤلّف هذا الكتاب، جادل بعض الإسلاميين السعوديين بأن المشاركة العسكرية العربية في أفغانستان، في الثمانينيات، عكست إحباطاً متزايداً وحسّاً بالعجز حيال إذلال المسلمين، وبخاصة في فلسطين. ذكر أحد المصادر «بعد كل سنيّ الإذلال هذه، بات في مقدورهم أخيراً القيام بشيء لنصرة أشقّائهم المسلمين». وتبرز دوافع الوحدة الإسلامية، خصوصاً، في سِيَر السعوديين الذين حاربوا في البوسنة؛ لأنّ المناخ الوحدوي الإسلامي كان حامياً، وعلى وجه الخصوص في مطلع التسعينيات. وعلى سبيل المثال، جاء في سيرة سعودي استُشهد في البوسنة «كان يتابع أخبار أشقائه بتعاطف شديد وأراد القيام بشيء، أي شيء، لنصرتهم». وذكر صديق شخص آخر تطوّع للقتال في البوسنة «كنا نجلس ونتحدّث غالباً عن المذابح التي يتعرّض لها المسلمون، وكانت عيناه تغرورقان بالدموع، وعندما سمع بأحداث البوسنة لم يتردد»[٤].

أثّرت مشاعر الوحدة الإسلامية في التجنيد، بطريقة غير مباشرة من

---

(٣) **القدس العربي**، ٢٠/٣/٢٠٠٥.

(٤) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي لم يشأ الكشف عن هويته. انظر أيضاً: باسل محمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ط ٢ (الرياض: لجنة البرّ الإسلامية، ١٩٩١)، ص ٣٣، و «The Martyrs of Afghanistan,» pp. 23-26.

خلال أُسر المجاهدين. قيل لنا، في قصة أحد المقاتلين، إن «أمه كانت جالسة في البيت تتابع نشرة الأخبار، على شاشة التلفاز؛ فسمعت عن المذابح التي يتعرّض لها المسلمون في البوسنة. وعندما رأت ذلك قالت لأبي سيف: «يا بني، انهض واذهب، انظر ماذا يفعلون، إنهم يغتصبون شقيقاتنا ويقتلون أشقّاءنا، يا بني، انهض واذهب، لا أريد أن أراك مجدداً»[٥].

شدّد خِطاب الوحدة الإسلامية على التضامن مع ضحايا القمع، وعلى محبتهم أكثر من تشديده على كراهية المضطهِدين. إنّك تجد في السِيَر أوصاف معاناة المسلمين أكثر ممّا تجد من وصف لخبث الصرب؛ إذ يُشار إلى الروس وإلى الصرب غالباً بعبارة «العدو»، ببساطة ومن دون لغط. وهذا ينسجم مع ملاحظة مارك سايجمان (Marc Sageman) الذي قال إن النشاط الجهادي مدفوع بحب أبناء أمته أكثر مما هو مدفوع بكراهية غير المنتمين إليها. وفي إحدى القصص المعبّرة نقرأ عن شاب سعودي نشأ وهو يسمع عن مناقب إخوانه في طاجيكستان؛ ولذلك قرّر الالتحاق بهم هناك، وسافر في عام ١٩٩٢، كل ذلك بسبب حبّه لإخوانه[٦].

وفي الوقت عينه، لا يساورنا شكّ في اعتقاد المجاهدين أنّهم يقومون بعمل مقدّس، ربّما تفاوتوا في قوة معتقدهم وتقواهم، لكنّهم، جميعاً، اعتبروا جهادهم واجباً شرعياً. وكما كتب سعودي استُشهد في أفغانستان في وصيته، «أنا أجاهد بمالي ونفسي وأنا مقتنع تماماً بأنّ الجهاد فرض عين، ولذلك مضيت للجهاد». وجاء في سيرة أفغاني سعودي آخر «عندما سمعت الفتوى التي تقول إن الجهاد فرض عين،

---

(٥) أبو الزبير المدني، في: حمد القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك** (كتاب إلكتروني)، ط ٢ (٢٠٠٢)، ص ٤٠ و١٢٢ ـ ١٢٥، <http://www.saaid.net/Doat/hamad/index.htm>.

«In the Hearts of Green Birds,» Azzam Publications, <http://archive.org/details/In_The_Heart_Of_Green_Birds>.

ورد في: Evan Kohlmann, *Al-Qaida's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network* (London: Berg, 2004), p. 89.

(٦) المدني، في: القطري، المصدر نفسه، ص ١١٩ ـ ١٢١.

ذهبت إلى أفغانستان». ويتبيّن، من دون أدنى شك، أنّ هناك بُعداً شعائرياً للمشاركة في الجهاد؛ لأنّ المجنّدين رَأَوا في المجاهد أقصى درجات التفاني، وفي عمله الطريقةَ المُثلى ليكون المرء مسلماً»[٧].

كما إن الجهاد في رمضان أعظمُ أجراً؛ للكرامات العديدة التي تتنزل على من يستشهد في شهر الصيام. وهناك مؤشرات قوية في السِيَر وغيرها على أنّ بعض المسلّحين، إذا لم يكن أغلبهم، كان مدفوعاً، جزئياً، برغبة في نيل الشهادة، فذكر صحافي سعودي أجرى مقابلات مع أفغان سعوديين أنّ «كثيراً منهم ذكروا أنهم جاؤوا لنيل الشهادة»، وأن عدد الشهداء السعوديين فاق عدد الشهداء من أبناء الجنسيات الأخرى في أفغانستان. وتُصوّر سِيَر المتطوعين ما يظهر أنه اعتقاد راسخ بكرامات الاستشهاد في سبيل الله، فكتب أحد من قُتلوا في أفغانستان عام ١٩٨٥، في وصيته: «يرى بعض الناس أن الحياة طريق إلى الموت، وأنا أراها طريقاً إلى الحياة». ومع ذلك، وبينما اعتقد الجميع، ربما، بكرامات الشهادة، لم يكن كلهم يأملون أن يموتوا في المعركة أو يتوقعوا ذلك، أحدهم كان يقول «سأذهب إلى الجامعة بعد الجهاد»، إلا أنه سقط صريعاً في أفغانستان[٨].

الظاهر أنّ المشاركة في الجهاد كانت تمثّل، بالنسبة إلى بعضهم، عملية تطهير ديني، وهناك روايات كثيرة تحدّثت عن أفراد عاشوا «حياة خاطئة» إلى أن «هداهم الله» ومضوا إلى أفغانستان للتكفير عن ذنوبهم السابقة. وذُكر عن أحد المتطوعين أنه «بدأ بالبحث عن مكان تُمحى فيه خطاياه وتُقبل فيه توبته». وعاش مجنّد آخر حياة مستهترة إلى أن «هداه الله» ومضى إلى الجهاد. وعندما وصل إلى أفغانستان، دنا شهر رمضان، لكن مشكلته أنه لم يصم يوماً في حياته، مع كونه في أواخر العشرينيات من عمره، ويقيم في مكّة. وتوجب على مدرّب في المعسكر تعليمه كيفية

---

(٧) **الجهاد**، العدد ١٦ (١٩٨٥)، ص ١٢، و**المجاهد**، العدد ٥ ([د. ت.])، ص ٢٢.

(٨) جاسر الجاسر: «قصة الأفغان السعوديين،» **المجلة** (١١ أيار/ مايو ١٩٩٦)، ص ٢١ و٢٣، و«معظم الأفغان السعوديين يمارسون حياتهم بصورة طبيعية بعد عودتهم،» **المجلة**، العدد ٨٤٧ (١٩٩٦)، و**الجهاد**، العددان ٥٤ ـ ٥٥ (١٩٨٩)، ص ٤٠.

الصيام، و«عندما استطاع إكمال صوم يوم كامل، أقام له المجاهدون حفلة صغيرة»(٩).

يبدو أن قوة محرِّكة مشابهة، دفعت عدداً صغيراً من الأشخاص إلى المشاركة في الجهاد، بعد مرورهم بتجربة أليمة، مثل: موت أحد الوالدَين أو الطلاق أو التعرض لحادث. ونحن نجد وصفاً جيداً للالتزام الدِّيني، وللمشاركة في الجهاد المدفوعة بتجارب أليمة في سيرة فهد القحطاني، وهو سعودي استُشهد في البوسنة. عمل القحطاني سائق شاحنة، ولم يلتزم بشعائر دينه، إلى أواسط عام ١٩٩٣، عندما تعرّض لحادث سيْر، وهو مخمور فوق جسر الملك فهد، في أثناء عودته من البحرين (حيث المسكرات وأشكال المعاصي الأخرى متاحة بكثرة). أخرجه شابان ملتزمان من سيارته، وقدّما له العلاج اللازم وأصبحا صديقيه، وأقنعاه بتغيير نمط حياته. وبعد وقت قصير، توجه مُنقذاه إلى البوسنة، وعندما عادا، توسّل إليهما القحطاني الذي التزم بدينه لكي يصطحباه إلى الجهاد، سافر في عام ١٩٩٤، واستُشهد في السنة التالية(١٠).

إذا كانت السياسة والدِّين دافعَين مهمَّين لدى المجاهدين السعوديين الأوائل، يبدو أنّ بعض المجنّدين جذبتهم المغامرة والبُعد العسكري للتجربة الجهادية. والظاهر أنّ متعة السفر والتدرّب على الأسلحة والرفقة كانت أهم من العوامل الأيديولوجية. من ذلك، أن شاباً سعودياً اسمه سواد المدني، سافر إلى أمريكا، في مطلع التسعينيات، عازماً على الاستقرار فيها، وزُعم أنه «عاش مثل أي شاب ضائع آخر هناك بعيداً عن الله». وفي عام ١٩٩٤، عاد إلى المملكة العربية السعودية؛ لزيارة والدَيه، وفي ذلك الوقت بالذات، أصيب ابن عمه، في أثناء القتال في البوسنة، إصابات بليغة فنُقل إلى المملكة؛ لتلقّي العلاج الطبي. وعندما

---

(٩) المدني، في: القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك**، ص ٥٤ - ٥٧ و١٠٨ - ١٠٩، و**الجهاد**: العدد ٥٣ (نيسان/ أبريل ١٩٨٩)، ص ٢٧، والعددان ٥٤ - ٥٥ (١٩٨٩)، ص ٤٣.

(١٠) **الجهاد**، العدد ٥٦ (١٩٨٩)، ص ٢٥؛ المدني، في: القطري، المصدر نفسه، ص ٣١ - ٣٢، ومجموعة سِيَر لشهداء من دون عنوان.

ذهب سواد ليعودَ ابنَ عمّه، التقى بأصدقاء الأخير من شباب المجاهدين الذين تحدثوا باستمرار عن الجهاد والمعارك والشهداء. تأثّر سواد، كثيراً، بقصص البطولات؛ فقرّر الذهاب إلى البوسنة؛ لمعايشة التجربة ذاتها[(١١)].

أضافت قصصُ المعاناة والبطولة عنصرَ الفروسية إلى التجربة الجهادية التي منحت العائدين من الجهاد منزلة خاصة، في كثير من الأوساط الشبابية، وكما قال ناصر البحري:

«وكان الشباب يغبطون الذين يذهبون إلى أفغانستان ويتأثّرون كثيراً بهم، كثيراً أذكر أن أحد زملائنا ذهب إلى أفغانستان، وقضى فيها أسبوعين من رمضان، وعندما عاد استقبلناه استقبال الفاتحين، وأثّر فينا تأثيراً بليغاً، وعندما ننظر إلى البدلة الأفغانية التي كان المجاهدون العائدون يلبسونها ويتجوّلون بها في شوارع جدة أو شوارع مكة والمدينة، كنا نشعر وكأننا نعيش مع جيل الصحابة الفاتحين، وبالتالي كنا نتخذهم قدوة ومرجعية لنا»[(١٢)].

ربما يساعد البُعد الاجتماعي على تعليل سفر هذا العدد الكبير من المراهقين السعوديين إلى باكستان وأفغانستان، لمدد قصيرة جداً، في أثناء العطل الصيفية غالباً. والواضح أن التمتّع بالمنزلة الاجتماعية التي يتمتّع بها المجاهد كان قوة دافعة لبعضهم[(١٣)].

الأمر اللافت للاهتمام، إلى حدّ بعيد، أنّ معاداة أمريكا غابت عن هذه السِيَر، لكن في إشارة نادرة إلى أمريكا، قال أحد المجنَّدين أنه نادم على «حياة الهامبرغر والكوكا كولا» التي عاشها، عندما كان طالباً في الولايات المتحدة. والظاهر أنّ هذه الملاحظات بريئة؛ مقارنةً بمعاداة الجهاديين العالميين الشديدة للغرب في العقد الأول من القرن الحالي.

---

(١١) المدني، في: القطري، المصدر نفسه، ص ١٩٦ ـ ١٩٩.

(١٢) **القدس العربي**، ١٨/ ٣/ ٢٠٠٥.

(١٣) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله أنس في لندن، في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦، والجاسر، «معظم الأفغان السعوديين يمارسون حياتهم بصورة طبيعية بعد عودتهم».

وأكّد ناصر البحري هذه اللامبالاة العامة بأمريكا، قائلاً: لم نذهب «بسبب الأمريكان، وإنما لأن الصراع كان قائماً هناك بين المسلمين وغيرهم». اللافت بالمثل، خلوّ هذه النصوص من أي إشارة إلى التذمّر من النظام السعودي؛ حتى إنّ بعض المقاتلين في أفغانستان حمل كُنيات تنتهي بكلمة «السعودي» مثل أبي عُبيدة السعودي، وهي أسماء لم تكن متداوَلة في دوائر الجهاديين في التسعينيات، والعقد الأول من القرن الحالي؛ لاعترافها الضمني بأسرة آل سعود الحاكمة[١٤].

ثالثاً: التجنيد في العلن

يُعتبر السؤال عن كيفية التحاق الناس بالنشاط العسكري أحد أكثر القضايا سحراً وتعقيداً في دراسة العنف السياسي. وكما أشار مارك سايجمان إلى أن مفهوم «التجنيد» إشكاليّ؛ لأنه يوحي بعمل مقونن لجمع الأنصار، بينما تُعتبر التعبئة الفردية أكثر تعقيداً وتتمّ بشكل غير رسمي. إن عبارة «الانضمام» غامضة، وبالتالي؛ تناسب تصوير تعدّدية المسارات المحتملة من النشاط العادي إلى النشاط العسكري. وهذا يسهّل، إلى حدّ بعيد، التفريق الأساس بين عملية الانضمام من أعلى إلى أسفل وعملية الانضمام من أسفل إلى أعلى، إلا أنّ هذه العبارة لا تحلّ مشكلة مفاهيمية أخرى وهي أنّ المشاركة في نشاط عسكري عملية مديدة ومتعددة المراحل، غالباً؛ حيث يصعب تحديد وقت انضمام الشخص بدقة. لهذا السبب، يؤْثر العلم الحديث عبارة «الجنوح إلى التطرّف» (Radicalisation) المرنة والنافعة فعلاً، لكنها غامضة أيضاً. سأحصر تركيزي، في الفقرات الآتية، بالأوضاع الاجتماعية التي سبقت رحيل المجنَّد وسهّلت له هذا الرحيل، وليس بالعملية الأيديولوجية الأوسع مدى التي، ربما، قرر المجنّد التوجّه إلى ساحات الجهاد، انطلاقاً منها[١٥].

---

(١٤) **القدس العربي**، ١٩ ـ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥، و**الجهاد**، العدد ٥٣ (نيسان/ أبريل ١٩٨٩)، ص ٢٧.

(١٥) Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004), pp. 121-125.

لم تعرف المملكة العربية السعودية جهازاً تجنيدياً منظماً واسع النطاق للجهاد، في الثمانينيات ومطلع التسعينيات؛ لسبب بسيط هو أنّ العرب في أفغانستان أو في البوسنة لم ينتظموا في كيان متماسك وهرمي. لكن وكما رأينا في الفصل السابق، قام بعضُ المنظِّمين الأساسيين برحلات تجنيدية إلى المملكة، وخصوصاً في المرحلة الأولى للتعبئة للجهاد في أفغانستان والبوسنة. وعلى سبيل المثال، قام أسامة بن لادن برحلات مكثّفة بين المملكة العربية السعودية وبيشاور؛ «لإحضار مزيد من الأشخاص» حتى إنه تكفّل بنفقات سفر بعض المتطوّعين، كما أوفد مبعوثين إلى المملكة وكلّفهم تجنيد مجاهدين جدد. وجاء في سِيَر بعض المجاهدين أنهم تجنّدوا على يد أسامة بن لادن أو عبد الله عزّام أو على يد مبعوثين آخرين(١٦).

حرّض معلّمون وعلماء سعوديون تلامذتهم على التوجّه إلى أفغانستان، بل رافقوهم في بعض الحالات. وعلى سبيل المثال، تبيّن ترجمة محمد الزهراني كيف أنه وجماعة من التلامذة الآخرين في مدرسة في الدّمام توجّهوا إلى أفغانستان في وفد ترأسه معلّمهم. وتزعم روايات أخرى إرسال علماء للطلاب إلى أفغانستان؛ للجهاد هناك. وفي مطلع الثمانينيات، زُعِم أن طالباً يدرس الشريعة يسمّى نور الدِّين الجزائري «كان يرسله الشيخ أبو بكر الجزائري كل عام للانضمام إلى المجاهدين»(١٧).

ألهبت المهرجاناتُ أو المحاضرات العامة حماسة آخرين؛ فعلى سبيل المثال، قرّر نور الدِّين، وهو أحد أوائل السعوديين الذين توجّهوا إلى أفغانستان، المشاركةَ في الجهاد هناك بعد سماعه محاضرة للقائد الأفغاني عبد ربّ الرسول سيّاف في المدينة المنوّرة عام ١٩٨٢. وما من شك في أن أعظم الخطباء تأثيراً، في الثمانينيات، كان عبد الله عزّام

---

(١٦) المدني، في: القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك**، ص ١٤٥؛ **الجهاد**: العدد ٤٧ ([١٩٨٨])، ص ٣٦؛ العددان ٥٤ ـ ٥٥ (١٩٨٩)، ص ٣٧، والعدد ٥٩ ([١٩٩٠])، ص ٣٩، و Chris Hedges, «Saudi Fighter in Afghanistan Becomes «Martyr» in Bosnia,» *New York Times*, 5/12/1992.

(١٧) مجموعة سِيَر بلا عنوان لشهداء، ومحمد، **الأنصار العرب في أفغانستان**، ص ٨٠ ـ ٨١.

نفسه. وعن ذلك يحكي برباروس أمير المجاهدين العرب في البوسنة عن مشاركته في الجهاد الأفغاني فيقول:

الآن، في ما يخص بداية الجهاد في حالتي، كنت واحداً ممن سمعوا عن بدء الجهاد في أفغانستان. اعتدت أن أسمع عنه، ولكني كنت متردداً حول هذا الجهاد، وهذا على الأرجح لأننا قد نسينا مفهوم الجهاد في الإسلام. كان الشيخ الدكتور عبد الله عزام واحداً من الذين حضروا إلى بلادنا. سمعته يحشد الشباب للخروج إلى أفغانستان. كان ذلك في عام ١٩٨٤، على ما أعتقد، قررت الذهاب والتأكد من الأمر بنفسي، كانت تلك، والفضل كله لله، بداية جهادي[(١٨)].

وكمثال آخر على النفوذ الشخصي لعزّام فضلاً عن دور أفراد الأُسرة، اقتبسنا الفقرة الآتية من سيرة سعودي حارب في أفغانستان:

عندما جاء عزام ليلقي خطبةً في جامع الشعيبي [في الرياض]، كان خالد ووالده هناك. بعد الخطبة، توجّه والده إلى عزام، وأخذه من يده وقال له: يريد ابني أن يترك زوجته وطفليه ليذهب إلى أفغانستان، فما هو الحكم في ذلك؟ قال عزام: الجهاد فرض عين، عندئذ قال الأب: «إذاً، فليكن»[(١٩)].

توجّه بعض المجاهدين الأوائل إلى ميادين القتال بمبادرة خاصة منهم لا بوساطة مجنِّد شخصي أو واعظ. وعلى سبيل المثال، عندما قابلتُ إسلامياً سعودياً اسمه محمد، حكى لي قصة رحيله إلى أفغانستان في عام ١٩٨٦:

---

(١٨) مقابلة مع شيخ المجاهدين أبو عبد العزيز، في: مجلة **الصراط المستقيم**، العدد ٣٣ (١٩٩٤)؛ **البنيان المرصوص**، العددان ١٦ ـ ١٧ (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦)، ص ٣٠؛ Peter L. Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader* (New York: Free Press, 2006), pp. 27-28, and Sam Roe, Laurie Cohen and Stephen Franklin, «How Saudi Wealth Fueled «Holy War,» *Chicago Tribune*, 22/2/2004.

[تمت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي].

(١٩) **الجهاد**، العددان ٥٤ ـ ٥٥ (١٩٨٩)، ص ٣٩. [تمَّت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي].

كنت طالباً في السنة الأولى في كلّية الشريعة بالدمّام، كان الجميع يتحدّثون عن أفغانستان؛ لذلك قرّرت الذهاب إلى هناك لأرى الأمر بنفسي، لم يجنّدني أحد وسافرت بمفردي، لم يكن والدي سعيداً جداً بقراري. توجّهت إلى مكتب في منطقة الروضة في الرياض؛ حيث ساعدوني على إعداد ترتيبات السفر، ثم توجّهت من الرياض إلى باكستان، بعت سيارتي قبل سفري، وعندما وصلت إلى بيشاور قدّمت مالي إلى بيت الأنصار. خضعت لتدريبات بالقرب من جاجي (Jaji)، وأذكر أنني التقيت بعبد الرّحمن [حسن] السُّرَيحي. ثمّ توجهت إلى مأسدة الأنصار، ووجدت أن أغلب الأشخاص هناك قدِموا من جدّة، لكني لم أُقِم بالمكان طويلاً؛ لأن الوضع لم يعجبني[٢٠].

لكنّ السِيَر توحي بأنّ هذه الأعمال الفردية نادرة نسبياً؛ لأنّه في أغلب الحالات، جرت عملية صنع القرار والسفر بمشاركة آخرين. إنّ عملية الانضمام إلى الجهاد تجربة اجتماعية، في الأساس، والآليات الرئيسة للتعبئة هي شبكات القرابة والصداقة. كانت فكرة الذهاب إلى أفغانستان أو إلى البوسنة تُطرح من قبل صديق أو قريب سبق له التوجّه إلى هناك، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها سيد أحمد خليفة الذي سافر إلى بيشاور عقب استقرار صهره وائل جُلَيدان هناك. وهناك كثير من أسرة بن لادن الكبيرة، مثل: زوج أخته جمال خليفة وابن عمه محمد الحبشي، الذين انضموا إلى الجهاد، وعبد العزيز المُقرن الذي مضى إلى أفغانستان في عام ١٩٩١، إنما حذا حذو بعض أقربائه وجيرانه[٢١].

إن تماسك المجموعة جرّأ الأفراد وأضعفَ الحاجز النفسي أمام السفر، ولدينا أمثلة كثيرة عن مجموعات أو ثنائيات أصدقاء حميمين سافروا معاً إلى أفغانستان. كما ذهب آخرون إلى هناك برفقة شقيق كبير. ولا ريب في أنّ قرارات كثير من الأشخاص الانضمام إلى الجهاد كانت مدفوعة، جزئياً، بعمليات جماعية هدفها إبراز التفوق. وعلى سبيل

---

(٢٠) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن هويته.

(٢١) **الجهاد**، العدد ٤٧ ([١٩٨٨])، ص ٣٧.

المثال، تُبيّن لنا سيرة أبي همّام الجنوبي «أنه كان يجالس أحد أصدقائه، غالباً، ويشتكيان من الوضع في البوسنة، ويعربان عن رغبتهما في الذهاب إلى هناك. استفسرا عن طريقة السفر وتقصّيا المعلومات المتعلّقة بكيفية الوصول إلى هناك، ثم وجدا طريقة وسافرا إلى كرواتيا». والمثال الآخر قصّة سواد المدني التي سبق ذكرها، وهو الذي قرّر الذهاب إلى البوسنة، بعد التقائه بمجاهدين من أصدقاء ابن عمه المصاب الذين حاولوا إبراز تفوقهم على بعضهم بقصص القتال البطولي[٢٢].

من أبعاد التعبئة السياسية التي يُتغاضى عنها، غالباً، في المجتمعات المحافِظة، دور الآباء، إننا نجد في هذه السير أمثلة كثيرة عن آباء شجّعوا أبناءهم على التوجّه إلى أفغانستان. وقد مرّت معنا قصة الوالدة التي طردت ولدها عمليّاً؛ لكي يتوجه إلى البوسنة. وفي سيرة مقاتل آخر ذُكر أنّ «والده أرسله إلى أفغانستان وهو لا يزال في سنّ الخامسة عشر». وخالد القبلان شجّعته أمه على الذهاب إلى أفغانستان «وكانت تكتب له الرسائل لرفع معنوياته». لكنّ آباء آخرين، ربما شكّلوا الأغلبية، منعوا أبناءهم من السفر. فسيرة مشعل القحطاني تذكر لنا أنّ والدته رفضت السماح له بالسفر للجهاد، لكنّه توجه رأساً إلى البوسنة فور وفاتها. وهناك قصص عن آباء وأشقاء كبار سافروا إلى أفغانستان؛ لإعادة أبنائهم وأشقائهم إلى الديار، وفي بعض الأحيان، انضم الآباء أنفسهم إلى المجاهدين[٢٣].

نستشفّ من دور الصداقة والقرابة، في عمليات الانضمام إلى الجهاد، نمط التعبئة الجغرافي لجبهات الجهاد الأولى. فمن الناحية العملية، جميع السعوديين الذين سافروا إلى أفغانستان، قبل عام ١٩٨٦، قدموا من مثلث مكّة ـ المدينة ـ جدّة. تعكس هذه الهيمنة الحجازية حقيقة أنّ التجنيد بدأ بمنظِّمين من هذه المنطقة ومن ثَمّ تتبّعوا شبكاتهم

---

(٢٢) المدني، في: القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك**، ص ٢٧ ـ ٣٠ و٤٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٧ ـ ٣٠؛ **الجهاد**، العدد ٤٦ ([١٩٨٧])، ص ٢٥؛ «Battle of Tishin, North Bosnia,» (October 1992), p. 25; «The Martyrs of Afghanistan,» pp. 33-37, and «Mujahideen Defeat 200 Serb Special Forces,» <http://www.azzam.com>.

الاجتماعية. وبالمثل، التمثيل الزائد للسعوديين القادمين من المنطقة الشرقية تعلّله حقيقة أن القادة العرب البارزين في الشيشان، مثل: خطّاب وأبي عمر السيف قدموا من شرق المملكة.

لدى السؤال عن سبب توجّه بعض الناس إلى أفغانستان ورفض الآخرين القيام بذلك، لم يفهم أغلب السعوديين الإسلاميين الذين أجريتُ مقابلات معهم سؤالي في البداية. أجاب سعودي أمضى في إسلام أباد معظم عقد الثمانينيات قائلاً: «الأمر أشبه بمحاولة معرفة سبب اختيار شقيقين من أسرة واحدة اختصاصين مختلفَين في الجامعة». كان تَصوّره أن القوات السعودية كانت شريحة من الشباب السعودي الذين جُذِبوا من الأماكن والطبقات الاجتماعية كلها. وعلى النقيض، قال الليبراليون السعوديون، غير مرة، أن الأفغان السعوديين مثّلوا طبقة محرومة في المجتمع السعودي. وقال أحد المصادر: «كانوا مجرمين ومرتكبي جنح، في الأساس، وكانوا أشخاصاً لديهم مشاكل، حتى إن بعضهم كان مدمناً على المخدرات»(٢٤).

أظهرت هذه المراجعة صعوبة تفسير أحجية التجنيد الانتقائي والانضمام إلى التيار الجهادي الكلاسيكي بالاعتماد على المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية، وأن الشبكات الاجتماعية وإمكانية التشريب الأيديولوجي كانت من بين العوامل المهمة؛ إلا أنّ أهمّ النتائج غير البدهية أن معاداة أمريكا وعداوة النظام السعودي ليستا من جملة الدوافع المؤثّرة، وربما يرجع ذلك إلى أنّ الأيديولوجيا التي حرّكت مشاعر أغلب الناس، كانت أيديولوجيا الجهاد الكلاسيكي التي صاغها عبد الله عزّام، لكنّ ذلك تغيّر، في أواسط التسعينيات، مع صعود الحركة الجهادية العالمية.

(٢٤) مقابلات أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن هويته ومع منصور النُّقَيدان.

الفصل الرابع

فرص الجهاد العالمي

تغيرت بيئة النشاط الإسلامي، كثيراً، في أواسط التسعينيات، في المملكة العربية السعودية. باتت الحكومة ترى في حركة الصحوة تهديداً سياسياً، وفي قدامى المجاهدين تهديداً أمنياً. وفي أواخر التسعينيات، شكّلت عامةُ أوجه النشاط الإسلامي، بما في ذلك الجهاد الكلاسيكي، جهوداً سرّية وخطرة نسبياً. فكيف استطاع بن لادن، إذاً، تجنيد هذا العدد الكبير من السعوديين وإقناعهم بالتوجه إلى معسكراته، في أفغانستان، في أواخر التسعينيات؟ يكمن جزء جوهري من الجواب في تبلور نافذة الفرص السياسية للتيار الجهادي العالمي في المملكة العربية السعودية، بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١. من العوامل التي تكتسي أهمية خاصة، تلك التطوّرات التي طرأت في ساحات ثلاث: الرقابة الأمنية، والصراعات الدولية التي شكّل المسلمون طرفاً فيها، والساحة الإسلامية السعودية، إلا أنه حريّ بنا، قبل معاينة هذه التطورات عن كثب، تَذَكُّر الأحداث التي وقعت بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦، وغيّرت إلى الأبد العلاقة بين الدولة والوسط الإسلامي.

أولاً: من انتفاضة بُرَيدة إلى تفجير الرياض سنة ١٩٩٥

شكّل صعود المعارضة الإصلاحية، في مطلع التسعينيات، أخطر تحدّ لشرعية الدولة السعودية في تاريخ المملكة المعاصر. ومع أنّ حركة الصحوة لم تلجأ إلى العنف أبداً، لكنّ صراحة انتقاداتها للنظام السعودي وشدّتها كانتا أعنف مما يقدِر النظام على تحمّله. تصاعدت التوترات طوال عام ١٩٩٢، وبدأت حملة الاعتقالات في أيار/ مايو ١٩٩٣، وبحلول خريف عام ١٩٩٤ لاح وقت المواجهة الحاسمة، فبعد سلسلة مهرجانات في بُرَيدة والرياض عُرفت باسم «انتفاضة بُرَيدة» في أواسط أيلول/ سبتمبر ١٩٩٤، سجنت السلطاتُ القادة الرئيسيين وكبار النشطاء

في حركة الصحوة كافة وبلغ مجموع المعتقلين نحو ١١٠ أشخاص. استمرّت الاعتقالات إلى أواخر صيف عام ١٩٩٥، حين أُسكت صوت المعارضة الداخلية من الناحية الفعلية، باستثناء فرعها المقيم بلندن، ولبث أكثر من مئة صحوي في السجن[١].

خلّف قمعُ حركة الصحوة أثراً في الحركة الجهادية، بطرق مهمة ثلاث: **بادئ ذي بدء**، أقنع بعضَ الجهاديين بعدم جدوى الاحتجاج السلمي على الوجود العسكري الأمريكي؛ إذ استنتج أسامة بن لادن وآخرون أنه ليس أمام المجاهدين خيار سوى اللجوء إلى العنف. **ثانياً**، لم يعد هناك، الآن، مشايخ مؤثرون يمكنهم كبح جماح العناصر المتمردة في الوسط الجهادي. ذلك أنه كان للقادة الصحويين، على انتقاد خطابهم أحياناً، تأثير ملطّف في الراديكاليين؛ لأنّهم نهوا عن استخدام العنف داخل المملكة. **ثالثاً**، أطلقت التطورات التي حدثت في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٤، سلسلة أحداث معيّنة قادت إلى تفجير الرياض عام ١٩٩٥[٢].

انطلقت شرارة الأحداث في ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٤، عندما اقترب شاب إسلامي، اسمه عبد الله الحضيف، من ضابط مباحث، في وسط الرياض، وألقى على وجهه حمض الكبريتيك. أما الضحية فكان سعود الشِّبرين، وهو محقق في سجن الحائر الذي كان يُعتقل فيه الصحويون. والسبب أن الحضيف بلغه أن محقق المباحث هذا قام بتعذيب بعض الإسلاميين المحتجَزين، كان منهم والده وشقيقه وعدد من أصدقائه المقرّبين.

لم يشكّل الهجوم مفاجأة، في نظر الأشخاص الذين عرفوا الحضيف؛ فقد مال إلى التشدد وهو لا يزال على مقاعد الدراسة، وحارب في أفغانستان في أواخر عقد الثمانينيات. وفي عام ١٩٩١، انضم إلى هيئة الأمر بالمعروف التي أخذت على عاتقها المحافظة على الآداب ومهاجمة

(١) Stéphane Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» (Ph. D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007), pp. 453-456.

(٢) **القدس العربي**، ٢٠/٣/٢٠٠٥.

رموز الفساد الأخلاقي، بيد أنه كان مسيَّساً أكثر من رفاقه[٣].

لهذه الأسباب وغيرها، سلك ناصر البرّاك وعبد الله الحضيف طريقين مختلفَين في وقت قريب من عام ١٩٩٢، فاقترب البرّاك من الصحوة إلى أن أصبح مقرّباً من الشيخ سلمان العودة، وهي علاقة أدّت إلى اعتقاله في عام ١٩٩٤، وأصبح عبد الله الحضيف عضواً في مجموعة أخرى مؤلفة من إسلاميين متشددين في الرياض، تضمنت أعضاءً أخذوا على عاتقهم فرض الآداب العامة (مثل: سعود العُتيبي وإبراهيم الريس وعبد العزيز المِعثم) ومجاهدين قدامى (مثل: خالد السعيد ورياض الهاجري ومُصلح الشمراني وعبد العزيز المقرن). ومع أنه كان لهؤلاء المتشددين صلات هامشية بالصحوة، فقد احترموا العلماء الصحويين، ورَأَوا في قمع الحكومة لهم برهاناً آخر على الطابع غير الإسلامي للنظام، وعلى خضوعه للأمريكيين. وكانت اعتقالات أيلول/ سبتمبر والشائعات غير المؤكدة التي تحدّثت عن تعذيب المشايخ الصحويين (وصديقه ناصر البرّاك) في نظر الحضيف هي القشةَ التي قصمت ظهر البعير[٤].

أُلقي القبض على عبد الله الحضيف بعد وقت قصير من هجومه، وزُعم أنه أُعدم في السجن في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٩٥. الوسط الإسلامي ردّ على نبأ وفاته بنوبة غضب؛ لأن التفسير الذي غلب عندهم هو أن ضباط أمن توّاقين إلى الانتقام عذّبوه حتى الموت، وهو ظنٌّ لم يكن من دون أساس على الأرجح؛ لأن أسرته لم تتمكن من استعادة جثته. وعلى الفور، حاز عبد الله الحضيف صفة الشهيد، وأضحى شخصية رمزية في الوسط الجهادي. واتهم بعض الإسلاميون الحكومةَ السعودية «بفتح بوابات الدم»، وتأهّب بعض رفاق عبد الله الحضيف القدامى للقتال[٥].

---

(٣) «السلطة تفتح باب الدمّ: أول شهيد في مسيرة الإصلاح،» **بيان لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعيّة**، العدد ٣٨ (١٩٩٥)، ومقابلة أجراها المؤلف مع ناصر البرّاك.

(٤) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن هويته.

(٥) «كيف مات الحضيف،» **بيان لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية**، العدد ٣٩ (١٩٩٥)؛ «السلطة تفتح باب الدمّ: أول شهيد في مسيرة الإصلاح،» و *Urgent Action 200/95* (London: Amnesty International, 1995).

انفجرت سيارة مفخخة بعبوة تزن ١٠٠ كيلوغرام، قبيل منتصف نهار ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، في وسط الرياض، خارج مبنى كانت تستخدمه شركة فينيل (Vinnell Corporation)، وهي شركة تابعة للجيش الأمريكي تعمل على تدريب الحرس الوطني السعودي. لقي خمسة أمريكيين وهنديان مصرعهم وأصيب نحو ستين شخصاً آخر بجروح. نفّذ الهجوم أربعة أشخاص في شبكة كان عبد الله الحضيف يعرف أفرادها. كان رياض الهاجري ومصلح الشمراني وخالد السعيد من قدامى المحاربين في أفغانستان ومتابعين جيدين لأسامة بن لادن، بينما كان عبد العزيز المِعثم، رابع المتورّطين، صديقاً شخصياً لأبي محمد المقدسي المنظِّر الجهادي الأردني. ساورت الرجالَ الأربعة فكرةُ تنفيذ هجوم منذ أواخر عام ١٩٩٤، ويبدو أن قرار المضيّ في خطتهم جاء بعد أن بلغهم نبأ إعدام عبد الله الحضيف. وبحسب ناصر البحري، كان بعض هؤلاء مقرّباً من مصلح الشمراني الذي ذُكر أنه كان يقول «والله لا نكون رجالاً إن لم نثأر للشيخ عبد الله»[٦].

على النقيض من الافتراضات الشائعة، لا يوجد دليل ملموس على أنّ تنظيم القاعدة هو من دبّر تفجير الرياض. فقد عمل هؤلاء المسلّحون، بشكل مستقل، وإن كانوا قد تأثروا أيديولوجياً بأسامة بن لادن بلا شك. حصلت الخلية على المتفجّرات من اليمن، وجهّزتها بفضل المهارات التي اكتسبها خالد السعيد في صنع المتفجرات في أفغانستان. خدم الهجوم غاية ثلاثية؛ إذْ كان تحذيراً للولايات المتحدة لكي تسحب جنودها، واقتصاصاً من الحكومة السعودية لقمعها الصحوة، وإشارة إلى الانتقام لمقتل الحضيف. لكن حقيقة إدلاء هؤلاء الأربعة باعترافات متلفزة، بالإكراه بلا شك، قبل إعدامهم في أيار/ مايو ١٩٩٦، حملت بعضهم على التشكيك في مسؤوليتهم عن هذا التفجير. لكنّ المؤلَّفات الجهادية أثنت عليهم باستمرار كونهم أبطالاً، ومثّلت أمراً

---

(٦) مشاري الذايدي، «عبد العزيز المقرن: كيف تحوّل من حارس مرمى إلى حارس موت؟،» **الشرق الأوسط**، ١٨/ ٦/ ٢٠٠٥؛ **القدس العربي**، ٣١/ ٣/ ٢٠٠٥؛ مقابلة أجراها المؤلف مع ناصر البرّاك؛ «Four Saudis Held for Riyadh Blasts,» *Arab News*, 23/4/1996, and Ethan Bronner, «In Bomber's Life, Glimpse of Saudi Dissent,» *Boston Globe*, 7/7/1996.

واقعاً بأنهم مدبّرو الهجوم في نظر أشخاص آخرين، بمن فيهم عبد العزيز المقرن الذي كانت تربطه بهم علاقة شخصية(٧).

هزّ تفجيرُ الرياض الدولةَ السعودية حتى النخاع، وكان ذلك أول تفجير كبير في تاريخ المملكة، وقد أُخذت كلاً من السلطات السعودية والسلطات الأمريكية على حين غرّة. وزاد من شدّة الصدمة وقوع هجوم أكبر بشاحنة مفخخة بالخُبر على الساحل الشرقي، بعد نصف سنة بالضبط من وقوع التفجير الأول، وتحديداً في ٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٩٦؛ فقد اخترقت شاحنة وقود معبَّأة بالمتفجرات ثكنة لسلاح الجوّ الأمريكي؛ ما أودى بحياة ١٩ جندياً أمريكياً، فضلاً عن إصابة نحو ٤٠٠ شخص آخر بجروح، في أعنف هجوم انتحاري على هدف أمريكي، منذ تفجير ثكنة مشاة البحرية الأمريكية في لبنان عام ١٩٨٣. اشتبه بعضهم ولمدة طويلة في ضلوع القاعدة فيه؛ وذلك عائد في الأساس إلى ثناء بن لادن على الهجوم في خطابات عديدة. لكنّه لم يزعم صراحة مسؤولية تنظيمه عن الهجوم، ولم يظهر أي دليل ملموس على ضلوع القاعدة بشكل مباشر. وبالمقابل، يوجد دليل قوي على أن الهجوم من تدبير جماعة شيعية مسلّحة تسمى حزب الله الحجاز. وعلى أي حال، أثّر تفجير الخُبر في الوسط الجهادي، بطريقة غير مباشرة، من خلال ردّ الدولة السعودية(٨).

---

(٧) «Four Saudis Held for Riyadh Blasts».

للاطلاع على النصوص الحرفية لاثنين من هذه الاعترافات، انظر: «اعترافات المعتقل الأول،» و«اعترافات المعتقل الثاني،» <http://alquma.net>. أنكرت مصادر مطلعة عديدة وجود صلة للقاعدة بالتفجير، منهم لجنة ٩/١١، ووزير الداخلية الأمير نايف. انظر: **السياسة**، ٤/ ١١/ ١٩٩٨، و *The 9/11 Commission Report* (New York: W.W. Norton, 2004), p. 60.

والجهادي السعودي ناصر البرّاك الذي نشأ في السعودية، في: **القدس العربي**، ٣١/ ٣/ ٢٠٠٥. وأخيراً بن لادن نفسه. انظر: Scott McCleod, «The Paladin of Jihad,» *Time* (6 May 1996).

للاطلاع على أدلة من مؤلفات الجهاديين على مسؤولية الأربعة المتهمين، انظر مثلاً: أبو جندل الأزدي، **أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأميركان** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٣)، ص ١٨٢، <http://www.aljlees.com/6s7698241-1094.html>، وسليمان الدوسري، «الافتتاحية،» **صوت الجهاد** (٢٠٠٣)، ص ٤؛ وعبد العزيز المقرن، **دورة التنفيذ وحرب العصابات**، (كتاب إلكتروني ٢٠٠٤)، ص ٣٩، <http://www.www.qa3edoon.com>.

(٨) Thomas Hegghammer, «Deconstructing the Myth about al: Qaand Khobar,» *Sentinel*, vol. 1, no. 3 (2008).

جادل الصحافي الجنائي غاريث بورتر (Gareth Porter) بأن السلطات السعودية تعمّدت طمس =

ثانياً: بين قمع الشرطة وتهاودها

دفع تفجيرُ الرياض الحكومةَ إلى ضرب قدامى المجاهدين في أفغانستان والبوسنة بيد من حديد، وهم الأشخاص أعينهم الذين مضوا للقتال قبل سنين خلت بمباركة الدولة، وقد آذنت حملةُ القمع بمرحلة جديدة وصدامية فيَ العلاقة بين الدولة والحركة الجهادية. وقد شكّل الردّ السعودي على تفجير الرياض حالة تقليدية لردّ فعل حكومي مفرط على الإرهاب. وفي غياب تحقيق واضح واصلت السلطاتُ حملة اعتقالات واسعة وأخضعت المعتلقين لاستجوابات قاسية؛ أملاً بالتعرّف إلى المذنبين. أُلقي القبض على نحو ٢٠٠ شخص، منهم ٣٠ شخصاً من أعضاء الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، كانوا يعيشون في المنفى في المملكة العربية السعودية(٩).

شهدت السنون الثلاث التالية ثلاث موجات اعتقالات كبيرة؛ فبعد تفجير الخُبر في حزيران/يونيو ١٩٩٦، ذُكر أنه اعتُقل نحو ٢٠٠٠ شخص في سياق محاولة الشرطة العثور على المذنبين. ومع أنّ الشيعة شكّلوا عامة المحتجزين، احتُجز عدد من الجهاديين السنّة أيضاً واستُجوبوا، ومنهم يوسف العُيَيْري الذي أصبح أمير القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق. وحدثت موجة اعتقالات ثالثة في شهري شباط/فبراير وآذار/مارس ١٩٩٨، عقب اكتشاف ما سُمّي «مخطط الصواريخ» الذي كان يستهدف القنصلية الأمريكية في جدّة (انظر الفصل الخامس). في هذه المرة، اعتُقل أكثر من ٨٠٠ شخص عامّتهم من قدامى المجاهدين

الأدلة التي تثبت تورّط القاعدة، ولفّقت التهمة لمشبوهين شيعة. انظر: Inter Press Service (22-26 June 2009), <http://www.ips.org>.

بنى بورتر مقولته، أساساً، على شهادات محلّلين أمريكيين، قالوا إن مسؤولين أمريكيين كباراً حوّلوا مسار التحقيق، بعيداً عن القاعدة؛ لتوريط إيران. ومع ذلك، لم يقدّم بورتر أي دليل عملاني ملموس على تورّط القاعدة.

(٩) مقابلات أجراها المؤلف مع إسلاميين سعوديين رفضوا الكشف عن هوياتهم؛ و«الشيخ «أبو ليث القاسمي» أحد قياديي الجماعة المقاتلة بعد فراره من سجن الرويس،» <http://www.almuqatila.com>، وأبو جندل الأزدي، «وجوب استنقاذ المستضعفين في سجون الطواغيت،» منبر التوحيد والجهاد (٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws>.

السعوديين، منهم برباروس الشهير. وحدثت موجة اعتقالات رابعة وأخيرة للجهاديين قبل ١١ أيلول/سبتمبر في أواخر عام ١٩٩٨ أو في مطلع عام ١٩٩٩، حيث اعتقلت السلطات نحو ٣٠٠ شخص عقب اكتشاف محاولة ثانية لتهريب صواريخ[١٠].

كان لحملات القمع تأثير مؤلم في الوسط الجهادي؛ لأن الشرطة لجأت إلى التعذيب على نطاق واسع. إن الأدلة التي تشير إلى تعرّض المعتقلين في سجون، مثل: الرويس في جدّة للتعذيب بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٨ كثيرة ولا تقبل النقاش. بادئ ذي بدء تزخر المؤلّفات الجهادية السعودية بروايات مفصّلة عائدة إلى تلك الحقبة تحكي عن التعذيب ويدعم بعضها بعضاً. وقد أكّد محتَجَزون سابقون في سجن الرويس ممن أجريت مقابلات معهم تعرّضهم للتعذيب. ووثّقت منظمة العفو الدولية (Amnesty International) ومنظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومان رايتس ووتش) (Human Rights Watch)، أيضاً، استخدام التعذيب في السجون السعودية في هذه الحقبة. ومن نافلة القول إن كثيراً من المحتجزين لبثوا في السجون مدداً طويلة من دون محاكمة[١١].

ومما زاد صدمة سوء المعاملة سوءاً أنّ المحتجزين رأوا في ما قاموا به في الخارج عملاً شرعياً، تماماً، بل وحظي بمباركة الدولة. وهناك موضوع شائع في مؤلّفات الجهاديين السعوديين وهو المرارة الشديدة؛ لجحود الدولة تضحيات المجاهدين. وكما بيّن علي الحربي المسلّح في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عام ٢٠٠٣:

---

(١٠) مقابلة أجراها المؤلف مع فارس بن حزام؛ *World Report 1997* (New York: Human Rights Watch, 1998), p. 297; «820 Mujahideen Imprisoned in Saudi Arabia,» (March 1998), <http://www.azzam.com>; «Saudi Torturers Rape Mujahideen during Interrogation,» <http://ww.azzam.com>, and «Over 300 Bin Laden Companions Arrested in Saudi Arabia,» *Ausaf* (26 March 1999).

(١١) انظر على سبيل المثال: «التعذيب في السجون السعودية،» **نداء الإسلام**، العدد ٢١ (١٩٩٧)؛ الأزدي، «وجوب استنقاذ المستضعفين في سجون الطواغيت». انظر أيضاً شهادة علي الحربي في فيلم «بدر الرياض» الذي أنتجه تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ مقابلات أجراها المؤلف مع ثلاثة إسلاميين سعوديين رفضوا الكشف عن هوياتهم. انظر: «Saudi Arabia: A Secret State of Suffering,» (Amnesty International, 2000), and «Saudi Arabia Remains a Fertile Ground for Torture with Impunity,» (Amnesty International, 2002).

ذهبنا إلى البوسنة نصرةً لإخواننا وتشجيعاً من التلفزيون السعودي... ذهبنا إلى هناك ثم عدنا بعد ذلك فوجدنا منهم السجن والتعذيب، وألقوا بنا في الزنازين. أنا ألقيت في الزنزانة سنة وثلاثة أشهر من دون أي سبب، إلا لأنني ذهبت إلى البوسنة. وأُسر معي الكثير من الإخوة... وكانوا قد عُذّبوا...[١٢].

آلمت حملاتُ القمع في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨ جيلاً من الجهاديين، وأسهمت، بقوة، في جنوح الحركة الجهاديّة السعودية إلى التطرّف. وهناك روايات عديدة، تصف كيف أنّ المحققين اتهموا المحتجَزين بأنهم تكفيريون (وهم الإسلاميون الذين يكفرون كثيراً من المسلمين بسبب ما يعتبرونه مخالفات عقائدية)، وهي تهمة أنكرها المحتجَزون جملة وتفصيلاً. عُذّبوا آنذاك لإكراههم على الاعتراف بأنهم يكفّرون الملك ونظامه. وهناك أدلة قوية تشير بحقّ إلى أنّ كثيراً من المحتَجَزين لم يروا النظام كافراً، وإنما كانوا جهاديين كلاسيكيين مناصرين للصراعات المدافعة عن الوحدة الإسلامية خارج المملكة العربية السعودية. وعندما أُخلي سبيلهم أضحوا أكثر انتقاداً بالبداهة للنظام، ولم يكفّروه دائماً حتى في تلك المرحلة. وبالتالي أوجدت السلطاتُ الظاهرةَ عينَها التي كانت تسعى إلى مجابهتها، وكما أشار ناصر البحري:

«كان هؤلاء الشباب (ضد) فأصبحوا الآن (مع)، كانوا ضد العمليات داخل السعودية، فأصبحوا هم الذين ينفّذونها داخل السعودية، لماذا انضم الكثير منهم إلى تنظيم القاعدة؟ لأنهم أصبحوا يجدون فيه مُتَنَفَّساً للانتقام مما حصل لهم، فهذا لا بد من أن يوضع في الاعتبار»[١٣].

كما حمل التعذيبُ في سجن الرُّوَيس بعض المسلّحين إلى السعي للانتقام من المؤسسة الأمنية بعامة ومن بعض المحقّقين بخاصة. وزُعم أن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أعدّ «لائحة مطلوبين» ضمّت المسؤولين الأمنيين العشرة الكبار الذين أراد تصفيتهم. وفي حزيران/

---

(١٢) فيلم «بدر الرياض» (مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٤).

(١٣) **القدس العربي**، ٣/ ٨/ ٢٠٠٤.

يونيو ٢٠٠٥ قَتَل مسلّحون محقِّقاً معروفاً يدعى مبارك السوّاط خارج منزله في الرياض. عُرف باسم «مبارك» واكتسب سمعة سيئة في الوسط الجهادي؛ بسبب ما بلغهم من سوء معاملته للسجناء في الرويس في التسعينيات. وفي نيسان/أبريل ٢٠٠٧ ضرب مسلّحون عنق ضابط كبير في الشرطة بالقصيم لدوافع مشابهة. ووقع هجوم ثأري رمزي آخر في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦ عندما فتح مسلّحون النار على حرّاس أمنيين عند بوابة سجن الرويس[١٤].

لكن، في وقت قريب من عام ١٩٩٩، لانت الرقابة على الوسط الإسلامي إثرَ عملية واسعة من التحرّر السياسي المحدود، في المملكة العربية السعودية. تجلّى هذا التحرّر أساساً في وسائل الإعلام التي أُتيحت لها درجة أكبر من حرّية التعبير إلى حدّ ما بدءاً بعام ١٩٩٨. أتاح ذلك الفرصة بصفة خاصة لجماعة صغيرة من المفكرين الإسلاميين التقدّميّين لكي يثبتوا حضورهم على الساحة العامة. وجد هؤلاء المؤلفون الذين سمّاهم ستيفان لاكروا «الليبرو - إسلاميين» منبراً في صحيفة **الوطن** التي تأسست، حديثاً، في مدينة أبها الجنوبية، وتبنّت مواقف سياسية جريئة. والتطور الآخر هو إخلاء سبيل الصحويين المسجونين بالتدريج بدءاً بعام ١٩٩٧. وآخر من أُخلي سبيلهم: الشيخ سلمان العودة والشيخ سَفَر الحَوالي والشيخ ناصر العمر، وهم رموز الصحوة، في ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٩٩. وبحلول أواسط عام ١٩٩٩، وباستثناء حالات معدودة (مثل الشيخ سعيد بن زُعَير)، لم يبقَ من الصحويين في السجون أحد[١٥].

تُعزى عملية التحديث هذه إلى عوامل رئيسة ثلاثة، **أولها** الصعود

---

(١٤) سيرة سُهيل السهلي (الملقب بياسين البحر)، في: محبّ الجهاد، «شهداء أرض الرافدين،» (٢٠٠٥)، على الموقع: <http://www.hikma.net>؛ Saad al-Matrafi, «Terrorists Wanted to Film Killing of al-Sawat,» *Arab News*, 30/6/2005; Samir al-Sa'di: «Officer Killed in Drive-By Shooting,» *Arab News*, 20/6/2005, and «Terrorists Likely Killed Officer,» *Arab News*, 16/4/2007, and Ebtihaj Nakshbandy, «Gunmen Kill Two in Attack outside Saudi Prison,» Reuters (7 December 2006).

(١٥) مقابلة أجراها المؤلف مع سعود السرحان في الرياض، نيسان/أبريل ٢٠٠٤؛ ومقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي في الرياض، نيسان/أبريل ٢٠٠٤، و «Saudi Arabia Releases Three Activists,» ArabicNews.com (28 June 1999).

السياسي لولي العهد آنذاك الأمير عبد الله، الذي توسّعت سلطاته تدريجياً بعد إصابة الملك فهد بجلطة دماغية في عام ١٩٩٦. ربما أحسّ الأمير عبد الله ذو التوجّه الإصلاحي بثقة كافية بموقعه، في عام ١٩٩٨؛ فأتاح حيّزاً أكبر للنقاش العام. وربما استغلّ ذكرى مرور مئة سنة هجرية على تأسيس المملكة العربية السعودية كمناسبة ملائمة للقيام بأعمال رمزية وإدخال تغييرات طفيفة على المسار السياسي. و**العامل الثاني** هو «تأثير الجزيرة»، وهي محطة تلفزيونية فضائية تتخذ من قطر مقرّاً لها، بدأت بالبث في عام ١٩٩٦، واستقطبت على الرغم من الحظر الرسمي المفروض على الأطباق اللاقطة للبثّ الفضائي، جمهوراً عريضاً في المملكة العربية السعودية. إنّ الصراحة التي تميّزت بها الحوارات على قناة الجزيرة، عرّت جمود الإعلام السعودي، وأدّت إلى مطالبة البعض بإصلاح إعلامي في المملكة. و**العامل الثالث** هو تراجع أسعار النفط في أواخر التسعينيات؛ إذْ إنّ منظّري الدولة الريعيّة دفعوا باتجاه أن تُقِدم الحكومةَ على إيلاء عناية أكبر للمطالب الشعبية، وذلك كوسيلة للتعويض عن قدرتها المتآكلة على تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية.

وكجزء من هذا الانفتاح السياسي المحدود، أمرت الحكومة بإصلاح نظام السجون ووقف أعمال التعذيب التي تطال المحتجَزين الأمنيين. واعتُرف بضحايا التعذيب بل وذُكر تلقّيهم تعويضات ماليّة من الدولة. وبناءً على ما تقدّم، خفّت أعمال التعذيب، بدرجة كبيرة في السجون السعودية في هذه المرحلة، وربما لم يحظ المشتَبَهون أمنيّاً بمعاملة كبار الشخصيات، لكن الظاهر أنّ أغلب الممارسات البشعة توقّفت نهائياً[١٦].

وبإصلاح نظام السجون في عام ١٩٩٩، عادت المؤسسة الأمنية السعودية إلى أسلوبها «العادي» القائم على فرض رقابة ليّنة نسبيّاً وغير عدوانية على الإسلاميين. ومع ذلك، وردت تقارير قليلة عن قيام الشرطة بمداهمات عنيفة بين مطلع عام ١٩٩٩ وأواخر عام ٢٠٠٢، لكنّ الشرطة

(١٦) مقابلة أجراها المؤلّف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن اسمه ومع سعود السرحان؛ مقابلة أجراها المؤلف مع كريستوف ويلكي (Christoph Wilcke) الباحث من هيومان رايتس ووتش، في نيويورك، آذار/ مارس ٢٠٠٧.

السعودية عاملت الوسط الجهادي السعودي برفق على ما يبدو، طالما أن أنشطته العسكرية، في الخارج على الأقل، وليس لها صلة ظاهرة بأسامة بن لادن.

لم يكن التردّد في تفكيك شبكات الجهاديين الخاصة باستقطاب المجنَّدين وجمع الأموال بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٢ عائداً إلى الثقافة الأمنية ببساطة بل كان مرتبطاً بالسياسة؛ إذْ تمسّكت الدولة بصورة المدافع عن القضايا الإسلامية وذلك كسباً للشرعيّة السياسية، وبقيت شرائح واسعة من الشعب السعودي ترى في مؤازرة جماعات المقاومة المسلمة رديفاً للتضامن والإيثار. وهناك أسباب وجيهة للاعتقاد بأنّ أقساماً من المؤسسة الأمنية السعودية تعاطفت مع صراعات المقاومة في الشيشان وفلسطين أو مع نظام طالبان، وأنها كانت راضية عن إطلاق يد جامعي الأموال والجهاديين الكلاسيكيين والمجنّدين في العمل نسبياً. وكما في الاستخبارات الباكستانية (ISI) فالمتعارف عليه أن الشرطة والأجهزة الأمنية السعودية ضمّت عدداً من الضباط المتديّنين، وإن كان كثير من التكهنات الغربية بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر حيال وجود متعاطفين مع القاعدة في المؤسسة الأمنية السعودية كان مبالغاً فيها بلا شك، لكن سيكون من السذاجة القول إنه لم يكن في المؤسسة الأمنية السعودية أحد تعاطف مع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. وهناك أدلة ملموسة تؤكد اختراق الجهاديين لبعض الأجهزةَ الأمنية السعودية في أواخر التسعينيات؛ ذلك أنّ قوات التحالف في أفغانستان عثرت في أواخر عام ٢٠٠١ على وثائق في الملاذات الآمنة للقاعدة، منها: تقارير استخباراتية سعودية سرّية(١٧).

المشكلة الرئيسة في مقاربة المؤسسة الأمنية السعودية مع النشاط

---

(١٧) في أواخر عام ٢٠٠١، اشترى صحافيون من **وال ستريت جورنال** حاسوباً من أفغاني، في كابل، كان قد حصل عليه من منزل استخدمه تنظيم القاعدة في العاصمة الأفغانية؛ حيث دخل الأفغان المنزل، عقب قصف الطائرات الأمريكية له، وبعد أن فرّ منه ساكنوه العرب. استخدم ذلك الحاسوب أيمن الظواهري ومسلّحون عرب آخرون، منهم: أعضاء في حركة الجهاد الإسلامي المصرية. ومن بين الوثائق اللافتة التي عُثر عليها مستندات سرّية عائدة إلى الأجهزة الأمنية السعودية؛ مقابلة أجراها المؤلف مع أندرو هيغينز (Andrew Higgins) في باريس، آذار/ مارس ٢٠٠٥.

الإسلامي، بدءاً بأواسط التسعينيات، لم تكن في شراستها ولا استكانتها بل كانت في عدم اتساقها. في الواقع، كانت المؤسسة الأمنية السعودية قاسية وليّنة في الوقت نفسه. أو بعبارة أدقّ، بدأت قمعيّة وانتهت مستكينة، وهو أمر ثبت أنّه صيغة غير ناجحة ذكّرت بإخلاء الرئيس المصري أنور السادات سبيل الإسلاميين بشكل مفاجئ في عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، بعد سنين من الاضطهاد الوحشي في زمن عبد الناصر. فاللجوء إلى التعذيب في أواسط التسعينيات دفع جيلاً من المسلّحين إلى التطرّف قبل أن يُتاح لهم هامش كبير للعمل والمشاركة بعد ذلك. وقد توسّعت نافذة الفرص السياسية هذه بفعل عدد من التطوّرات السياسية الدولية التي حدثت في وقت واحد تقريباً.

ثالثاً: قضايا وحدويّة إسلامية جديدة

بعد نصف عقد من الهدوء النسبي على جبهة القتال للأمة، وقعت سلسلة من الأحداث بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، أنعشت المشاعر الوحدوية الإسلامية لدى الشعب السعودي، بعامة، ولدى الدوائر الإسلامية، بخاصة. فالزيادة الحقيقية في الصراعات العنيفة والبارزة، التي كان المسلمون الطرفَ الخاسر فيها، أعطت الخطاب الوحدوي الإسلامي دفعة قوية.

أول صراع لامس عصب الوحدة الإسلامية كان صراع كوسوفا (Kosovo)؛ حيث صعّدت القوات الصربية، التابعة لسلوبودان ميلوسوفيتش (Slobodan Milosevic)، حملة التطهير العرقي التي استهدفت المسلمين من السكان الألبان الكوسوفيين في مطلع عام ١٩٩٩. وكما في الصراعات السابقة التي كان السكان المسلمون أطرافاً فيها، التأمت منظّمة المؤتمر الإسلامي، بسرعة؛ لإصدار بيان لنصرة المسلمين في كوسوفا. وأصدرت الحكومة السعودية بيانات شجب للأفعال الصربية، وبذلت جهوداً لوضع قضية كوسوفا على الأجندات المحلّية والدولية. وما إن تصدّر الصراع عناوين الأخبار، حتى شكّلت الحكومة السعودية لجنة مشتركة لكوسوفا (برئاسة الأمير نايف)، قدّمت مساعدات بقيمة ٤٥ مليون دولار بحلول آب/ أغسطس ١٩٩٩. ومنحت وسائلُ الإعلام السعودية، التي واكبتها الآن

قناةُ الجزيرة، التطوراتِ هناك تغطية واسعة. كما توافر دليل على مشاركة عسكريّة محدودة لجهاديين سعوديين في كوسوفا[(١٨)]. على أن التطوّر الأهمّ، كان الحرب الشيشانية التي اندلعت، في أواخر آب/ أغسطس ١٩٩٩، عندما غزت روسيا جمهورية الشيشان؛ ردّاً على غارات شنّها زعيم المتمردين شامل بسايف (Shamil Basayev) على جمهورية داغستان (Dagestan). فقد قتلت الحملة الجوية الروسية الشعواء والهجوم البري، آلاف المدنيين وجعلا العاصمة غروزني مسطّحة. وقد حظيت هذه الأحداث بتغطية إعلامية واسعة في المملكة العربية السعودية والعالم العربي. وأثار الوضعُ صيحات التعاطف السعودية الرسمية مع الشيشانيين، وإن كانت الإدانات الرسمية محسوبة بعض الشيء مراعاةً لقوة روسيا برئاسة بوتين (Putin). كما قدّمت السلطات السعودية مساعدات اقتصادية وإنسانية ضخمة للشيشان لكنها لم تقدّم مساعدات عسكرية. والأهم من ذلك أن العلماء المنتمين إلى المؤسسة الدِّينية السعودية، مثل: الشيخ محمد بن عُثَيمين، فضلاً عن شيوخ إسلاميين مؤثّرين، مثل: عبد الله بن جبْرين، أفتَوا، في أواخر عام ١٩٩٩، بأن المقاومة الشيشانية جهاد مشروع[(١٩)].

---

(١٨) «OIC Denounces Serbs' Aggression on Kosovo,» ArabicNews.com (22 March 1999).

وُصفت المساعدات السعودية الرسمية التي قُدمت لكوسوفا بالتفصيل في مجلة أصدرتها السفارة السعودية في واشنطن في أواخر عام ١٩٩٩. انظر: «Extending a Helping Hand to Those in Need Throughout the World,» *Saudi Arabia*, vol. 16, no. 3 (1999), < http://www.saudiembassy.net >.

من المعلوم أن سعودياً واحداً على الأقل يدعى سمير الثُّبَيتي قاتل في كوسوفا، انظر: أبو الزبير المدني، في: حمد القطري، **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك** (كتاب إلكتروني)، ط ٢ (٢٠٠٢)، ص ٤٥ ـ ٥٧. أشار الجهادي الأمريكي أوكاي كولينز الذي اعتنق الإسلام، والذي كتب عن مغامراته في كوسوفا، إلى تواجد مقاتلين عرب ومنظمات إسلامية أجنبية في كوسوفا في ربيع العام ١٩٩٩. انظر: Aukai Collins, *My Jihad: The True Story of an American Mujahi's Amazing Journey from Usama Bin Laden's Training Camps to Counterterrorism with the FBI and CIA* (New York: Lyons Press, 2002), pp. 177-212.

(١٩) «Saudi Arabia Renews its Sorrow towards the Attacks against Chechnya,» ArabicNews.com (30 December 1999); «Saudi Monarch Donates 5 Million Dollars for Chechens,» ArabicNews.com (28 December 1999); «Saudi Denies Supporting Chechen Rebels,» ArabicNews.com (21 September 1999); Muhammad bin Uthaymin, «Untitled Fatsoaon Chechnya,» (1999), < http://www.qoqaz.com >, and

عبد الله بن جبرين، «حال المجاهدين وواجب المسلمين نحوهم،» (الحكم رقم ١٥٢٨) (١٩٩٩)، < http://www.qoqaz.com >.

شكّل الصراع الشيشاني عنصراً حاسماً، في تنامي الحركة الجهادية العالمية في المملكة. إنّ مشاعر الغضب التي أجّجتها الحرب في الشيشان، من أكثر الدوافع التي أشار إليها السعوديون الذين توجّهوا إلى أفغانستان بدءاً بعام ١٩٩٩. هناك جملة من العوامل التي تفسّر سبب إطلاق القضية الشيشانية هذه الردود القويّة، داخل المملكة العربية السعودية، **الأول** هو كثرة أعداد القتلى؛ إذْ إنّ نطاق المذابح الروسيّة في الشيشان ووحشيتها، تخطّت ما حدث في سائر الصراعات السابقة التي كان المسلمون طرفاً فيها. و**العامل الثاني** هو دور قناة الجزيرة؛ إذْ إنّ الشيشان كانت أول قضية وحدوية إسلامية رئيسة، غطتها هذه المحطة الفضائية العربيّة خارج فلسطين ولبنان. و**العامل الثالث** هو وجود خطّاب، القائد السعودي للمقاتلين العرب في الشيشان. غرس خطّاب حسّ الاعتزاز الوطني في نفوس الشباب الإسلامي السعودي، وتفانى كثير من أصدقائه المقرّبين في المملكة، مثل: خالد السُّبَيت في زيادة الوعي بالقضية الشيشانية.

التطوّر السياسي الدولي الثالث الذي ساعد على تنامي التيار الجهادي العالمي في المملكة، كان التوترات بين نظام طالبان والغرب التي بلغت أوجها في مطلع عام ٢٠٠١. ذلك أنّ قضية تسليم أسامة بن لادن بدءاً بعام ١٩٩٨، وتدمير التماثيل البوذية في باميان (Bamiyan) في آذار/ مارس ٢٠٠١، والقلق العام حيال أوضاع حقوق الإنسان، أجّجت حرباً كلامية مستمرة وحوّلت نظام طالبان إلى نظام منبوذ على الساحة الدولية. وإذْ لم تُؤجج القضيةُ الأفغانية مشاعر الوحدة الإسلامية في السعودية، مثل: القضية الشيشانية أو الفلسطينية، في تلك الحقبة، فقد أثّرت في انضمام الشباب إلى تنظيم القاعدة؛ لأنّ طالبان استحوذت على اهتمام المشايخ الراديكاليين في مدرسة الشُّعَيبي (أنظر أدناه).

العامل الرابع الذي أسهم في تنامي الوحدة الإسلامية في المملكة، كان الانتفاضة الفلسطينية الثانية. ففي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠، أطلقت زيارةُ أرييل شارون إلى جبل الهيكل (المسجد الأقصى) شرارة ثورة كانت تختمر في مجتمعٍ فلسطيني فقدَ الثقة باتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣. كانت

الحكومة السعوديّة شديدة المجاهرة بشجبها للقمع الوحشي الإسرائيلي للثورة، وقدّمت المملكة مبالغ ماليّة ضخمة لأعمال الإغاثة الإنسانيّة في فلسطين. ففي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠، أسست الحكومةُ السعودية «صندوق الأقصى»؛ لجمع الأموال من جهات عربيّة لتمويل المشاريع الرامية إلى «حماية الهوية العربية والإسلامية للقدس»، فضلاً عن «صندوق الانتفاضة» لدعم «أُسر الشهداء». وأسهمت المملكة بربع قيمة الرأسمال الكلي البالغ مليار دولار لهذين الصندوقين. وشُكّلت «لجنة دعم انتفاضة الأقصى» برعاية الأمير نايف. كما نظّم التلفزيون السعودي عدة حملات لجمع التبرعات، جذبت أموالاً خاصة ضخمة. وفرضت السلطات، أيضاً، حظراً على الشركات الأجنبيّة التي تتعامل مع إسرائيل وحظي بتغطية واسعة[٢٠].

ليس مفاجئاً أن الانتفاضة ألهبت الرأي العام السعودي، ورفعت مستوى مشاعر معاداة أمريكا على نحو دراماتيكي في المملكة. وبحسب الرسائل الدبلوماسية، التي أبرقتها السفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية، في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١، لمس المسؤولون الأمريكيون في المملكة العربية السعودية «تحوّلاً راديكالياً» في المواقف المحلّية تجاه الأمريكيين، في أواخر عام ٢٠٠٠. تحدثت البرقيات عن زيادة دراماتيكية في عدد التهديدات بواسطة المكالمات الهاتفية، وعن حوادث إلقاء حجارة وتحطيم سيارات. كما إن تنامي مشاعر الكراهية للغرب قاد إلى سلسلة هجمات، أخطر بكثير، استهدفت غربيين في المملكة. في الواقع، قُتل ستة غربيين وأصيب ثلاثون آخرون بجروح في سلسلة تفجيرات، وعمليات اغتيال، بين أواخر عام ٢٠٠٠ ومطلع عام ٢٠٠٣،

---

(٢٠) «Saudi Cabinet Denounces Israeli Attacks against the Palestinians,» ArabicNews.com (3 October 2000); «More Saudi Arabian Aid to the Palestinian Government,» ArabicNews.com (7 November 2000); «Saudi Aid to the Palestinians,» ArabicNews.com (4 July 2001); «Saudi Arabia Completes Contribution to Arab Funds for Palestinians,» ArabicNews.com (10 December 2001); «SR600 Million Raised for Palestinians in Three-Day Telethon,» *Arab News*, 15/4/2002; «New Saudi Donation Campaign for the Intifada,» ArabicNews.com (7 June 2001); «One Saudi Donates $6 Million to the Palestinian Intifada,» ArabicNews.com (3 September 2001), and «Saudi Defense Minister Calls for Boycotting Companies Dealing with Israel,» ArabicNews.com (18 June 2001).

لكنّ الغرب تجاهل، إلى حدّ بعيد، هذا «التمرّد الهادئ»[٢١].

في أواخر عام ٢٠٠٠ ومطلع عام ٢٠٠١، انفجرت أربع قنابل صغيرة تحت سيارات وافدين بريطانيين وإيرلنديين في الرياض، ما أدّى إلى مصرع واحد وإصابة اثنين بجروح. وبينما أغلب المراقبين الغربيين اشتبهوا في تورّط إسلاميين راديكاليين، اتهمت الشرطةُ السعودية تجاراً غربيين متشاحنين يتاجرون بالمسكرات، بشكل غير مشروع، بتلك الهجمات. أُلقي القبض على بعض الوافدين وعُرضوا على شاشات التلفزة في عام ٢٠٠١؛ للإدلاء باعترافاتهم. واليوم، قلّة هم الأشخاص خارج المملكة الذين يعتقدون أن تجار المسكرات دبّروا تلك الهجمات، علماً بأنّ السلطات لم تعرض طبيعة الأدلّة الجنائية التي أدانت المتّهمين. وأنكر المشتبه بهم، وجميعهم مهنيّون يتقاضَون أجوراً عالية، وليس لهم سجل إجرامي عنفي سابق، ضلوعهم في التفجيرات، وقالوا إنهم أُرغموا على الاعتراف بعد تعرضهم للضرب. آخر الملاحظات وأهمها، أنّ هجمات، من النوع ذاته، تواصلت بعد سجن المذكورين المشتبه بهم. وفي أواسط عام ٢٠٠٢، استُهدف وافدون غربيون بأربع سيارات جديدة مفخّخة ما أدّى إلى مصرع اثنين، واستمرت وزارة الداخلية السعودية في الإصرار على أنّ السيارات المفخخة ذات صلة بصراعات نفوذ بين تجار مسكرات غير شرعيين في الرياض، واعتقلت مزيداً من الأشخاص[٢٢].

---

(٢١) «Intifada Stirs up Gulf Arab Resentment against Israel and the USA,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 13, no. 5 (2001); Susan Taylor Martin, «Americans Feared Attacks in Arabia,» *St Petersburg Times*, 3/8/2003, and «Bin Laden/Ibn Khattab Threat Reporting,» (Defendant's exhibit 792-US v. Moussaoui, 2001), <http://www.rcfp.org>.

(٢٢) «Briton Killed in Saudi Blast,» BBC News Online (17 November 2000); «New Saudi Car Blast,» BBC News Online (23 November 2000); «Another Briton Hurt by Bomb in Saudi Arabia,» Reuters (17 December 2000); Saeed Haider, «Briton Hurt in Car Bombing Loses a Hand,» *Arab News*, 18/12/2000; «Saudis Investigate Fourth Bomb,» BBC News Online (17 January 2001); Neil MacFarquhar, «Car Bomb Kills a British Banker in Saudi Arabia,» *New York Times*, 21/6/2002; Brian Whitaker, «Saudi Car Bomb Find Fuels Fears of Terror Campaign,» *Guardian*, 1/7/2002, and «Man Killed by Saudi Car Bomb,» BBC News Online (29 September 2002).

للاطلاع على «اعترافات» تجار المسكرات، انظر: «Westerners Confess to Saudi Bombs,» BBC News Online (4 February 2001), and «Britons Confess to Saudi Bombings,» BBC News Online (13 August 2001).

شهدت المملكة العربية السعودية حوادث أخرى في عام ٢٠٠١، لم يقدَّم لها أي تفسير. ففي ١٥ آذار/ مارس، انفجرت عبوة قبالة مكتبة جرير في شارع العليا في وسط الرياض، ما أدّى إلى إصابة بريطاني ومصري بجروح طفيفة. وفي ٢ أيار/ مايو، أُصيب طبيب أمريكي بجروح إثر انفجار طرد مفخَّخ في مكتبه بالخُبر. وفي ٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، أدّى انفجار عبوة في شارع تجاري مزدحم إلى مصرع أمريكي وإصابة، على الأقل، أربعة آخرين بجروح. وفي ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، أُلقيت قارورة مُلئت حمضاً على سيارة أسرة ألمانية في الرياض[٢٣].

استمرّ التمرّد الهادئ طوال عام ٢٠٠٢ إلى مطلع عام ٢٠٠٣، مع وقوع حوادث متقطّعة، مثل: إلقاء زجاجات مولوتوف على مطاعم ماكدونالدز وإطلاق نار عشوائي من السيارات على غربيين. وفي ٥ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢، أطلق قنّاص النار على مغترب أسترالي في تبوك، وفي مطلع شباط/ فبراير ٢٠٠٣، أطلق مسلّح النار على مغترب أسترالي في قاعدة خميس مشيط، وفي ٦ شباط/ فبراير، أصيب مهندس بريطاني، وهو يهمّ بالدخول إلى مجمّع سكني، بجروح، إثر تعرّضه لإطلاق نار من مسلّح كان يستقلّ سيارة. وفي ٢٠ شباط/ فبراير، أُردي بريطاني آخر قتيلاً، في الرياض، على يد مسلّح عند إشارة مرورية. وفي ١ أيار/ مايو

= وللاطلاع على مزاعم التعرّض للتعذيب، انظر: Mark Hollingsworth and Sandy Mitchell, *Saudi Babylon: Torture, Corruption and Cover-Up Inside the House of Saud* (Edinburgh: Mainstream, 2005); «Saudi Justice?,» CBS News Online (9 May 2004), and «Belgian Sues Saudi Interior Minister,» Reuters (29 October 2005).

لمعرفة تصاريح الإنكار السعودية، انظر مثلاً: «Kingdom not Targeted by Al-Qaeda, Sultan Says,» *Arab News*, 23/6/2002; «Saudis Deny Blasts Link to Terror,» BBC News Online (30 September 2002), and «Saudi Prince: No Political Motives Behind Riyadh Explosion,» ArabicNews.com (1 October 2002).

(٢٣) «Saudi Blast Injures Briton and Egyptian,» BBC News Online (16 March 2001); «An Explosion in Front of a Library in al-Riyadh,» ArabicNews.com (16 March 2001); «US Doctor Wounded by Parcel Bomb,» BBC News Online (3 May 2001); «Target: Westerners,» *St. Petersburg Times*, 22/7/2002; Neil MacFarquhar, «Package Bomb Kills American in Saudi Arabia,» *New York Times*, 7/10/2001; John R. Bradley, «Saudi Sniper in Camouflage Fires on Australian at BAE Compound,» *Arab News*, 18/6/2002, and J. E. Peterson, «Saudi Arabia: Internal Security Incidents Since 1979,» *Arabian Peninsula Background Note*, no. 3 (2005), p. 8.

٢٠٠٣، اخترق مسلّح سعودي في زي البحرية السعودية، قاعدة في الجُبيل وقتل أمريكياً، قبل أن يلوذ بالفرار من دون أن يصاب بأذى(٢٤).

لا نعرف الجهة المسؤولة عن هذه الهجمات؛ لأنّ الشرطة السعودية لم تفتح تحقيقاً جدّياً في أي من هذه الحوادث. ولو وضعنا قضية تجّار المسكرات المزعومين جانباً، لم يقدَّم أي شخص للمحاكمة، علناً على الأقل، على خلفية أي من هذه الهجمات التي طالت غربيين بين تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠ وأيار/ مايو ٢٠٠٣. وفي الوقت عينه، بدا واضحاً لمراقبين واسعي الاطلاع أن أغلب هذه الهجمات من تدبير إسلاميين مسلّحين هواة، مدفوعين بمشاعر الكراهية للغرب. وأشار ازدياد النشاط على مواقع الجهاديين الإلكترونية بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٣، إلى وجود آلاف الناشطين المحلّيين الذين يتبنّون آراء شديدة العداء للغرب في المملكة العربية السعودية؛ إذ إنّ أحد المؤشرات القويّة على ضلوع الإسلاميين في التمرّد الهادئ نشر كتاب على منتديات الجهاديين على الإنترنت، بعنوان: «تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنّة الاغتيال». يشرح هذا الكتيب، المؤلف من ١١٤ صفحة، طرقاً متنوعة لاغتيال غربيين في سياق الوضع السعودي. ونشير إلى أن الطرق كافة التي استُخدمت، في الحقبة الممتدّة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٣، مثل إرسال طرود مفخّخة وتفجير سيارات وإطلاق النار من السيارات، مبيّنة بالتفصيل في هذا الكتاب(٢٥).

يتضح مما تقدّم، أنّه كان لنزعة معاداة الغرب، ذات الطابع العنيف التي أفرزت حملةَ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب سوابق ترجع إلى سنة ٢٠٠٠، عندما أشاعت القضيتان الفلسطينية والشيشانية صحوة وحدوية

---

(٢٤) «Gunman Ignites Fire at McDonald's,» *Arab News*, 21/11/2002; «Saudis Arrest McDonald's Bomb Suspect,» BBC News Online (27 February 2003); Donna Abu Nasr, «String of Crimes Leaves Sense of Insecurity,» Associated Press (27 February 2003); «Shooting: Brits Rethink Saudi Work,» *BBC News Online* (21 February 2003); «Briton Killed in Saudi Arabia,» BBC News Online (21 February 2003), and Andrew Hammond, «Gunman Wounds US Defense Worker in Saudi Arabia,» Reuters (1 May 2003).

(٢٥) أبو جندل الأزدي، «تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنّة الاغتيال» (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.com>.

إسلامية. بيد أن هذه الصحوة لم تكن ببساطة رداً على حوادث دولية فحسب، بل قد أجّجتها مؤلَّفات جماعة من المفكرين الراديكاليين الذين علا شأنهم في بُرَيدة والرياض، في أواخر تسعينيات القرن الماضي.

رابعاً: صعود مدرسة الشُّعَيبي

قلّة ضئيلة من العلماء السعوديين الذين كانوا على استعداد لمؤازرة فكرة الدخول في حرب عالمية مع أمريكا، في أواسط التسعينيات، إلا أنه اتضح بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، أن وسطاً بأكمله من العلماء في المملكة متحمّس لتأييد عمليات تستهدف الغرب وتحصد عدداً هائلاً من الأرواح. ولم يكن لهؤلاء العلماء صلة بالقاعدة، لكنهم نشطوا، كجهات أيديولوجية مستقلة، على الساحة الإسلامية المحلّية. صاغ هؤلاء الفرصَ السياسية للتيار الجهادي، بإضفاء شرعية دينية على مواقف وحدوية إسلامية تزداد تشدداً. لكن، من أين جاء هؤلاء الأشخاص وكيف علا شأنهم؟

ليس صعود «مدرسة الشُّعَيبي» الشرعية سوى واحد من تغيّرات كثيرة، شهدتها الساحةُ الإسلامية السعودية، في أواخر التسعينيات. إلا أن هذه التغيّرات، بمجموعها، جاءت حصيلة عاملَين رئيسيَّين: **أولهما**؛ الفراغ في السلطة الدِّينية الذي أحدثه رحيل رجال الإسلام السلفي المعمّرين الثلاثة العظام في تتابع سريع، وهم: الشيخ عبد العزيز بن باز (تُوفي في ١٣ أيار/مايو ١٩٩٩)، والشيخ ناصر الدِّين الألباني (تُوفي في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩) والشيخ محمد بن عُثَيمين (تُوفي في ١٠ كانون الثاني/يناير ٢٠٠١). وعلى العكس من خلفائهم، تمتعت هذه الشخصيات بصدقية في الدوائر المتشددة؛ لأنها كاريزمية ومتبحّرة في العلم ولها سوابق في الاعتراض على الأُسرة الملكية. و**العامل الثاني**؛ هو غياب التيار الإسلامي السائد (لتغييب رموزه في السجون) والافتقار إلى تعاونه بعد ذلك، والممثَّل برموز الصحوة البارزين، وفي مقدّمتهم الشيخ سلمان العودة والشيخ سَفَر الحَوالي. وبالتالي؛ كانت مدرسة الشُّعَيبي نتاج صراعات قوى في الساحة الإسلامية السعودية في ظلّ غياب سلطات دينيّة قويّة وشخصيات كاريزمية.

تطوّرت مدرسة الشُّعَيبي على شكل شبكة فضفاضة من علماء أقاموا ببُرَيدة والرياض، وتقاسموا عدداً معيّناً من الآراء السياسية، وبقوا على اتصال شخصي ببعضهم بعضاً، ودرّسوا وسطاً متشابكاً من طلاب الشريعة. وتكوّنت هذه المجموعة من الشخصية المحورية، وإن كانت رمزية أساساً، أعني الشيخ حمود العُقلا الشُّعَيبي، ومن علماء متوسطي العمر من مثل الشيخ ناصر الفهد والشيخ علي الخُضَير والشيخ سليمان العلوان والشيخ عبد العزيز الجربوع. ومع أنّ الشبكة ضمّت شخصيات علميّة أخرى عديدة، كانت تلك الشخصيات الخمس هي الأوسع نشاطاً وتأثيراً فيها(٢٦).

الشخصية المحورية كانت الشيخ حمود بن عُقلا الشُّعَيبي السبعيني الكفيف البصر، وهو رجل جاد صارم، حاز نفوذاً كبيراً في الأوساط الدِّينية المحافِظة؛ لكبر سنّه وتاريخه في المؤسسة الدِّينية الوهّابية. في الواقع، تُشبه سيرة حياة الشُّعَيبي تاريخ نظام التعليم الشرعي النجدي. وُلد في عام ١٩٢٧، في قرية شقرا القريبة من بُرَيدة، من قبيلة بني خالد التي اشتُهرت بإنجابها كثيراً من العلماء الوهّابيين. فقد الشُّعَيبي بصره، جرّاءَ إصابته بمرض الجُدَري، وهو في سنّ السابعة، ونذر نفسه لتلقي العلوم الشرعية، وكذلك فعل كثير من الأطفال المكفوفين؛ لغياب بدائل أخرى. ثم انتقل إلى الرياض في عام ١٩٤٨ للتتلمذ بصورة غير رسمية على أيدي علماء وهّابيين مرموقين، مثل: الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ. وفي عام ١٩٥٢، التحق الشُّعَيبي بالمعهد العلمي الذي تأسس حديثاً في الرياض، وتلقّى العلم من علماء مرموقين، منهم: الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد الأمين الشنقيطي. وفي عام ١٩٥٥، أصبح وهو في سنّ الثامنة والعشرين من أوائل الطلاب، في جامعة الإمام محمد بن سعود؛ حيث حصل على منصب تعليمي بعد ثلاث سنين. وفي

---

(٢٦) من هذه الشخصيات أحمد الخالدي وعبد الله السعد، وكذلك وإن بدرجة أقل محمد بن فهد الرَّشودي وعبد الكريم الحُمَيد. ولو استثنينا الخالدي المقيم في الهفوف، عاش الباقون في بُرَيدة والرياض. لمعرفة المزيد عن هذه الشخصيات، انظر: Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» pp. 601-609.

سياق العقود الثلاثة التالية، درّس أجيالاً من العلماء الوهّابيين الطموحين، ووطّد نفسه واحداً من العلماء المبجَّلين في المملكة(٢٧).

وفي عام ١٩٨٦، عاد الشيخ الشُّعَيبي البالغ من العمر تسعاً وخمسين سنة إلى مسقط رأسه بُرَيدة للتدريس في فرع جامعة الإمام في القصيم. في هذه المرحلة، كانت حركة الصحوة في تصاعد، وانجذب الشُّعَيبي إلى النشاط الإسلامي في بُرَيدة في تسعينيات القرن الماضي. وفي عام ١٩٩٤، أقيل الشُّعَيبي من منصبه التعليمي. وربما كان لذلك عدة أسباب منها أسباب شخصية؛ إذ اشتُهر بعلاقته المتوترة مع الشخصية المحورية في الكلّية التي درّس فيها، أعني الشيخ محمد ابن عُثيمين، الذي كان منزعجاً من كون الشيخ الشُّعَيبي محدوداً في معرفته الشرعيّة. لكنّ السبب الرئيس لإقالته، كان مشاركته في حركة الصحوة. ففي عام ١٩٩٢، كان الشُّعَيبي أحد كبار العلماء الذين رجع إليهم النشطاء الصحويون لإضفاء الشرعية على «مذكرة النصيحة» ودعمها سياسياً. وإذْ لم يكن الشُّعَيبي من بين أنشط رجالات الحركة الصحوية؛ فقد أفلت من حملة القمع في أواخر عام ١٩٩٤، لكنه سُجن في حزيران/ يونيو ١٩٩٥ بضعة أسابيع بسبب أنه وزّع على طلابه منشورات صادرة عن محمد المسعري رئيس «لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية» المَنفي(٢٨).

إن الحديث عن طرد الشُّعَيبي من جامعة الإمام مهم لفهم الدور

---

(٢٧) انظر الكتب الإلكترونية الآتية: عبد الرحمن بن محمد الهرفي، «السيرة الذاتية لسماحة الشيخ حمود بن العُقلاء الشُّعَيبي،» (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net/Warathah/hmood/h34.htm>؛ عبد الرحمن بن عبد العزيز الجفن، «إيناس النبلاء في سيرة شيخنا العُقلاء،» (٢٠٠٢)، <http://www.al-oglaa.com/index.php?section=subject&SubjectID=1>، وأبو أنس الليبي، «الشيخ العُقلاء علم شامخ في زمن الانحطاط،» (٢٠٠٢)، <http://ww.almuqatila.com>.

كان في عداد طلاب الشُّعَيبي السابقين كثير من الشخصيات الدِّينية والقضائية في المملكة العربية السعودية، مثل: مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ووزير العدل عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ووزير الشؤون الإسلامية السابق عبد الله بن عبد المُحسن التركي، وكثير غيرهم.

(٢٨) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن اسمه، كان يدرس لدى الشُّعَيبي حتى وقت اعتقاله.

الذي اضطلع به بعد ذلك. فبعد حياة مهنية مديدة أمضاها في الجامعة، وجد الشُّعَيبي نفسه فجأة خارج تركيبة المؤسسة الدِّينية وسيطرتها. واصل الشُّعَيبي التدريس في منزله، لكنه استقطب عقب إطلاق سراحه من السجن طلاباً متشددين أكثر مما استقطب سابقاً. وبدءاً بعام ١٩٩٨ أضحى محطّ اهتمام كبير داخل المملكة؛ لمواقفه الحادة من عدد من القضايا[٢٩].

إنّ لجنوح الشُّعَيبي إلى السياسة علاقةً بالأشخاص الذين التفّوا حوله، أكثر منها بالمسار الفكري الذي اختاره لنفسه. والشُّعَيبي نفسه لم يكن القوة الدافعة لتشدد مدرسته وذلك لكِبر سنّه وفقده بصره، لكنّ الطلاب الأصغر سنّاً والأكثر تسيّساً هم الذين دفعوه في هذا الاتجاه. مال الشُّعَيبي بغريزته إلى شجب كل ما هو جديد وغير إسلامي؛ لتقشّفه وشدّة ميله إلى المحافظة في المسائل الاجتماعية. وكان في مقدور بعض طلابه المقربين الحصول على موافقة الشُّعَيبي أو رفضه في قضية ما بطريقة معيّنة، ثم نشرها على الإنترنت[٣٠].

بدءاً بعام ١٩٩٩ زاد تسرّع الشُّعَيبي في فتاواه وتوسّع مداها بشكل كبير، كما اقترنت فتاواه بالتطورات السياسية التي حدثت بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، وكانت تُنشَر على الإنترنت بعد فترة وجيزة من وقوع حادثة معيّنة. وبحسب مخالفين للشعيبي، فإن هذه الطريقة في نشر الفتاوى لا تُشبه طريقة كبار مشايخ الوهّابيين. وإذْ يصعب التحقق من فرضية التأليف المزوَّر، إلا أنه في ما يبدو ثمة شخصيات حرّضت الشُّعَيبي واستغلّته في سنواته الأخيرة، بحيث كان الشُّعَيبي أقرب للشخصية الصورية التي تم الاستفادة منها وذلك لكبر سنّه وعُلوّ مكانته. وخلف غطاء سمعة الشُّعَيبي، كان في مقدور الشخصيات الأكثر تأثيراً في مدرسته المضي إلى ما هو أبعد بكثير مما يمكنهم فعله من دون غطائه. وكان

(٢٩) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن اسمه.

(٣٠) مقابلة أجراها المؤلف مع فهد الشافي في الرياض في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤؛ مقابلات أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي وسعود السرحان.

القائدان الحقيقيان لهذا الأمر هما الشيخين علي الخُضَير وناصر الفهد[٣١].

وُلد الشيخ علي بن خُضَير الخُضَير في الرياض عام ١٩٥٤. تتلمذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على يد الشيخ الشُّعَيبي وآخرين قبل انتقاله إلى فرع الجامعة بالقصيم للتحضير لشهادة الماجستير، تحت إشراف الشيخ محمد بن عُثيمين، وحصل عليها في عام ١٩٨٣. ثم أمضى سنين عديدة في العمل مدرّساً للعلوم الشرعية في مدرسة للمجرمين الأحداث في بُرَيدة. يوحي هذا المسار المهني المتواضع أنه لم يكن لامعاً، على نحو استثنائي، مع أن الشُّعَيبي زكّاه كونه «أفضل طلابه على الإطلاق». كما أعطى الخُضَير دروساً في منزله كما أغلب العلماء في بُرَيدة، لكنّ طلابه كانوا، إلى أواسط التسعينيات، مدخليين، أي وهّابيين تقليديين سياسياً، ما يوحي أن الخُضَير نفسه لم يكن شديد التسيّس في البداية. وللسبب عينه، غلبت على منشورات الخُضَير، قبل أواخر التسعينيات، التعلقياتُ الدِّينية غير السياسيّة المتعارَف عليها في المؤلفات الوهّابية الكلاسيكية[٣٢].

ومع ذلك، ظهر الشيخان الخُضَير والشُّعَيبي في عداد حركة الصحوة في مطلع التسعينيات بتوقيعهم «مذكّرة النصيحة». ويذكر أحد الطلاب أن الخُضَير كتب رسالة إلى أمير القصيم، في عام ١٩٩٢ أو عام ١٩٩٣، اعترض فيها على تنظيم مناسبة رياضية كبيرة في بُرَيدة. وعقب اعتقال الشيخ سلمان العودة في أيلول/سبتمبر ١٩٩٤، ذُكر أن الخُضَير عمل على تشكيل جماعة ضغط باسم «جمعية الدفاع عن العلماء المسلمين»؛ لتعمل على إطلاق سراح القادة الصحويين. وشرع أيضاً في توزيع أشرطة

---

(٣١) تبيّن مكانةُ الشُّعَيبي الفريدة سبب نهوض الأمين العام لهيئة كبار العلماء للدفاع عنه في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١، بعد أيام من تشكيك صحيفة **عكاظ** في مقالة افتتاحية في حكم الشُّعَيبي، انظر: Dore Gold, *Hatred's Kingdom: How Saudi Arabia Supports the New Global Terrorism* (Washington, DC: Regnery, 2004), pp. 258-259, and

مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتَيبي.

(٣٢) مقابلة أجراها المؤلف مع سعود السرحان؛ «نُبذة عن الشيخ،» (٢٠٠٣)، <http://www.alkhodor.com>؛ وعلي الخضير، «الوجازة في شرح الأصول الثلاثة،» (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ١٩٩٤)، <http://www.tawhed.ws/dl?i=jthpo6yw>.

سمعية ومنشورات صادرة عن المسعري. ومن غير المفاجئ إذاً أن أنشطته قادت إلى اعتقاله وسجنه، في أواخر أيلول/ سبتمبر أو في مطلع تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤[٣٣].

خرج الخُضَير من السجن في عام ١٩٩٨، وقد أصبح أكثر تسيّساً وتشكيكاً في النظام منه يوم دخوله. وذكر طالب سابق، التقى به في هذه المرحلة، أنه بقي «رجلاً كثير التواضع ولطيفاً» لكن «أكثر تسيّساً وإصراراً». وفي السنين القليلة التالية أضحى أحد أشدّ الشيوخ تشدداً في بُرَيدة. وأصبح شديد القرب من أستاذه السابق حمود الشُّعَيبي، ولا ريب أنه دفع أستاذه في اتجاه أكثر راديكالية. لكن لم يتّضح، إلى الآن، السبب الذي دفع الشيخ علي الخُضَير إلى التشدد، والأرجح أنه خيبة الأمل في النظام السياسي التي أحدثها السجن فيه إلى جانب التأثير الأيديولوجي لرفيق آخر أصبح مقرباً منه وهو الشيخ ناصر الفهد[٣٤].

وُلد الشيخ ناصر بن حمد الفهد الحُمَيِّن (الملقّب بأبي مصعب) في الرياض، في أواخر عام ١٩٦٨ أو في مطلع عام ١٩٦٩، من أسرة موطنها الأصلي قرية الثوير القريبة من الزُلفي. وكما كثير من أهل الزلفي، كانت أسرة الفهد محافظة جداً، وعمل كثير من أقربائه في القطاع الدِّيني. كان والده أحد المساعدين المقربين للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، شقيق مفتي عام المملكة محمد بن إبراهيم. وكان فهد الحميّن أحد أعمام ناصر خطيباً متشدداً في حيّ السُّوَيدي في الرياض. وقد أظهر ناصر الشاب أنه تلميذ نجيب، فالتحق بكلّية الهندسة، **أولاً** في جامعة الملك سعود في الرياض، ما يعني أنه حصل على علامات ممتازة في شهادته الثانوية، لكنه غيّر تخصصه بعد سنتين ودخل كلية الشريعة. وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢، نال شهادة الماجستير مع مرتبة الشرف[٣٥].

---

(٣٣) مقابلة أجراها المؤلف مع سعود السرحان.

(٣٤) مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن اسمه.

(٣٥) «ترجمة،» (٢٠٠٢)، <http://www.al-fahd.com>.

مقابلة أجراها المؤلف مع محمد السيف، بالرياض في نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، ومقابلة أجراها أيضاً مع سعود السرحان.

تبنّى الشيخ ناصر الفهد، في أيامه الأولى، مواقف أيديولوجية قريبة جداً إلى المدرسة الرفضية المحافظة جداً، وأضحى متشدداً في مطلع التسعينيات. ففي عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣، نشر مؤلفات كفّر فيها السلطنة العثمانية وندّد بالشاعر أحمد شوقي. وانتقد الصحوة التي سمّاها غفوة. وفي عام ١٩٩١ أو ١٩٩٢، توجه الشيخ ناصر الفهد وصديقه الشيخ عبد العزيز الجربوع لزيارة الشيخ سلمان العودة؛ لمعرفة أسباب عدم نقده لحسن الترابي حين أتى على ذكره في أحد أشرطته، وهو شخص كان يمقته ناصر الفهد بشدة. وفي المناقشة الحامية التي دارت بينهم، ذكر البعض أن الشيخ سلمان احتد في حديثه مع الشيخ الشاب ناصر الفهد، فكانت تلك بذرة خصومة طويلة[٣٦].

وفي آب/أغسطس ١٩٩٤، اعتُقل الشيخ ناصر الفهد وأُودع السجن هو وصديقه ومعلّمه القديم الشيخ محمد الفرّاج؛ بسبب قصيدة هجا الفراج فيها مها السُّدَيري زوجة الأمير نايف. وقد روى البعض أنه كان لاعتقال الفهد الذي سبق اعتقال الصحويين، ولسببٍ مختلف أيضاً، تأثير سلبي في مكانته بعد ذلك، باعتبار أنه لم يشارك الصحويين في مواجهتهم مع الحكومة في معظم مرحلتها الحرجة، ولذلك لم يُحتسَب في عداد «القادة المسجونين»[٣٧].

ربما لهذا السبب، دفعت مرارةُ السجن بالشيخ ناصر الفهد إلى مزيد من التشدد. وفي أثناء سجنه تعرّف إلى شخصيات أكثر تشدداً، مثل الشيخ وليد السناني (الملقّب بأبي سبيع)، وهو شخصية كاريزمية من الوسط الشرعي، ذاع صيته لمواقفه الدينية الحادة ـ التي بلغت حد التكفير ـ من النظام السعودي (ولا يزال يقبع في السجن إلى اليوم لهذا

---

(٣٦) انظر: ناصر الفهد: «الدولة العثمانية وموقف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب منها،» (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ١٩٩٣)، <http://www.tawhed.ws>، و«شعر أحمد شوقي في الميزان،» (مخطوطة، ١٩٩٤). انظر أيضاً عملاً مبكراً آخر للشيخ ناصر الفهد هو: «حقيقة الحضارة الإسلامية،» (مخطوطة ١٩٩٣؟)، ومقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي.

(٣٧) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي.

السبب). إلا أنّ التفاعل مع الصحوة هو الذي بدّل الشيخ ناصر الفهد أكثر من أي شيء آخر. وجد نفسه في سجن الحائر مع قادة الصحوة الرئيسيين الذين تجاهلوا هذا الشيخ الشاب اللامع والطموح ولم يكترثوا له في مناقشاتهم. وإحساساً منه بالغضب، تلاسن مع الشيخَ سلمان العودة في عدة مناسبات. ومما قوّى التفاعل الكيميائي الشخصي السيئ بين الاثنين مواقفهما السياسية؛ لأن الفهد كان يزداد تشدداً وقتئذٍ، بينما كان الشيخ سلمان يزداد ميلاً إلى الاعتدال في مواقفه. وإذْ كان الشيخ علي الخُضَير أحد القلائل الذين ناصروا الفهد في السجن؛ فقد تطوّرت علاقة وثيقة بين الاثنين[٣٨].

عقب إطلاق سراح الشيخ ناصر الفهد من السجن في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧، كرّس نفسه للكتابة والبحث. كانت باكورة أعماله بعد إخلاء سبيله أعمالاً تاريخية؛ فكتب سيرة ذاتية للشيخ محمد بن إبراهيم حازت الإعجاب، فضلاً عن كتاب كبير في نَسَب فرع نجدي لقبيلة عُتَيبة، لكنه سرعان ما عاد إلى السياسة. وفي عام ١٩٩٨، جمعه الشيخ علي الخُضَير، الذي أُخلي سبيله مؤخّراً، بالشيخ حمود الشُّعَيبي. تقاسم الثلاثة خيبة الأمل بالصحوة، ونفوراً شديداً من العصرانيين، ورغبة في نشر قناعاتهم الشرعية في الساحة الإسلامية. ومن ذلك التاريخ فصاعداً، تبلورت علاقة تعاون بين الشيخ علي الخُضَير في بُرَيدة والشيخ ناصر الفهد في الرياض[٣٩].

سرعان ما أصبح الشيخ ناصر الفهد القائد الحيوي لوسط إسلامي متشدد يتعاظم بسرعة في العاصمة. ضمّت مجموعته صديقيه القديمَين

---

(٣٨) انظر: مقابلة أجراها المؤلف مع الدكتور محسن العَواجي، في الرياض في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧، ومنصور النقيدان، «خريطة الإسلاميين في السعودية وقصة «التكفير»،» **الوسط** (المنامة)، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٣، <http://www.alwasatnews.com/175/news/read/198071/1.html>.

انظر أيضاً: Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» p. 594.

(٣٩) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي، انظر أيضاً: ناصر الفهد: **مُعجم أنساب الأُسر المتحضرة من عشيرة الأساعدة** (١٩٩٩)، **وسيرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الشيخ** (١٩٩٩)، <http://www.al-fahd.com>.

الشيخ عبد العزيز الجربوع والشيخ محمد الفرّاج، وحلفاء جداً مثل: الشيخ سليمان الخراشي ـ الذي يلتقي معهم في التشدد الديني ويختلف معهم في الموقف من السلطة ـ فضلاً عن عدد متزايد من الطلاب والناشطين. كما كان الفهد من أوائل الإسلاميين الذين استخدموا الإنترنت بشكل ممنهَج. وبوصفه كاتباً غزير الإنتاج وحاد الذكاء ويملك كاريزما عالية، أضحى المنظِّر الأول في مدرسة الشُّعَيبي. ومع أنه من جيل المشايخ الأصغر سنّاً ممن سنأتي على ذكرهم بعد قليل؛ فقد أكسبته قدراته الشرعية اعترافاً ونفوذاً لا يناله غير شيخ أكبر سنّاً منه بكثير(٤٠).

المكوّن الثالث في مدرسة الشُّعَيبي، كان عبارة عن مجموعة من المتخصصين الشرعيين صغيري السن، الذين بقوا أقل حضوراً من الشُّعَيبي والخُضَير والفهد. الأول من بين هؤلاء كان الشيخ سليمان العلوان الذي وُلد في بريدة عام ١٩٧٠، في أسرة فقيرة نسبياً. أثبت منذ صغره، أنه طالب موهوب على نحو استثنائي، ما شجّع بعض التجار المتدينين بالتكفل بتغطية مصاريف تلقيه العلوم الشرعية منذ أن كان صغيراً. وفي الثمانينيات، درس العلوان على عبد الله الدُّوَيش ومحمد الرشودي والشيخ عبد الله القرعاوي، وهم كبار شيوخ مجموعة عُرفت باسم «إخوان بُرَيدة». كانت تلك المجموعة شديدة الورع، اتّسمت بميولها المحافِظة بشدة في القضايا الاجتماعية، وبرفضها الانخراط في الدولة ومؤسساتها. وبعكس الصحويين الذين برزوا في الجامعات واستخدموا التكنولوجيا الحديثة في نشر أفكارهم، رأى إخوان بُرَيدة ومنهم العلوان أنّ المذياع والأشرطة السمعية طريقة محرَّمة، ورفضوا الانخراط في التعليم الحكومي. كان بعضهم يحطّم هوائيات أجهزة الراديو، ولا يتحدّث إلى الأشخاص الذين يوجد في سياراتهم أجهزة راديو. كما أفتَوا بحرمة صفوف تحفيظ القرآن الكريم والمراكز الصيفية

---

(٤٠) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي. كان الشيخ محمد الفرّاج المولود في خمسينيات القرن الماضي شخصية محترمة في الساحة الإسلامية المتشددة في الرياض. واعتبره البعض معلّم الشيخ ناصر الفهد، وقد اعتُقل مع الشيخ ناصر الفهد في عام ١٩٩٤ ثم أعيد اعتقاله في عام ٢٠٠٠، وذكر زميل سابق للشيخ ناصر الفهد، أن أول مناسبة تصفح فيها الفرّاج الإنترنت كانت في منزل الفهد عام ١٩٩٩. مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي رفض الكشف عن اسمه.

الشبابية، وهي عماد التعبئة الصحوية، ثم اعتُقل في أواخر الثمانينيات؛ لتوزيعه منشورات تحرّم صفوف تحفيظ القرآن الكريم. كما كان العلوان للصحويين خصيماً قبل عام ١٩٩٣، وذُكر أنّه رفض الاجتماع بالشيخ سلمان العودة في ذلك الوقت. وفي مطلع التسعينيات درّس العلوان طلاباً من داخل وسط إخوان بُرَيدة ومن خارجه. وذكر مصدرٌ درَس مع العلوان في عام ١٩٩٢ أن أعضاء إخوان بُرَيدة كانوا يرفضون التحدّث إلى من سمَّوهم «أهل المدارس»[٤١].

لكن في أواسط عام ١٩٩٣ أو في آخرها، بدّل العلوان توجّهه الأيديولوجي واقترب من الصحويين. وذلك راجع جزئياً إلى الجهود التي بذلها الشيخ سلمان العودة الذي أدرك سعة قدرات العلوان، فاقترب منه واستطاع التأثير فيه. وبحسب إحدى الروايات، أشرف الشيخ سلمان على طباعة أحد كتب العلوان، وطلب إلى العالم الشهير عبد الله بن جِبرين كتابة المقدمة. وذكر المصدر نفسه أن الشيخ سلمان استطاع أن يتدبر أمر شراء منزل للعلوان. وعندما وقعت أحداث أيلول/سبتمبر ١٩٩٤، كان العلوان قد أصبح قريباً نسبياً من الشيخ سلمان والصحويين. بيد أنه لم يضطلع بدور ذي شأن في الحراك الصحوي، ولهذا السبب اقتصرت عقوبته على منعه من التعليم في الحلقات التقليدية من غير أن يُعتقل[٤٢].

وكان طلاب سابقون قد وصفوا الشيخ سليمان العلوان، الضعيف البنية والنحيل المظهر، بأنه خطيب مفوّه جهوري الصوت، لكنه لم يكن بشجاعة الآخرين من قادة الصحوة. وعقب الحملة القمعية التي طالت الصحوة، ابتعد العلوان عن المشهد العام إلى وقت قريب من عام ١٩٩٩، عندما بدأ الشيخ ناصر الفهد والشيخ علي الخُضَير بتصعيد نقدهم للصحويين. عندها أصبح للعلوان حضور في مجموعة الشُّعَيبي.

وُلد الشيخ عبد العزيز بن صالح بن سليمان الجربوع في محافظة البدائع في القصيم عام ١٩٦٧، لكنّه نشأ في الرياض وتديّن فيها مطلع

---

(٤١) مقابلة أجراها المؤلف مع سعود السرحان ومنصور النُقيدان.

(٤٢) مقابلة أجراها المؤلف مع سعود السرحان.

الثمانينيات. درس عند الشيخ عبد الله التُّوَيجري، وتولّى إمامة أحد المساجد قبل التحاقه بكلّية الشريعة في جامعة الإمام بالرياض في أواخر الثمانينيات حيث التقى بالشيخ ناصر الفهد. وعقب تخرّجه من جامعة الإمام عام ١٩٩٢، عمل مدرّساً للعلوم الشرعية في مدارس تقنية ومهنية. لم يبرز مدى تسيّسه في مطلع التسعينيات. لكنه برز في أواخرها وفي مطلع القرن الحالي بوصفه أحد أكثر الشخصيات تشدداً في مجموعة الشُّعَيبي. واشتُهر بلسانه السليط ونبرته العنيفة التي اتضحت في كتاباته، كما في مضمون بيانه الشهير الذي أيّد فيه هجمات ١١ ايلول/ سبتمبر[(٤٣)].

ظهرت شخصيات عديدة داخل مجموعة الشُّعَيبي وفي محيطها، بدءاً بعام ١٩٩٨، لكن المجال لا يتّسع لمراجعة شاملة لسيرها الذاتية. إن همّنا الأساس هو تتبع الأسباب التي قادت هؤلاء الناشطين الإسلاميين إلى تصعيد خطابهم بدءاً بعام ١٩٩٨، وتحديداً الجدال العنيف مع الإسلاميين التقدّميين في المسائل الاجتماعية، ومع الصحويين في المسائل السياسية.

شهد النصف الثاني من عقد التسعينيات بروز ظاهرة فكرية مثيرة للاهتمام في المملكة العربية السعودية، وهي التحوّل التدريجي لبعض الإسلاميين المحافظين السابقين إلى مثقفين إسلاميين تقدميّين نسبياً. شرع كتّاب مثل حسن المالكي ومنصور النُقيدان وسواهم بدءاً بعام ١٩٩٨ تقريباً بانتقاد دور الدِّين في المجتمع السعودي وانتقاد المدرسة الوهّابية في النهاية بناءً على ذلك. وبدأت بعد ذلك تتشكل ملامح مجموعة يشار إليها غالباً باسم «العصرانيين»، وهي أقرب لما يمكن اعتباره تياراً «إسلامياً ليبرالياً» برز بشكل واضح في مطلع القرن الحالي[(٤٤)].

---

(٤٣) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي؛ «نبذة عن الشيخ عبد العزيز الجربوع،» (٢٠٠٣)، <http://www.geocities.com/aljarbo>؛ عبد العزيز الجربوع: «المختار في حكم الانتحار خوف إفشاء الأسرار،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)؛ «الإعلام بوجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، و«التأصيل لمشروعية ما حصل في أمريكا من التدمير،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

(٤٤) يشار إلى هؤلاء المثقفين بـ «العقلانيين» أو «الوسطيين» أو «التنويريين» أو «الإصلاحيين» أحياناً.

ربما كان «العصرانيون» محدودي العدد وغير مؤثرين سياسياً، لكن كان لأفكارهم ارتدادات واضحة في الوسط الإسلامي لأنهم لامسوا ما كان يُعتبر من المحظورات، ولأن الأشخاص الذين صاغوا هذه الأفكار ليسوا ليبراليين «متغربين»، وإنّما طلاب شريعة مثل المتشددين. لذلك كان لدى أفراد من هاتين المجموعتين معرفة شخصية ببعضهم. بل إنّ بعض العصرانيين والمتشددين كانوا في خندق واحد في مطلع التسعينيات.

نشأت عداوة مريرة، ودارت مناقشات حامية بين «العصرانيين» ومدرسة الشُّعَيبي بدءاً بعام ١٩٩٨. وكانت الأخيرة قد شنت هجمات شخصية لاذعة على بعض العصرانيين وصلت إلى حدّ تكفيرهم. وأصدر شيوخ مدرسة الشُّعَيبي بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، بيانات كثيرة على الإنترنت تقرّع المثقفين «العصرانيين». من ذلك أن كلاً من الشيخ ناصر الفهد والشيخ علي الخُضَير ندّدا بحسن المالكي في آب/ أغسطس ٢٠٠١. وأضحى منصور النقيدان هدف هجمات كثيرة في هذه المرحلة، كما كتب شيوخ مدرسة الشُّعَيبي رسائل كثيرة عن أخطار الفكر الحداثي عموماً. وقد لقي المؤلف تركي الحمد كثيراً من التشنيع في هذه المرحلة، حتى أن بعض الشيوخ صرحوا بتكفيره في آب/ أغسطس ٢٠٠١. كما لم يفلت من هذا التشنيع يساريون من جنسيات عربية أخرى، مثل: الفلسطينيَّيْن محمود درويش وسميح القاسم(٤٥).

---

(٤٥) Lacroix, Ibid., p. 353.

مقابلة أجراها المؤلف مع حسن المالكي في الرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤؛ مقابلة أجراها أيضاً المؤلف مع منصور النقيدان. انظر: ناصر الفهد: «كشف شبهات حسن المالكي،» (٢٠٠١)، و«منهج المتقدمين في التضليل،» (٢٠٠٠)؛ «رسالة إلى عصراني،» (٢٠٠١)، و«القصيمي: من التوحيد إلى الإلحاد،» ([د. ت.])، <http://www.al-fahd.com>.

انظر أيضاً: علي الخُضَير: «بيان في حسن بن فرحان المالكي؛» «رسالة في بيان حال طائفة العصرانيين الضالّة،» و«القواعد الأربع التي تفرّق بين دين المسلمين ودين العلمانيين،» (منبر التوحيد والجهاد)، <http://www.tawhed.ws>، و«في تركي الحمد،» (٢٠٠١)، <http://www.alkhoder.com>.

انظر أيضاً: حمود الشُّعَيبي: فتوى في الكاتب تركي الحمد،» (١٩٩٩)؛ «تقريب المحرّفين وتكريمهم،» (٢٠٠٠)، و«رسالة إلى أهل الحسبة،» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>، وعلي الخُضَير وأحمد الخالدي، «بيان في ردّة منصور النقيدان،» (٢٠٠٣)، <http://www.alkhoder.com>.

إن هاجس العصرانيين كان حاضراً بشكل واضح عند الشيوخ المتشددين، حيث كانوا قلقين من التحرر الاجتماعي وغربنة المجتمع السعودي، أي إن تشدد مدرسة الشُّعَيبي كان إلى حدٍّ ما بمثابة ردّ فعل على ما تصورته فساداً أخلاقياً وعقدياً داخل المملكة العربية السعودية. أسهب الشُّعَيبي والمحيطين به بالكتابة في القضايا الاجتماعية والأخلاقية في هذه المرحلة متبنّين مواقف محافِظة دائماً، فأصدروا بيانات شجبوا فيها كل شيء، بدءاً بالتصفيق، ومروراً باحتفالات الألفية، وانتهاءً بلعبة البوكيمون. وكما سائر المحافظين الاجتماعيين، اعتنوا خصوصاً بقضايا المرأة؛ فقد ندّد الشُّعَيبي على مدى بضعة شهور في عام ٢٠٠٠ بمشاركة النساء في احتفال الجنادرية، وأفتى بعدم جواز منحهنّ بطاقات هوية، وأفتى بحرمة النوادي الاجتماعية النسائية. وفي آذار/ مارس ٢٠٠١ جذب انتباهاً دولياً بتكفيره المغنّي الكويتي عبد الله الرُّوَيشد لغنائه سورة الفاتحة[٤٦].

وبدءاً بعام ١٩٩٩ أبدى المشايخ المنتمون إلى مدرسة الشُّعَيبي اهتماماً متزايداً بقضايا سياسية دولية، وتبنَّوا شيئاً فشيئاً خطاباً وحدويّاً إسلامياً أكثر وضوحاً. ويُعزى هذا التغيّر الأيديولوجي إلى عاملَين رئيسين: **الأول**؛ هو الزيادة الفعلية في عدد القضايا ذات البُعد الوحدوي الإسلامي، ما زاد من تلمُّس طلاب الشريعة الشباب والناشطين الجهاديين للآراء الشرعية في القضايا الدولية المعاصرة. **والعامل الثاني** هو الفراغ السياسي الذي خلّفه الشيوخ الصحويين الذين خرجوا من السجون في عام ١٩٩٩ من دون شهية لتبنّي مواقف سياسية مثيرة للجدل. أثار شيوخ مدرسة الشُّعَيبي منذ مرحلة مبكرة نسبياً قضية التواجد العسكري للولايات المتحدة في المملكة العربية السعودية مشدّدين على

---

(٤٦) انظر: ناصر الفهد: «مسألة التصفيق،» (١٩٩٩)؛ «حكم العطورات الكحولية،» (١٩٩٩)؛ «لباس المرأة أمام النساء،» (٢٠٠٠)، و«رسالة في حكم الغناء بالقرآن،» (٢٠٠١)، <http://www.al-fahd.com>.

انظر أيضاً: حمود الشُّعَيبي: «المشاركة في الألفية،» (١٩٩٩)؛ «مشاركة النساء في الجنادرية،» (١٩٩٩)؛ «حكم بطاقة المرأة،» (٢٠٠٠)؛ «فتوى في كفر المغنّي عبد الله الرويشد،» (٢٠٠١)، و«لعبة بوكيمون،» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

عدائهم لها، علماً بأن الشُّعَيبي نفسه سبق أن صرّح في عام ١٩٩٩ بلغة وكأنما وافقت خطاب أسامة بن لادن بأن تواجد غير المسلمين في المملكة أمر مرفوض، وأنه يحرم التماس العون من الكفار أياً كان نوعه، وأنه يتوجب على المسلمين طرد اليهود والمسيحيين من شبه الجزيرة العربية[٤٧].

وبدءاً بأواخر عام ١٩٩٩ شخصت أبصارهم إلى الصراعات الدائرة في مناطق أخرى من العالم الإسلامي. ففي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٩ أفتى الشُّعَيبي بضرورة أن يؤازر المسلمون الذين يجاهدون الروس في الشيشان. وفي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠ أصدر فتوى مشابهة دعماً «للجهاد في الفلبين» مستخدماً حجج الجهاديين الكلاسيكيين التي تذكّرنا بعبد الله عزّام. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠ أصدر بيانين دعماً للانتفاضة الفلسطينية، وكذلك فعل علماء كثر في ذلك الوقت. ونشير إلى أنّ القضية الفلسطينية كانت سبباً لنقاشين مهمَّين في الدوائر الدِّينية السعودية في ربيع عام ٢٠٠١: **الأول** معني بمقاطعة اقتصادية عامة للشركات الغربية، **والثاني** معني بقضية التفجيرات الانتحارية. وفي كلا النقاشين، تبنّي المشايخ المقرّبون إلى الحكومة مواقف تختلف مع تلك التي تبناها الشُّعَيبي وأتباعه[٤٨].

القضية الرئيسة التي شغلت مدرسة الشُّعَيبي في ميدان السياسة الخارجية قبل ١١ أيلول/سبتمبر كانت قضية طالبان. فقد أبدَوا اهتماماً متزايداً بنظام طالبان بدءاً بأواخر عام ٢٠٠٠، ونافحوا عنه بقوة في وجه الانتقادات الخارجية. ويعود التركيز على طالبان إلى عوامل ثلاثة: **الأول**

---

(٤٧) حمود الشُّعَيبي: «القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار،» (٢٠٠١)، <http:// www.aloqla.com>، و«حكم إقامة اليهود والنصارى في جزيرة العرب وتملّكهم العقارات واستثمارها،» (٢٠٠٠)، <http://www.saaid.net>.

(٤٨) حمود الشُّعَيبي: «حكم الجهاد في الشيشان وواجب المسلمين تجاههم،» (١٩٩٩) <http://www.qoqaz.com>؛ «الجهاد في الفيليبين،» (٢٠٠٠)؛ «البيان الأول عن أحوال إخواننا المسلمين في فلسطين،» (٢٠٠٠)؛ «البيان الثاني إلى عموم المسلمين عما يدور في فلسطين،» (٢٠٠٠)، و«مشروعية العمليات الاستشهادية،» (٢٠٠١)؛ «الردّ على من أفتى بعدم جواز مقاطعة اليهود والنصارى،» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>، و«بيان في الحثّ المقاطعة الاقتصادية ضدّ أعداء المسلمين،» (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net>.

هو تركيز وسائل الإعلام على أفغانستان في أثناء تزايد الاحتقان بين طالبان والمجتمع الدولي. والعامل **الثاني** هو تزايد انتقادات العلماء الوهّابيين من أصحاب النزعة المحافِظة المفرطة (أو ما يسمى بالمدرسة المدخلية) الذين لمسوا شوائب في عقيدة طالبان. والعامل **الثالث** هو تحريض ناشطين على صلة بالقاعدة مثل يوسف العُيَيْري الذي أراد من العلماء تبديد شكوك المجنّدين المحتملين حيال الشرعية الدِّينية للحكومة الأفغانية(٤٩).

جاهرت مدرسة الشُّعَيبي بمناصرتها لطالبان في آذار/ مارس ٢٠٠١ في ذروة الخلاف حول مشروعية هدم الأصنام البوذية في باميان. أصدر كل من الشُّعَيبي والفهد عدة بيانات دفاعاً عن قرار المُلّا عمر. وفي ربيع وصيف عام ٢٠٠١ بدأ بعض المشايخ بتحريض طلابهم على التوجه إلى أفغانستان ونصرة نظام طالبان في مواجهة تهديد قوى تحالف الشمال(٥٠).

شكّل الدعم القوي للمقاتلين المسلمين في الخارج ولطالبان جزءاً من محاولة لانتزاع الساحة السياسية من الصحوة. ففي عام ١٩٩٩ لم يُبدِ الشيخ سلمان العودة اهتماماً خاصاً بقضية الشيشان، ولم يقم بتزكية المجاهدين الشيشان الذين أرادوا جمع الأموال من المتبرعين السعوديين. وبالمثل، ذُكر في عام ٢٠٠١ أنّ القادة الصحويين عارضوا هدم التماثيل البوذية (وإن لم يُعْلوا أصواتهم بذلك). عكس الاعتدال الصحوي ما اعتبره البعض استمالة النظام لهم بالتدريج. وبات الصحويون في تلك المرحلة تحديداً أشبه بالعلماء الرسميين الذين لا يخوضون في السياسة ما لم تُرغمهم المطالب الشعبية على ذلك. وقد سعت المؤسسة الدِّينية

---

(٤٩) حمود الشُّعَيبي، «حول شرعيّة حكومة طالبان،» (٢٠٠٠)، و Lacroix, «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005),» p. 619.

(٥٠) انظر: حمود الشُّعَيبي: «نصرة طالبان لهدمهم الأوثان،» (٢٠٠١)، و«حكم الجهاد واستئذان الوالدين فيه،» (٢٠٠١) <http://www.aloqla.com>، و«بيان لأعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي بشأن تهديم طالبان الإسلامية للأصنام،» (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net>.

انظر أيضاً: ناصر الفهد: «إقامة البرهان على وجوب كسر الأوثان،» (٢٠٠١)، و«الردّ على مقال هدم التماثيل من منظور إسلامي لكاتبه سليمان بن عبد الله التركي،» (٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>، علي الخُضَير، «فتوى في تأييد هدم الأصنام،» (٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

للنأي بنفسها عن السياسة وركّزت جلّ طاقتها على ترسيخ الطابع المحافظ للمجتمع. ورأوا بالطبع أن التواجد الأمريكي على تراب المملكة ليس قضية ذات أهمية، واعتبروا الجهاد في فلسطين والشيشان مشروعاً لكنهم حصروا واجب القتال في السكان المحلّيين فقط، أي إنه يمكن للسعوديين مساعدة هؤلاء السكان بالمال، لكن لا تنبغي لهم المشاركة لأن ولاة الأمر لم يأذنوا بذلك. وقد تبنّوا موقفاً متعاطفاً مع طالبان لنزعتها المحافِظة في المسائل الاجتماعية، لكن العلماء انقسموا في قضايا مثيرة للجدل، مثل: هدم تماثيل باميان (Bamyian)[٥١].

كان الدعم الحماسي لطالبان بمثابة انتقاد ضمني للنظام السعودي؛ بل إن بعضهم وصف أفغانستان بأنها الدولة الإسلامية الوحيدة في العالم، وكان الشُّعَيبي من الناحية العملية لا يعتبر المملكة العربية السعودية في المكانة ذاتها من ناحية الالتزام بالشريعة كتلك التي تحظى بها أفغانستان. ونشير إلى أن مدرسة الشُّعَيبي توخّت الحرص الشديد على عدم انتقاد النظام السعودي علناً قبل ١١ أيلول/ سبتمبر وغزو أفغانستان بقيادة الولايات المتحدة، فكان المنتسبون إليها يكتبون أطروحات عامة بشأن الحاجة إلى تطبيق الشريعة أو الحاجة إلى نصرة المسلمين في صراعاتهم في الخارج، وكيفية الحكم على النظم التي تقصّر في ذلك، لكنهم لم يكفّروا الحكومة السعودية بشكل صريح أبداً. ومن ناحية أخرى، روى البعض أن لغتهم كانت أعنف بكثير في نقد السلطة في خلواتهم، فذكر إسلاميون سابقون أن الشُّعَيبي وشيوخاً آخرين أصدروا فتاوى في مجالسهم الخاصة تتهم النظام صراحة بالرّدة، وتجيز للناشطين الإسلاميين استعمال القوة في مواجهة الشرطة السعودية دفاعاً عن النفس. لكن ولأن صدور مثل هذه الفتاوى سيكون مثيراً للجدل لم يقوموا بنشرها كتابة[٥٢].

---

(٥١) محمد السالم، «يوسف العُيَيْري؛ شموخ في زمن الهوان،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣)؛ يوسف العُيَيْري، «همسة في أذن فضيلة الشيخ سلمان العودة،» (٢٠٠١)، ومقابلة أجراها المؤلف مع علي العُمَيم بالرياض، نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، ومقابلة أجراها أيضاً مع فهد الشافي.

(٥٢) مقابلة أجراها المؤلف مع منصور النقيدان؛ حمود الشُّعَيبي: «فتوى في تكفير الحكام والمشرّعين للقوانين الوضعية،» (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net>، و«نداء إلى حكام العرب والمسلمين،» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

لا يمكن تصنيف مجموعة الشُّعَيبي ببساطة بأنها جهادية كلاسيكية أو جهادية عالمية أو ثورية؛ لأنّ الشعيبي والشيوخ الذين معه لم يحتاجوا إلى ترتيب أولوياتهم العملية على طريقة الناشطين. وكما بيّن ستيفان لاكروا، كان للناشطين في مجموعة الشُّعَيبي اهتمامات أيديولوجية محلّية، حيث اهتموا بكسب التأثير في الساحة الإسلامية السعودية. وكانوا يتبنون مواقف أشدّ من مواقف الصحوة حيال أي قضية شغلت الوسط الإسلامي في مرحلة ما. لكن بعد أن أخذت بعض القضايا طابعاً دولياً متنامياً بعد عام ١٩٩٩ تأثُّراً بعوامل خارجية، قويت النزعة الوحدوية الإسلامية لدى مجموعة الشُّعَيبي. من الناحية الدِّينية، كان المنتسبون إليها وهّابيين أكثر تشدداً من المنظرين الوحدويين الإسلاميين، مثل: عبد الله عزّام أو أسامة بن لادن. وفي الوقت ذاته كانت مجموعة الشُّعَيبي أكثر تسيّساً من السواد الأعظم للعلماء الوهّابيين، والشيء الذي قام به الشُّعَيبي هو إيجاد مبرر وهّابي للجهاد العالمي، على غرار صياغة أبي محمد المقدسي لخطاب ثوري اجتماعي وهّابي في أواخر الثمانينيات.

مع تصاعد النبرة الخطابية لمشايخ مجموعة الشُّعَيبي الذين أتقنوا استعمال الإنترنت، ازدادت بروزاً في المشهد الإسلامي السعودي، ومع تزايد بروزها وشهرتها استقطبت مزيداً من الطلاب. بناء على ذلك قدِم طلاب الشريعة المحافظون وهم شباب متعطشون لخطاب أكثر تسيساً من الخطاب الذي يسمعونه في جامعاتهم لتلقّي العلم من هؤلاء العلماء الكاريزميين. ففي الرياض، التفّت حاشية من الشباب السعودي حول الشيخ ناصر الفهد والشيخ عبد العزيز الجربوع، وحظي الشيخ الشُّعَيبي والشيخ علي الخُضَير والشيخ سليمان العلوان بعدد مماثل من الأتباع في بُرَيدة[٥٣].

بالتالي؛ حققت مدرسة الشُّعَيبي نجاحاً باهراً في ملء الفراغ الذي خلّفه الصحويون. وكما فعل الشيخ سلمان العودة والشيخ سَفَر الحَوالي في مطلع التسعينيات، استفاد الشُّعَيبي والفهد والخُضَير بمهارة من مشاعر

(٥٣) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الله بجاد العُتيبي، و Raid Qusti, «Background of the Most Wanted Terrorists-Part 2,» *Arab News*, 12/12/2003.

الشباب الوحدوية الإسلامية المتنامية لصالح رؤيتهم السياسية المحلّية الخاصة. وسعى المتشددون الجدد إلى إظهار أنفسهم كامتداد للصحوة، كونهم العلماء الذين لا ينحنون أمام الكثير من التهديدات الخارجية التي تواجه الأمّة الإسلامية.

أعطت مؤلفات مجموعة الشُّعَيبي دفعاً لتجنيد الشباب للنشاط الجهادي في المملكة العربية السعودية خلال هذه الحقبة؛ لأنها أضفت شرعية دينية وهّابية على هذه النشاطات التي كانت ستُعتبر مثيرة للجدل لولا ذلك، مثل: التطوع في صفوف طالبان لقتال تحالف الشمال. ومع أنه كان للخطاب السياسي لأسامة بن لادن صدى قوي في أوساط الشباب السعودي، فقد افتقر قادةُ القاعدة ووكلاء التجنيد فيها إلى الشرعية الدِّينية التي تجيز للمجنَّدين أو للمتبرعين السفرَ إلى الخارج للجهاد أو لمؤازرة طالبان. كانت السياسة مقدَّمة على الدراسات الشرعية في نظر بعض المجندين، لكن بقيت «مساحة رمادية» واسعة شغلها مجندون ومتبرعون؛ حيث كان التسويغ الدِّيني لأنشطتهم على لسان علماء محنّكين مهماً للغاية.

اتّسعت نافذة الفرص السياسية للنشاط الجهادي العالمي بشكل ملحوظ في وقت قريب من سنة ١٩٩٩ بفعل عدد من التغيّرات شبه المتزامنة. لانت الرقابة المفروضة على الوسط الجهادي بعد أن اتسمت بالشدة بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨، ووسّع التحرر السياسي الحيّزَ السياسي المتاح لكل من الإسلاميين والتقدّميين. كما إن نقل المحطات الفضائية والإنترنت صور العمليات العدائية التي طالت المسلمين بكوسوفا والشيشان وفلسطين، أجّج المشاعر الوحدوية الإسلامية في المملكة العربية السعودية. كما سمح فراغ المرجعية في الوسط الإسلامي لجماعة من العلماء والدعاة مرتفعي النبرة والمتشددين في بُرَيدة والرياض باكتساب شهرة وأشاع حالة استقطاب في الساحة الإسلامية. إن لحقيقة حدوث هذه التغيّرات كافة في وقت قريب من عام ١٩٩٩ أهمية بالغة لأنها تزامنت كما سنرى مع تطوّرات مهمّة داخل تنظيم القاعدة.

الفصل الخامس

تنظيم القاعدة والمملكة العربية السعودية

رأى أغلب المجاهدين، الذين توجهوا إلى أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، أن غاية الجهاد هي صدّ الكفار في قضايا ساخنة من مثل غزو أراضي المسلمين واحتلالها. وفي أواسط التسعينيات برزت جماعة جديدة من الناشطين الذين عنى لهم الجهادُ شيئاً أكبر بكثير: مواجهة أمريكا بعمليات عسكرية في أي مكان في العالم، بما في ذلك المملكة العربية السعودية. صاغ أسامة بن لادن مذهب الجهاد العالمي، وطبّقه تنظيم القاعدة عبر سلسلة هجمات مدوّية استهدفت مصالح أمريكية تُوّجت بهجمات ١١ أيلول/ سبتمبر. لكن لماذا برز اتجاه الجهاد العالمي في هذا الوقت بالذات؟ وماذا كان يقول عن المملكة العربية السعودية بالتحديد؟ وإلام يُعزى تنامي تنظيم القاعدة وكيف تطوّرت بنيته التحتية في المملكة؟

أولاً: الجهاديون العالميون

تبلور اتجاه الجهاد العالمي، في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، داخل مجتمع أفغاني عربي معزول يتحضر للمعركة على نحو متزايد. كان الجهاد الأفغاني قد أفرز شبكات عابرة للحدود من مسلّحين، لم يعد في مقدور كثير منهم العودة إلى بلدهم الأم خوف التعرّض للاضطهاد. وبمرور الوقت، عزلت الحياةُ في المنفى هؤلاء الناشطين عن بيئتهم العسكرية السياسية الأصلية، وصبغتهم برؤية سياسية عابرة للحدود. زد على ذلك أنّ الإسلاميين أخفقوا في أغلب صراعاتهم في التسعينيات. فالتجارب الثورية في الجزائر ومصر أغرقت البلدين في حمامات دم وقادت إلى فشل الإسلاميين. وفي الصراعات التحررية الوحدوية في البوسنة والشيشان وكشمير، شكّل الناشطون الأجانب مكوّناً غير مرغوب فيه عجز عن «تحرير» السكان المحلّيين. وفي المملكة

العربية السعودية لم تُفلح المعارضة السياسية غير العنيفة للوجود العسكري الأمريكي في إحداث أي تغيير في موقف السلطات التي ردّت بسجن قادة المعارضة الصحوية. وهذا كله جعل من السهل على ناشطين جهاديين المجادلة بأن الصراع المحصور بأطر محلية عديمة الجدوى، وأن الخيارات التي لا تعتمد على العنف قد استُنفدت. ومن ناحية أخرى شكّل الجهاد العالمي ضدّ عدو بعيد مقاربة لم تُجرَّب بعد.

رفع مشعلَ الاستراتيجية الجديدة جزءٌ معيّن من مجتمع الأفغان العرب عُرف باسم تنظيم القاعدة. تأسس تنظيم القاعدة في بيشاور في آب/ أغسطس ١٩٨٨ على يد مجموعة من المقاتلين العرب البارزين الذين أرادوا بناء تنظيم عسكري يمكنه مواصلة أنشطته بعد انتهاء الحرب في أفغانستان. تكونت هذه الجماعة التي قادها أسامة بن لادن، من أعضاء عملوا في مكتب الخدمات التابع لعبد الله عزّام بشكل أساس، ومن إسلاميين مصريين محنّكين قدموا إلى البلاد حديثاً. اتّسمت غاية التنظيم الجديد بالغموض، والنسخ الأصلية لمحاضر الاجتماعات التأسيسية لا تبيّن غايات سياسية ولا مناطق عمليات محددة. ومع ذلك شكّل تنظيم القاعدة أول تنظيم جهادي عابر للحدود بحق[(١)].

الظاهر أن تنظيم القاعدة لم يكن تنظيماً عسكرياً نشطاً في السنين الأولى لولادته بقدر ما كان جمعية ضمت بعض المجاهدين العرب؛ فلم يكن يملك مبانيَ ذات شأن، ولا معسكرات تدريب أو مصادر مالية خاصة به. وعلاوةً على ذلك تفرّق شمل الأعضاء المؤسسين للتنظيم عقب انسحاب السوفيات من أفغانستان، وساروا في مشاريع سياسيّة مختلفة، فعاد أسامة بن لادن إلى المملكة العربية السعودية في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩ وانشغل بالوضع في اليمن أولاً ثم بأزمة الخليج بدءاً بآب/ أغسطس ١٩٩٠ ثانياً. وفي عام ١٩٩٠ توجّه الجناح المصري

---

(١) Lawrence Wright, *The Looming Tower: Al Qaeda and the Road to 9/11* (New York: Knopf, 2006), pp. 131-134.

لمعرفة المزيد عن المراحل الأولى في تاريخ القاعدة، انظر: Peter L. Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader* (New York: Free Press, 2006), and R. Kim Cragin, «Early History of al-Qa'ida,» *Historical Journal*, vol. 51, no. 4 (2008).

للقاعدة إلى الخرطوم؛ حيث وفر له النظام المؤيد للإسلاميين الجديد قاعدة نافعة لقتال نظام مبارك. وبقي أعضاء من تنظيم القاعدة في بيشاور، ليعود إليهم أسامة بن لادن لأسباب غير واضحة في نيسان/ أبريل ١٩٩١.

وفي ربيع عام ١٩٩٢ انتقل أسامة بن لادن من بيشاور إلى الخرطوم حاملاً القيادة والمال والالتزام بالتنظيم. وفي السودان تحول التنظيم إلى كيان منظَّم نسبياً لديه قيادة مركزية ولجان منفصلة وظيفياً ونظام رواتب. كان بمثابة منظمة صغيرة أعضاؤها يُعَدّون بالمئات، لكن حصولها على ملاذ آمن وثروة أسامة بن لادن نمّت فروعها ورسّخت جذورها. بيد أنه لم يكن لتنظيم القاعدة على هيكليته التنظيمية أجندة سياسية أو عسكرية واضحة في مرحلة إقامته بالسودان. لذلك واصلت فصائله المتنوعة تنفيذ مشاريعها المفضلة الخاصة، فخطّط المصريون لإسقاط نظام مبارك، بينما أصدر أسامة بن لادن بيانات حثّت النظام السعودي على طرد الجنود الأمريكيين. أما الأنشطة المشتركة الرئيسة التي نفّذها التنظيم في هذه المرحلة، فكانت سلسلة عمليات انتشار متواضعة وناجحة في القرن الأفريقي، بما في ذلك الصومال في عام ١٩٩٣. كما تورّط في عدد من الهجمات الدولية، وربما دبّرها في هذه الحقبة، مثل: تفجير فندقين في ميناء عدن اليمني في عام ١٩٩٢، ومحاولة اغتيال الملك الأفغاني في منفاه بروما عام ١٩٩١. لكنّ بن لادن لم يكن مدبّر العملية الجهادية العالمية الأولى التي استهدفت أمريكا، أعني الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك في شباط/ فبراير ١٩٩٣. بل كان من تدبير رمزي يوسف، وهو أفغاني عربي مستقل، وعاونه وسط متشدد من إسلاميين مصريين مقيمين في نيويورك[٢].

---

(٢) *USA v. Usama Bin Ladin [et al.]* (District Court of Southern New York, 2001); Anonymous, *Through Our Enemies' Eye: Osama bin Laden, Radical Islam, and the Future of America* (Washington, DC: Brassey's, 2002); Clint Watts, Jacob Shapiro and Vahid Brown, *Al-Qa'ida's (Mis) Adventures in the Horn of Africa* (West Point: Combating Terrorism Center, 2007), and Simon Reeve, *The New Jackals: Ramzi Yousef, Osama bin Laden and the Future of Terrorism* (London: Andre Deutsch, 1999).

كان السبب الرئيس لعدم امتلاك تنظيم القاعدة أجندة استراتيجية واضحة في مطلع التسعينيات هو انقسامه الأيديولوجي. فقد أسس التنظيمَ أشخاصٌ لهم غاياتهم التي اختلفت بعض الشيء على المدى المتوسط وإن وحّدهم الجهاد الأفغاني. تبنّى بعضهم وبخاصة المصريون رؤية ثورية اجتماعية، وأرادوا استعمال القاعدة في الإطاحة بالحكومات العربية. وكان بعضهم الآخر، مثل: أسامة بن لادن، أقرب إلى الموقف الجهادي الكلاسيكي، ورأوا أن الدور الرئيس للقاعدة هو تشكيل قوة نخبوية للردّ على الغزاة الكفرة. وإن لم يتسبب هذا الانقسام في مواجهات صريحة، فقد منع التنظيم من تطوير استراتيجية عسكرية متسقة.

لكن بدءاً بعام ١٩٩٢ تبنّت قيادة القاعدة رؤية عالمية معادية لأمريكا على نحو متزايد، وذلك عائد إلى الوجود العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية أساساً، وكذلك لانتشار القوات الأمريكية في الصومال، واعتقال الشيخ المصري البارز عمر عبد الرّحمن في نيويورك. ولطالما كانت الحركة الجهادية معادية لأمريكا، لكنّ الإسلاميين السُّنّة شرعوا لأول مرّة في التفكير بجدّية في شنّ حرب شاملة على الولايات المتحدة. وقد انجذب كل من الثوريين الاجتماعيين والجهاديين الكلاسيكيين في القاعدة لفكرة الجهاد المناوئ للأمريكيين، فرأى فيها الفريق الأول وسيلة لإضعاف النظم المحلّية، بينما اعتبرها الفريق الثاني امتداداً منطقياً للصراع الذي أعلنه عبد الله عزّام لتحرير الأمّة من اضطهاد الكافرين.

نقطة التحوّل في نظر بن لادن، المنظّر الرئيس في صياغة هذا الاتجاه الجديد، كانت تنكيل النظام السعودي بالمعارضةِ الصحوية في أيلول/سبتمبر ١٩٩٤، ما قاده إلى الاقتناع بأنّ الاعتراض على الوجود العسكري الأمريكي بالطرق السلمية لا يجدي نفعاً. ومع أنّ أسامة بن لادن لم يكن صحوياً؛ لأنه لم يهتم كثيراً بدقائق البرنامج الإصلاحي المحلّي الذي دعت إليه الصحوة، فقد احترم الصحوة وساندها لموقفها الواضح من قضية القوات الأمريكية. وبحلول عام ١٩٩٥ توصل بن لادن

إلى استنتاج مفاده أن الحرب مع أمريكا لا مفرّ منها، لكنّه أحجم عن إعلان الجهاد على الملأ مخافة توتير علاقاته بنظام الخرطوم. وعندما رضخت الحكومة السودانية للضغوط الدولية وطردت زعيم القاعدة في أيار/ مايو ١٩٩٦ لم يعد هناك ما يمنع بن لادن من التصريح بما يجول في ذهنه.

في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي، وصل بن لادن بالتيار الوحدوي الإسلامي إلى الاستنتاج الأكثر حدة؛ وصاغ مذهب الجهاد العالمي الذي دعا إلى شنّ حرب عالمية على الولايات المتحدة. وفي إعلانه الذي زلزل الأرض في آب/ أغسطس ١٩٩٦، دعا إلى شنّ حرب عصابات على القوات الأمريكية في المملكة، بينما أعلن الحرب على الولايات المتحدة وعلى الغرب باسم الدفاع عن الأمّة عندما تحدّث عن تأسيس «الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضدّ اليهود والصليبيين»، في شباط/ فبراير ١٩٩٨[٣].

ثانياً: مذهب الجهاد العالمي والمملكة العربية السعودية

احتوى اتجاه الجهاد العالمي الذي صاغه بن لادن ثلاثة عناصر جوهرية، ميّزت هذا الاتجاه عن التيارات الإسلامية الأخرى. **العنصر الأول**؛ هو إفراد أمريكا وحلفائها كونهم الهدف الرئيس للصراع المسلّح، والذي يشار إليه غالباً بأنه تحوّل من «العدو القريب» إلى «العدو البعيد». وهذا ما فرّق الجهاديين العالميين عن الإسلاميين الثوريين الاجتماعيين، الذين أعلنوا أن نظم بلادهم هي الأهداف الرئيسة لصراعاتهم. كما إن مقاربة معاداة الأمريكيين ميّزت هذا الاتجاه عن الإسلاميين التحريريين الوحدويين والجهاديين الكلاسيكيين الذين ركزوا على مهاجمة المحتلّ المباشر لبلادهم، مثل: الإسرائيليين في فلسطين، والصرب في البوسنة، والروس في الشيشان. ومع أنّ الجهاديين العالميين لم يجادلوا في أهمية إسقاط النظم المحلّية أو محاربة قوى الاحتلال

(٣) Bruce Lawrence, ed., *Messages to the World: The Statements of Osama Bin Laden*, translated by James Howarth (London; New York: Verso, 2005).

الإقليمية، فقد جادلوا بأنّ قتال الولايات المتحدة خطوة أكثر إلحاحاً في هذه المرحلة.

العنصر الثاني؛ هو صياغة الاتجاه الجهادي العالمي في سياق خطاب وحدوي إسلامي، بمعنى أن العنف الذي ينتهجه تنظيم القاعدة مقونن، أساساً، بكونه صراعاً لصد عدوان غير المسلمين. وفي هذا الصدد، لا يوجد خلاف بين الجهاديين العالميين والجهاديين الكلاسيكيين، لكنّه ميّزهم عن الثوريين الاجتماعيين الذين أطّروا الجهاد، بكونه صراعاً ضدّ القمع والفساد المحلّيين. كما دعا الجهاديون العالميون وكذلك الجهاديون الكلاسيكيون، إلى انصهار المسلمين وتوحيدهم في مواجهة العدو الخارجي، وقللوا من شأن القضايا الداخلية المثيرة للانقسام، مثل: الجدال حول التكفير.

السمة المميِّزة **الثالثة** هي الإطار العالمي للحرب؛ فإذا حصر أغلب المسلّحين السنّة أنشطتهم، سابقاً، في بلد أو في منطقة معيّنة، فقد أعلن بن لادن أن ضرب الأهداف الأمريكية، في أنحاء العالم كافة، مشروع، بل حثّ على شنّ هجمات داخل الولايات المتحدة. والأمر الآخر الذي لا يقلّ عن ذلك أهمية، مجادلة بن لادن بأنّه لا ينبغي التسامح مع أي احتلال للكافرين لأراضٍ إسلامية، بصرف النظر عما تقوله الحكومات المسلمة المحلّية. وبالتالي، لا يمكن استثناء المملكة العربية السعودية؛ حيث جادل بن لادن بأن الوجود العسكري الأمريكي المستمرّ فيها يرقى إلى احتلال لمهد الإسلام، وفي هذا الشأن، كان الجهاديون العالميون قريبين من الجهاديين الكلاسيكيين لكنهم تباينوا عنهم؛ بعدم اعترافهم بمرجعية الحكومات المسلمة المحلّية في تحديد إن كان ينبغي السماح لها بوجود غير المسلمين على أراضيها أم لا. وإذا أضفنا ما تقدّم إلى اعتبار حربهم عالمية، يفترق الجهاديون العالميون عن الثوريين الاجتماعيين أو عن الإسلاميين التحرريين الوحدويين الذين آثروا عدم تنفيذ عمليات خارج مناطق الصراع؛ مخافة تعريض هياكل دعمهم اللوجستي في الخارج للخطر.

هل كان الاتجاه الجهادي العالمي أسلوباً جديداً لتحقيق رؤية أيديولوجية متمثّلة في تغيير النظم في الدول العربية؟ يطرح هذا السؤال

نفسه لأسباب ليس أقلها أن أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، ذَكَر بعبارات واضحة في كتابه «فرسان تحت راية النبيّ»، الصادر في سنة ٢٠٠١، أن موقف معاداة أمريكا هو أيضاً وسيلة لإسقاط الأنظمة في دول الشرق الأوسط. جادل الظواهري بأنه إذا أمكن إكراه الولايات المتحدة على وقف دعمها للنظم العربية ولإسرائيل، سيتسنى للمجاهدين السيطرة على القاهرة وتحرير القدس بسهولة؛ وهذا ما حمل بعض المراقبين على اعتبار المنضوين تحت لواء القاعدة ثوريين متنكّرين[٤].

لكنّ التفسير الذرائعي للجهاد العالمي اختزالي؛ لأنه يتجاهل الدور الحاسم للأطر الخطابية في عمليات التعبئة. وبتصوير الجهاديين العالميين صراعهم بأنه حرب دفاعية على غزاة خارجيين، والتقليل من شأن تغيير النظم، استفادوا من مشاعر الإحباط التي أثارها الثوريون الاجتماعيون المنتمون إلى المدرسة القديمة. وبالتالي زادت جاذبية هذه الرسالة في الأوساط المتأثّرة بالقضايا المتصلة بالوحدة الإسلامية أكثر من تأثّرها بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية. ونرجّح أن أسامة بن لادن شعر في التسعينيات بأن للإطار الوحدوي الإسلامي قدرة تعبوية أقوى من قدرة الإطار الثوري الاجتماعي، ولا سيما في المملكة العربية السعودية. لذلك ليس من قبيل المصادفة أن التصريحات الثورية الاجتماعية الأكثر صراحة التي أعلنها أعضاء القاعدة ظهرت في المذكرات الداخلية والوثائق الاستراتيجية. في الواقع، بذل تنظيم القاعدة جهداً كبيراً لإخفاء أهدافه الثورية عن المجنَّدين المحتملين. وكما سنرى في الفصل الآتي، أغلب السعوديين الذين التحقوا بالقاعدة حرّكتهم مشاعر الوحدة الإسلامية وليس التذمّر من النظام، وكان وكلاء التجنيد يخدعون المجنَّدين بطريقة ممنهجة لإغرائهم بالتوجه إلى أفغانستان، قائلين لهم إن المعسكرات الأفغانية ليست سوى محطة في الطريق إلى جبهات القتال في فلسطين أو الشيشان.

إن لهذه النقطة انعكاسات مهمة على طريقة نظرتنا إلى الأسباب الأصلية للعنف الجهادي العالمي. تقودنا النظرة الذرائعية لأيديولوجيا

(٤) أيمن الظواهري، «فرسان تحت راية النبي،» **الشرق الأوسط**، ٢ ـ ١٢/١٢/٢٠٠١.

الجهاد العالمي، التي تقلّل من شأن الأطر بوصفها تكتيكات، وتركّز حصراً على الأهداف النهائية للقيادة العليا لتنظيم القاعدة، إلى القول إن العنف الذي اتخذه تنظيم القاعدة سلاحاً نابعٌ في نهاية المطاف من مشكلة الحكم في العالم الإسلامي. لكن بإدراجنا التأطير في المعادلة نسلّط الضوء أيضاً على العوامل التي جعلت لخطاب القاعدة الوحدوي الإسلامي والمناوئ للأمريكيين صدى قوياً للغاية لدى المجنَّدين، وهي عوامل كامنة على الأرجح في ميدان السياسات الدولية والوسائل الإعلامية الحديثة. لذلك ينبغي اعتبار الجهاد العالمي اتجاهاً أيديولوجياً بحدّ ذاته.

تحتل المملكة العربية السعودية مكانة مركزية في التاريخ الفكري للجهاد العالمي؛ لأنها السبب الأصلي الذي صيغ هذا الاتجاه من أجله. ذلك أن «الاحتلال [الأمريكي] لبلاد الحرمين» غدا موضوعاً مركزياً في أغلب بيانات أسامة بن لادن في النصف الثاني من عقد التسعينيات. رأى بن لادن أن التواجد العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية غير مقبول على الإطلاق لأسباب عديدة: **أولها**؛ أنه يتعارض مع المستلزمات الدِّينية المتعلّقة بطهارة شبه الجزيرة العربية وحرمة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة. والسبب **الثاني**؛ هو أنّ الوجود العسكري الأجنبي غير مقبول سياسياً؛ لأنه يرقى إلى مستوى احتلال أراضٍ إسلامية ذات سيادة، وهيمنةِ قوة غير مسلمة على الشعب السعودي. **والثالث** هو التبعات الاقتصادية البالغة الأثر لهذا الاحتلال؛ لأنه يسهّل استغلال الموارد النفطية، ويرغم الدولة السعودية على شراء أسلحة باهظة التكلفة. ولا ريب إذاً في أن بن لادن رأى أن الاحتلال الأمريكي مصدر المشكلات والشرور كافة التي ابتُلي بها المجتمع السعودي(٥).

---

(٥) Osama Bin Laden, «Declaration of War against the Americans Occupying the Land of the Two Holy Places,» (1996), and *ABC News Interviews* (December 1998), and (16 February 2004).

ورد في: Thomas Hegghammer, *Dokumentasjon om al-Qaida: Intervjuer, kommunikeer og andre primeerkilder, 1990-2002* [Documentation on al-Qaida: Interviews, Communiqués and Other Primary Sources, 1990-2002] (Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Rapport), 2002), pp. 19, 60, 65, 68, 126 and 131.

أضف إلى ذلك، أن بن لادن جادل في أواخر التسعينيات بأن احتلال شبه الجزيرة العربية لا يشبه احتلال أي أرضٍ إسلامية أخرى؛ للمكانة الفريدة التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي. **أولاً**، هذه الأرض هي مهد الإسلام، وموطن الكعبة التي يتوجّه إليها المسلمون في صلاتهم، ويطوفون حولها في حجّهم. **ثانياً**، إنها رمز لوحدة الأمة الإسلامية ولقوتها. ولا ريب في أن الأرض الوحيدة التي تمكن مقارنتها بهذه الأرض من المنظور الدِّيني والقيمة الرمزية هي فلسطين. **ثالثاً**، تحتل المملكة موقعاً استراتيجياً، وبالتالي فإن الاحتلال الصليبي يسهّل هيمنة اليهود على المنطقة، ويمكّن الجيش الأمريكي من ضرب المسلمين في العراق وأفغانستان وغيرهما من المناطق(٦).

بالتشديد على المكانة الخاصة للمملكة العربية السعودية لدى الأمّة الإسلامية، أظهر بن لادن بلا شك قدراً معيناً من الحس الوطني والنزعة الإثنية. فقد فاخر بأنه لم يدنّس المملكةَ العربية السعودية احتلالٌ أجنبي طوال أربعة عشر قرناً، بخلاف باقي دول الشرق الأوسط، وأشار ضمناً إلى تمتع سكان شبه الجزيرة العربية بمكانة خاصة كونهم الأحفاد الأصليين للصحابة. ويضيف إن السعوديين تميّزوا في استجابتهم للدعوة إلى الجهاد في الخارج، ولذلك يُتوقَّع منهم خوض قتال أشدّ على أرضهم(٧).

رأى بن لادن أن الحالة المزرية التي يعيشها باقي العالم الإسلامي، زادت الحاجة إلى تحرير شبه الجزيرة العربية إلحاحاً. وأن الاحتلال الأجنبي لشبه الجزيرة العربية هو الأشد إذلالاً لأن الأراضي والمقدسات الأخرى محتلَّة أصلاً. وذكّر قرّاءه بأن المسلمين فقدوا «أولى القبلتين»

---

(٦) John Miller Interview (May 1998); Statement no. 20 by the Advice and Reform Committee, and Bin Laden, Ibid.

ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 44, 48 and 135.

(٧) مقابلة مع عبد الباري عطوان (١٩٩٦)، ومقابلة مع جون ميلر (١٩٩٧)، و Bin Laden, «Declaration of War against the Americans Occupying the Land of the Two Holy Places».

ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 23, 131 and 135.

(القدس في عام ١٩٤٨) وهم يوشكون الآن على خسارة «ثاني القبلتين» (مكّة المكرّمة). لذلك، رأى بن لادن أن انتشار القوات الأمريكية على تراب المملكة عدوان على الأمّة بأسرها، وأنه يتوجب على المسلمين كافة بالتالي محاربة الولايات المتحدة[٨].

رأى زعيم تنظيم القاعدة أن الوجود العسكري الأمريكي على التراب السعودي، بمثابة المسمار الأخير في نعش شرعية النظام السعودي، وليس ذريعة لمحاربة أمريكا فقط. وهو يرى أن هذا النظام تحوّل إلى شريك للمحتلّ الصليبي بدعوة القوات الأمريكية إلى المجيء إلى المملكة والبقاء فيها لأجل غير محدود، فيما يقمع المعارضة المحلّية في الوقت عينه. ومع أن بن لادن لم ينعت النظام أو أياً من أعضائه بالكفر صراحة إلّا نادراً، هذا إذا فعل ذلك أصلاً، فقد قطع شوطاً طويلاً في إنكار شرعية آل سعود السياسية والدِّينية. بعبارة أخرى، يوجد بُعد ثوري مهم لمذهب الجهاد العالمي، مع أنه يتبين في التحليل النهائي أن محاربة العدو البعيد احتلّت الأولوية[٩].

أشار بن لادن إلى بذل النظام في الماضي الجهد لكي يبدو إسلامياً، لكن مجيء القوات الأمريكية كشف الطبيعة غير الإسلامية للحكومة، وأطلق شرارة عملية انحلال اجتماعي خطير. ونقطة التحول بحسب بن لادن هي سجن قادة حركة الصحوة؛ إذْ «توقف النظامُ السعودي بالكامل بعدها عن الحكم بما أنزل الله»[١٠].

لكنّ بن لادن بيّن أن زيادة الفساد بعد وصول الصليبيين لا تنفي التاريخ الطويل للنظام السعودي بخيانة الأمّة الإسلامية. (لم يتطرّق بن لادن لهذه المسألة بالطبع إلا عام ١٩٩٠؛ لأنه قبلها لم تكن لديه مشكلة ظاهرة

(٨) «بيان رقم ٢٠ الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح»؛ مقابلة لمحطة سي أن أن (١٩٩٧)؛ مقابلة مع عبد الباري عطوان (١٩٩٦)، ومقابلة مع روبرت فيسك (١٩٩٦)، ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 20, 23, 32, 131 and 135.

(٩) مقابلة للسي أن أن (١٩٩٧)؛ مقابلة مع جون ميلر (١٩٩٨)؛ مقابلة مع حامد مير (٢٠٠١)، ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 31, 35 and 103.

(١٠) مقابلة للسي أن أن (١٩٩٧)، ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 19 and 31.

مع النظام السعودي). وبات يجادل بأن الدولة السعودية المعاصرة خدمت منذ وجودها المصالح الإمبريالية الأجنبية البريطانية أولاً ثم الأمريكية. أضف إلى ذلك، أنّ بن لادن حمّل الملكَ عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية مسؤولية ضياع فلسطين، فذكر بن لادن أنّ عبد العزيز أرسل اثنين من أبنائه إلى فلسطين بناءً على أوامر بريطانية لتهدئة الثورة التي اندلعت هناك في عام ١٩٣٦، وهو ما سهل الطريق أمام إقامة دولة إسرائيل. أراد بذلك القول إن التاريخ يعيد نفسه، فكما إن الملك عبد العزيز سبّب ضياع أولى القبلتين، تسبب ابنه الملك فهد بضياع الثانية. وأشار إلى أن الملك فهد خان الأمّة الإسلامية أيضاً لمساندته الاشتراكيين في اليمن، ومنظمة التحرير الفلسطينية العلمانية في فلسطين، والاستثناء الوحيد في تاريخ هذه الخيانات بحسب بن لادن هو الملك فيصل في آخر أيامه؛ لأنه «ناصر القضية الفلسطينية بصدق»[١١].

بقي تركيز بن لادن منصبّاً على الولايات المتحدة أساساً على شدّة عداوته للنظام السعودي وإظهاره ميولاً ثورية اجتماعية واضحة. فإذا كان يعتبر هذا النظام غير شرعي؛ فلتواطئه أساساً مع الصليبيين، كما ذكر في عام ١٩٩٧:

بالنسبة إلى الانتقادات الموجّهة ضد النظام الحاكم في السعودية، فذلك بسبب دعمها للولايات المتحدة. لذلك، إنّ مشكلتنا الأساسية هي حكومة الولايات المتحدة، بينما النظام السعودي هو مجرد فرع أو تابع لها... فالناس والشباب يركّزون جهودهم على الخصم الأساس وليس على التابع له[١٢].

وفي عام ١٩٩٨، بيّن أهدافه بعبارات أوضح فقال:

عملنا هو استهداف كفار العالم بالدرجة الأولى. عدونا هو التحالف

---

(١١) مقابلة مع **نداء الإسلام** (١٩٩٦)؛ مقابلة مع روبرت فيسك (١٩٩٦)، Bin Laden, «Declaration of War against the Americans Occupying the Land of the Two Holy Places» ورد في: Hegghammer, Ibid., pp. 19, 26 and 132.

(١٢) مقابلة للسي أن أن (١٩٩٧)، ورد في: Hegghammer, Ibid., p. 32.
[تمت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي].

الصليبي الذي تقوده أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، أي التحالف الصليبي - اليهودي. ومع ذلك فإن بعض الأنظمة في العالمين العربي والإسلامي قد انضمت إلى هذا التحالف، وهم بذلك يمنعون المسلمين من الدفاع عن مقدساتهم. فعداؤنا بالدرجة الأولى موجه إلى هؤلاء الكفار، وبحكم الضرورة أصبح موجهاً ضد الأنظمة التي أصبحت أدوات بيد هذا التحالف(١٣).

لم تكن نية بن لادن تركيز الصراع العسكري على الأمريكيين **أولاً** وعلى النظام السعودي **ثانياً** مجرّد شعار؛ إذ ظهرت دلائل قوية على أن بن لادن دافع عن هذه الاستراتيجية في المجالس الداخلية للقاعدة، في أواخر التسعينيات. وفي هذا السياق، صرّح ناصر البحري الذي عمل حارساً شخصياً لبن لادن في أفغانستان في تلك الحقبة لصحيفة **القدس العربي** في عام ٢٠٠٥ بما يأتي:

«كان بعض الشباب يقول: يا شيخ أسامة نريد تنفيذ عملية ضدّ فلان أو علان من القادة العرب، بحكم أن الحكومة المصرية مرتدة، الحكومة العراقية مرتدة، و.. و.. إلخ». كانوا متحمسين. فكان يقول: «أتركوهم وشأنهم ولا تنشغلوا بهم، هؤلاء الحكومات ثلة وحثالة... وهؤلاء عندما يرون هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية سيكون وضعهم في أسوأ حال...

الصحافي: هل كان بن لادن محدّداً وجهته باتجاه أمريكا فقط؟

البحري: نعم، كان محدّداً وجهته باتجاه أمريكا فقط، ومخصّصاً نشاط تنظيمه على أمريكا..»(١٤).

وكما أشار البحري، رأت القيادة العليا للقاعدة في محاربة الوجود الأمريكي في المملكة قضية مهمة بحدّ ذاتها، ووسيلة لإسقاط الحكومة

---

(١٣) مقابلة لأي بي سي، في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨، ورد في: Hegghammer, Ibid., p. 60.

[تمت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي].

(١٤) **القدس العربي**، ٢٦/٣/٢٠٠٥.

السعودية. ومما يزيد في تأكيد ذلك وثيقة داخلية تحدّثت عن استراتيجية القاعدة عثر عليها الجيش الأمريكي في أفغانستان في أواخر عام ٢٠٠١، ورُفعت عنها السرّية في عام ٢٠٠٦. كانت وثيقة مؤلّفة من اثنتين وخمسين صفحة، كتبها شخص مقيم بالسعودية يكنَّى أبا حذيفة، خاطبت بن لادن وتضمّنت الفقرة المثيرة الآتية:

يتفق الإخوان بشكل كامل مع الهدف الذي عرضه (أبو عبد الله)، وهو محاربة الأمريكان. . . وعلى أساس وضع الإخوان وقدراتهم، فهم يؤمنون أن عليهم البدء بالعدو الصليبي من خلال استراتيجية يمكنها أن تحقق الأهداف المنشودة، ومنها:

١ ـ إعادة الثقة في قلوب الجمهور المسلم.

٢ ـ تجهيز المحيط لمحاربة النظام السعودي. . .

٣ ـ اكتساب الخبرات السياسية والعسكرية والإدارية من خلال ساحة المعارك. . . فالحرب تبني المقاتلين.

٤ ـ تشويه صورة النظام السعودي.

٥ ـ كسر حاجز الخوف والتردد في نفوس المجاهدين.

٦ ـ توسيع دائرة الجهاد، أفقياً وعامودياً، من خلال اغتيال بعض قادة النظام.

٧ ـ بعد تصعيد العمليات ضد العدو الصليبي بمعدل مضاعف وعند النقطة الحرجة، تعلن قيادة المجاهدين الحرب ضد النظام السعودي في الظرف المناسب وبعد ممارسة طويلة في تنفيذ البند ٧، مع الأخذ بعين الاعتبار مبادئ وتقنيات حرب العصابات[١٥].

يظهر إذاً أن بن لادن تصوّر عملية من مرحلتين؛ حيث تُواجَه الولاياتُ المتحدة في أولاهما وتُطرَد، فيسقط النظام السعودي بشكل شبه

---

(١٥) «Letter from Abu Hudhayfa to Abu Abdallah,» Harmony Database (AFGP-2002-003251) (20 June 2000).

[تمت ترجمة الاقتباس عن النص الإنكليزي].

تلقائي؛ أي إنه يوجد في أفق نظرته العالمية هدف اجتماعي ثوري. بيد أنّ أكثر المهمات التي تواجه الأمّة إلحاحاً وتطلّباً هي جهاد الولاياتِ المتحدة، وطليعة هذا الجهاد تنظيم القاعدة.

ثالثاً: مركز القاعدة

شكّل انتقال أسامة بن لادن من السودان إلى أفغانستان، في أيار/مايو ١٩٩٦، بداية العصر الذهبي للقاعدة. وعلى مدى السنين الخمس التالية، شهدت البنية التحتية للتنظيم وعملياته وعضويته توسعاً كبيراً. وعندما غزت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة أفغانستان في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١، كان التنظيم قد درّب بضعة آلاف من المتطوعين العرب ودبّر أشدّ الهجمات دوياً في التاريخ. ومن دون الغوص في تفاصيل تاريخ القاعدة في هذه الحقبة، وهو تاريخ أجاد تغطيته مؤلفون، مثل: بيتر بيرغِن (Peter Bergen) ولورانس رايت (Lawrence Wright) ومايكل شيوير (Michael Scheuer)، يجدر بنا تأمّل الأسباب التي مكنت تنظيم القاعدة من امتلاك هذه القدرة الهائلة في هذه الحقبة.

أول هذه الأسباب وأهمّها، الملاذ الآمن الذي وجده التنظيم في أفغانستان، أهم الدروس التي نستخلصها من تاريخ القاعدة، هو أن تمتّع جماعة عنفيّة بحرية مطلقة في بقعة أرض يزيد من قدرتها العسكرية بشكل هائل. بادئ ذي بدء أتاح الملاذُ الآمن لتنظيم القاعدة التخطيط لعملياته بصمت وفقاً لبرنامجه الخاص ومن دون تشويش خارجي من الناحية الفعلية. كما سمح لبن لادن ببناء نواة تنظيمية على درجة عالية من البيروقراطية والتقسيم الوظيفي للمهام وهو ما رفع الكفاءة التنظيمية. والأهم من ذلك كلّه أنّ حيازة الأرض مكّنت بن لادن من بناء نظام تعليمي عسكري واسع لم يسبق لمنظمة عنفيّة عابرة للحدود ذات أجندة راديكالية أن امتلكت مثله. وهذه البنية التحتية أو «جامعة الجهاد العالمي» طورت إلى حدّ بعيد قدرة تنظيم القاعدة على استخدام مجنّديه. كما إن معسكرات التدريب عنصر أساس أيضاً لفهم خاصية الازدواجية التنظيمية للقاعدة، وأعني بذلك وجود هيكلية هرمية ونواة بيروقراطية، إلى جانب

شبكة واسعة وفضفاضة من خرّيجي المعسكرات في الوقت نفسه.

شكلت المعسكرات أداة لرفع كفاءات المجنَّدين شبه العسكرية، وشكلت أيضاً ميداناً لعمليات اجتماعية طوّرت القدرة العملانية للتنظيم. كثير من هذه العمليات حاكى العمليات التي ترعاها منظمات عسكرية محترفة. أريد من التعليمات تخشين المجنَّدين أولاً وقبل كل شيء من خلال التدريب المكثف على استعمال الأسلحة ونشر الثقافة الرجولية والولع بالأسلحة في المعسكرات. زد على ذلك أنّ مشقة العيش في المعسكرات ساعدت المجنّدين على بناء علاقات شخصية قوية، وبالتالي غرست ولاءً داخلياً عميقاً وثقة مطلقة مهمة لتنفيذ عمليات تستغرق زمناً طويلاً، مثل: هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. أخيراً غُرست في «خرّيجي» هذه المعسكرات الثقة بالنفس والحسّ بأنهم جزء من قوة طليعية، ما حوّل كثيراً منهم إلى شخصيات ذات قدرات قيادية أو تنظيمية في الأوساط العسكرية في بلدانهم الأصلية.

وبالإضافة إلى هذه العمليات الاجتماعية امتزج التلقين الأيديولوجي باتجاه الجهاد العالمي، فكان المجنّدون يحضرون محاضرات ويطالعون مؤلّفات منظّرين جهاديين عالميين. كما شجّع المدرسون على إشاعة مشاعر مناوئة للولايات المتحدة داخل المعسكرات، ما دفع المجنَّدين إلى محاولة التفوّق على بعضهم في المواقف الكلامية. وعلى العموم، تفوّق خرّيجو هذه المعسكرات بخشونتهم ولُحمتهم وعداوتهم للغرب على أغلب نظرائهم[١٦]. كما تطوّرت البنية التحتية التدريبية لتنظيم القاعدة بمرور الوقت، وحقّقت قفزة نوعية في عام ١٩٩٩ عندما سمحت حركة طالبان لبن لادن بإقامة معسكر الفاروق الشهير (للمجنَّدين الجدد)، ومعسكر المطار (للدورات المتقدّمة) بالقرب من قندهار. لم

(١٦) Rohan Gunaratna, «The Terrorist Training Camps of al Qaida,» in: James J. F. Forest, ed., *The Making of a Terrorist: Recruitment, Training and Root Causes* (Westport, CT: Praeger, 2006); Anthony Davis, «The Afghan Files: Al-Qaeda Documents from Kabul,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 14, no. 2 (2002), and «Substitution for the Testimony of Muhammad Manea Ahmad al-Qahtani (Phase 2),» Defendant's exhibit ST001-US v. Moussaoui, <http://ww.rcfp.org>.

يكن التنظيم يملك إلى ذلك الحين معسكرات خاضعة لسيطرته الوحيدة والمباشرة. ذلك أن المعسكرات القديمة مثل: خلدِن أو ديرونتا بالقرب من جلال أباد لم تكن تحت سيطرة بن لادن في الواقع، بل اشتركت فصائل عربية متنوعة في إدارتها، وفيها عدد ممن لم يشاطر بن لادن أجندته الجهادية العالمية. لكن بعد عام ١٩٩٩ زاد عدد المعسكرات الخاضعة لسيطرة القاعدة المباشرة، ما سهل توزيع المجنَّدين وإحكام سيطرة التنظيم على الجيل الجديد من الجهاديين السعوديين الذين بدؤوا بالتوافد بأعداد كبيرة في ذلك الوقت بالذات[١٧].

العامل الرئيس الثاني المسؤول عن تعاظم قوة القاعدة في أواخر التسعينيات، هو قدرة بن لادن المذهلة على تشكيل أحلاف مع جهات فاعلة أساسية أخرى في عالم التيارات الإسلامية المتشددة. أهم هذه الجهات بالطبع نظام طالبان ضامن الملاذ الآمن للقاعدة. ذلك أنه لم تكن قدرة أسامة بن لادن على إقامة علاقة قوية بالملّا عمر زعيم طالبان أمراً مضموناً. ونذكر أنه عندما وصل بن لادن إلى أفغانستان في عام ١٩٩٦ كان أصدقاؤه في صفوف أعداء طالبان أكثر عدداً من أصدقائه في صفوف طالبان نفسها. لم تكن العلاقة بين الطرفين سلسة إلى أواسط عام ١٩٩٨؛ إذْ لم توافق طالبان على حملات بن لادن الإعلامية الدولية، بل فكرت في تسليمه للمملكة العربية السعودية. بيد أنّ الهجمات الصاروخية الأمريكية على أفغانستان عقب تفجيرات شرق أفريقيا في آب/أغسطس ١٩٩٨ وثّقت إلى حدّ بعيد عرى العلاقة بين القاعدة وطالبان[١٨].

استطاع بن لادن أيضاً إضعاف النزعة الفصائلية التي أضعفت عموم

---

(١٧) «قصة «الأفغان العرب» من الدخول إلى أفغانستان إلى الخروج مع طالبان (ج ٤)،» **الشرق الأوسط**، ١١/ ١٢/ ٢٠٠٤؛ أبو مصعب السوري، «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، ص ٧٢٧ ـ ٧٢٩؛ *The 9/11 Commission Report* (New York: W.W. Norton, 2004), p. 156; Brynjar Lia, *Architect of Global Jihad: The Life of Al-Qaeda Strategist Abu MusAl-Suri* (London: Hurst, 2007), and <http://www.tawhed.ws>.

(١٨) Alan Cullison and Andrew Higgins, «A Once-Stormy Terror Alliance Was Solidified by Cruise Missiles,» *Wall Street Journal*, 2/8/2002, and Ahmed Rashid, *Descent into Chaos: How the War Against Islamic Extremism is being Lost in Pakistan, Afghanistan and Central Asia* (New York: Viking, 2008), pp. 15-16.

وسط الأفغان العرب منذ الثمانينيات. نشط في أواخر التسعينيات في أفغانستان بعض الفصائل الجهادية العربية التي بلغ عددها أربعة عشر فصيلاً بحسب الكاتب الجهادي أبي مصعب السوري، وعمل أغلبها على تغيير النظم الحاكمة في بلدانها الأصلية. لكنّ بن لادن نجح في إقناع بعضها بالانضمام إلى جهاده العالمي المعادي لأمريكا، أشهرها جماعة الجهاد الإسلامي المصرية بقيادة أيمن الظواهري، التي اتحدت مع القاعدة في عام ٢٠٠٠ بعد سنين من التعاون الفعلي. والجهات المهمّة الأخرى التي تقرّب إليها بن لادن هي جماعات إسلامية تحرّرية في أماكن مثل: كشمير والشيشان والفلبين وشرق تركستان. سعى تنظيم القاعدة إلى نصرة هذه الجماعات بطرق شتى بدافع المعتقد، كون مساعدة المسلمين التحرّريين عنصراً حاسماً في النهاية في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وبدافع تحسين صورة التنظيم كونه نصير الأمّة المضطهَدة. وبالإضافة إلى ما تقدّم، وسّع المدى العملاني لشبكة التنظيم لتتمكن من استغلال الكثير من هذه العلاقات على أساس مرحلي لغايات عسكرية أو لوجستية.

ترجع نجاحات تنظيم القاعدة الدبلوماسية النسبية من بعض النواحي إلى الشيء الذي كان في مقدوره تقديمه، وعلى التحديد التدريب والملاذ والمال. لكنّ المصدر الآخر لتلك النجاحات كان سجايا بن لادن الشخصية، ولا سيما شخصيته الكاريزمية وسمعته ومهاراته الخطابية. تعمّد الظهور في شخصية رعوية متواضعة جامعة راقت القادةَ الجهاديين والمجنّدين الجدد على حدّ سواء. كما عرف كيف يستفيد من نوافذ الفرص السياسية، مثل: النافذة التي فُتحت بعد الضربات الصاروخية في آب/أغسطس ١٩٩٨ لمصلحته السياسيّة كتنظيم. لا تنبغي الاستهانة بنجاح بن لادن في تشكيل الأحلاف، لأنّ قلّة قليلة من الحلفاء شاطرته الأجندة التي سعى إلى تنفيذها أعني محاربة أمريكا. وفي عالم ما بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر برز ميل إلى نسيان مدى هامشية اتجاه الجهاد العالمي في المشهد الأعم للتيار الإسلامي المسلّح(١٩).

---

(١٩) Fawaz Gerges, *The Far Enemy: Why Jihad Went Global?* (New York: Cambridge University Press, 2006).

لهذه الأسباب وغيرها طوّر تنظيم القاعدة قدرة عملانية هائلة في أواخر التسعينيات. إن إحصاء عدد العمليات التي نفّذها التنظيم مهمة صعبة؛ لأنّ طبيعة ضلوع نواته تباينت بشدّة. فإذا جرى تنسيق بعض العمليات من أعلى الهرم إلى أسفله، نُفّذ بعضها الآخر بتدبير عناصر في أسفل الهرم. وكانت تصل بن لادن باستمرار اقتراحات من منظّمين على هامش شبكة القاعدة بتنفيذ عمليات دولية، وقدّم لبعض هذه العمليات دعماً جزئياً، مثل: مخطّط تفجير مطار لوس أنجلوس ومخطّط الهجوم على أهداف سياحية عدّة في الأردن في وقت قريب من عام ٢٠٠٠. لكنّ الواضح أنّ قيادة القاعدة آثرت النوعية على الكمّية، بما أنّها استثمرت بكثافة في عمليات رئيسة ثلاث فقط في أثناء وجودها في أفغانستان، وهي تفجيرات شرق أفريقيا عام ١٩٩٨، وعمليتي المدمّرتين الأمريكيتين يو أس أس سوليفان (USS Sullivans) ويو أس أس كول (USS Cole) عام ٢٠٠٠، وهجمات ١١ أيلول. والملاحظ أن تسلسل هذه الهجمات التي ازدادت طموحاً من هجوم على هدف برّي سهل إلى هجوم على هدف بحري صعب، وانتهاء بهجوم جوّي على هدف استراتيجي عكس النمو المذهل لقدرات القاعدة[٢٠].

زاد من وَقْع الهجمات تبنّي تنظيم القاعدة استراتيجيةً إعلامية متوسعة باستمرار. فلو عاينّا أغلب الأحداث التي وقعت في التسعينيات، لوجدنا أنّ التنظيم تبنّى استراتيجية إعلامية عفّى عليها الزمن، مبنيّة على إصدار بيانات مكتوبة وإجراء مقابلات مع منابر إعلامية كبرى. ولو استثنينا الحملة الإعلامية في عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨ التي أجرى فيها بن لادن سلسلة طويلة من المقابلات مع صحافيين أجانب ومحطات تلفزيونيّة غربيّة، بدا التنظيم غير فاعل بالمرّة على الجبهة الدعائية وفقاً لمعايير ما بعد ١١ أيلول/سبتمبر على الأقل. فلم تواكب عمليةَ شرق أفريقيا غير بيانات مكتوبة سيئة التوزيع. لكن بدءاً بوقت قريب من عام ٢٠٠٠ شرع التنظيم بحملة دعائية سمعيّة بصريّة، فأنتج في عام ٢٠٠١ شريطه الفيديوي الأول احتفاءً بتفجير المدمّرة الأمريكية كول وبالانتفاضة

(٢٠) Anonymous, *Through Our Enemies' Eye: Osama bin Laden, Radical Islam, and the Future of America*, p. 216.

الفلسطينية. وفي أثناء التحضير لهجمات ١١ أيلول/ سبتمبر استخدم تنظيم القاعدة طريقة مبتكرة استعارها من حماس وعلى التحديد إدلاء كل منفّذ عملية انتحارية ببيان مسجل على شريط فيديو، فضلاً عن تسجيلات لعملية التحضير. وفي عام ٢٠٠١ قام تنظيم القاعدة بخطوات لتأسيس موقعه الإلكتروني الخاص، إلا أن بناءه لم يكتمل أبداً[٢١].

إن الحضور القوي للسعوديين في الفِرق الهجومية التابعة للقاعدة، كما في هجمات ١١ ايلول/ سبتمبر مثلاً، أشاع تصوراً بأن القاعدة تنظيم يهيمن عليه سعوديون. هذه حقيقة في حاجة إلى تفصيل. لا ريب في أن أغلب الانتحاريين في القاعدة سعوديون. وعلى سبيل المثال شارك في ثلاث عمليات كبرى للقاعدة سبعة عشر سعودياً، ويمنيان ترعرعا في السعودية من أصل أربعة وعشرين مهاجماً. والواضح أيضاً أن السعوديين شكّلوا أغلبية في معسكرات التدريب عام ٢٠٠١. لكنّ المصريين فاقوهم عدداً في المستويات العليا في التنظيم، فلم يوجد في الأعضاء المؤسسين لتنظيم القاعدة في عام ١٩٨٨ غير قليل من السعوديين، وكما سنرى بعد قليل لم يزدد عدد المجنَّدين السعوديين إلا في أواخر التسعينيات. وتأخر مجيء السعوديين جعلهم أقل خبرة، وبالتالي كان من السهل الاستغناء عنهم عبر العمليات. والعامل الآخر لاستعمالهم في العمليات الدولية إمكانية حصول السعوديين الميسورين على تأشيرات زيارة إلى الدول الأجنبية بسهولة نسبياً. والتعليل المنطقي الثالث لاستخدام السعوديين كمهاجمين انتحاريين هو توصيل رسالة سياسية إلى الرياض وواشنطن مَفادها أنّ القضية الأصلية لبن لادن وهي إنهاء «الاحتلال» الأمريكي لشبه الجزيرة العربية لم يطوها النسيان، لكن ما سبب عدم استعمال سعوديين في شنّ هجمات داخل المملكة العربية السعودية بالذات[٢٢]؟

---

(٢١) **الجزيرة:** ١٥/ ٤/ ٢٠٠٢، و٩/ ٩/ ٢٠٠٢؛ **تدمير المدمّرة الأميركية كول**، ٢ ج ([د. م.]: مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠١)، و Vik Iyer and Elsa McLaren, «New Bin Laden Video Aired,» *Times*, 7/9/2006, and «Letter from Abu Hudhayfa to Abu Abdallah».

(٢٢) لمعرفة أسماء منفّذي هجمات القاعدة الكبرى الثلاث وجنسياتهم، انظر: *USA v. Usama bin Ladin* [et al.], pp. 2014-2017, and *USA v. al-Badawi-Indictment* (Southern District of New York, 2003), p. 13, and *The 9/11 Commission Report*, pp. 238-239.

للاطلاع على لمحة عامة عن أعضاء القاعدة الأساسيين وعن جنسياتهم، انظر: *The 9/11*

رابعاً: القاعدة في المملكة العربية السعودية

وصل أسامة بن لادن إلى أفغانستان في أيار/ مايو ١٩٩٦، وليس في حاشيته سوى قليل من السعوديين، بينما امتلك بنية تحتية تنظيمية محدودة للغاية داخل المملكة. وفي أثناء إقامته في السودان، فَقَدَ الاتصال بأغلب أصدقائه السعوديين الذين تعرّف إليهم في الأيام الأولى لمكتب الخدمات، والذين نفروا من الحماسة الثورية لرفاق بن لادن المصريين. وأخفق بن لادن كذلك في استقطاب أتباع في أوساط الإسلاميين السعوديين العاديين، الذين كانوا أكثر اهتماماً بالبوسنة أو بالصحوة منهم بمغامرات بن لادن في شرق أفريقيا.

بناء على ما تقدّم، لم يكن في نية بن لادن نفسه، شنّ حملة كبرى داخل المملكة، قبل عام ١٩٩٥. وعندما اقترح أعضاء القاعدة المصريون تفجير السفارة الأمريكية في المملكة عام ١٩٩٣؛ رداً على اعتقال الشيخ عمر عبد الرّحمن، زُعم أن القيادة العليا للقاعدة رفضت الفكرة. بيد أن قمع الصحوة في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٤ أقنع بن لادن بعقم الدعوة إلى نبذ العنف، وحَمَلَه على التفكير بمزيد من الجدية في شنّ حملة عسكرية على القوات الأمريكية. وقد استمعت لجنة ١١ سبتمبر إلى دليل سرّي، أشار إلى خطة مزعومة وضعها بن لادن؛ لنقل متفجّرات من السودان وتهريبها إلى شرقيّ المملكة العربية السعودية في عام ١٩٩٤. زد على ذلك، أنه بحسب وثيقة عراقية عثرت عليها القوات الأمريكية في عام ٢٠٠٣، التقى بن لادن بمندوب للحكومة العراقية في الخرطوم في مطلع عام ١٩٩٥، وناقشا «تنفيذ عمليات مشتركة تستهدف قوات أجنبية» في المملكة العربية السعودية. لكنّ هذه التقارير على افتراض دقتها لا تشير إلى أن بن لادن وضع كل ثقله خلف حملة تفجيرات تستهدف المملكة.

Commission Report, pp. 433-438, and Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* = (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004).

ولمعرفة حاشية أسامة بن لادن، انظر: Ed Blanche, «The Egyptians around Bin Laden,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 13, no. 12 (2001).

ولمعرفة الأسس المنطقية لاستعمال سعوديين في هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، انظر: *The 9/11 Commission Report*, p. 232.

ربما كبحت جماحَه بعض الشيء الحكومةُ السودانية التي واجهت ضغوطاً مصرية وسعودية وأمريكية لاحتواء المسلّحين المقيمين بالخرطوم(٢٣).

ومن ناحية أخرى، لم يواجه بن لادن في أفغانستان مثل هذه القيود السياسية؛ ولذلك أعلن الجهاد على الأمريكيين في شبه الجزيرة العربية عام ١٩٩٦، وجَدَّ في بناء شبكة للقاعدة في المملكة. وفي هذا الصدد ذكر ناصر البحري أن بن لادن «فتح فروعاً لتنظيم القاعدة في المملكة العربية السعودية» عام ١٩٩٦، وأن «الكثير من الإخوة» تولّوا مسؤولية هذه الفروع. وركّز بن لادن جهود بناء تنظيمه على ما كان مركز التجنيد للجهاد الأفغاني، والمنطقة التي تمتّعت فيها شبكتُه الشخصية بأقوى حضور، أعني الحجاز. ومما يُؤسَف له أننا لا نعرف الكثير عن ممثّلي القاعدة في هذه المرحلة المبكرة. لكنّ أحد الأسماء القليلة التي برزت عائد إلى شخص يُكنّى أبا أحمد التبوكي، الذي كان بحسب قصة «استشهاده»، «أحد أهم الأشخاص المطلوبين في المملكة، لكنه فرّ إلى العراق. وهو يُعتَبَر أحد أقدم قادة الشيخ [أسامة بن لادن]. وكان البتّار يوسف العُيَيْري [مؤسس تنظيم القاعدة في جزيرة العرب] يتردد إليه»(٢٤).

لكنّ بناء الشبكة سار بوتيرة أبطأ بكثير مما توقّع بن لادن؛ والمشكلة هي أن تنظيم القاعدة جاء إلى المشهد السعودي بُعَيد تفجيري الرياض والخُبر، عندما أُلقي بكثيرٍ من المتعاطفين مع بن لادن ومناصريه المحتملين في السجن. وبالإضافة إلى ذلك، باتت الولايات المتحدة أشدّ احتراساً بكثير من التهديد الذي يترصّد مصالحها في المملكة وعززت إجراءات حماية الأهداف المحتملة. ولم تتغيّر الحال إلّا في ربيع عام ١٩٩٧، عندما جنّدَ بن لادن الرجلَ الذي أضحى القائد الناشط الرئيس للقاعدة في شبه الجزيرة العربية، طوال خمس سنين متتالية.

---

(٢٣) Tom Hayes, «Terror Chief's Followers Quit over Plans to Kill Civilians, Court Told,» Associated Press, 21 February 2001; «Overview of the Enemy-Staff Statement Number 15,» <http://www.9-11commission.gov, 2004>, and Peter Bergen, «Enemy of our Enemy,» *New York Times*, 28/3/2006.

(٢٤) **القدس العربي**، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥، ومحبّ الجهاد، «شهداء أرض الرافدين،» (٢٠٠٥)، <http://www.hikma.net>.

وُلد عبد الرحيم الناشري السعودي النشأة واليمني الأصل والملقَّب بأبي بلال، في مكّة عام ١٩٦٦، وحارب في أفغانستان في الثمانينيات. وتوجّه إلى طاجيكستان مع ما سُمّي المجموعة الشمالية في أواسط عام ١٩٩٦. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٩٧، عرّج على جلال أباد في طريق عودته من المغامرة الطاجيكية الفاشلة، فدعاه بن لادن إلى الانضمام إلى القاعدة، لكنّه رفض دعوته بأدب. وما لبث أن بدّل رأيه في غضون شهور قلائل؛ فعاد إلى أفغانستان وبدأ بالعمل لمصلحة بن لادن. حاز الناشري سمعة سيئة عند الحكومات لأنه الشخص الذي نسّق الهجوم على المدمرة الأمريكية كول في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠، ولترؤسه عمليات القاعدة في شبه الجزيرة العربية، قبل أن تعتقله سلطات الإمارات العربية المتحدة، في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢[٢٥].

لا يتوافر غير نزر يسير من المعلومات المنشورة عن عمليات القاعدة داخل المملكة العربية السعودية، بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١. وحتى في عام ٢٠٠٥ بقي مسؤولون أمنيون غربيون قابلهم المؤلّف يتحدثون بعبارات غامضة عن «هجمات فاشلة لا يعرفها الجمهور العام» في المملكة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١. على أنه أياً كان المستوى الدقيق للنشاط العملاني للقاعدة، الظاهر أن التنظيم لم ينفّذ أي عمليات كبرى ناجحة في المملكة خلال تلك الحقبة. فلم ترد تقارير عن هجمات عنيفة من أي نوع في المملكة بين تموز/يوليو ١٩٩٦ وشباط/فبراير ٢٠٠٠. وإذْ وقع عدد من الهجمات الصغيرة على أهداف غربية بدءاً بآب/أغسطس ٢٠٠٠، إلا أنه لا يظهر أن بن لادن نسّق تلك الهجمات.

إلا أن هناك مؤشرات على أن الشرطة السعودية أفشلت مخططات لتنفيذ عمليتين كبيرتين، في عام ١٩٩٨. حدث التطور الأبرز في أهميته وتوثيقه في وقت قريب من كانون الثاني/يناير ١٩٩٨، عندما ألقت السلطات السعودية القبض على مجموعة مسلّحين مزوَّدين بصواريخ ساغر (Sagger) المضادّة للدبابات في مكان ما جنوب غرب البلاد.

---

(٢٥) *The 9/11 Commission Report*, pp. 152-153.

والظاهر أنّ الهدف المقصود من مخطط الصواريخ كان القنصلية الأمريكية في جدّة، وزُعم أنّه أريد أن يتزامن وقت تنفيذ العملية مع زيارة آل غور (Al Gore) نائب الرئيس الأمريكي للمملكة. وصف مسؤولون المجموعةَ المسؤولةَ عن عملية التهريب بأنها «أول خلية للقاعدة في المملكة العربيةِ السعودية». وبحسب مصادر رسمية أمريكية رعى بن لادن المخطط، ووجّهه عبدُ الرحيم الناشري بمساعدة ابن عمه جهاد محمد أبو علي بالإضافة إلى شخص يُدعى أبا محجن الشيباني. وقد أخذت قصة مخطط الصواريخ منعطفاً مثيراً في عام ٢٠٠٣، عندما صرّح الأمير تركي الفيصل بأنّ السلطات السعودية وجدت دليلاً يومذاك على ضلوع خالد المحضار ونوّاف الحازمي اللذَين شاركا لاحقاً في خطف الطائرات، يوم ١١ أيلول/سبتمبر في هذه العملية أيضاً، وأن الاستخبارات السعودية أخطرت وكالةَ الاستخبارات المركزية بهويتهما في وقت مبكر عام ١٩٩٩، وهو زعمٌ نفتْه السلطات الأمريكية بشدّة[٢٦].

ردّت السلطات السعودية بحملة قمع قاسية استهدفت الوسط الجهادي في الأسابيع والشهور التي تلت اكتشاف المخطط، فاعتقلت الشرطة ٨٠٠ إلى ٩٠٠ شخص في شتى أنحاء البلاد، ولا سيما في منطقة مكّة المكرّمة. نبّه مخططُ الصواريخ السلطاتِ السعودية على التهديد الذي يشكله تنظيم القاعدة، ودفع الحكومةَ إلى زيادة الضغط على طالبان. بناءً على ذلك، سافر تركي الفيصل إلى قندهار في تموز/يوليو ١٩٩٨ لإقناع الملاّ عمر بتسليم بن لادن. وهناك مذكّرة رُفعت السرّية عنها، صادرة عن مجلس الأمن القومي الأمريكي بتاريخ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠، أشارت إلى إفشال مخطط للقاعدة في المملكة في أواخر عام ١٩٩٧ في إشارة إلى مخطط الصواريخ على الأرجح، ما

(٢٦) المصدر نفسه؛ مقابلة أجراها المؤلف مع فارس بن حزام؛ *The 9/11 Commission Report*, pp. 152 and 491; Pervez Musharraf, *In the Line of Fire: A Memoir* (London: Simon and Schuster, 2006), p. 213; George Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA* (New York: HarperCollins, 2007), p. 105; Judith Miller, «Killing for the Glory of God, in a Land far from Home,» *New York Times*, 16/1/2001, and John Solomon, «Saudis, US Describe Intelligence Links,» Associated Press, 17 October 2003.

حمل الحكومة السعودية على تغيير موقفها من التهديد الذي يشكّله تنظيم القاعدة. وقد تأكّد بروز هذا التغيير في وقت لاحق على لسان تركي الفيصل الذي قال إنّ مخطط الصواريخ دفع إلى تشكيل «وحدة خاصة مشتركة لمكافحة الإرهاب» تعقد لقاءاتها بشكل شهري(٢٧).

علمت الدوائر الإسلامية السعودية بأمر مخطّط الصواريخ عام ١٩٩٨، وبلغت الأقاويل المتصلة بالحادثة أسماعَ المعارضة المقيمة بلندن؛ فكتبت رسالة إخبارية في أواسط عام ١٩٩٨ قالت فيها: «أُحبطت العمليات الحقيقية... نجحت مجموعات موالية لبن لادن في تهريب أنواع خطرة من الأسلحة إلى المملكة». وفي وقت متأخر قريب من عام ٢٠٠٤، تحدّثت مجلة **صوت الجهاد** عن شخص «اعتُقل في عام ١٩٩٨ على خلفية قضية الصواريخ المشهورة التي أدّت إلى سجن العديد من شباب المجاهدين [الذين قاتلوا] في البوسنة»(٢٨).

يبدو أنه جرت محاولة ثانية، في وقت لاحق من تلك السنة؛ لتهريب صواريخ قام بها مسلّحون مصريون يقيمون باليمن. المصدر الوحيد المتاح لهذه المعلومة هو الإيجاز اليومي الرئاسي الأمريكي بتاريخ ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨، وجاء فيه أنّ المجموعة الإسلامية (المصرية) حازت صواريخ سام ٧ في اليمن في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨، وخططت لنقلها إلى المملكة العربية السعودية بنيّة استخدامها في إسقاط طائرة مصرية أو أمريكية. وعقب اكتشاف المخطط أُغلقت السفارة الأمريكية في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨، وأُلقي القبض على نحو ٣٠٠ إسلامي في مطلع عام ١٩٩٩؛ إلا أنه لم يتضح إن كان هذا المخطط الثاني من تدبير القاعدة(٢٩).

---

(٢٧) Solomon, Ibid., and «Strategy for Eliminating the Threat from the Jihadist Networks of al Qida: Status and Prospects,» (National Security Council Memo, 2000, <http://www.gwu.edu/˜nsarchiv>.

(٢٨) **الإصلاح**، العدد ١١٣ (١ حزيران/يونيو ١٩٩٨)، و«أخبار وشاهدات،» **صوت الجهاد**، العدد ١٣ (٢٠٠٤)، ص ٥.

(٢٩) *The 9/11 Commission Report*, pp. 128-129; «US Embassies in Saudi Arabia Closed for One Day,» ArabicNews.com (7 October 1998), and «Over 300 Bin Laden Companions Arrested in Saudi Arabia,» *Ausaf* (26 March 1999).

أقرّ أسامة بن لادن في مؤتمر صحفي عقده في أفغانستان في أيار/ مايو ١٩٩٨ بالاستيلاء على الصواريخ في كانون الثاني/ يناير واعتقال المشتبه بهم الثمانمئة، لكنه تباهى بأن الصواريخ التي تم العثور عليها أقل بكثير مما لم يتم العثور عليه. ولدى معاينة هذا التصريح في سياقه التاريخي يتضح أنه كان مناورة لأن الاعتقالات عرقلت الخطط التي وضعها تنظيم القاعدة لشنّ هجمات في المملكة. فإلى جانب سجن المزيد من المتعاونين المحتملين، تفطّنت السلطات الآن لهوية النائب الرئيس لبن لادن في المملكة ودوره، أعني عبد الرحيم الناشري. ومن ذلك التاريخ فصاعداً شُلّت قدرة الناشري على العمل داخل المملكة إلى حدّ ما. والظاهر أنه أمضى معظم وقته في اليمن وأفغانستان للتخطيط لعمليات في اليمن، وجمع المال من شركة تتاجر بالعسل بدءاً بأواسط عام ١٩٩٨. ومع أن الناشري بقي القائد الناشط الرئيس التابع لبن لادن في شبه الجزيرة العربية، فقد تراجع شأنه كمنسّق للقاعدة داخل المملكة في أواخر عام ١٩٩٨[٣٠].

أوصلت نكسةُ مخطط الصواريخ أسامة بن لادن إلى الاستنتاج بأن العمليات غير الناضجة تعود بنتائج عكسية، وأنّ بناء تنظيم في المملكة يستغرق وقتاً. وفي مرحلة معيّنة في عام ١٩٩٨ قرّر تنظيم القاعدة وقف العمليات من جانب واحد في المملكة، وآثر اعتماد استراتيجية أبعد مدى. ومع أنه ليس في المصادر السابقة إشارة واضحة إلى مثل هذا القرار، فقد كتب المنظّر الجهادي الشهير أبو بكر ناجي في عام ٢٠٠٣، «كانت القيادة العليا [لتنظيم القاعدة] تعتقد أن شباب شبه الجزيرة العربية يشكّلون قوّتها الضاربة، لكنها لم تختَر شبه الجزيرة لإحداث تغيير لعوامل أشارت إليها دراسات سابقة». وبالإضافة إلى ذلك، كتب جورج تينِت (George Tenet) مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ، في سيرته الذاتية «فرض بن لادن حظراً على الهجمات في المملكة العربية السعودية قبل ١١ أيلول/ سبتمبر»؛ لذلك هدفت استراتيجية القاعدة في المملكة العربية السعودية بدءاً بعام ١٩٩٨ إلى استعمال المملكة كقاعدة

(٣٠) Abu Shiraz, «May 1998 Interview with Bin Laden Reported,» *Pakistan*, 20/2/1999.

تجنيد ومصدر تمويل. وعوضاً عن التخطيط لهجمات، عمل ممثّلون مؤتمَنون ببطء لكن بعزم على بناء البنية التحتية اللازمة لشنّ حملة مستقبلية[٣١].

يتضح إذاً أنّ عدم وقوع هجمات إرهابية كبرى في المملكة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١، عائد إلى عوامل تنظيمية قابلة للتعليل على نحو مثالي: الافتقار إلى القدرة قبل عام ١٩٩٨، والافتقار إلى النية بعد عام ١٩٩٨. وهذه النتيجة تقوّض النظرية التي طرحها سايمون هندرسون (Simon Henderson) وجيرالد بوزنِر (Gerald Posner) وآخرون، وفحواها أن النظام السعودي دفع إتاوة للقاعدة في مطلع عقد التسعينيات أو منتصفه. كما إنه ليس في الأدلة المتاحة للعموم ما يساند هذه النظرية، وافتضاح مخططي الصواريخ في عام ١٩٩٨ يدحضها، حتى إنها غير متسقة مع مذكرة عام ٢٠٠٠ لمجلس الأمن القومي الأمريكي (2000 US National Security Council Memo) التي تشير إلى التعاون الأمريكي السعودي المتقدِّم في محاربة القاعدة بعد عام ١٩٩٨. وإلى أن تبرز إثباتات تتعدّى الإحالة الغامضة إلى مصادر استخباراتية سرّية يتعين اعتبار نظرية الإتاوة نظرية مؤامرة. ذلك أن بن لادن كان جادّاً بشأن تحرير شبه الجزيرة العربية، ولم يتردّد في التهجم على الأسرة المالكة، وكل ما في الأمر أنه كان في حاجة إلى مزيد من المقاتلين[٣٢].

وإن تبدّدت طموحات بن لادن العسكرية بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١،

---

(٣١) أبو بكر ناجي، «إدارة التوحش،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، ص ٢٩، <http://www.tawhed.ws>، و Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA*, p. 248.

(٣٢) Simon Henderson and Matthew Levitt, «US-Saudi Counterterrorism Cooperation in the Wake of the Riyadh Bombing,» *Policy Watch* (Washington Institute for Near East Policy), no. 759 (May 2003); Simon Henderson, *After King Abdullah: Succession in Saudi Arabia* (Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2009), pp. 20-21; Gerald Posner, *Why America Slept: The Failure to Prevent 9/11* (New York: Ballantine Books, 2003), p. 45, and «Strategy for Eliminating the Threat from the Jihadist Networks of al Qida: Status and Prospects».

طُرحت نظريات مؤامرة مشابهة بشأن أسر ملكية أخرى بالخليج، أيضاً، مثل الأسرة الحاكمة في قطر والإمارات العربية المتحدة. انظر مثلاً: Uzi Mahnaimi, «Qatar Buys off Al-Qaeda Attack with Oil Millions,» *Sunday Times*, 1/5/2008.

فقد حقّقت جهودُه التجنيدية نجاحاً مذهلاً. فبحلول صيف عام ٢٠٠١ اكتظّت معسكرات التدريب بالسعوديين، ووقفوا أرتالاً للمشاركة في عمليات انتحارية. وبحسب قائد رفيع في القاعدة هو خالد شيخ محمد، شكّل السعوديون ٧٠ بالمئة من المجنَّدين كافة في معسكرات التدريب العربية في أفغانستان[٣٣].

إلا أن الحال لم تكن كذلك دائماً؛ فعندما بدأ تنظيم القاعدة أولاً بتجنيد المقاتلين بنشاط في المملكة في عام ١٩٩٦ كان التجاوب مع حملته بطيئاً، وإذْ لم يكن في المملكة شبكة وكلاء تجنيد محلّية، أرسل بن لادن زملاء مقيمين في أفغانستان مثل أبي زُبيدة إلى المملكة العربية السعودية، لكن جهودهم أخفقت إلى حدّ بعيد لافتقار هؤلاء المبعوثين إلى الشبكات الاجتماعية اللازمة. وأحد أوضح المؤشرات على المشكلات التي واجهت جهودَ بن لادن التجنيدية شهادة ناصر البحري، وهو سعودي أصله يمني التقى ببن لادن في مدينة جلال أباد في كانون الثاني/يناير ١٩٩٧، وجد زعيمَ القاعدة مستعداً لفعل أي شيء لتجنيد سعوديين في تنظيمه. ويذكر البحري بعض ما جاء في تلك المحادثة:

«لا أخفيك يا شيخ بأن كلامك مقنع وتطرح لقضية واضحة، ولكن الواضح عندي أنه ليس لديك أحد من أهل الأرض، أي من أهل الجزيرة العربية صاحبة القضية، فقال لي: فعلاً كلامك صحيح، معظم الأخوة حولي مصريون وجزائريون ومن شمال أفريقيا، ولذلك أدعوكم للانضمام إلى قافلتنا»[٣٤].

وبالإضافة إلى هذا الدليل السردي، تُظهر سير السعوديين التي جُمعت لهذه الدراسة أن الغالبية العظمى من المتطوّعين السعوديين الذين تدرّبوا في أفغانستان في هذه الحقبة، وصلوا إلى البلاد في عام ١٩٩٩ أو بعد ذلك (أنظر الشكل الرقم (٥ ـ ١)).

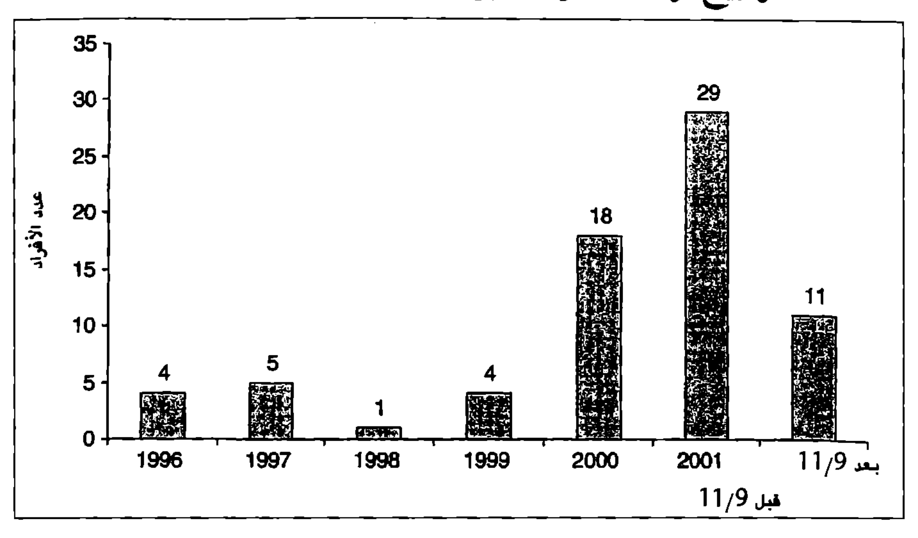
---

(٣٣) *The 9/11 Commission Report*, p. 233.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢؛ **القدس العربي**، ٢٢/٣/٢٠٠٥، و «Report of the Joint Inquiry into the Terrorist Attacks of September 11, 2001,» (US House of Representatives and US Senate, Washington, DC, 2002), p. 131.

الشكل الرقم (٥ ـ ١)

تواريخ توجّه السعوديين إلى أفغانستان، ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١



إن الأسباب التي ترجع إليها المصاعب التي واجهت بن لادن في تجنيد المتطوعين، هي نفسها التي حالت بينه وبين بناء بنية تحتية جاهزة للعمل، وهي سجن كثير من الجهاديين السعوديين بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨، والطبيعة المثيرة للجدل لمشروع الجهاد العالمي الذي دعا إليه بن لادن. وعلاوة على ذلك عانت الجهود التجنيدية في هذه الحقبة المبكرة عدم اعتماد القاعدة استراتيجية إعلامية واضحة[٣٥].

إلا أنّ هذا الوضع انعكس في عام ١٩٩٨ مع الظهور الإعلامي المتزايد لبن لادن. فقد استحوذ البيانُ الصادر عن «الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضدّ اليهود والصليبيين»، في شباط/ فبراير، والمؤتمر الصحافي الذي عُقد في أيار/ مايو ١٩٩٨، على انتباه كبير في العالم العربي. وثبت للمجنَّدين المحتملين أن بن لادن رجل يُحسب له حساب عقب تفجيرات شرق أفريقيا التي وقعت بعد ثلاثة شهور. وأخيراً قوّى الردّ الثأري الأمريكي على هجمات آب/ أغسطس رسالة بن لادن بشأن العدوان الأمريكي وقَهْر الأمّة الإسلامية. وكانت النتيجة ارتفاع شعبية

(٣٥) «Letter from Abu Hudhayfa to Abu Abdallah».

بن لادن وتعاظم خزّان المجنَّدين المحتملين، وكل ما أضحى بن لادن بحاجة إليه هو شخص على الأرض يعينه على استغلاله. ومن حسن حظ بن لادن أنه أُطلق سراح صديق قديم من سجن الدمّام في منتصف عام ١٩٩٨.

وُلد يوسف بن صالح بن فهد العُيَيْري في مطلع السبعينيات، في أسرة من الطبقة الوسطى الميسورة، أصلها من القصيم. لكن ظروف العمل حملت والده على اصطحاب أسرته إلى الدمّام؛ حيث ترعرع يوسف الصغير في السبعينيات والثمانينيات. وصفه معارفه السابقون إبان مرحلة المراهقة بأنه قوي البنية، قوي الإرادة وقائد بالفطرة. توجّه إلى أفغانستان وهو لا يزال في مرحلة الدراسة الثانوية؛ حيث ذُكر أنه برع في معسكرات التدريب، وعُيّن مدرّباً في معسكر الفاروق في خوست (Khost). وأصبح لاحقاً أحد حرّاس بن لادن الشخصيين، ولازم زعيم القاعدة في السودان. ثم حارب في الصومال، قبل أن يعود إلى المملكة العربية السعودية في أواخر عام ١٩٩٣ أو في مطلع عام ١٩٩٤. وعقب عودته إلى المملكة، انضمّ إلى جهود نصرة البوسنة، ودرّب بنفسه متطوّعين للجهاد في منطقة الدمّام[٣٦].

بحلول عام ١٩٩٦، أضحى العُيَيْري شخصية مشهورة في الساحة الجهادية في المنطقة الشرقيّة، إلى حدّ أنه اعتُقل بُعَيد وقوع تفجير الخُبر في حزيران/ يونيو ١٩٩٦ كونه أحد المشتبه بهم. تعرّض للتعذيب وسُجن إلى أجل غير محدود «حتى بعد اتضاح أن الرافضة [الشيعة] دبّروا الهجوم» كما قال متحسّراً في وقت لاحق. استغل العُيَيْري الوقت الذي أمضاه في السجن في مطالعة الكتب الدينيّة، وحاز مكانة عظيمة في وقت لاحق لإلمامه بالعلوم الشرعيّة، وحقيقة أنه تعلّم من غير معلّم

---

(٣٦) محمد السالم، «يوسف العُيَيْري؛ شموخ في زمن الهوان،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣). لمعرفة المزيد عن العُيَيْري، انظر: Roel Meijer: «Yusuf al-Uyairi and the Transnationalisation of Saudi Jihadism,» in: Madawi Al-Rasheed, ed., *Kingdom without Borders: Saudi Arabia's Political, Religious and Media Frontiers* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 221-244, and «Yusuf al-Uyayri and the Making of a Revolutionary Salafi Praxis,» *Die Welt des Islams*, vol. 47, nos. 3-4 (2007).

عظّمت صورته البطولية. وفي حزيران/ يونيو ١٩٩٨ أُخلي سبيل العُيَيْري بعفو ملكي، فضلاً عن نحو ٥٠٠ سجين آخر في المنطقة الشرقية، وذلك في سياق تحرر سياسي محدود بدأ في تلك السنة[٣٧].

وما إن أطلق سراحه حتى جدّد صلاته بالوسط الإسلامي، كما شرع في التأليف؛ فأكمل في آخر تموز/ يوليو كتابه الأول، وهو منشور يتحدث عن طريقة اكتساب العلوم الشرعية بالدراسة الذاتية. وتابع في السنة الأولى أو في السنتين الأوليَين بعد إطلاق سراحه الأوضاع في كوسوفا والشيشان، ولم يهتم لأمر أفغانستان. وهذا يوحي بأن العُيَيْري كان في السنتين الأوليين اللتين أعقبتا إطلاق سراحه مجاهداً كلاسيكياً أكثر منه مجاهداً عالمياً، وأقرب إلى خطّاب منه إلى بن لادن. ونشير إلى أن العُيَيْري تعرّف على خطّاب في مطلع التسعينيات على أقل تقدير. نشأ الرجلان في المنطقة الشرقية، وكان العُيَيْري صديق الطفولة لعبد الله الوابل أحد أقرب المقربين إلى خطّاب في الشيشان. وفي عام ١٩٩٩ ومطلع عام ٢٠٠٠، تابع العُيَيْري أحداث الشيشان عن كثب وتراسل مع خطّاب مباشرة. كما كتب العُيَيْري مقالات نُشرت من دون الإشارة إلى صاحبها على الموقع الإلكتروني للقوات العربية في الشيشان «صوت القوقاز». استعرض بعض هذه المؤلَّفات المسوِّغات الشرعية للطرق التي استخدمها خطّاب بعنف متزايد، مثل: التفجيرات الانتحارية، وتصفية الأسرى والرهائن[٣٨].

وفي سياق عام ٢٠٠٠، صرف العُيَيْري انتباهه بالتدريج عن الشيشان وركّزه على أفغانستان، وبدأ بالعمل مع بن لادن. والظاهر أن علاقة

---

(٣٧) محمد السالم، «يوسف العُيَيْري (١)،» مجلة **الإصلاح**، العدد ٢٢ (١٣ آب/ أغسطس ١٩٩٦)؛ مقابلة أجراها المؤلف مع فارس بن حزام؛ يوسف العُيَيْري، «رسالة إلى رئيس قسم دائرة الرقابة على السجون في المنطقة الشرقية عن أوضاع سجن الدمّام،» (٢٠٠٠)، <http://www. qa3edoon.com>, and «King Fahd Pardons 485 Prisoners,» ArabicNews.com (31 August 1998).

(٣٨) السالم، المصدر نفسه، ص ١٨؛ يوسف العُيَيْري: «طريقة طلب العلم،» (١٩٩٨)، <http://www.qa3edoon.com>؛ «هداية الحيارى في جواز قتل الأسارى،» (٢٠٠٠)، و«هل انتحرت أم استُشهدت؟،» (٢٠٠٠)، <http://www.qoqaz.com>، ومقابلات أجراها المؤلف مع ناصر البراك وفارس بن حزان.

العُيَيْري بالقاعدة نضجت بعد أن زار أفغانستان في تموز/ يوليو ٢٠٠٠ لتقييم نظام طالبان. وأدرج في تقرير عن تلك الرحلة كتبه بعد ذلك نصوصَ مقابلاته مع مسؤولين كبار في طالبان في كل من كابل وقندهار، منهم: الملّا عمر نفسه. وحقيقة تمكن العُيَيْري من مقابلة كبار المسؤولين في طالبان، توحي أنه قدم إلى أفغانستان بناء على دعوة من بن لادن نفسه وبتوصية منه(٣٩).

كرّس العُيَيْري نفسه للقضية الأفغانية على نحو متزايد بدءاً بخريف عام ٢٠٠٠، وتُظهر قائمة منشورات العُيَيْري صرف انتباهه عن الشيشان والقضايا السعودية المحلّية في أواخر عام ٢٠٠٠، وتركيزه على طالبان وعلى الولايات المتحدة. كما إنه في أواخر عام ٢٠٠٠، بدأ شيوخ مدرسة الشُّعَيبي بإصدار الفتاوى بشأن الحاجة إلى نصرة طالبان، وهو تطور ناجم ولو جزئياً عن تأثير العُيَيْري. في الواقع، كان تجنيد بن لادن للعييري مؤشراً على تحوّل كبير في القوى، ظهر في عام ٢٠٠٠ في التنافس التأثيري بين بن لادن وخطّاب. فإلى ذلك الحين، كانت الغلبة للجهاديين الكلاسيكيين على الجهاديين العالميين، بيد أن النكسات على الجبهة الشيشانية، والبروز الإعلامي المتزايد لبن لادن عقب الهجوم على المدمرة الأمريكية كول قلَب الموازين(٤٠).

كان بن لادن على معرفة جيدة بالعُيَيْري في مطلع التسعينيات، ولا بد من أنه أدرك قيمته. هناك أسباب عديدة جعلت العُيَيْري الشخص المثالي للوظيفة، **أولاً** كان جهادياً مخضرماً لديه عدة سنوات من الخبرة كمدرّب في معسكر تدريب قوات النخبة. **ثانياً** تمتع بكاريزما شخصية قوية جعلته محل إعجاب المجنّدين الشباب ومكّنته من إقناع الكثير من الممولين والعلماء بنصرة القضايا الجهادية. والسبب **الثالث** والأهم هو

---

(٣٩) يوسف العُيَيْري، «الميزان لحركة طالبان،» (منبر التوحيد والجهاد ٢٠٠١)، ص ٢١، <http://www.tawhed.ws>.

(٤٠) السالم، المصدر نفسه، ص ١٨؛ الشعيبي، «حول شرعية حكومة طالبان»، و«قصة «الأفغان العرب» من الدخول إلى أفغانستان إلى الخروج مع طالبان (ج ٢)،» **الشرق الأوسط**، ٩/ ١٢/ ٢٠٠٤.

أن أصل أسرة العُيَيْري من بُرَيدة، ما أكسبه إمكانية فريدة للوصول إلى العلماء وإلى المتبرّعين بنجد(٤١).

إن للأصول النجدية للعييري أهمية فائقة، لأنه حتى عام ١٩٩٩ كان عامة وكلاء بن لادن في المملكة، مثل: عبد الرحيم الناشري ووليد بن عطاش، حجازيين أصلهم من اليمن. كانت قدرة القاعدة على تعبئة الموارد في وسط البلاد محدودة قبل انضمام العُيَيْري. وبانضمامه صار لأسامة بن لادن أخيراً مرتكز في قلب المشهد الإسلامي السعودي. كان العُيَيْري قد أقام علاقات شخصية وطيدة أصلاً ببعض أوسع الشيوخ نفوذاً في بُرَيدة. عرف الشيخَ سلمان العودة منذ عام ١٩٩٣، وانعكس احترامهما المتبادل في لهجة العُيَيْري في كثير من رسائله التي أرسلها إلى الشيخ بدءاً بعام ٢٠٠٠. والأهمّ من ذلك أن العُيَيْري انتقل إلى بُرَيدة عقب إطلاق سراحه من السجن، وتزوّج بشقيقة إحدى زوجات الشيخ سليمان العلوان (والتي صدف أنها من أسرة الصقعبي التي أنجبت عدداً من العلماء). وبذلك تمتع بصلة عائلية مباشرة بعضو أساس في مجموعة الشُّعَيبي التي كان شأنها يعلو في ذلك الوقت بالذات(٤٢).

اضطلع العُيَيْري بدور اختلف عن أدوار الوكلاء الآخرين في شبكة بن لادن، مثل: عبد الرحيم الناشري ووليد بن عطاش. كانت وظيفة العُيَيْري تطوير شبكة تجنيد وجمع أموال للقاعدة في المملكة العربية السعودية وليس تنفيذ عمليات دولية؛ لذلك لم يشترك في التخطيط للهجوم على المدمرة الأمريكية كول ولا لهجمات ١١ أيلول/ سبتمبر. ومع ذلك سافر إلى أفغانستان مرة واحدة على الأقل بين تموز/ يوليو ٢٠٠٠ وأيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. ربما سافر إلى مناطق أخرى أيضاً؛ إذْ زعم في إحدى رسائله أنه زار جبهة تحرير مورو الإسلامية (Moro Islamic Liberation Front)

---

(٤١) «من هو الشيخ البتّار؟،» (٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>، ومقابلات أجراها المؤلف مع فارس بن حزام ومنصور النقيدان.

(٤٢) المصدر نفسه، مقابلات أجراها المؤلف مع فهد الشافي وسعود السرحان ومنصور النقيدان.

في جزيرة مندناو (Mindanao) في الفيليبين في آب/ أغسطس ٢٠٠١[٤٣].

وبدءاً بأواسط عام ٢٠٠٠، أصبح العُيَيْري بحسب تعبير كاتب سيرته الجهادية «منشغلاً بتجنيد الشباب وحثّهم على الذهاب إلى أفغانستان للانضمام إلى معسكرات التدريب هناك»، كما إنه كان نشطاً للغاية على الإنترنت؛ فعلّق الرسائل على الموقع الإلكتروني «السلفيون» وشارك بمنتدى إذاعي في «بالتوك» عبر الإنترنت مستخدماً الاسم المستعار «عزّام». وعلى الأرجح أن قدرة العُيَيْري كمجنِّد تكمن في تأثيره في العلماء أكثر منها في اتصالاته الشخصية بالشباب السعودي. فقد أقنع الشيوخ بأن نظام طالبان يستحق النصرة، وشجّع العلماءُ بدورهم الشبابَ السعودي على الذهاب إلى أفغانستان. ولدينا مثال على ذلك في شخص عبد العزيز العُمري أحد خاطفي الطائرات في هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، والذي تم تجنيده وإرساله إلى أفغانستان. لا ريب في أن جهود العُيَيْري كانت عاملاً على قدر عظيم من الأهمية في الزيادة الهائلة في عدد السعوديين الذين توجهوا إلى أفغانستان بدءاً بعام ١٩٩٩[٤٤].

إذا كان العُيَيْري شخصاً مهماً بلا شك، فهو ليس الشخص الوحيد الذي أسهم في تدفق المتطوعين بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١. نشرت صحيفة **عكاظ** السعودية في عددها الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥ مقابلة مع «مسلّح تائب» مجهول وصف كيفية تجنيده في مطلع عام ١٩٩٩. ذكر المسلح التائب أنه دُعي إلى حضور محاضرات ولقاءات في منازل اختيرت خصيصاً لهذا الغرض وفي مخيمات صحراوية. وهذا يشير إلى وجود بنية تحتية تجنيدية منظمة في منطقة الرياض على الأقل في وقت مبكر قريب من شباط/ فبراير ١٩٩٩. الظاهر أن المجنِّدين عملوا بالتوازي في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١ في أجزاء مختلفة من البلاد، وإن لم يتّضح مدى تعاونهم أو ما إذا كانوا جميعاً يُطلعون يوسف العُيَيْري على أنشطتهم. لكن وكما سنرى في موضع لاحق في هذا

---

(٤٣) العُيَيْري: «الميزان لحركة طالبان،» ص ٣٨، و«همسة في أذن فضيلة الشيخ سلمان العودة،» (٢٠٠١).

(٤٤) السالم، «يوسف العُيَيْري (٢)،» ص ١٥، و *The 9/11 Commission Report*, p. 233.

الكتاب، لم يكن التجنيد عملية تبدأ من رأس الهرم إلى أسفله وتديرها شبكة هرمية من مجنِّدين محترفين. ففي كثير من الحالات، تولّد لدى المجنَّدين حافز بمعزل عن مبادرات وكلاء التجنيد، إما لمطالعتهم المنشورات الدعائية على الإنترنت أو لمناقشتهم الأوضاع السياسية مع أصدقائهم أو لسماعهم خطبة ألقاها شيخ. وكان ذلك كافياً في الغالب لكي يحقّق تنظيم القاعدة مأربه وينشر «بوابين» أو «وسطاء» ملمّين بالوسط الإسلامي المحلّي في مواقع استراتيجية(٤٥).

شكّل الإنترنت مصدر عون لجهود التجنيد التي بذلها تنظيم القاعدة، بعد أن غطّت خدماته مدن الرياض وجدّة والظهران في كانون الثاني/يناير ١٩٩٩، ثم باقي أنحاء البلاد في تموز/يوليو ١٩٩٩. وسرعان ما تفوّقت المملكة على بعض جاراتها في استخدام التقنيات الرقمية، وفي غضون وقت يسير جداً ثبت أن شبكة الويب أداة فاعلة للغاية في أيادي الوسط الإسلامي المتشدد في المملكة العربية السعودية. أتاح الإنترنت مركزاً لتوزيع منشورات دعائية مكتوبة وكذلك صوتية ومرئية مجهولة المصدر وزهيدة التكلفة وبشكل لحظي على مستوى العالم. في الواقع كانت نعمة على وسط سرّي ودولي مثل الحركة الجهادية العالمية(٤٦).

سارع الإسلاميون إلى استغلال القدرات الهائلة التي يتيحها الإنترنت في تحقيق غاياتهم السياسية. عندما ظهرت شبكة الويب، كان عدد قليل من المواقع الإلكترونية الجهادية متاحاً مسبقاً، وخصوصاً «صوت القوقاز» الصفحة الإلكترونية للمجاهدين الشيشان. في الواقع كان صوت القوقاز من أوائل المواقع الجهادية التي ظهرت على الإنترنت وبقيت إلى وقت طويل أحد أكثر هذه المواقع ابتكاراً. بدأ يوسف العُيَيْري بالإسهام في صوت القوقاز بمقالاته قبل أن يؤسس موقعه الإلكتروني الخاص، موقع

---

(٤٥) «تائب يعترف: استخدمنا الاستراحات لغسل العقول وتجنيد الإرهابيين،» **عكاظ**، ٨/١٠/٢٠٠٥.

(٤٦) «General Internet Services in Saudi Arabia Next Month,» ArabicNews (10 June 1999).

«النداء» المشهور بُعَيد وقوع هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر. وبدأت المواقع الإلكترونية الأولى للجهاديين السعوديين بالظهور في أواسط عام ١٩٩٩، مثل: موقع «السلفيون» بالغ الأثر. والظاهر أنه أشرف على إدارة هذا الموقع مجموعة من الشباب السعوديين المرتبطين بمشايخ مدرسة الشُّعَيبي في بُرَيدة. ومن المعلوم أن بعض الأشخاص الذين شاركوا لاحقاً في مجلة **صوت الجهاد** (المكتب الإعلامي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب) مثل: عبد العزيز العنزي، بدؤوا مسيرتهم الإعلامية الجهادية في موقع «السلفيون». وفي وقت قريب من عام ٢٠٠٠ أُطلق أولى منتديات المناقشة الجهادية مثل «الأنصار». تضمنت هذه المنتديات منشورات دعائية بأنواعها كافة، بدءاً بالرسائل العلمية الشرعية، ومروراً بالصورة المنقولة عن الشيشان، وانتهاءً بكتيّبات التدريب. وأتيح للمشاركين مناقشة قضايا سياسية ودينية والاطلاع على آخر الأخبار القادمة من جبهات الجهاد وطلب المشورة العملية بشأن كيفية صنع القنابل[٤٧].

اضطلعت شبكة الإنترنت بدور عظيم الأهمية في تعبئة الجهاديين السعوديين؛ لأنها أتاحت لأكثر المشايخ تشدداً التواصل مع جمهور عريض؛ ولأنها سهّلت توزيع المعلومات والصور المنقولة عن جبهات الجهاد البعيدة، مثل: الشيشان وأفغانستان. وبمرور السنين، أصبح الجهاديون السعوديون نشطين للغاية على الإنترنت. وفي عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ أصبحت شبكة الإنترنت مكوناً حاسماً في يد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ كونها مركزَ اتصالات دولياً وأداة دعائية خارجية. كما ظهرت تقنيات جديدة في عام ١٩٩٩، مثل شبكات الهواتف الجوالة. أضف إلى ذلك حقيقة أن الكاميرات الرقمية أضحت أقل تكلفة بكثير وأكثر رواجاً في هذه الحقبة تقريباً، ومن المنصف القول إن عام ١٩٩٩ شهد قفزة نوعية في الفرص التكنولوجية المتاحة للنشاط السرّي في المملكة[٤٨].

---

(٤٧) انظر: «برنامج «العين الثالثة»: القصة الكاملة لسقوط «وزير إعلام» تنظيم القاعدة في السعودية،» العربية نت، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥، <http://www.alarabiya.net/articles/2005/10/17/17771.html>.

(٤٨) «500 Lines for the Portable Phone in Saudi Arabia,» ArabicNews.com (23 July 1998).

إن قصة استخدام الجهاديين السعوديين للإنترنت بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٤ مثال على التحولات المترتبة على طرح تقنيات حديثة في ميزان القوى بين الجهات من الدول والجهات من غير الدول. كانت شبكة الإنترنت ميدان الجهاديين في هذه الحقبة، كانوا أسرع وأكثر حيوية في استغلال إمكانات شبكة الإنترنت من الدولة السعودية، إلا أن للشبكة قيودها؛ إذْ إن إطلاق المبادرات على الشبكة لم يكن كافياً لأداء مهمات حيوية أخرى مثل جمع التبرعات.

اكتست عملية جمع التبرعات أهمية فائقة في نظر القاعدة في أواخر التسعينيات؛ لأنه لم يبق لدى المليونير أسامة بن لادن وقت وصوله إلى أفغانستان في عام ١٩٩٦ سوى القليل جداً من ثروته الخاصة. فقد جُمّدت أرصدته في المملكة العربية السعودية عقب تجريده من جنسيته في عام ١٩٩٤، وخسر مؤسساته المهنية التي أسسها في أثناء السنوات التي أمضاها في الخرطوم عقب طرده من السودان في عام ١٩٩٦. وفي الوقت عينه، كان لدى بن لادن طموحات كبيرة بشأن القاعدة في أفغانستان، واحتاج إلى المال لكي يدير تنظيمه الآخذ في التوسّع[٤٩].

وكما مرّ معنا، أدى صعود التيار الوحدوي الإسلامي في المملكة العربية السعودية في الثمانينيات والتسعينيات إلى طمس الفارق بين المساعدات الإنسانية والمساعدات العسكرية للمسلمين المحتاجين إليها. نتج من ذلك قطاع خيري سعودي يمكن التلاعب به بسهولة فائقة لتمرير الأموال إلى الجماعات المسلّحة في الخارج. وسبق لبن لادن إقامة صلات وثيقة مع متبرعين أساسيين وجمعيات خيرية في أثناء الجهاد الأفغاني، أهمها ما أشير إليه «بالسلسلة الذهبية» في وثيقة داخلية شهيرة للقاعدة[٥٠].

اتخذت السلطات السعودية جملة من الخطوات لاجتثاث البنية التحتية

(٤٩) *The 9/11 Commission Report*, p. 170, and Steve Coll, *The Bin Ladens: An Arabian Family in the American Century* (New York: Penguin Press, 2008).

(٥٠) *The 9/11 Commission Report*, p. 170, and J. Millard Burr and Robert O. Collins, *Alms for Jihad: Charity and Terrorism in the Islamic World* (Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2006), p. 52.

لجمع الأموال والتي تتصل ببن لادن مباشرة. بناء على ذلك، استجوبت السلطاتُ مدير مؤسسة البرّ الخيرية الإسلامية عادل بترجي وأغلقت مكتب جمعيته الخيرية في جدّة. وفي عام ١٩٩٧ ألقت القبض على مدني الطيّب (الملقّب بأبي فضل المكي) المسؤول المالي الرئيس في القاعدة. وفي عام ١٩٩٨ اعتقلت السلطات ورحّلت سعيد سيد سلامة وهو مصري عمل مسؤولاً مالياً وساعيَ بريد دولياً للقاعدة. لذلك توجّب على الممولين السعوديين تفادي الظهور بمظهر المتعاطي مع بن لادن مباشرة مخافة لفت أنظار الحكومة. لكنّ هيكلية القطاع الخيري السعودي وغياب الرقابة عليه سهّلت على الممولين تغطية آثارهم، وسهّلت على جامعي الأموال في القاعدة الاستفادة من الأموال التي تبرّع بها أصحابها عن حسن نية[٥١].

قلّة هم الذين عرفوا أهمية جمع الأموال كما عرفها الناشطون الجهاديون. كتب عيسى العوشن عام ٢٠٠٣، وهو جامع أموال سعودي محنّك أصبح عضواً بارزاً في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق:

«لا شك أن المال عصب الجهاد، ومن أعظم النفع للمجاهدين والجهاد أن تنتدب فئة من الأمة أو الأمة كلها لجمع التبرعات وإرسالها لأهل الثغور، وفي ذلك من الأثر البالغ ما لا يخفى على أحد... قال الشيخ يوسف العييري: ويتفرع عن الجهاد بالمال لمن لم يكن له دخل ولا مال ينفقه، أن يجمع التبرعات من النساء والأطفال والخاصة والعامة... وبإمكانك أن تجمع المال للمجاهدين من خلال عدة وسائل لا يمكن ذكرها جميعها، المهم أن يكون لديك الحرص التام على جمع التبرعات وإذا كانت هي همك وهاجسك فلسوف تبتكر من الطرق ما لا حد له ولا نهاية، ولسوف تجتاز كل العوائق والعقبات التي يضعها أنصار الصليب وأعداء المجاهدين»[٥٢].

---

(٥١) Sam Roe, Laurie Cohen and Stephen Franklin, «How Saudi Wealth Fueled «Holy War,» *Chicago Tribune*, 22/2/2004; The 9/11 *Commission Report*, p. 122; Anonymous, *Through Our Enemies' Eye: Osama bin Laden, Radical Islam, and the Future of America*, pp. 211-212, and *USA v. Usama bin Ladin [et al.]*, p. 1288.

(٥٢) محمد السالم، «٣٩ وسيلة لخدمة الجهاد والمشاركة فيه،» **صوت الجهاد** (٢٠٠٣)، ص ١٩ ـ ٢٠.

شكّل بعض العلماء حلقة الوصل الرئيسة في سلسلة جمع الأموال للجهاديين؛ لأنّ الجهات المانحة الخاصة تستشير العلماء دائماً في تحديد مصارف تبرّعاتها. كما إن بعضها يفوّض المشايخ توزيع الأموال على مصارفها الصالحة. لذلك كانت إحدى المهمات الأساسية لجامعي الأموال الجهاديين في المملكة العربية السعودية إقامة علاقات مع بعض العلماء لإقناعهم بأحقّية قضيتهم بالمال، ومن هنا أهمية يوسف العُيَيْري البالغة في نظر بن لادن؛ فإقامته في بُرَيدة، وزواجه بشقيقة زوجة الشيخ سليمان العلوان، جعلاه في وضع مناسب تماماً للتقرّب إلى بعض المشايخ النجديين المؤثّرين، وطلبِ نصرة قضايا الجهاديين. وعندما شرع العُيَيْري في جمع الأموال للجهاد في الشيشان عام ١٩٩٩، اتصل بالشيخ سلمان العودة الذي أُخلي سبيله مؤخراً، وكان الأيقونة الصحوية التي ساهمت في جمع الكثير من المال للجهاد في البوسنة وطاجيكستان والشيشان في النصف الأول من عقد التسعينيات. لكن خاب أمل العُيَيْري عندما وجد أن الشيخ سلمان العودة لم يتعاون معه في هذا الموضوع:

«القائد خطّاب قال للإخوة حينما كان في داغستان أعطونا مليون دولار ونبقى حتى نهاية الشتاء ونصمد أمام الروس. فذهب الشيخ يوسف لأحد الأثرياء فوافق على إعطائه مبلغ ٨ مليون ريال ولكن بشرط أن يكتب له الشيخ سلمان ورقة أو يتصل عليه. فذهب الشيخ يوسف لسلمان العودة ولكن لا جدوى حيث ماطل الشيخ سلمان به ثم قال له ما معناه: أنه غير مقتنع بقضية الشيشان أصلاً»[٥٣].

وبعد أن أدرك العُيَيْري أنه لا فائدة تُرتجى من الصحويين السابقين، صرف انتباهه إلى مدرسة الشُّعَيبي. كان مشايخ هذه المدرسة في طور البروز كبديل أكثر تشدداً من الصحوة، وبَدَوا مستعدّين للدفاع عن قضايا الجهاديين في الخارج. وبدءاً بعام ٢٠٠٠ بذل العُيَيْري جهوداً مضنية لإثارة اهتمام هؤلاء المشايخ في أفغانستان وبنظام طالبان. وفي أثناء موسم الحج

---

(٥٣) السالم، «يوسف العُيَيْري (٢)،» ص ١٨.

في أواخر شباط/ فبراير ٢٠٠١ التقى العُيَيْري بوزراء من طالبان في مكّة المكرّمة لتنسيق مؤتمر عبر الهاتف يجمع الملّا عمر بالشيخ حمود الشُّعَيبي، لكنّ المكالمة الهاتفية لم تتم لأن النعاس غلب العُيَيْري في أثناء قيادته السيارة من مكّة إلى بُرَيدة؛ فصدم جملاً واعتقلته الشرطة. ولأسباب ليست واضحة، لبث في السجن إلى آب/ أغسطس ٢٠٠١[٥٤].

بالإضافة إلى هذا النوع من حشد الدعم على أعلى المستويات، عمل جامعو التبرعات الجهاديون بشكل ممنهج في الميدان لجمع الأموال من الجهات المانحة الخاصة مباشرة، فكان مندوبو مجموعات متنوعة يجوبون البلاد في وفود صغيرة تزور المانحين الموسرين و«تُروّج» لمشاريعها العامة أو المحدّدة؛ لذلك كان فنّ الترويج للقضايا مهماً؛ لأن الجهات المانحة كانت متشككة ومهتمة بصرف أموالها في وجوهها الشرعية. وفي هذا الصدد، تبرّع أغلب المتمولين بأموالهم بناء على معيارَين رئيسين: **أولهما** ضرورة أن تتمتع الحملةُ العسكرية المعنية بموافقة شيخ معروف. **والثاني** وجوب توظيف الأموال في حرب ليست مثاراً للجدل أو في أنشطة «الجهاد الكلاسيكي». بناءً على ذلك قدّم مموّلو الجهاد أموالهم لحملات جهادية معيّنة، وليس لعمليات عنف دولية تستهدف مدنيين. لذلك اقتضت عملية جمع الأموال وجود عنصر تسويقي مهم، وامتلاك مهارات في عرض القضية لضمان تصوّر المانحين القضية بأنها شرعية وغير مثيرة للجدل. وعلى سبيل المثال، عندما ناشد جامعو الأموال مساندة بن لادن في أفغانستان في مطلع القرن الحالي، ركّزوا على الحرب التي تخوضها طالبان مع تحالف الشمال، وعلى الحاجة إلى الدفاع عن «إمارة أفغانستان الإسلامية» من دون التطرّق إلى التفاصيل المتّصلة بطموحات بن لادن في الجهاد الدولي.

اندلعت حرب الشيشان الثانية في عام ١٩٩٩؛ فهيّأت بيئةً مواتية تماماً لجمع الأموال لسريان موجة سخط عارمة في المجتمع السعودي بعد أن رأى صور معاناة المدنيين التي كانت ترد من الشيشان. طاف

---

(٥٤) السالم، «يوسف العُيَيْري (١)،» ص ١٨.

يوسف العُيَيْري وآخرون في أرجاء البلاد لزيارة رجال الأعمال الأثرياء المشهورين بتعاطفهم مع الجهاديين. ويقال إن العُيَيْري جمع مقادير ضخمة من المال للقضية الشيشانية بهذه الطريقة.

جمع شخص مهم آخر المالَ للشيشان اسمه خالد السُّبَيت، وهو جهادي مخضرم وصديق مقرّب إلى القائد خطّاب. حارب السُّبَيت من قبل في أفغانستان في الثمانينيات، ورافق خطّاب في رحلته إلى طاجيكستان في مطلع التسعينيات، ثمّ عاد إلى المملكة العربية السعودية لدواعٍ صحّية. وتوجّه بعد ذلك إلى الشيشان عام ١٩٩٧ للتدريس في «معهد القوقاز الشرعي»، وهو مدرسة دينية أسسها خطّاب غداة انتهاء الحرب الشيشانية الأولى. وفي عام ١٩٩٩، وبُعَيد اندلاع الحرب الشيشانية الثانية، أصيب السُّبَيت في إحدى المعارك واضطُّر إلى العودة إلى الديار. رجع إلى السعودية صفر اليدين لكنّه أقام صداقات بسرعة داخل الوسط الجهادي. وأصبح على وجه الخصوص مقرباً إلى شباب جهاديين مثل عيسى العوشن، الذي أصبح في وقت لاحق القطب الإعلامي في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب[٥٥].

أصبح السبيت ناشطاً جداً في جمع الأموال في عام ١٩٩٩ بُعيد عودته إلى المملكة العربية السعودية، فجال البلاد طولاً وعرضاً زائراً المانحين برفقة عيسى العوشن وزملاء آخرين. وأسوة بمندوبي المبيعات، جلبوا معهم ملفات تسويقية تضمنت صوراً وخرائط للشيشان، وأطلعوا المانحين على آخر الأخبار المتعلقة بالأوضاع التي يعيشها المجاهدون في الشيشان. وكما كتب العوشن في وقت لاحق:

«ورزق خالد قبولاً بين الناس فلا يقابل أحداً من العلماء أو التجار أو غيرهم من سائر الناس ويتحدث لهم عن القضية الشيشانية ووجوب دعمها ومساندتها إلا ويتفاعلون معه ويقفون مع القضية مما جعله يجنّدُ كثيراً من الناس خدمةً للمجاهدين في الشيشان. . . كنّا نذهب في

---

(٥٥) عيسى بن سعد العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٥ (٢٠٠٤).

جولات معه إلى مناطق عديدة نزور فيها العلماء والأثرياء وكان خالد معه خريطة للشيشان يقوم ببسطها وشرح تحركات المجاهدين عليها وأماكن العمليات وتمركز العدو وغير ذلك مما يجعل لدى المستمع تصوراً واضحاً عن القضية الشيشانية، فكنا نرجع بعدها بمئآت الألوف ثم يقوم بإرسالها لخطاب رحمهما الله جميعاً...»[٥٦].

بالإضافة إلى «مقاربة الانتقال من باب إلى باب»، نظّم جامعو الأموال الجهاديون محاضرات وأمسيات عن أفغانستان أو الشيشان لجمع تبرّعات من الحاضرين. نُظمت هذه الجلسات في منازل خاصة أو في استراحات خارج المدن الكبيرة. وبما أنّ بعض اللقاءات كان متاحاً لجمهور واسع، تحدّثت بعض الروايات عن مشاركة مئات المدعوين، وتعيّنَ على المتحدّثين إخفاء هويات متلقّي الأموال الحقيقيين. والغالب أنّ العملية انطوت على إيهامٍ سافِر بادعاء جامعي الأموال أنهم يجمعون التبرّعات لبناء مساجد أو مشافٍ. وكما قال مسلّح سابق في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب لصحيفة **عكاظ** السعودية:

«كانوا يستدرون عطف الناس من خلال ذلك. فسلطان بجاد كان في اجتماعات تلك الاستراحات والمخيمات التي يحضرها آلاف الأشخاص، يحث الناس على التبرع بأعذار واهية كأن يقول: أن هناك مشروعاً خيرياً لبناء مسجد أو ما يشبه ذلك. وفي مرة أخرى يدّعي أن أحد الشباب يمر بضائقة مالية صعبة ويحتاج لدعم ومساعدة، فتأتي التبرعات من كل حدب وصوب، خاصةً أنه يتم خلال تلك الاجتماعات توجيه الدعوة لكثير من رجال الأعمال المحبّين للخير مما يكون طريقاً ميسراً للحصول على المال»[٥٧].

بعد أن حوّل العُيَيْري انتباهه عن القضية الشيشانية، وشرع في العمل مع بن لادن مباشرة، غيّر غاية جهوده من جمع الأموال أيضاً. بدأ العُيَيْري بجمع الأموال لبن لادن، واستخدم مكانته القيادية المتعاظمة في

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) «تائب يعترف: استخدمنا الاستراحات لغسل العقول وتجنيد الإرهابيين».

الوسط الجهادي السعودي في حمل جامعي الأموال الآخرين على الاحتذاء به. وبعد ١١ أيلول/سبتمبر وغزوِ قوات التحالف أفغانستان بقيادة الولايات المتحدة، حوّل بعض الأشخاص الذين كانوا منشغلين بقضية الشيشان مثل خالد السُّبَيت وعيسى العوشن إلى أفغانستان. كما ذكر العوشن:

عندما شُنّت الغزوات المباركة على نيويورك وواشنطن، كان [خالد السُّبَيت] في منزلي وتابعنا الحدث معاً عبر الإنترنت. كان سعيداً ومبتهجاً، والضربات المباركة زادته تحمساً لأفغانستان بالإضافة إلى الشيشان. فجمع مبالغ مالية ضخمة لأفغانستان وأرسلها إلى الشهيد الشيخ يوسف العُيَيْري، رحم الله الاثنين.

بدأ يوسف العُيَيْري، في مرحلة معينة، باقتطاع بعض الأموال من التبرعات التي جمعها واستخدمها في التحضير سرّاً لحملة عنيفة مستقبلية داخل المملكة العربية السعودية. وبتربّعه على قمّة جهاز جمع تبرعات ضخم، وبتحوّله إلى حلقة الوصل الأساسية في سلسلة تحويل الأموال من المملكة إلى أفغانستان، ادّخر مبالغ مالية كبيرة استُخدمت في بناء مخزونات أسلحة داخل المملكة. بالتالي كانت جهود تجنيد الشباب وجمع الأموال وتكديس الأسلحة شديدة الترابط، والقصد منها تحقيق غاية استراتيجية متوسطة المدى، هي رفع راية الجهاد في شبه الجزيرة العربية[٥٨].

تطوّرت البنية التحتية للقاعدة في كل من المملكة العربية السعودية وأفغانستان، وبدأت الجهات الفاعلة داخل التنظيم وخارجه بالضغط لشنّ هجمات داخل المملكة. وفي حزيران/يونيو ٢٠٠١، ذكرت الاستخبارات البريطانية أن أبا زُبَيدة يخطط لشنّ هجمات انتحارية بسيارات مفخخة على أهداف عسكرية أمريكية داخل المملكة. كما تحدّثت تقارير استخباراتية في أواسط عام ٢٠٠١ عن جماعة باكستانية تخطّط «لتفجير المجمّع الأمريكي في جدّة، وربما المدارس الأمريكية أو البريطانية

---

(٥٨) مقابلة أجراها المؤلف مع فارس بن حزام.

هناك». وفي ١٧ تموز/ يوليو ٢٠٠١ أبلغت مصادر قريبة من الظواهري وكالةَ الاستخبارات الأمريكية (CIA) بأنه يوشك أن يقع هجوم داخل المملكة في غضون أيام. وبحسب سيرة ذاتية لشهيد سعودي، غادر شخص يدعى فهد الصاعدي معسكره التدريبي متوجّهاً إلى المملكة العربية السعودية قبل شهور قلائل من ١١ أيلول/ سبتمبر لتقييم آفاق العمليات هناك، إلا أن أياً من هذه المحاولات لم يتحوّل إلى واقع ملموس، وبقي تجميد تنظيم القاعدة لعملياتِه في المملكة سارياً إلى تلك الساعة[٥٩].

إن تاريخ القاعدة في أواخر التسعينيات مثال كلاسيكي على كيفية حيازة منظمات سرّية قدرات عسكرية لا تتناسب في عِظم حجمها مع الدعم السياسي الذي تحظى به في أوساطها المزعومة. وعلى العكس من الجهاديين الكلاسيكيين الذين تمتع مفهومهم المقيَّد نسبياً للحرب بدعم واسع في الوسط الإسلامي، كانت أجندة الجهاد العالمي مثار جدل حامٍ. بيد أنّ وضع اليد على أرضية مكّن القاعدة من التعويض عن هذا الضَعف بإقامة بنية تحتية تدريبية واسعة امتزج فيها المجنَّدون وأُشربوا فيها أيديولوجيا الجهاد العالمي. والعامل التعويضي الآخر كان حضور أسامة بن لادن ذي الشخصية الكاريزمية للغاية، ومنظِّمين مقتدرين مثل يوسف العُيَيْري الذي استطاع تجنيد حلفاء أساسيين ومتبرّعين ومجنَّدين باستخدامهم الماهر للعواطف الوحدوية الإسلامية في العالم المسلم، وبتقديم أجندتهم في صورة أقلّ تشدداً مما هي في الحقيقة.

وفي آب/ أغسطس ٢٠٠١ أينعت ثمار جهود تنظيم القاعدة التعبوية في السعودية وبانت للجميع. وأضحت معسكرات التدريب في قندهار والخنادق على الجبهة الشمالية ملأى بشباب سعوديين ربما فاق عددهم الألف.. بالله عليكم، من أحضرهم إلى هناك؟

---

(٥٩) فواز النشمي، «فهد بن سمران الصاعدي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٦ (٢٠٠٤)، و
Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA*, pp. 146-147.

الفصل السادس

الانخراط في صفوف القاعدة

من يتذكر أسماء خاطفي الطائرات في ١١ أيلول/سبتمبر؟ وإذا كانت حكاية محمد عطا وخلية هامبورغ (Hamburg) تُروى بتفاصيل حيّة، فقد بقي أغلب الخاطفين السعوديين مجموعةً مجهولةَ الهوية يشار إليهم بالجملة، بأنهم عصب العملية. الظاهر أن عامة المؤلّفات المنشورة تفترض وجود تيار متشدد سعودي معيّن، يضمن سيلاً مستمراً من المجنَّدين المتوجهين إلى مناطق الحروب والجماعات المسلّحة. إنه افتراض صرف الانتباه عن الأحجيات الحقيقية لتجنيد السعوديين في صفوف القاعدة. لماذا سافر بعض السعوديين إلى أفغانستان ولم يسافر بعضهم الآخر؟ ولماذا اِستمرّ توافد الناس إلى هناك في أواخر التسعينيات، مع أنه لم يعد هناك جهاد يحظى بمباركة رسمية في أفغانستان؟ وكيف استطاعوا الوصول إلى هناك، بعد أن أصبح التيار الجهادي مثار جدل كبير في أواسط التسعينيات؟ باستخدام عيّنة من ١٩٧ سيرة، سنُلقي في هذا الفصل نظرة فاحصة على خلفيات السعوديين الذين سافروا إلى أفغانستان بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١، وعلى دوافعهم وأنماط تجنيدهم.

أولاً: البطالة و«هيمنة النجديين»

كما أوائل المجاهدين، شكّل السعوديون في أفغانستان بعد العام ١٩٩٦ جمهوراً متنوّعاً. لم يكن هؤلاء بمجموعهم فاشلين أو منعزلين أو معوزين، كما لم يكونوا خرّيجي جامعات ناقمين أو أبناء موسرين مدفوعين أيديولوجياً. ومع أنّ هذه الصور كانت ممثَّلة جميعاً، كان المجنَّدون العاديون في القاعدة شباباً من أبناء الطبقة الوسطى والوسطى الفقيرة، في أوائل العشرينيات من أعمارهم، وقدموا من المدن الكبيرة: الرياض ومكّة وجدّة.

ومع ذلك، غدا السعوديون في أفغانستان بعد عام ١٩٩٦ أقلّ تنوّعاً

من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، وأقلّ تحصيلاً للعلم بعض الشيء من المجاهدين الأوائل. وهذا يعكس كون الجهاد في أواخر التسعينيات أشدّ خطراً وأقلّ شيوعاً منه في الثمانينيات، ولذلك ركزت جهود التجنيد على الشبكات الاجتماعية للمجاهدين السابقين بدرجة أكبر من ذي قبل. ارتبط بعضهم بمسلّحين آخرين بأواصر القرابة أو الصداقة، ذلك أنه كان لخمسة وعشرين شخصاً على الأقل في هذه المفرزة أقارب جهاديين، وربما كان لعدد أكبر من هؤلاء معرفة بجهاديين. بالتالي كان توجّه أفراد لديهم معارف جهاديون مخضرمون في شبكاتهم الاجتماعية إلى أفغانستان أرجح بكثير من توجّه من لم يتمتعوا بهذه المعارف.

الظاهر أيضاً أنّ البطالة كانت أكثر شيوعاً في مجنّدي القاعدة منها في المجاهدين الأوائل. وهناك معلومات سردية كثيرة تتحدّث عن البطالة في سير المجاهدين. من ذلك، أنّ رجلاً سافر إلى أفغانستان في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ قال لاحقاً في مقابلة: «أكملت دراستي الابتدائية ومكثت بلا عمل عدة سنين قبل توجهي إلى أفغانستان». وقال سجين في غوانتنامو كان قد سافر إلى أفغانستان في آذار/ مارس ٢٠٠١، «قرأت على الإنترنت عن طالبان وكنت أبحث عن عمل، وجاء في الصفحة أنهم في حاجة إلى المسلمين وإلى عونهم؛ لذلك ذهبت لمساعدتهم». هذه الروايات منسجمة مع الدليل الذي يشير إلى زيادة حجم البطالة في المملكة العربية السعودية زيادة سريعة في النصف الثاني من عقد التسعينيات؛ لزيادة نسبة الشباب في السكان ولتراجع عائدات النفط. وإذْ يصعب التأكد من ذلك لقلة البيانات التي يمكن التعويل عليها، نرجّح صحة الفرضية التي تقول إن البطالة أذكت الانخراط في معسكرات التدريب التابعة للقاعدة[1].

---

(١) نايف الزاحم، «الفتوى المضلّلة نقلتني إلى أفغانستان للجهاد،» **الرياض**، ٧/ ١٠/ ٢٠٠٦، و «Testimony of Detainees before the Combatant Status Review Tribunal,» (US Department of Defense, 2006) (hereafter CSRT), 3045, 3246.

لمعرفة المزيد عن البطالة في أواخر التسعينيات، انظر: Steffen Hertog, «Segmented Clientelism: The Politics of Economic Reform in Saudi Arabia,» (Dissertation Philosophy Thesis, Oxford University, 2006), p. 218. =

وعلى الصعيد الجغرافي، قدِم المجنَّدون في القاعدة كما المجاهدون الأوائل من المدن الكبيرة وليس من المناطق الطرفية الريفية، وحظي سكان الحجاز ونجد بتمثيل زائد، كما إن تمثيل منطقة نجد الوسطى في صفوف مجنّدي القاعدة فاق بكثير تمثيلها في المجاهدين الأوائل، ما يشير إلى عملية «هيمنة النجديين» في الوسط الجهادي في المملكة العربية السعودية في التسعينيات. ونرجّح أن للأمر علاقة ببروز مدرسة الشُّعَيبي للمشايخ المتشددين الموجودة في نجد، وحقيقة أن تأثير الحملات القمعية التي قامت بها الشرطة في الشبكات الحجازية القائمة كان أقوى منه في الشبكات النجدية الناشئة بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨.

لكنّ تمثيل الجنوب بقي متدنّياً جداً على الدوام. وفي الواقع، كان الجنوبيون عناصر شديدة الندرة في معسكرات القاعدة، إلى حدّ أنه لا بدّ من أن أسامة بن لادن اختار بعناية العناصر السعودية الجنوبية الأحد عشر في فريق هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. ربما أراد زعيم القاعدة أن يُظهر للرياض أنه يحظى بدعم الجنوب وقبائله، وربما أمل أيضاً بعكس الميل السلبي للتجنيد في القاعدة في الجنوب بإشهار الخاطفين الذين قدموا منه. والفرضية الثالثة والأدعى للقبول هي أن الجنوبيين في فريق ١١ أيلول/سبتمبر شكّلوا مجموعات أصدقاء شديدي اللحمة خصوصاً، وهذه مزيّة أمنية في عمليات في أرض أجنبية يستغرق تنفيذها زمناً طويلاً. وإذْ توجّه بعض الخاطفين الجنوبيين معاً إلى أفغانستان، فقد كانوا يعرفون بعضهم حقّ المعرفة. وكونهم جنوبيين ريفيين، ربما شكلوا عنصراً غريباً في نظر الأغلبية الحجازية النجدية في المعسكرات، وهو أمر ربما قوّى لحمتهم الداخلية(٢).

إن التمثيل غير المتكافئ لأبناء القبائل الجنوبية، وبخاصة

= ولمعرفة المزيد عن الصلة المحتملة للكسل بالانخراط في صفوف القاعدة، انظر مثلاً:
Charles M. Sennott, «Before Oath to Jihad, Drifting and Boredom,» *Boston Globe*, 3/3/2002; Craig S. Smith, «Saudi Idlers Attract Radicals and Worry Royals,» *New York Times*, 17/12/2002; Raid Qusti, «Riyadh Cracking Down on «Drifting Shababs»,» *Arab News*, 2/5/2007, and «Why Do they Drive around Aimlessly?,» *Arab News*, 11/5/2007.

(٢) *The 9/11 Commission Report* (New York: W.W. Norton, 2004), pp. 232 and 524.

الغامديون، في هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، قاد كثيراً من المراقبين إلى افتراض خاطئ فحواه وجود «تشدّد جنوبي» في المملكة العربية السعودية، وإلى تضخيم دور الثقافة والسياسة القبلية في الانخراط في صفوف القاعدة. بيد أنّ هناك عدداً قليلاً جداً من المؤشرات الصريحة في مؤلّفات الجهاديين قبل عام ٢٠٠٤ تشير للدور المهم للأصل القبلي في تجنيد الجهاديين السعوديين أو في سلوكهم؛ وأغلب هذه الأمثلة النادرة متّصل بمجموعة الجنوبيين الصغيرة التي شاركت في عملية ١١ أيلول/ سبتمبر[٣].

لا ينبغي لنا طبعاً إغفال القوى المحرِّكة القَبَلَيّة في دراسة التيار الإسلامي السعودي، لكن يوجد أسباب مهمّة ثلاثة ربما تجعل العامل القَبَلي أقلّ أهميّة ممّا يعتقد بعضهم. **السبب الأول**، هو أنّ التغيّر الاجتماعي السريع، وبخاصة التوسّع العمراني والهجرة الداخلية، جعل مفاهيم الرجولة أو الثقافات القَبَلَية الثورية بعيدة عن الواقع. **والسبب الثاني**، هو أنه إذا وُجد عامل قَبَلي في السياسة السعودية، فعلى الأرجح أن يكون قوة مساعدة على استتباب الأمن لا على فلتانه. فالقَبَلَيّة تقوم غالباً على طاعة قادة القبائل ووجهائها، وجميعهم مندمجون إلى حدّ بعيد في النظام السياسي السعودي ويتلقّون منه مبالغ سخية؛ لذلك نجد أنّ أعداد المنتسبين إلى قبيلة غامد في الأجهزة الأمنية السعودية أكبر بكثير من أعدادهم في القاعدة. **أخيراً**، القبلية تناقض إلى حدّ ما الأيديولوجيا الإسلاميةَ التي تشدّد على أنّ المؤمنين متساوون أمام الله، وأنّ وحدة الأمّة الإسلامية مقدّمة على النزعة الفصائلية الداخلية؛ لذلك شجب منظّرون أيديولوجيون بارزون، مثل أبي محمد المقدسي، في الواقع الدعوةَ إلى الهوية القبلية[٤].

على أنّ شيئاً واحداً يبدو واضحاً، وهو أنّ السعوديين في أفغانستان

---

(٣) انظر على سبيل المثال: Charles M. Sennott, «Why Bin Laden Plot Relied on Saudi Hijackers,» *Boston Globe*, 3/3/2002, and «The Nineteen Martyrs (video),» (2002) (transcript) available on: <http://www.jihadunspun.com>.

(٤) أبو محمد المقدسي، «وقفات مع ثمرات الجهاد،» منبر التوحيد والجهاد، الفصل الخامس، <http://www.tawhed.ws/r?i=5yj8ssez>.

بعد عام ١٩٩٦ شكّلوا جيلاً جديداً من الجهاديين. في الواقع، الغالبية العظمى من المجندين توجهوا إلى أفغانستان في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١، ما جعلهم أصغر سناً بكثير من أن يمتلكوا خبرة جهادية سابقة. والمعلومات المتصلة بتواريخ سفر هؤلاء تؤازر الدليل السردي بأنّ وتيرة التجنيد بقيت بطيئة إلى وقت قريب من عام ١٩٩٩، لتتسارع بشكل صاروخي بعد ذلك. وهذا يُظهر أيضاً أن انخراط السعوديين في صفوف القاعدة بقي متدنياً للغاية طوال عقد التسعينيات.

في المحصّلة، يصعب تحديد عوامل اجتماعية واقتصادية ذات قيمة تكهّنية قوية تقف وراء انخراط السعوديين الفردي في صفوف القاعدة. كانوا فتية ومن أبناء المدن، وربما بعضهم كان عاطلاً عن العمل، لكن آلاف السعوديين من أمثالهم لم يتوجّهوا إلى أفغانستان، فما هو الدافع الذي حَمَل هؤلاء على الذهاب؟

ثانياً: استغلال الجهاد الكلاسيكي

قصد السعوديون أفغانستان لعدة أسباب معلَنة: **أولها** وأكثرها شيوعاً المُثُل الوحدوية الإسلامية التي تدعو إلى نصرة الإخوة المسلمين المحتاجين. وكما شرح سجين سعودي في غوانتنامو «لم أعرف على التحديد كيف يمكنني المساعدة [مساعدة الأفغان]، لكني ذهبت لنصرة الشعب لا للقتال». وتنقل السِيَر انطباعاً مميزاً بأن حبّ أبناء الجماعة أهم بكثير من كراهية من سواها، وكذلك الحال مع المجاهدين الأوائل. وقال سجين سعودي آخر: «ذهبت لأتدرّب وأجاهد في سبيل الله وأحارب كل من يحارب المسلمين»(٥).

السبب **الثاني** هو الدور الفائق الأهمية للحرب الشيشانية في استنفار الشباب السعودي للجهاد. في الواقع حطّ كثير من السعوديين رحالهم في أفغانستان في نهاية الأمر، بينما كان قصدهم القتال في الشيشان، لكنّهم صُرفوا إلى أفغانستان؛ حيث قيل لهم إنهم يستطيعون التدرّب

---

(٥) «Testimony of Detainees-CSRT,» 2704.

استعداداً لدخول الشيشان. وعلى سبيل المثال، قال سجين سعودي في غوانتنامو إنه نوى الذهاب إلى الشيشان بعد أن بلغه نبأ مصرع شقيقه هناك. لكنّ أحد أصدقاء شقيقه حدّثه عن صعوبة الوصول إلى الشيشان فعدل إلى أفغانستان. وقال محتجَز سعودي آخر في غوانتنامو: «التقيت في المملكة العربية السعودية بشخص من الشيشان، أردت الذهاب إلى الشيشان؛ ولذلك ذهبت إلى أفغانستان؛ حيث طلب إليّ ذلك الشخص الذهاب إلى هناك لأتدرب لمدة ستة أشهر، وبعد انقضائها يمكنني التوجه إلى الشيشان». هذه المزاعم جديرة بالتصديق لأنه ليس للمحتجَزين شيء يجْنونه من ورائها؛ فالسلطات الأمريكية ترى أن المتطوّعين للجهاد في الشيشان ليسوا أقل إثارة للريبة ممن يقيمون بمعسكرات القاعدة في أفغانستان(٦).

إننا نجد في سيرة الشهيد فيصل الدخَيّل المنتمي إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثالاً حياً على كيفية استنفار القضية الشيشانية للسعوديين. في إحدى الأمسيات شاهد فيصلُ قبل تديّنه وبعض أصدقائه مقابلة مع القائد خطّاب على قناة الجزيرة. وذُكر أنه شعر وأصدقاءه بأسى بالغ لرؤية «صور النساء والأطفال الشيشانيين الذين انهمرت عليهم الصواريخ الروسية»، إلى حدّ أنهم ذهبوا للقاء أحمد الدخَيِّل ابن عمّ فيصل، وهو رجل متديّن على صلة بالوسط الجهادي؛ أملاً بأن يساعدهم على الذهاب إلى الشيشان. ذُهل أحمد لرؤية ابن عمه غير الملتزم وقال: «لا تزال رائحة دخان السجائر تفوح منك وتريد الذهاب إلى الشيشان؟» وبعد ستة أشهر، أي في مطلع عام ٢٠٠٠ أو في منتصفه، ذهبوا إلى أفغانستان. لم يستطع فيصل الدخَيّل الوصول إلى الشيشان أبداً، لكنه أصبح في النهاية أحد أكثر مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب نشاطاً في المملكة العربية السعودية في عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤. والدخَيِّل هو واحد من ناشطين بارزين للغاية في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الذين

---

(٦) انظر: *The 9/11 Commission Report*, p. 233; Sharon Curcio, «Generational Differences in Waging Jihad,» *Military Review*, vol. 85, no. 4 (2005), p. 84; «Testimony of Detainees-CSRT,» 1274, 2655, and Chris Gourlay and Jonathan Calvert, «Al-Qaeda Kingpin: I Trained 9/11 Hijackers,» *Sunday Times*, 25/11/2007.

أوصلتهم إلى معسكرات بن لادن مشاعرُهم التي أجّجتها الحوادث في الشيشان وليس معاداة أمريكا. وكثير من خاطفي الطائرات في هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، بدءاً بمحمد عطا، ومروراً بخلية هامبورغ، وانتهاءً بالخاطفَين السعوديَّين أحمد وسعيد الغامدي، أرادوا في البداية القتال إلى جانب خطّاب في الشيشان[٧].

الدافع المعلَن الرئيس الآخر، والذي يبدو أنه غطّى على الشيشان في أهميته عام ٢٠٠١، هو الرغبة في حماية طالبان في مواجهتها التحالف الشمالي أولاً، ثم في مواجهتها الغزو الذي قادته الولايات المتحدة. ذكر ثمانية أشخاص على الأقل في عينتنا ممن سافروا قبل ١١ أيلول/سبتمبر، وربما هناك كثير غيرهم، أنهم أرادوا قتال التحالف الشمالي. وعلى سبيل المثال، ذكر أحد المتطوعين الذين سافروا في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠، أنه أراد نصرة طالبان في قتالها التحالف الشمالي لا قتال الأمريكيين: وأصرّ على القول «كان في استطاعتي فعل ذلك في المملكة العربية السعودية». وأضاف أنه اعتقد أن الجهاد واجب عندما تعلنه حكومة، ويقصد في هذه الحالة حكومة طالبان. وهناك شاب سعودي آخر لم يتأكد تماماً من مشروعية الجهاد، ولذلك «ذهب إلى أفغانستان ليرى إن كانت شروط الفتوى [للجهاد نصرة لطالبان] متحقِّقة»[٨].

اللافت أنّ جمعاً غفيراً من السعوديين رأى في صراع طالبان مع تحالف الشمال قبل ١١ أيلول/سبتمبر، جهاداً يجب عليهم المشاركة فيه، بينما أفراد تحالف الشمال مسلمون سنّة. أحد أسباب هذه الأحجية أن الضغط الدولي الشديد على طالبان أعطى انطباعاً بأن قوات غير مسلمة تتهدّدها. والسبب الآخر هو أن كثيراً من المجنّدين لم يعرفوا ببساطة حقيقة التحالف الشمالي، فذكر أحد المتطوعين أنه ذهب إلى أفغانستان «لقتال الشيعة»، بينما ذكر شخص آخر لا بدّ من أنه أهمل مقررات التاريخ، أنه «أراد مساعدة أشقائه المسلمين في قتال الروس».

---

(٧) بندر الدُّخَيِّل، «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٨ (٢٠٠٤)، و *The 9/11 Commission Report*, pp. 160, 165 and 233.

(٨) «Testimony of Detainees-CSRT,» 3116, 10.

وأصرّ على قول «لم أعرف أن تحالف الشمال سيكون هناك، اعتقدت أنهم روس»[٩].

إحدى أكثر النواحي إثارة للدهشة في الدوافع المعلَنة لدى مجنّدي القاعدة السعوديين، الغياب الفعلي لمعاداة أمريكا وللطموحات الإرهابية الدولية. لا ريب في أنه يتعيّن أن تكون معاداة أمريكا دافعاً لدى من توجّهوا إلى أفغانستان بعد ١١ أيلول/سبتمبر. لكنّ سِيَر من ذهبوا قبل ١١ أيلول/سبتمبر لا تحكي كثيراً أو لا تحكي شيئاً على الإطلاق عن أشخاص قالوا إن دافعهم الرئيس هو كراهية أمريكا أو رغبة في المشاركة في عمليات القاعدة الدولية. لكن هناك استثناءات بالطبع، منها: أنّ سعودياً توجّه إلى أفغانستان في آب/أغسطس ٢٠٠١، قال جهاراً في محاكمة غوانتنامو بعد ذلك: «حاربت الولايات المتحدة، سأوجز المسألة وأهوّنها عليكم يا رفاق: أنا فخور بما صنعت وليس لدي أي سبب لأخفيه»؛ إلا أن هذه التصريحات تبقى نادرة للغاية. ولا نقصد بذلك القول إن السعوديين الذين سافروا إلى أفغانستان قبل تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١ كانوا أصدقاء لأمريكا، فهم أبعد ما يكون عن ذلك، وإنّما أردنا القول إنهم لم يتوجهوا إلى أفغانستان للمشاركة في عمليات على نسق عملية ١١ أيلول/سبتمبر. والظاهر أن معاداة أمريكا العنيفة غُرست في معسكرات بن لادن[١٠].

إن غلبة الدوافع المتصلة بالصراعات التقليدية في الشيشان وأفغانستان، والمقترنة بالغياب شبه المطلق لدوافع معاداة أمريكا، تُشْعر بأنّ عامة الجهاديين كانوا مدفوعين حقيقة بأيديولوجيا الجهاد الكلاسيكي لا بالجهاد العالمي. وفي ذلك زيادة على الأدلة المتواترة التي تُشْعر بأنّ استراتيجية القاعدة في التجنيد بُنيت على استغلال مقصود لمشاعر التعاطف مع الجهاد الكلاسيكي في المملكة العربية السعودية. صوّر

---

(٩) «Testimony of Detainees-CSRT,» 604, 3045, and «Testimony of Detainees before the Administrative Review Board,» (US Department of Defense, 2006) (hereafter ARB), 828.

(١٠) ISN 682. «Testimony of Detainees-CSRT,» 2073, and David Morgan, «Saudi Man Admits Enemy Role at Guantanamo Trial,» Reuters (27 April 2006).

وكلاءُ التجنيد في القاعدة المعسكراتِ بأنها محطة لازمة على طريق الجهاد الكلاسيكي. وبمجرد وصولهم الى المعسكرات يتمّ إقناعهم بأيديولوجيا بن لادن للجهاد العالمي. ومما يقوّي هذه الفرضية حكايات المجنَّدين من دول أخرى، مثل: جماعة الأمريكيين اليمنيين التي تسمى «لاكوانا سيكس» (Lackawanna Six) التي انقطعت عن التدريب في معسكر الفاروق عام ٢٠٠١؛ لأنها وجدت المناخ هناك أكثر معاداة لأمريكا ممّا توقعت[١١].

لدينا قصة معبّرة أخرى عن استغلال القاعدة الجهادَ الكلاسيكي، حكاها سعودي اسمه ناصر، في مقابلة أجراها معه الصحافي دكستر فلكينز (Dexter Filkins)، في مدينة مزار شريف (Mazâr-e Sharîf)، في أواخر عام ٢٠٠١:

توجّه [ناصر] لأداء مناسك الحجّ، وهناك اقترب منه زميل سعودي اسمه أبو مالي، كان ذلك في ربيع عام ٢٠٠١. . .، تحدّث أبو مالي عن محاربة الكفّار، وقال لناصر هل تريد محاربة الكفّار؟ أجاب أجل، سأتوجّه إلى فلسطين لمحاربة اليهود. قال أبو مالي: أجل بالطبع سنرسلك إلى فلسطين. . . لكن قبل القتال بفلسطين عليك أن تذهب إلى أفغانستان أولاً لتتلقّى تدريباتك هناك.

وفي أفغانستان، التقى ناصر بأسامة بن لادن: «قال أسامة: هذا هو طريق الجهاد، إذا قُتلت بفلسطين أو الشيشان أو كشمير، ستساعد هؤلاء الناس على نيل حرّياتهم». وفي وقت لاحق، قال بعض القادة لناصر إنه لن يذهب إلى فلسطين، كان ذلك في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وأن جهاداً حاصلاً هنا في أفغانستان. قال ناصر: «قلت لهم أريد العودة إلى وطني، قلت لهم لن أقاتل مسلمين»[١٢].

النقطة الأخرى التي تجدر الإشارة إليها بشأن دوافع مجنّدي القاعدة

(١١) Matthew Purdy and Lowell Bergman, «Where the Trail Led: Between Evidence and Suspicion; Unclear Danger: Inside the Lackawanna Terror Case,» *New York Times*, 12/10/2003.

(١٢) Dexter Filkins, *The Forever War: Dispatches from the War on Terror* (New York: Alfred A. Knopf, 2008), pp. 62-63.

في هذه الحقبة، هي عدم بروز التذمّر من النظام السعودي بشكل واضح. لكن هناك استثناءات قليلة، مثل مقاتل حارب في البوسنة وأصبح عضواً في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بعد ذلك، يدعى علي الحربي الذي توجه إلى أفغانستان عقب إطلاق سراحه من سجن الرُّوَيس في عام ١٩٩٧؛ لأنّه خشي أن يُعتقَل ويعذَّب مرة أخرى. والظاهر أنه كان للدوافع الثورية الاجتماعية دور أهم بعض الشيء في إرسال الشباب إلى أفغانستان بعد عام ١٩٩٦، منها في إرسالهم إلى مناطق الجهاد الأولى، لكن الواضح أن مشاعر الوحدة الإسلامية هي الأعظم أهمية[١٣].

كان للاعتبارات الدِّينية الصرفة دور أيضاً؛ لأنّ كثيرين توجّهوا «لأداء فرض الجهاد» وليس لديهم سوى معرفة وفهم سطحيَّين لفحوى هذا الجهاد ومضامينه السياسية. مضى بعضهم مخافةَ عدم القيام بواجب مأمورين به شرعاً، فأصرّ أحد المجنَّدين على أنّه «لم يذهب إلى هناك تطوعاً وإنّما لكي يتجنب عقاب الله»، وقال آخرون إنهم ذهبوا إلى أفغانستان لتقييم تطبيق طالبان للشريعة، والظاهر أنّ بعضهم نوى الاستقرار في أفغانستان للنظام الاجتماعي المحافظ الصارم الذي فرضته طالبان. لكن وُجد دافع ديني من نوع آخر، وهو الرغبة في نيل الشهادة، والظاهر أن عدداً من الأشخاص توجّهوا إلى أفغانستان لأنهم أملوا بصدق نيلَ الشهادة ودخولَ الجنّة[١٤].

الدافع الرئيس **الثالث**، كان شخصياً واجتماعياً بطبيعته، وعلى التحديد البحث عن المغامرة والتجربة العسكرية. قال عدد من الأشخاص بقدر من الوضوح، إن ناحية المغامرة في السفر إلى الخارج أغرتهم، وكذلك الناحية الرجولية في التدرّب على السلاح والفروسية الملازمتين لصفة المجاهد.

كانت المغامرة في نظر بعضهم الدافع الأهم؛ فذكر سجين سعودي في غوانتنامو إنه توجه بمفرده إلى أفغانستان في أواخر آب/ أغسطس

---

(١٣) «علي المعبدي الحربي: بطل بدر الرياض،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٤ (٢٠٠٤).

(١٤) «Testimony of Detainees-CSRT,» 1115, 1275, 3071.

٢٠٠١ «ليتدرّب». وأضاف «إنها كانت إجازة لي» وكانت خطته أن يعود قبل أن تفتح المدارس أبوابها، ولم يذكر أي دوافع سياسية أو دينية. ورأى مجنَّدٌ آخر في معسكرات التدريب نشاطاً استجمامياً:

قلت في نفسي إن التدريب هناك سيكون أشبه بنادٍ يمكنني التدرب فيه في أي وقت والمغادرة متى أشاء. أنت لست في حاجة إلى أن تلتزم بأي شيء تجاه ذلك النادي ويمكنك في الوقت عينه تلقّي مقرّرات أو صفوف مدرسية والدراسة. . . ولو عرفت بوجود مكان آخر أتلقى ذلك التدريب فيه ما ذهبتُ إلى أفغانستان(١٥).

يبدو أن آخرين كانوا أكثر اهتماماً بالتدرّب على الأسلحة والتجربة العسكرية. قال أحد المحتجزين بغوانتنامو إنه أراد أن يتعلّم كيفية الدفاع عن نفسه. قال إنه «[ليس في السعودية] أي معسكرات يمكن للمدنيين تعلّم كيفية الدفاع عن أنفسهم فيها. عرضت خدماتي على سلاح البحرية السعودية لأحظى بفرصة للتدرّب لكنّي لم أتلقّ منهم رداً. في تلك اللحظة شرعت بالبحث عن مكان يمكنني فيه تعلّم كيفية الدفاع عن نفسي، وانتهى بي الأمر بأفغانستان»(١٦).

إلا أن التوجه إلى أفغانستان كان وسيلة، في نظر آخرين لإثبات رجوليتهم، فبيّن مجنَّد سعودي كيف أن شقيقه الموجود في أفغانستان أصلاً يحاول إثارة كبريائه الرجولي:

لم أكن مسلماً ملتزماً، لم أكن ملتزماً بأي شيء، رآني [شقيقي] وقال «أنظر إلى نفسك أنت لست رجلاً، أنت تضيّع وقتك»، وصار يحدثني و[قال]: «أنت لا تحسن فعل أي شيء، لا أسلحة، لا تدريب، لا تعليم، عليك أن تكون رجلاً، عليك أن تتعلم»، لقد أثّر فيّ كلامه(١٧).

كما كثير من المجاهدين السعوديين الأوائل، كان دافع مجنَّدي القاعدة بعد عام ١٩٩٦ توليفة من اعتبارات سياسية ودينية ودنيوية. وهنا

---

(١٥) «Testimony of Detainees-CSRT,» 2811, and «Testimony of Detainees-ARB,» 20327.

(١٦) «Testimony of Detainees-CSRT,» 3021, and «Testimony of Detainees-ARB,» 20540.

(١٧) «Testimony of Detainees-CSRT,» 2983, and «Testimony of Detainees-ARB,» 1431.

أيضاً نلاحظ عدم التصريح بمعاداة أمريكا أو النظام، لكنّ ذلك أدعى إلى الدهشة في هذه الحقبة بالنظر إلى النشاطات التي انخرط فيها المجنَّدون لاحقاً. إن الأهمية الثانوية لمعاداة أمريكا تشهد باستمرار على غلبة الفكر الجهادي الكلاسيكي، وعلى حقيقة أن الانخراط في الجهاد كان في بعض جوانبه عملية اجتماعية وليست أيديولوجية.

ثالثاً: البوّابون

إنّ السؤال عن الأسباب التي حدت بعض الناس على الذهاب إلى معسكرات القاعدة مثير للاهتمام، بوجه خاص لأنّ التيّار الجهادي أضحى نشاطاً سرّياً وخطراً الآن بخلاف حاله في الثمانينيات. لقد ولّت الأيام التي كان في استطاعة عبد الله عزّام عقد مهرجانات تجنيديّة مفتوحة فيها للجهاد في أفغانستان، والتي كان في استطاعة برباروس استخدام وسائل الإعلام المحلّية فيها لتجنيد مقاتلين متطوّعين.

عندما يجري نشر التشدد في السرّ تُصبح دراسته أصعب. ولكي نقيّم مدى تعقيد عمليتي نشر التشدد والتجنيد، نتناول قصة أحمد الشُّرفا الذي ذُكر أن فكرة الذهاب إلى أفغانستان خطرت بباله أول مرّة بعد لقائه أحد قدامى المجاهدين في المملكة العربية السعودية. أصرّ الشرفا على أنّ ذلك الشخص «لم يؤثّر فيّ، وإنما حدّثني عن الجهاد، لقد كان القرار قراري، وحتى بعد أن تحدثت إليه، استشرت مشايخ آخرين». ثمّ اتخذ الشرفا القرار النهائي بالتوجّه إلى أفغانستان عقب سماعه فتوى من شيخ سعودي. تحدّث إلى ذلك العالم، وقرأ كتابه وتصفّح موقعاً إلكترونياً جهادياً على الإنترنت. وتلقّى من شيخ آخر ألفي ريال سعودي (٥٣٣ دولار)، ورسالةً تتضمن تعليمات بشأن التوجّه جواً إلى كراتشي والاتصال بشخص محلّي هناك. انطلق في صيف عام ٢٠٠١، واعتقلته القوات الأمريكية في أواخر عام ٢٠٠١ وأرسلته إلى غوانتنامو. فهل جُنّد الشرفا أم تصرّف من تلقاء نفسه؟ ما هو العامل المقرِّر، هل هو الجهادي المخضرم أم الشيخ أم الموقع الإلكتروني أم الوسيط؟ أم أنّ هناك عوامل أخرى لم يذكرها الشرفا، مثل ضغوط اجتماعية مورست عليه من قبل أشقائه أو أصدقائه.

ذكرنا في الفصل السابق أنّ القاعدة طوّرت بنية تحتية تجنيدية بدائية في المملكة العربية السعودية، بحلول عام ٢٠٠٠ و٢٠٠١. وإذْ لم تتطرّق السِيَر التي شملتها عيّنتنا إلى لقاءات بوكلاء تجنيد كاملي العضوية في القاعدة إلّا نادراً، تحدّثت روايات عن لقاءات جمعت بالصدفة أفراداً بوكلاء تجنيد رغّبوهم مواربة أو صراحة في الذهاب إلى أفغانستان. وقال أحد المجنَّدين إنه أخذ عنوان شخص يسهّل له المشاركة في الجهاد في كشمير من رجل في المملكة كان «من المجاهدين». وذكر متطوّع آخر أنه التقى بشخص حارب في الشيشان اسمه صالح الحربي، وأنه أقنعه بالذهاب إلى الشيشان، لكن أخبره أنّ عليه الذهاب إلى أفغانستان أولاً. وبعد ذلك أشرف وكيلُ التجنيد على خطّ رحلته بأكملها إلى أفغانستان[١٨].

الظاهر أنّ وكلاء التجنيد نشطوا في ميدانين رئيسين: **أولهما** مكّة المكرّمة، وخصوصاً في شهر رمضان وموسم الحج عندما تعجّ المدينة بالناس. ووصف سعودي محتجَز بغوانتنامو لقاءه بشخص لا ريب في أنه وكيل تجنيد في مكّة، في شهر رمضان (تزامن مع شهر كانون الأول/ ديسمبر) عام ٢٠٠٠. صوّر له كما يفعل سائر وكلاء التجنيد أن الأمر كله في يده:

لم يجنّدني أحد بمكّة، التقيت برجل حدّثني عن فكرة الجهاد، وعقب توجهي إلى جدّة التقيت بذلك الرجل مجدداً؛ فهيأ لي أمر الذهاب إلى أفغانستان، أعطاني بعض المال ووضعني في طائرة أقلعت في اتجاه الإمارات العربية أولاً، ثمّ توجهت إلى باكستان، وقد اقتصر دور الرجل الذي التقيت به على إعطائي الفكرة، فهو لم يدرّبني أو يفعل أي شيء من هذا القبيل، وكل ما فعله أنه أوحى إليّ بفكرة الجهاد[١٩].

الميدان المهم **الآخر**؛ هو مجموعات الدراسة الشرعية شبه الرسمية

---

(١٨) ربما يكون نواف الحازمي استثناءً لأنه توجه إلى أفغانستان عقب اجتماعه بأبي زُبيدة في عام ١٩٩٦. انظر: «Report of the Joint Inquiry into the Terrorist Attacks of September 11, 2001,» p. 131ff, and «Testimony of Detainees-CSRT,» 10, 2655.

(١٩) «Testimony of Detainees-CSRT,» 3462; «Testimony of Detainees-ARB,» 624, and Peter L. Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader* (New York: Free Press, 2006), pp. 261-262.

الشائعة جداً في المملكة العربية السعودية. تأخذ هذه المجموعات أشكالاً وصوراً مختلفة، بدءاً باللقاءات المسائية، وانتهاءً بالمخيمات في الصحراء التي يتولّى أمر ترتيبها عادة مجموعة من الأصدقاء. وكثير من السعوديين الذين توجّهوا إلى أفغانستان التقوا بمجنِّديهم في مجموعات الدراسة تلك. وفي هذا الصدد شرح سعودي شاب كيف انخرط في مجموعة كانت تجتمع بشكل منتظم لمشاهدة أفلام الفيديو حول الجهاد، وذُكر أنّ داعيةً أو موجهاً رغّبها في الذهاب إلى أفغانستان. ونذكر أن عضواً في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب يدعى طلال العنبري جُنّد في الأصل ليتوجّه إلى أفغانستان بواسطة شخص في مجموعة دراسة شرعية كان مشاركاً فيها في جدّة. وذهب مسلّح آخر في التنظيم اسمه نايف الشمري إلى أفغانستان بعد أن أمضى بعض الوقت مع مجموعة دراسة في حفر الباطن، كانت تجتمع بعد انتهاء دوام المدرسة لحضور محاضرات ومشاهدة أفلام فيديو تحكي عن الجهاد. وبعد مدة اقترح عليهم المنظِّمون التدرب على الأسلحة وشجّعوهم على الذهاب إلى أفغانستان. غالباً ما كانت مجموعات الدراسة هذه تستخدم الاستراحات التي تُعَدّ بالآلاف في الصحراء خارج المدن الكبرى. وقد وفرت هذه المجالس الخاصة بالتنزّه التي تُكثر الأسر السعودية من استخدامها خصوصية كاملة ومكاناً مثالياً للقيام بأنشطة سرّية[٢٠].

دار نقاش في المملكة العربية السعودية في السنين الأخيرة بشأن مدى اختراق وكلاء التجنيد للنظام المدرسي. جادل بعضهم بأن الأنشطة التي ينظمها الشباب المتديّن، مثل المراكز الصيفية، تؤدي دوراً في تعليم المراهقين السعوديين التشدد، لكنّ المعلومات التي جمعها المؤلف لا تؤكد هذه المخاوف. إن وجود أمثلة على ناشطين استغَلّوا بعض ميادين التلاقي الاجتماعي الدِّينية، لا يعني أنّ هذه الميادين أو

---

(٢٠) «تائب يعترف: استخدمنا الاستراحات لغسل العقول وتجنيد الإرهابيين،» **عكاظ**، ٨/١٠/٢٠٠٥؛ أسامة النجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٧ (٢٠٠٤)؛ *The 9/11 Commission Report*, pp. 526-527, and Frank Hairgrove and Douglas M. Mcleod, «Circles Drawing Toward High-Risk Activism,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 31, no. 5 (2008).

المؤسسات تنشر التطرّف بذاتها، أو أن وكلاءُ التجنيد يتلاعبون بها دائماً. ذلك أنّ عدد الأشخاص الذين يشاركون في هذه الأنشطة كبير للغاية، وأنّ عدد الجهاديين السعوديين ضئيل للغاية، إلى حدّ أنه لا تمكن إقامة ربط سببي بينها. والمهرجانات الدِّينية التي جُنِّد فيها أشخاص للعمل المسلّح كانت غير رسمية، ولم تأذن بإقامتها المدراس ولا المؤسسات الدِّينية المحلّية[٢١]. النوع الرئيس الآخر للتجنيد من رأس الهرم إلى قاعدته معتمِد على العلماء. ذلك أنّ عدداً لا بأس به من السعوديين توجّهوا إلى أفغانستان بتشجيع من بعض المشايخ. وقد تحمّس عدد قليل من الأشخاص للذهاب عقب سماع خطبة ألقاها إمام متشدد في مسجد محلّي صغير. لكنّ المساجد لم تعد مهمة كنقاط تجنيد بقدر ما كانت عليه في الثمانينيات؛ لأن السلطات لم تعد تسمح بالخطب العامة التي تدعو الناس إلى السفر إلى الخارج؛ لذلك اقتصر تأثير العلماء في أغلب الأحيان على اللقاءات الخاصة وغير الرسمية. وهناك عدد من المشايخ، ولا سيما مشايخ مدرسة الشُّعَيبي، شجّعوا طلابهم على الذهاب إلى أفغانستان[٢٢].

أدى المشايخ دوراً غير فاعل، واكتفوا ببساطة بإصدار فتاوى عامة تجيز التوجّه إلى أفغانستان أو ترغّب فيه. وذكر بعض المجنّدين أنّهم تأثّروا بفتاوى الشيخ حمود الشُّعَيبي التي وصفت نظام طالبان بأنّه إسلامي وحضّت على مساعدته. وفي أوقات أخرى، قدّم المشايخ مساعدة لوجستية فاعلة؛ فذكر أحد المجنّدين أن علماء أقنعوه بالمشاركة في القتال في أفغانستان، وأطلعوه على كيفية الوصول إلى هناك. وذكر آخر أنّه تأثّر بمدرّس مادّة القرآن الأفغاني وأنّه ساعده في سفراته. والأمر نفسه، ربّما حصل لأحد الذين خطفوا الطائرات في ١١ أيلول/ سبتمبر، ويدعى وائل الشِّهري الذي أرسله والده لرؤية عالم دين في المدينة المنوّرة ليعينه على الخروج من اكتئاب عميق. ولم تكد تمضي

---

(٢١) Mariam Al Hakeem, «Do Not Allow Extremists to Exploit Students-Ministry,» *Gulf News*, 3/6/2006, and Y. Yehoshua, «Are Saudi Summer Camps Encouraging Terrorism?,» *MEMRI Inquiry and Analysis Series*, no. 241 (2005).

(٢٢) «Testimony of Detainees-CSRT,» 1133, and *The 9/11 Commission Report*, pp. 232-233.

أشهر قليلة حتى سافر الشاب إلى أفغانستان برفقة شقيقه وليد(٢٣).

إذا كان التشجيع «من الأعلى» أوصل عدداً من السعوديين إلى أفغانستان، توجّه بعضهم إلى معسكرات القاعدة بمبادرة خاصّة منهم أو برفقة أصدقاء. جاء الباعث الأول من عدد من المصادر المختلفة، مثل: الأصدقاء والأسرة غالباً. مصدر الإلهام الرئيس الآخر هو الإنترنت. وكما قال محتجَز سابق بغوانتنامو لصحيفة سعودية عقب إطلاق سراحه «لم أنتمِ إلى أي مجموعة أو منظمة، ولا سيما أنني لم أكن متديناً قبل رحيلي. لكن هناك بعض الفتاوى التي حثت على الجهاد ونُشرت على مواقع إلكترونية معيّنة، وكان لها تأثير في بعض الشباب المتدينين منهم وغير المتدينين»(٢٤).

هناك باعث شائع، ربّما يجده القارئ الغربي مستغرباً بعض الشيء، وهو التجارب الدِّينية الفردية مثل الرؤى أو الأحلام. وعلى سبيل المثال، ادّعى طلال العنبري الذي أصبح مسلّحاً في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، أنه عاد إلى دينه بعد أن رأى رؤيا في المنام، وبالنظر إلى تشديد المؤلّفات الجهادية القوي على الرؤى، ربّما جرى تلفيق بعض الحكايات لاحقاً. غير أنّ عدد الأشخاص الذين زعموا أنهم ازدادوا تمسكاً بدينهم عقب مرورهم بتجربة شبيهة كبير، إلى حدّ أنه لا يمكننا إنكار صدق بعض هذه المزاعم(٢٥).

أياً يكن مصدر الإلهام، احتاج المجنَّدون الذين أرادوا التوجّه

---

(٢٣) «Testimony of Detainees-CSRT,» 1126, 1274, 1755, 2401, 2704, 3071; Sennott, «Before Oath to Jihad, Drifting and Boredom,» and Mutlaq al-Buqami, «Al-Shihri Says Sons Missing for 10 Months,» *Arab News*, 17/9/2001.

(٢٤) الزاحم، «الفتوى المضلّلة نقلتني إلى أفغانستان للجهاد؛» النجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي؛» عبد الله السُّبَيعي، «مُساعد السُّبَيعي: رجل في زمن قلّ فيه الرجال،» **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤)؛ «Testimony of Detainees-ARB,» 20327, 769, and «Testimony of Detainees-CSRT,» 1645, 3045.

(٢٥) النجدي، المصدر نفسه. لمعرفة المزيد عن أهمية الأحلام في الثقافة الجهادية، انظر: Iain R. Edgar: «The Dream Will Tell: Militant Muslim Dreaming in the Context of Traditional and Contemporary Islamic Dream Theory and Practice,» *Dreaming*, vol. 14 no. 1 (2004), and «The True Dream in Contemporary Islamic/Jihadist Dreamwork: A Case Study of the Dreams of Taliban Leader Mullah Omar,» *Contemporary South Asia*, vol. 15, no. 3 (2006).

بمبادرة منهم إلى أفغانستان إلى مساعدة ليجدوا طريقاً آمنة توصلهم إلى هناك. قامت بهذه المساعدةِ شبكةٌ مترامية الأطراف من المساعدين الذين قدموا عوناً لوجستياً للمجنَّدين المهتمين. أخذ هؤلاء «البوابون» أشكالاً عديدة وتواجدوا في أماكن متنوعة؛ فبعضهم تولّى إمامة المساجد، وعلى سبيل المثال قال غانم الحربي إنه وجد طريقاً توصله إلى أفغانستان بالاستفسار عن ذلك في مسجد بالدمّام:

تحدثتُ إلى أحد الأئمة فأعطاني العنوان، حصلتُ على رقم هاتفيّ وطلب إليّ الرجل الاجتماع به في مكّة، وهناك حدّثني عن المعسكر وكيف يعمل، أخبرته عمّا أريده من التدريب، وحصلت على عنوان شخص في لاهور[٢٦].

كان بعض البوابين أشخاصاً عاديين اشتُهروا في أوساطهم المحلّية بصلاتهم بالدوائر الجهادية. ذكر أحد المجندين مثلاً أنّه بعد أن عزم على الذهاب إلى الشيشان، توجّه إلى رؤية رجل في الجوار ساعده على الوصول إلى أفغانستان. ولدينا مثال جيد عن بواب محلّي، وهو أحمد الدُّخَيِّل الذي تقدّم الحديث عنه، والذي ساعد ابنَ عمه فيصل في الوصول إلى أفغانستان، بعد أن توسّل إليه الأخير ليبيّن له طريقة الوصول إلى الشيشان، إلا أنّ هناك فئة أخرى من البوابين، وهم الوافدون الأفغان إلى المملكة العربية السعودية، وقد ساعد بعضهم عدداً من مجنَّدي القاعدة في الوصول إلى أفغانستان[٢٧].

أكمل أغلب الناس استعداداتهم للسفر، فضلاً عن الرحلة معاً، مع أصدقاء أو أقارب. في الواقع، كانت ديناميّات الجماعة، مثل: ضغوط الأقران والمزايدات وتلاحم أبناء الجماعة بواعث في غاية الأهمية أطلقت عملية نشر التشدد وحالت دون نكوث الأفراد. بالنسبة إلى بعضهم، تقدّمت العمليات الاجتماعية على العمليات الأيديولوجية، وهذا

---

(٢٦) «Testimony of Detainees-CSRT,» 3021, and «Testimony of Detainees-ARB,» 20540.

(٢٧) «Testimony of Detainees-CSRT,» 1645, 3045, 3246, and «Testimony of Detainees-ARB,» 769.

ما حاجج به مارك سايجمان (Marc Sageman) في دراسته المهمة عن نشر التشدد[٢٨].

مرّ معنا، أن السعوديين انضموا إلى القاعدة لأسباب متنوعة، وهي ليست بالضرورة تلك الأسباب التي توقّعناها أكثر مما عداها، وربما يجد البعض أن تحليلَنا مُفرِط في مجاملة المجندين أو في تفهّمهم. لا أختلف مع أحد في كون أغلب هؤلاء المجنّدين راشدين مسؤولين، عرفوا أنهم سيتلّقون تدريبات على استعمال الأسلحة، ولا أختلف مع أحد أيضاً في أن بعضهم أصبح متشدداً ومعادياً للغرب، لكن النقطة التي بيّنتها هي أن معسكرات القاعدة، وليست خلفيات المجنَّدين، هي التي حوّلتهم إلى جهاديين عالميين.

في مطلع أيلول/ سبتمبر، بلغ عدد السعوديين في أفغانستان نحو ألف شخص، بعضهم كان يتدرّب في معسكرات القاعدة، وبعضهم قضى وقته في الخنادق في شمال شرق أفغانستان. قدموا لأسباب متنوعة وبطرق مختلفة، لكنّهم اشتركوا في أمر واحد، هو عدم معرفتهم بما هو مخبَّأ لهم.

---

(٢٨) Sennott, «Before Oath to Jihad, Drifting and Boredom,» and Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004).

الفصل السابع

المملكة العربية السعودية
بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر

عند الساعة الخامسة مساءً يوم ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، شاهد ملايين السعوديين انهيار البرج الجنوبي من مركز التجارة العالمي (World Trade Center) في نيويورك، في بثّ حيّ على شاشات التلفزة. قلة منهم أدركوا أنّ هذا الحادث الذي وقع على مسافة آلاف الأميال، قد أطلق من ساعته عجلة قوى سفكت الدماء في شوارع الرياض في نهاية المطاف. وغزو أفغانستان بقيادة الولايات المتحدة، الذي أعقب تلك الهجمات، هزّ أركان تنظيم القاعدة، وحمل أسامة بن لادن على تفعيل خطة لإطلاق حملة في المملكة العربية السعودية. وبدءاً بأواخر عام ٢٠٠١، ركّز الجهاديون العالميون على مشروع جديد: هو الجهاد في شبه الجزيرة العربية.

في الوقت عينه، بدّلت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر و«الحرب على الإرهاب» سياقَ النشاط الإسلامي المسلّح في أغلب أصقاع العالم. كيف أثّر ذلك في المملكة العربية السعودية؟ سنرى أنّ التطوّرات الدولية الجديدة، والمشادّات العنيفة في الساحة الإسلامية المحلّية والتغيّرات السياسية، تضافرت على توليد سياق مؤاتٍ للغاية لتعبئة الناس للجهاد العالمي في المملكة العربية السعودية بين أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وأيار/مايو ٢٠٠٣.

أولاً: رموز جديدة لمعاناة المسلمين

. ربما نستغرب أن تكون أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، التي شكلت أكثر الهجمات الإرهابية فتكاً في التاريخ سبباً لتأجيج مشاعر معاداة أمريكا في العالم الإسلامي. لكنّ هذه المفارقة تصبح منطقية، عندما نتذكر أنّ نهضة وحدوية إسلامية كانت تسري في العالم الإسلامي منذ عام ١٩٩٩ تقريباً، عند وقوع الهجوم. وبالإضافة إلى ذلك، قاد التفكيرُ المتجذّر

القائم على نظرية المؤامرة كثيراً من المسلمين، إن لم يكن أغلبهم، إلى اعتبار هجمات ١١ أيلول/سبتمبر من تدبير جهاز الموساد الإسرائيلي أو وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA)؛ لذلك رأى كثير من المسلمين وأغلب الإسلاميين في الأفعال الأمريكية في الحرب على الإرهاب، أحدث تصعيد في سياسة طويلة المدى، قائمة على التمييز المناوئ للمسلمين وإذلالهم واضطهادهم.

التطور الأول الذي قوّى وجهة النظر التي تقول إن الحرب على الإرهاب إنما هي حرب على الإسلام؛ هو غزو أفغانستان بقيادة الولايات المتحدة، في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١. ومع أنّ الغزو حظي بقدر من الدعم، من جانب الحكومة والدوائر الليبرالية في المملكة العربية السعودية، فقد جاء الردّ الشعبي سلبياً للغاية. وقد شكك بعضهم في مسؤولية بن لادن عن هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، بينما رأى بعضهم الآخر أن وجوده في أفغانستان لا يبرّر حرباً. ومع تواصل حملة القصف، غطّت أخبارُ مقتل المدنيين وصور معاناة اللاجئين على ذاكرة ١١ أيلول/ سبتمبر بسرعة، وبات يُنظر إلى أمريكا بأنها الدولة المُعتدية. وانتشر الخطاب الوحدوي الإسلامي وتفشّت معه المهرجانات الشعبية المعتادة المعبّرة عن التضامن الوحدوي الإسلامي: إدانة في «منظمة المؤتمر الإسلامي»، حملات لجمع تبرعات للأفغان المعذَّبين وما إلى ذلك. لكنّ ردّ الفعل في الوسط الجهادي جاء واضحاً لا لُبْس فيه: الغزو الأمريكي مثال آخر على عدوان الكافرين على أبرياء مسلمين. وبالتالي؛ هناك جهاد جديد في أفغانستان يستوجب مشاركة السعوديين.

أوصل غزوُ أفغانستان مشاعرَ معاداة أمريكا في المملكة العربية السعودية إلى مستويات جديدة. وزُعم أن مسحاً أجرته الاستخبارات السعودية لآراء سعوديين متعلمين تراوحت أعمارهم بين ٢٥ و٤١ سنة في أواسط تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١، أي بعد أسبوع على البدء بحملة القصف، توصّل إلى أن ٩٥ بالمئة منهم «متعاطفون مع قضية بن لادن». وفي كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢، ذكر سفير أمريكي سابق لدى المملكة العربية السعودية، أنه «لأول مرّة منذ سنة ١٩٧٣، تبدو الولايات

المتحدة دون شعبية بالمرّة في أوساط الشعب [السعودي]، إلى حدّ أنّ الأسرة الحاكمة ترى الآن أن النأي بنفسها علناً عن الولايات المتحدة خير وسيلة لضمان أمنها». وفي الأوساط الإسلامية المتشددة، حلّقت شعبية بن لادن عالياً، ونُشر المزيد والمزيد من المؤلَّفات المعادية لأمريكا على المواقع الإلكترونية الجهادية[١].

جدّد غزوُ أفغانستان الجدل بشأن الوجود العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية، إلا أن السلطات السعودية، وإن فرضت أو تظاهرت بفرضها قيوداً على استعمال القواعد الأمريكية، لم تستطع التملّص من حقيقة أن سلاح الجوّ الأمريكي حوّل المملكةَ العربية السعودية إلى حاملة طائرات تُشَنّ منها حملة القصف على أفغانستان. وانتهز المنظّرون الجهاديون العالميون الفرصة لتعنيف النظام السعودي على تعاونه مع الأمريكيين. ولا ريب في أنّ الوضع أرّق أبناء الأُسرة الحاكمة وسرت شائعة دبلوماسية في مطلع عام ٢٠٠٢ تحدثت عن مطالب سعودية بانسحاب الولايات المتحدة من قواعدها في السعودية[٢].

الرمز المهم الآخر على معاناة المسلمين، هو مُنشأة اعتقال لمن يُشتبه في انتمائه إلى تنظيم القاعدة في القاعدة العسكرية الأمريكية في خليج غوانتنامو بكوبا. أقيم معتقل غوانتنامو في أواخر عام ٢٠٠١؛ للتعامل مع ما يسمّى «المقاتلين الأعداء» خارج سلطان القانونين الأمريكي والدولي، وأضحى مرادفاً لتعذيب المسلمين وإذلالهم.

صدمت صورُ السجناء المكبلين بالأصفاد بلباسهم البرتقالي المعروضة على شاشات التلفزة المشاهدين، وانتشرت انتشار النار في الهشيم عبر الإنترنت، وأصبحت مكوناً أساسياً غاية في الأهمية في موضوعات صور معاناة المسلمين المستخدَمة في الدعاية الجهادية

---

(١) Elaine Sciolino, «Don't Weaken Arafat, Saudi Warns Bush,» *New York Times*, 27/1/2002; «95 Percent of Saudis Supported Bin Laden's Cause,» ArabicNews.com (29 January 2002), and David B. Ottaway and Robert G. Kaiser, «Saudis May Seek US Exit,» *Washington Post*, 18/1/2002.

(٢) Ottaway and Kaiser, Ibid.

العالمية. طرح غوانتنامو موضوعاً جديداً لخطاب الوحدة الإسلامية، وعلى التحديد سَجن الأبرياء المسلمين. واستحوذت مواقع إلكترونية أسسها منظّمو حملات يطالبون بإطلاق سراح السجناء، مثل: «الأسرى» و«كايج بريزونرز» (Cageprisoners)، على جمهور قرّاء عريض. ثم قوي موضوع السجناء لاحقاً إثر افتضاح عمليات التعذيب في سجون أخرى تديرها الولايات المتحدة، مثل: باغرام (Bagram) في أفغانستان وأبو غريب في العراق[٣].

أضحى معتقل غوانتنامو قضية جوهرية عامة في المملكة، كون كثير من هؤلاء السجناء سعوديين. ساد تصوّر شعبي مفاده أن أغلب السعوديين المسجونين في غوانتنامو سُجنوا ظلماً. وفي عام ٢٠٠٢، غطّى الإعلام السعودي مقابلات عديدة مع أُسر السجناء التي شرحت كيف أن أبناءها سافروا إلى أفغانستان لأجل مزاولة تجارة أو تحصيل علم أو أي سبب آخر، فيحتجزهم الباكستانيون ويبيعونهم للأمريكيين. وكتب الإسلاميون السعوديون من الأطياف كافة عن المعتقلين. وبحلول مطلع عام ٢٠٠٢، بات كثير من السعوديين مقتنعين بأن الحرب على الإرهاب إنما هي حرب على الإسلام، وفي هذه اللحظة بالذات، قوّت القضيتان الفلسطينية والشيشانية الإحساسَ بقهر المسلمين[٤].

ففي فلسطين، شكلّت الحقبة الممتدة بين آذار/ مارس وحزيران/ يونيو ٢٠٠٢، المرحلة الأشد احتقاناً في انتفاضة الأقصى منذ أواخر عام ٢٠٠٠. على أنّ التطور الأكثر دراماتيكية في مجريات الانتفاضة ما سمّي معركة جِنين، والتي اشتُهرت في العالم العربي بـ «مجزرة جِنين». وفي مطلع نيسان/ أبريل ٢٠٠٢ خلصت بعثات تقصّي الحقائق إلى أنّ حصيلة

---

(٣) انظر على سبيل المثال: <http://www.al-asra.com>, and <http://www.cageprisoners.org>.

(٤) سلمان العودة، «مَن لأسرى المسلمين؟،» الإسلام اليوم <http://www.islamtoday.net> (٢٠٠٢)؛ «Nearly 100 Saudis Detained in Guantanamo Bay: Naif,» *Arab News*, 29/1/2002; Abdul Rahman Al-Motawa: «Carpet Trader Ends Up in Guantanamo,» *Arab News*, 17/3/2002, and «Saudi Seeks Release of Son From US Jail,» *Arab News*, 3/5/2002; «US Troops Picked up Saudi in Pakistan,» *Arab News*, 8/5/2002, and «Parents Happy over Efforts to Win Release of Guantanamo Prisoners,» *Arab News*, 31/8/2002.

القتلى على الأقل في حدود الخمسين، وهو عدد أدنى بكثير مما رواه الجانب العربي أو الفلسطيني. ومع ذلك أضحت جِنين رمزاً دائماً فائق المفعول لمعاناة الفلسطينيين القابعين تحت الاحتلال الإسرائيلي(٥).

كان في الإمكان تلمّس الحنق الشديد في المملكة العربية السعودية على إثر أحداث جِنين؛ إذْ استُدعيت قوات مكافحة الشغب في ٥ نيسان/ أبريل لتفريق متظاهرين تجمّعوا خارج القنصلية الأمريكية في الظهران. وفي ١٢ نيسان/ أبريل، نظّمت «لجنة دعم انتفاضة الأقصى» التي رئسها الأمير نايف حملة جمع تبرعات طوال ثلاثة أيام، جمعت مبلغاً كبيراً مقداره ٦٠٠ مليون ريال سعودي (١٦٠ مليون دولار) على شكل تبرّعات للفلسطينيين. وبحلول أواسط نيسان/ أبريل امتلأت منتديات الإنترنت وصفحات الرأي بإدانات مدوّية ودعوات لعمل أكثر جدّية من جمع التبرعات. وذُكر أن مبيعات المنتجات الأمريكية انخفضت في شهري آذار/ مارس ونيسان/ أبريل ٢٠٠٢ لمقاطعة كثير من السعوديين البضائع الأمريكية(٦).

في غمرة أزمة جِنين، وردت معلومة مهمة من الشيشان القضية الرمزية الأخرى لمعاناة المسلمين. ففي ٢٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢، أعلنت السلطات الروسية نبأ تصفية القائد خطّاب، القائد السعودي للمجموعة العربية في المقاومة الشيشانية، في المساء الذي تخلل يومي ١٩ و٢٠

---

(٥) *Israel and the Occupied Territories Shielded from Scrutiny: IDF Violations in Jenin and Nablus* (London: Amnesty International, 2002), p. 12.

(٦) «Al-Faisal Says Israel Commited War Crimes against Palestinians,» ArabicNews.com (19 April 2002); «A People Committee Organizes a Demonstration in al-Zahran Today, Saudi Authorities Ban Demonstration,» ArabicNews.com (5 April 2002); «Saudi Police Disperse Massive Demonstration in Support of Palestinians,» ArabicNews.com (6 April 2002); «Saudi Arabia Confirmed Arresting Abdul Hameed al-Mubarak Following Demonstration,» ArabicNews.com (16 April 2002); «Organizer of Dhahran Demo Insane: Ahmad,» *Arab News*, 16/4/2002; «SR600 Million Raised for Palestinians in Three-Day Telethon,» *Arab News*, 15/4/2002; «Saudi Donation Campaign for Palestinians is Not a Provocation to Violence: US,» ArabicNews.com (15 April 2002); Nourah al-Khereiji, «We Should Do More than Donate Money to Palestinians,» *Arab News*, 15/5/2002; «Saudis Boycott American Products and Services,» ArabicNews.com (8 May 2002), and «Saudi Arabians Boycott Coca Cola and Pepsi for Iranian Zamzam,» ArabicNews.com (23 August 2002).

آذار/ مارس. وبالنظر إلى أصل خطّاب السعودي ومكانته البطولية في الوسط الإسلامي السعودي، حظي نبأ مصرعه بانتباه عظيم في المملكة. وكتب إسلاميون معتدلون ومؤثّرون، مثل: سلمان العودة مقالات نعي تمتدح الفقيد. عمّ الحدادُ الوسطَ الجهادي، واكتظّت منتديات الجهاديين الإلكترونية في أيار/ مايو ٢٠٠٢ بتعليقات تحدّثت عن خطّاب، وبث الموقعان الإلكترونيان «صوت القوقاز» و«النداء» مقالات وصفت خطّاب «بأسد الإسلام»[(٧)].

قوّى تطوّرٌ جديد الاهتمامَ السعودي بالقضية الشيشانية، وعلى التحديد تبنّي الثوار الشيشان عمليات مدوّية وعشوائية خارج الشيشان. وُضعت الاستراتيجية الجديدة موضع التطبيق في ٢٢ أيار/ مايو بانفجار وقع في أثناء استعراض عسكري في مدينة كاسْبيسك (Kaspiisk) الداغستانية، وتصاعدت حدّة العمليات في ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢ بعملية مسرح دوبْروفْكا (Dubrovka) في موسكو (Moscow)، وتُوّجت بمجزرة بيسْلان (Beslan) في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤. ومع أن هذه الهجمات لم تؤجج بحدّ ذاتها مشاعر الوحدة الإسلامية لدى الشعب السعودي، فقد ذكّرت الوسط الإسلامي بالجهاد الشيشاني. لكنّ التطورات الشيشانية لا تقارَن بالأزمة الدولية التي نشبت في خريف العام ٢٠٠٢[(٨)].

بدأت الولايات المتحدة بتهديد العراق صراحة بالحرب في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢، على خلفية مزاعم امتلاكه أسلحة دمار شامل، وهيمنت مداولات مجلس الأمن التي تلت ذلك على وسائل الإعلام الدولية طوال أشهر. وغني عن القول إن فكرة غزو أمريكي لدولة في قلب العالم العربي والإسلامي واحتلالها مثيرة للجدل إلى حدّ بعيد في المملكة

---

(٧) سلمان العودة، «خطّاب حيٌّ يُرزَق،» الإسلام اليوم <http://www. islamtoday.net> (٢٠٠٢)؛ «القائد خطاب أسد من أسود الإسلام،» <http://www.qoqaz. com> (٢٠٠٢)؛ «عزاء من المجاهدين للأمّة بأحد أبطال الجهاد خطاب،» <http://www.alneda. com> (٢٠٠٢)، و Michael Wines, «Russia Releases Tape to Support Claim of Chechen Rebel's Death,» *New York Times*, 27/4/2002.

(٨) Mark Kramer, «The Perils of Counterinsurgency: Russia's War in Chechnya,» *International Security*, vol. 29, no. 3 (2004), p. 50ff.

العربية السعودية. وقد أولى الوسط الإسلامي عناية بالغة لما اعتبره تحضيرات لعدوان أمريكي آخر فيما تواجه الأمّةُ الإسلامية تهديدات خارجية أكثر من أي وقت مضى.

شكّل العراق قضية حساسة للغاية في نظر الحكومة السعودية، ومع أنّ الموقف الرسمي السعودي بقي محايداً، فقد كان في حقيقة الأمر غامضاً. فمن ناحية، أعربت الحكومة عن شكوكها في اعتماد الخيار العسكري حلاً لأزمة نزع الأسلحة، وصرحّت علناً برفضها السماح للأمريكيين باستخدام القواعد السعودية في حملة القصف. ومن ناحية أخرى، لم تكن المملكة في عداد أشدّ المجاهرين بمعارضتهم إسقاط صدام حسين، لكن اتضح في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ أن المملكة ستجيز للجيش الأمريكي استخدام أراضيها بشكل محدود في الحرب[٩].

بدا المناخ السياسي في المنطقة مفعماً بتوتر شديد في ربيع العام ٢٠٠٣؛ إذْ لم يسبق أن بلغ لهيبُ مشاعر معاداة أمريكا هذا المبلغ في تاريخ الشرق الأوسط. وفي وقت دفعت فيه رموزُ معاناة المسلمين في فلسطين والشيشان وأفغانستان وغوانتنامو مشاعرَ الوحدة الإسلامية إلى مستويات تاريخية، غزت الولاياتُ المتحدة العراق مقرّ الخلافة العبّاسية ومالك الاحتياطات النفطية الهائلة. لا داعي إلى أن نقول إن منظِّري الجهاد العالمي لم يجدوا صعوبة في إقناع الشباب السعودي بمحاربة أمريكا.

ثانياً: علماء القاعدة

أوجدت التطوراتُ الداخلية التي شهدتها الساحةُ الإسلامية أيضاً فرصاً سياسية للتعبئة للجهاد في المملكة العربية السعودية بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٣، وعلى الخصوص الحرب الكلامية بين العلماء الصحويين

---

(٩) «السعودية تلمّح للتعاون عسكرياً لضرب العراق،» **القدس العربي**، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٢؛ «Saudi Arabia Would Oppose a US Attack on Iraq,» ArabicNews (16 February 2001); «Al-Faisal: It is not Wise to Topple Saddam and Install Another,» ArabicNews.com (30 August 2002), and «Al-Rai al-Aam: Al-Faisal: Iraq's Acceptance of UN Inspectors Won't Change War Fever,» ArabicNews.com (19 September 2002).

القدامى ومدرسة الشُّعَيبي حيال كيفية التعاطي مع الولايات المتحدة والغرب. وبدءاً بأيلول/سبتمبر ٢٠٠١، رفع الشيخ ناصر الفهد وعلي الخُضَير ورفاقهما خطابهم الوحدوي الإسلامي إلى مستويات أعلى بكثير مصعّدين خطابهم المعادي للغرب بشكل دراماتيكي.

شكّل مشايخ مدرسة الشُّعَيبي مكوّناً مهماً في انخراط الشباب في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الحديث النشأة لتلقّيهم علماً شرعيّاً رسميّاً؛ لذلك امتلكوا سلطةَ إصدار الفتاوى والموقعَ الاجتماعي الذي يجذب الطلاب ويستبقيهم، وهو أمر لم يكن في مقدور أيديولوجيين غير محنّكين إلى حدّ ما، مثل: يوسف العُيَيْري، فعله. ومع أن الفهد والخُضَير لم ينخرطا في أنشطة عملانية ولم يكن لهما ضلع في التنظيم الذي شكّله العُيَيْري، فقد اضطلعا بدور مهم غير مباشر بتحريضهم عامة الناس.

مثّلت مرحلة ما بعد ١١ أيلول/سبتمبر فرصة للخطباء الطموحين والمفوَّهين في مدرسة الشُّعَيبي لإثبات أنفسهم في الجانب المحافظ من الساحة الإسلامية السعودية. سنحت الفرصة الأولى؛ لأنّ الساحة الإسلامية السعودية الشعبية بقيادة الشيخين الصحويَّين سلمان العودة وسَفَر الحَوالي أدانت هجمات ١١ أيلول/سبتمبر. وحتى المشايخ المحافظون في دوائر يوسف العُيَيْري في بُرَيدة، شككوا في الحكمة من تلك العملية ومشروعيتها[١٠].

ومن ناحية أخرى، سارع مشايخ مدرسة الشُّعَيبي إلى إصدار بيانات تجيز العملية وتُثني على منفّذيها كونهم شهداء. وفي وقت مبكر من يوم ١٦ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، أصدر الشيخ حمود الشُّعَيبي تصريحاً بعنوان «بيان عمّا جرى في أميركا من أحداث». وفي تشرين الثاني/نوفمبر جادل الشُّعَيبي بأنه لا ضير في إرهاب العدو في ظروف معيّنة؛ لأن ذلك منصوص عليه في الآية القرآنية الكريمة: ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠). وأتبع الشيخُ عبد العزيز الجربوع

---

(١٠) سلمان العودة، «رأي في أحداث أمريكا،» الإسلام اليوم <http://www. islamtoday.net> (٢٠٠١)، ومحمد السالم، «يوسف العُيَيْري (٢)،» مجلة **الإصلاح**، العدد ٢٢ (١٣ آب/أغسطس ١٩٩٦).

ذلك بدراسة بعنوان «التأصيل لمشروعية ما حصل في أميركا من تدمير». وفي أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢، في الذكرى السنوية الأولى لهجمات ١١ أيلول/سبتمبر، كتب الشيخ ناصر الفهد مقالة بعنوان «آيات الرّحمن في غزوة سبتمبر»، مردداً بها صدى الكتيب الكلاسيكي الذي ألّفه عبد الله عزّام بعنوان «آيات الرّحمن في جهاد الأفغان»[١١].

مثّل الغزو الأمريكي لأفغانستان فرصة أخرى لمدرسة الشُّعَيبي للاضطلاع بدور ناصر الأمّة الذي لا يعرف المساومة في مواجهة عدوان الكافرين. وبدءاً بتشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١، كتب مشايخ مدرسة الشُّعَيبي مؤلفات كثيرة تدعو المسلمين إلى اتخاذ موقف من الصراع الدائر بين الإسلام والصليبيين. أثار هؤلاء المشايخ مفهوم «الولاء والبَراء» الوهّابي للإشارة إلى أنّ الوقت قد حان ليعلن المسلمون ويُظهرون ولاءهم للإسلام وعداوتهم للكفار. مَفاد هذا المبدأ أن إعانة غير المسلمين أو مُمالأتهم بأي صورة في حربهم على الإسلام منكر عظيم وقد يكون سبباً للخروج من الملّة. وكان ذلك فحوى بيان حَظِيَ بتغطية إعلامية دوليّة صادر عن حمود الشُّعَيبي في ٩ تشرين الأول/أكتوبر بعنوان «الولاء والبَراء وواجب نُصرة طالبان وحكم من ظاهر الأمريكان عليها». تضمّن بيان الشُّعَيبي نقداً مبطّناً بالطبع لتحالف النظام السعودي مع الولايات المتحدة، ولاستخدامها القواعد الجوّية السعودية في الحرب في أفغانستان. حتى إن الشيخ ناصر الفهد صاغ هذه الرسالة بمزيد من الوضوح بعد بضعة أسابيع في كتابه «التِّبيان في كُفْر من أعان الأمريكان». ومع تردّي أوضاع نظام طالبان، أعقب المشايخ المتشددون موقفهم بسلسلة بيانات حثّوا فيها السعوديين على نصرة طالبان والإفصاح عن دعمهم السياسي للملّا عمر[١٢].

---

(١١) حمود الشُّعَيبي: «بيان عما جرى في أمريكا من أحداث،» (٢٠٠١)، «معنى الإرهاب وحقيقته،» < http://www.aloqla.com > (٢٠٠١)؛ عبد العزيز الجربوع، «التأصيل لمشروعية ما حصل في أمريكا من التدمير،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، < http://www.tawhed.ws > ، ناصر الفهد، «آيات الرّحمن في غزوة سبتمبر،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، < http://www.tawhed.ws/r?i = ktuz8sa8 >.

(١٢) انظر: حمود الشُّعَيبي: «الولاء والبَراء ووجوب نُصرة طالبان وحكم من ظاهر الأمريكان عليها،» (٢٠٠١)، و«دعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان وتعجيل الزكاة لها،» (٢٠٠١)، =

مع ذيوع صيت مدرسة الشُّعَيبي لمواقف الصقور التي اتخذوها، أثاروا مزيداً من النقاشات مع باقي الوسط الدِّيني. هاجموا الصحويين لِلين موقفهم من قضية ١١ أيلول/ سبتمبر، ودافعوا عن أنفسهم بشراسة في وجه الانتقادات الخارجية التي وُجّهت إلى كتاباتهم، ولم يتردّدوا في المجاهرة بانتقاد أعلى المشايخ الرسميين مقاماً، لكنّ هذه المناوشات الكلامية تبقى لا شيء بالنسبة إلى الجدال العنيف الذي أثاروه بعد بضعة شهور(١٣).

لم تضعف مدرسة الشُّعَيبي بوفاة مؤسسها حمود الشُّعَيبي في ١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢، بل زادتها جرأة؛ لأنه بات في مقدور الشيخ ناصر الفهد الآن طرح نفسه بديلاً، كونه الشخصية الرائدة في الجانب المتشدد من الساحة الإسلامية السعودية. وفي ربيع العام ٢٠٠٢، استغلّ الأزمة الدائرة في فلسطين ونشر كتاب وجّه فيه انتقاداً لمبادرة السلام التي أعلنها وليّ العهد الأمير عبد الله، في شباط/ فبراير ٢٠٠٢. لكنّ الشيخ ناصر الفهد كان يتحيّن الفرصة لمواجهة الصحويين الذي بقوا متمتعين بشعبية كبيرة وفي مقدّمهم الشيخ سلمان العودة الذي يرى البعض أن ناصر الفهد اعتبره خصماً له من أيام سجن الحائر في أواسط التسعينيات(١٤).

لاحت الفرصة في مطلع أيار/ مايو ٢٠٠٢، عندما وقّع الشيخ سلمان العودة والشيخ سَفَر الحَوالي والشيخ ناصر العُمَر بياناً يدعو إلى التعايش بعنوان «على أي أساس نتعايش» «How We Can Coexist» (الذي يُعرف

= <http://www.aloqla.com> ؛ حمود الشُّعَيبي، علي الخُضَير وسليمان العلوان: «خطاب لأمير المؤمنين محمد عمر والمجاهدين معه،» (٢٠٠١)، و«خطاب إلى كافّة علماء باكستان،» (٢٠٠٢). انظر أيضاً: ناصر الفهد، «التبيان في كفر من أعان الأمريكان،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws/r?i=3b5bz0v8>.

لمعرفة المزيد عن مبدأ الولاء والبراء، انظر: Joas Wagemakers, «Framing the «Threat to Islam»: Al-wala' wa al-bara' in Salafi Discourse,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 30, no. 4 (2008).

(١٣) عبد العزيز الجربوع، «لم آمر بها ولم تسُؤني ـ ردّ على مقال الشيخ سلمان،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)؛ ناصر الفهد، «وقفات مع الوقفات،» (٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>؛ حمود الشُّعَيبي: «مقدمة ردّ على وزير الشؤون الإسلامية صالح آل الشيخ،» (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net>، و«بيان عما حصل من لَبْس في شروط الإفتاء،» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

(١٤) ناصر الفهد، «التبيان في مخاطر التطبيع على المسلمين،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

أيضاً «بيان المثقفين»). جاء البيانُ الذي وقّعه ١٥٣ شيخاً ومثقفاً ومهنياً سعودياً ردّاً على تصريح بعنوان "What We Are Fighting For" صادر عن مجموعة مؤلفة من ستين مثقفاً أمريكياً في شباط/ فبراير ٢٠٠٢. مثّلت اللهجة التصالحية للبيان السعودي نقيض مبدأ «الولاء والبَراء» الذي نادت به مدرسة الشُّعَيبي، فسارع المشايخ المتشددون إلى استغلال موقف الصحويين «الليّن» ولمّا يكد ينقشع غبار معركة جِنِين. شنّ علي الخُضَير هجوماً قاسياً على الموقّعين واصفاً إياهم «بالمخذِّلين المنهزمين». وشهد شهر أيار/ مايو سيلاً متواصلاً من تصاريح صادرة عن مشايخ متشددين أدانوا فيها البيان بعامة ومشاركة الصحويين فيه بخاصة[١٥].

دفع الضغطُ السياسي عدداً من الموقّعين إلى سحب دعمهم، زاعمين أنهم لم يقرؤوا البيان كاملاً قبل توقيعه. والقادة الصحويون الثلاثة الذين عجزوا عن تقديم أعذار سيئة مشابهة، أصدروا «بياناً توضيحياً» أرادوا منه طمأنة جمهورهم على تمسكهم الحازم بمبدأ «الولاء والبراء»، ما يعني من الناحية الفعلية التنصّل من المضمون الأساس للبيان الأصلي. وأملاً بإماتة القضية، أزال الشيخُ سلمان العودة البيان الأصلي فضلاً عن البيان التوضيحي من النسخة العربية للموقع الإلكتروني (الإسلام اليوم) (لكنه ترك البيان الأصلي على الموقع في نسخته الإنكليزية). لقد مُني القادة الصحويون بهزيمة سياسية[١٦].

لكنّ مشايخ مدرسة الشُّعَيبي لم يترددوا في ركل خصم سقط أرضاً، فنشر علي الخُضَير رسالة سخر فيها من «البيان التوضيحي». ولئن لاذ

---

(١٥) انظر: منصور النقيدان، «قصة بيان المثقفين السعوديين،» إيلاف، ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢، وعلي الخُضَير [وآخرون]، «إحياء ملّة إبراهيم والردّ على المخذِلين المنهزمين،» (٢٠٠٢)، <http://www.alkhoder.com>.

انظر أيضاً: «How We Can Coexist,» (Islam Today, 2002), <http://en.islamtoday.net/artshow-417-2953.htm>; «What We are Fighting for-A Letter from America,» (Institute for American Values, 2002), <http://www.americanvalues.org>, and Stéphane Lacroix, «Islamo-Liberal Politics in Saudi Arabia,» in: Paul Aarts and Gerd Nonneman, eds., *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London: Hurst, 2005), p. 48.

(١٦) ميرزا الخُوَيلدي، «قصة بيان المثقفين السعوديين: دعوة التعايش التي سقطت ضحية الحوار الداخلي،» **الشرق الأوسط**، ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢.

الشيخ ناصر الفهد بالصمت في أيار/ مايو فقد بات مستعداً لتوجيه ضربة قاضية في كتاب من ٤٠٠ صفحة صدر في حزيران/ يونيو ٢٠٠٢، بعنوان «التنكيل بما في بيان المثقفين من أباطيل». وفي الشهر التالي، أنهى حملته الكلامية على موقعي «بيان المثقفين» بمقالة ذكّر فيها القرّاء بصراحة بأن «من لم يكفّر الكافر فهو كافر»؛ أي إنه لا يوجد مكان وسط على الإطلاق في الصراع بين الإسلام والغرب، ولا في المواجهة الجديدة التي برزت في خريف عام ٢٠٠٢[١٧].

أتاح تزايدُ الاحتقان الدولي بشأن العراق فرصةً أخرى للشيخ ناصر الفهد ورفاقه لجذب الانتباه إلى خطابهم غير المُهاوِد. تبنّوا لهجة أصْرح هذه المرة لأن انتصاراتهم السياسية على الصحوة أكسبتهم مزيداً من الثقة بالنفس. بدأ الهجوم الكلامي في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر، عندما أصدرت مجموعة من سبعة مشايخ متشددين، في مقدمهم الشيخ ناصر الفهد، فتوى ذكرت صراحة أن كل من يمدّ يد العون للأمريكيين أو لحلفائهم في هجوم يُشَنّ على العراق يكون كافراً. كان تحذيراً واضحاً للنظام في قضية القواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في المملكة. وفي مطلع تشرين الثاني/نوفمبر، سعى الشيخ عبد الرّحمن البرّاك، أحد دعاة الوحدة القلائل في الجانب المحافظ في الساحة الإسلامية، إلى تهدئة الوضع قليلاً، بصياغة بيان عبّر عن رسالة مشابهة بلغة ليّنة، وأقنع كلاً من القادة الصحويين والشيخ ناصر الفهد بتوقيعها، إلى جانب أكثر من ٥٠ شيخاً آخر. وقّع الشيوخ الصحويون البيان طواعية، توقاً إلى الظهور في موقف المتشدّد حيال أمريكا، بعد المَهانة التي نزلت بهم في الربيع. وقّع الشيخ ناصر الفهد أيضاً، لكنه لم يشأ أن يكون بيانُ البرّاك الكلمةَ الختامية في القضية، فنشر بعد وقت وجيز كتابه **الحملة الصليبية في مرحلتها الثانية: حرب العراق**؛ استكمالاً للكتاب الذي صدر في سنة

---

(١٧) علي الخُضَير، «ردّ الشيخ علي الخُضَير على البيان التوضيحي لخطاب التعايش،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)؛ ناصر الفهد: «التنكيل بما في بيان المثقفين من أباطيل،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، و«حول قاعدة من لم يكفّر الكافر فهو كافر،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

سابقة عن حرب أفغانستان بعنوان «فتوى في كُفر من أعان الأمريكان على المسلمين في العراق». وأتبع الفهدُ كتابه مزيداً من المقالات التي انتقد فيها المناورات السياسية الأمريكية في مجلس الأمن، والتي رأى فيها تحضيرات لشنّ هجوم تحت ستار واهٍ[(١٨)].

تحدثت تقارير صحافية دولية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢، عن صفقة سرّية بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة تجيز لهذه الأخيرة استعمال القواعد الجوية في المملكة. وفي الوقت عينه تقريباً، كما سنرى أدناه، بدأت الشرطة بتلمّس تحرّك ما في عامّة المنتمين إلى الوسط الجهادي. رأى النظام أن مواعظ الفهد ورفاقه لم تعد مصدر إزعاج على هامش الساحة الإسلامية، بل أصبحت تهديداً أمنياً.

في أواخر شباط/ فبراير ٢٠٠٣، وكجزء من محاولة واسعة النطاق لضبط الوسط المتشدد قبل حرب العراق، قررت السلطات اعتقال الشيوخ القادة في مدرسة الشُّعَيبي. لكنّ ناصر الفهد وعلي الخُضَير وأحمد الخالدي فرّوا وتوارَوا عن الأنظار. اختبؤوا طوال الشهور الثلاثة التالية في إحدى ضواحي المدينة المنوّرة، وبقَوا على تواصل مع أتباعهم عبر الإنترنت إلى أن أُلقي القبض عليهم في ٢٧ أيار/ مايو ٢٠٠٣.

لم يعد لديهم شيء يخسرونه بعد أن أصبحوا خارجين على القانون؛ وصار في مقدورهم التعليق من دون حرج على حملة القمع التي تقوم بها الحكومة وعلى الحال في العراق. وليس بالأمر المفاجئ إذاً أن المشايخ كتبوا أشد كتاباتهم جنوحاً إلى التشدّد خلال هذه المدة، وكرروا رسالتهم في مطلع آذار/ مارس بعبارات أوضح هذه المرّة، والتي فحواها أن إعانة الغزو الأمريكي تعني الردّة عن الدِّين؛ وأصدروا عدة

---

(١٨) انظر: ناصر الفهد: «فتوى في كفر من أعان الأمريكان على المسلمين في العراق،» (٢٠٠٢)، <http://www.al-fahd.com> ؛ «الحملة الصليبية في مرحلتها الثانية: حرب العراق،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، و«تعدو الذئاب على من لا كلاب له،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

انظر أيضاً: عبد الرّحمن البرّاك [وآخرون]، «بيان من علماء دين السعودية،» (٢٠٠٢)، <http://www.mafhoum.com>.

فتاوى بشأن نواحٍ عديدة متصلة بحرب العراق. وفي وقت لاحق، أفتى الفهد بجواز مهاجمة الأهداف الأمريكية خارج العراق. وفي أواخر أيار/ مايو ٢٠٠٣، أصدر الشيخ ناصر الفهد أحد آخر بياناته، وأشدها صدمة للجمهور الغربي، بعنوان «رسالة في حكم استخدام أسلحة الدمار الشامل ضدّ الكفار»، وبالتالي، خلّف مشايخ مدرسة الشُّعَيبي وراءهم تركة من مؤلفات شديدة المغالاة في معاداة أمريكا أجازت استعمال الوسائل كافة، وفي سائر الأماكن، في جهاد الصليبيين[١٩].

بديهي أن تجذب فتوى استخدام أسلحة الدمار الشامل كثيراً من الانتباه في الغرب. وتجدر الإشارة إلى وكالة الاستخبارات المركزية التي اعتقدت وقتذاك أن إصدار الفتوى جاء استجابة لطلب محدد من مسؤولين كبار في القاعدة، استعداداً على الأرجح لشنّ هجوم يوقع عدداً كبيراً من الضحايا لكنه ألغي لسبب ما. وقال مسؤول رفيع سابق في الوكالة - في مقابلة مع المؤلف - إن أدلة سرية دامغة تساند هذه الفرضية[٢٠].

نشر علماء الدِّين الثلاثة المتمردون بيانات أجازت استعمال العنف في ضرب أهداف غربية وقوى الأمن السعودية داخل المملكة العربية السعودية. وأصدر الشيخ ناصر الفهد فتوى مفادها أن تأشيرة الزيارة ليست ضمانة أمنية (عقد أمان) للوافدين الغربيين إلى المملكة. بدحض «حجة تأشيرة الزيارة»، وهي الحجة الرئيسة التي تسلّح بها رجال الدِّين

---

(١٩) انظر: علي الخُضَير، ناصر الفهد وأحمد الخالدي، «نصيحة في بيان حكم من والى الكفّار وأعانهم في حربهم على المسلمين وكلام على الراية،» (٢٠٠٣)، <http:// www.alkhoder.com>؛ ناصر الفهد: «حول أحاديث السفياني،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)؛ «حول أحاديث القحطاني،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)؛ «حكم مجاهدة الأمريكان خارج العراق،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، و«رسالة في حكم استخدام أسلحة الدمار الشامل ضدّ الكفّار،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws>.

انظر أيضاً: Reuven Paz, «Global Jihad and WMD: Between Martyrdom and Mass Destruction,» *Current Trends in Islamist Ideology*, vol. 2 (September 2005).

(٢٠) مقابلة مع رولف موات لارسن، كامبريدج، ماساشوستس، حزيران/ يونيو ٢٠٠٩، و George Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA* (New York: HarperCollins, 2007), pp. 272-274.

المعتدلون في رفض محاربة الغرب بوسائل عنيفة داخل المملكة، صرّح الفهد بأنّ الغربيين في المملكة أهداف مشروعة للعنف. وفي ٧ آذار/ مارس ٢٠٠٣، نشر الشيخ ناصر الفهد وعلي الخُضَير وأحمد الخالدي رسالة بعنوان «إليكم أيها المجاهدون»، نصحوا فيها «كل المطلوبين والمحتجزين» بالتحلّي بالصبر والثبات، ونصحوا كل من لم يُحتجز «بمواصلة العمل باسم الله». ونُشرت رسالة أخرى في اليوم ذاته خاطبت «الرجال في المباحث» محذّرة الأجهزة الأمنية من مغبّة «ملاحقة المجاهدين الذين يؤدون فرض الجهاد واعتقالهم لأن ذلك من أجلّ الخدمات التي تؤدَّى للصليبيين»، وأن «كل من يعين الصليبيين على المجاهدين كافر مرتدّ». شكلت هذه الفتاوى عاملاً فائق الأهمية في تعبئة الشباب للانخراط في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ لأنه صار في إمكان وكلاء التجنيد استخدامها في تبديد شكوك المجنَّدين المحتملَين والمقاتلين المترددين في المستويات المتدنية في التنظيم[٢١].

تبقى طبيعة العلاقة بين مشايخ مدرسة الشُّعَيبي والشبكات العملانية التابعة لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب الحديث النشأة غير واضحة المعالم. فمن ناحية، كان هناك اتصال وتفاعل شخصي بالتأكيد، فكان العُيَيْري يرعى علاقات وثيقة بهؤلاء المشايخ منذ عام ١٩٩٩ على الأقل، ونشر رسائلهم بانتظام على الموقع الإلكتروني النداء الذي أشرف عليه بدءاً بأواخر عام ٢٠٠١. وكثير ممن تتلمذوا على هؤلاء المشايخ انخرطوا في صفوف القاعدة في جزيرة العرب لاحقاً. فعقب نشر قائمة بأسماء تسعة عشر مسلّحاً مطلوباً في ٨ أيار/ مايو ٢٠٠٣، أصدر المشايخ بياناً أكدوا فيه معرفتهم الشخصية بالرجال المطلوبين (وشددوا على أنهم من قدامى المجاهدين وليسوا إرهابيين). وبالإضافة إلى ذلك، لا بدّ من أنّ

---

(٢١) ناصر الفهد، «هل تُعتبر تأشيرة الفيزا عقدَ أمان؟،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws/r?i=wi56w3c5>.

للاطلاع على «حجة الفيزا»، انظر: عبد الله الرشيد، «انتقاد الاعتراض على تفجيرات الرياض،» <http://www.qa3edoon.com> (٢٠٠٣)، و Stéphane Lacroix, «Le Champ politico-religieux en Arabie Saoudite après le 11 septembre,» (Master's Thesis (memoire de DBA), Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2003).

المشايخ أحسّوا بأن شيئاً ما في طور الاختمار عندما توارَوا عن الأنظار بين شهري شباط/ فبراير وأيار/ مايو ٢٠٠٣[٢٢].

ومن ناحية أخرى، الاتصال لا يعني التورّط بالضرورة؛ فالراجح أن المشايخ لم يعرفوا أو لم يَشَاؤوا معرفة التفاصيل المتصلة بالتخطيط العملاني. كان الشيخ ناصر الفهد ورفاقه شخصيات عامة نشطت في الجانب الأيديولوجي في التيار الإسلامي السعودي، وليس في النشاط السرّي المسلّح. وليس لدينا مؤشرات في مؤلفات القاعدة في جزيرة العرب على أنّ هؤلاء المشايخ شاركوا في التخطيط العملاني أو في الدعم اللوجستي بشكل مباشر، أو في الجهود التجنيدية الجارية في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣. فلم تكد تمضي بضعة أيام على هجمات ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣ حتى أصدر المشايخ الهاربون الثلاثة بياناً، ادّعوا فيه جهلهم بوجود هيكل تنظيمي من أي نوع في المملكة. زد على ذلك أنّ المشايخ المسجونين الثلاثة ظهروا في تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ على شاشات التلفزة معلنين توبتهم وراجعين عن فتاواهم السابقة، قائلين إنهم لم يتفطّنوا لعواقب بياناتهم. ومع أنّ أغلب المعلقين اتفقوا على عدم صدق الشيخ ناصر الفهد في توبته، بدا علي الخُضَير صادقاً فيها، والراجح أن يوسف العُيَيْري وشبكة القاعدة العملانية في جزيرة العرب، لم يخطرا المشايخ بتفاصيل أنشطتهما العسكرية ومداها. وكتب الاستراتيجيون العسكريون في التنظيم في وقت لاحق عن الحاجة إلى إبقاء علماء الدِّين بعيدين عن البنية التحتية لتنظيم جهادي[٢٣].

---

(٢٢) وعلى سبيل المثال، تتلمذ عبد اللطيف الخُضَيري وتركي الفُهَيد المسلّحان في القاعدة في جزيرة العرب على يد الشيخ علي الخُضَير. انظر: سعد العنزي، «عبد اللطيف بن حمد الخُضَيري،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٧ (٢٠٠٤)؛ **الشرق الأوسط**، ١٨/٦/٢٠٠٣، وعلي الخُضَير، ناصر الفهد وأحمد الخالدي، «بيان في نُصرة المجاهدين الذين نُشرت أسماؤهم وصورهم،» (٢٠٠٣)، <http://www.alkhoder.com>.

(٢٣) انظر: علي الخُضَير، ناصر الفهد وأحمد الخالدي، «بيان حول الحدث،» (٢٠٠٣)، <http://www.alkhoder.com>، وورد في: Lacroix, Ibid.; Muhammad al-Harbi, «Khudair Repents Supporting Terror Attacks,» *Arab News*, 18/11/2003; Khaled al-Awadh, «Another Scholar Recants,» *Arab News*, 23/11/2003, and Adnan Malik, «Third Saudi Cleric Renounces Militancy,» Associated Press (14 December 2003).

انظر أيضاً: مقابلات أجراها المؤلف مع سعود السرحان ويوسف الدِّيني. وقد أصدر الشيخ =

مع أن مشايخ مدرسة الشُّعَيبي لم يكونوا طرفاً، على الأرجح، في البنية التحتية التي أقامها يوسف العُيَيْري، فقد سهّلوا تجنيد الشباب وتعبئتهم في صفوف تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حديث النشأة في عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣ بطرق مهمة عديدة:

أولاً، أسهموا في زيادة المواقف المعادية للغرب في الوسط الدِّيني السعودي. فبطرح خطاب مغالٍ في معاداة أمريكا، وتوزيعه بكفاءة عالية جداً عبر الإنترنت، وسّع الشيخ ناصر الفهد ورفاقه دائرةَ المجنَّدين المحتملين في النشاط الجهادي العالمي في المملكة العربية السعودية.

ثانياً، وفّرت الفتاوى مبرّراً شرعياً لقتل الغربيين، فضلاً عن عناصر أجهزة الأمن السعودية إذا تدخّلت، وهذا التجويز هو كل ما احتاج إليه تنظيم القاعدة في جزيرة العرب لشنّ حملته العسكرية. كان الشيخ ناصر الفهد والشيخ علي الخُضَير شيخين لامعَين وفصيحَين تلقيا تعليماً شرعياً رسمياً وتبحّرا في صنوف المعرفة. لذلك حازت فتاواهم وزناً أكبر من وزن فتاوى مشايخ من الرتبة الثانية برزوا في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب لاحقاً، مثل: الشيخ عبد الله الرُّشود والشيخ فارس الزهراني.
أخيراً، آذن تصعيدُ خطاب مدرسة الشُّعَيبي السلطاتِ السعودية بأنّ الاستعدادات جارية لافتعال حوادث أمنية.

ثالثاً: مِن فَرضِ الأمن باللين إلى فَرْضِه بالقوة

العامل المحرك الرئيس الثالث الذي أتاح الفرص السياسية للجهاديين العالميين في المملكة العربية السعودية، التشدّد النسبي في فرض الأمن في الوسط الجهادي في أواخر عام ٢٠٠٢. فعلى مدى عام تقريباً بعد ١١ أيلول/سبتمبر، خلا فرض الأمن من المواجهات نسبياً كما كانت عليه الحال منذ سنة ١٩٩٩ تقريباً. وإن اعتُقل بعض الأشخاص، فإن ذلك لم يندرج في سياق محاولة ممنهجة لاجتثاث

= ناصر الفهد، في وقت لاحق، بياناً من السجن رجع فيه عن رجوعه. انظر: ناصر الفهد، «التراجع عن التراجع المزعوم،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٥)، وعبد العزيز المقرن، **دورة التنفيذ وحرب العصابات**، (كتاب إلكتروني ٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>.

شبكات القاعدة في المملكة خلال هذه المدة، ولم يتمّ التعامل مع العائدين من أفغانستان كمصدر تهديد أمني خطير. وأغلب من تمّ اعتقاله لم يلبث في السجن مدة طويلة، ولم يُسجن بعض العائدين أصلاً، ولكن طُلب إليهم إبلاغ مراكز الشرطة المحلّية عن أنشطتهم، ولم تُخضع الأجهزةُ الأمنية أغلبَ المشتبه بهم للمراقبة عقب إطلاق سراحهم، وتم اعتقال بعض أبرز المسلّحين والناشطين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وإطلاق سراحهم في عام ٢٠٠٢[٢٤].

عندما عوتب ضباط الشرطة السعوديون على فشلهم في احتجاز أشخاص تولّوا تسيير أنشطة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق، جادلوا بأنه ما كان في اليد حيلة؛ لأنه لم يكن لهؤلاء المسلّحين سوابق جرمية. بيد أن الاهتمام الظاهري بالحقوق القانونية للمحتجزين كان غير مُقْنع، والتفسير الأرجح هو رداءة المعلومات الاستخباراتية؛ إذْ لم تجد الشرطة سجلات للمحتجزين في كثير من الحالات؛ والعامل الآخر هو السياسة المحلّية، ذلك أنه صعُب على النظام زجّ قدامى المجاهدين في السجون في المناخ الوحدوي الإسلامي الذي ساد عام ٢٠٠٢. والسبب الثالث هو التقييم الخاطئ بأنّ العائدين سيندمجون في مجتمعهم كما فعل أغلب الجهاديين الكلاسيكيين في الماضي، ولن يتورّطوا بأعمال عنف على التراب السعودي. لكن غاب عن المؤسسة الأمنية أن العائدين السعوديين جانحون إلى التشدد بطرق مختلفة كثيراً

---

(٢٤) «Saudi Security Forces Arrest Several Sympathizers with Osama Bin Laden,» ArabicNews.com (22 October 2001); «Yemen Extradites 21 Saudi Fugitives,» *Arab News*, 28/10/2001; «Sanaa Hands over to Riyadh a Saudi Belongs to al-Qaida,» ArabicNews.com (28 February 2002); «Saudi Arabia Handed over 16 al-Qaida Members from Iran,» ArabicNews.com (13 August 2002), and Faisal Saeed, «Al-Qaeda Suspects Won't be Extradited to US: Saud,» *Arab News*,13/8/2002.

انظر أيضاً: فواز النشمي، «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي)،» **صوت الجهاد**، العدد ١٨ (٢٠٠٤)؛ ابن الموصل، «استشهاد أحد شباب الجوف في بلاد الرافدين،» <http://topforums.net> (٢٠٠٥)، و Hasin al-Binayyan, «Al-Qaeda Arrests «Idle Speculation»,» *Arab News*, 12/11/2001, and «Riyadh Frees 160 Returnees from Afghanistan,» *Arab News*, 18/6/2002.

من المسلّحين الذين اعتُقلوا وأُخلي سبيلهم عام ٢٠٠٠ عبد الإله العُتيبي ومساعد السُّبَيعي وناصر الخالدي وعيسى العوشن وطالب الطالب.

عما حصل لقدامى المجاهدين السابقين. ومال كبار المسؤولين إلى اعتبار المخططات السابقة العائدة إلى عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٢ من تدبير عملاء خارجيين، ولذلك لم يتوقّعوا حملة كبرى يباشرها سعوديون(٢٥).

وللأسباب عينها، تبنّت قطاعات مهمة في المؤسسة الأمنية السعودية موقفاً رافضاً لإمكانية انخراط سعوديين في صفوف القاعدة أو لاحتمال وجود القاعدة أصلاً في المملكة. إن السجلات العامة حافلة ببيانات غريبة لمسؤولين سعوديين كبار في هذه المسألة في عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٢. فقد أفصح عدد من المسؤولين السعوديين علناً عن شكوكه في مسؤولية أسامة بن لادن عن هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر بعد عدة شهور من وقوعها. ففي كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١، نفت السفارة السعودية في باكستان علمها بمقتل سعوديين في أفغانستان. وفي أواخر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، صرّح وزير الداخلية الأمير نايف بنبرة جادة بأنه ليس للقاعدة صلات بالمملكة. وفي آب/ أغسطس ٢٠٠٢، ذكرت الشرطة أنه ليس للأشخاص الذين اعتُقلوا في المملكة في الشهور السابقة صلات بالقاعدة. وفي أواخر صيف عام ٢٠٠٢، وربما بسبب تكشّف معلومات عن المخططات في ربيع وصيف عام ٢٠٠٢ تغيّر الموقف قليلاً في قطاعات من الوسط الاستخباري على الأقل(٢٦).

في خريف عام ٢٠٠٢، مالت مقاربة المؤسسة الأمنية مع الوسط الجهادي بالتدريج إلى خيار المواجهة. كتبت المعارضة المقيمة بلندن في رسالتها الإخبارية «الإصلاح» في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: «صدرت قائمة بأسماء أشخاص مطلوبين ينتمون إلى التيار الجهادي، وأمرت

---

(٢٥) مقابلة أجراها المؤلف مع منصور التركي المتحدّث باسم وزارة الداخلية، الرياض، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧.

(٢٦) انظر على سبيل المثال: «Saudi Official Denies Bin Laden to Have Been Involved in Saudi Explosions,» ArabicNews.com (30 October 2001); Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA*, p. 234; «Riyadh Denies Killing of Saudis in Afghanistan,» ArabicNews.com (7 December 2001); Khaled Al-Maeena and Javid Hassan, «Prince Naif Denies Al-Qaeda Links in Kingdom,» *Arab News*, 21/10/2001, and «None Arrested in Kingdom Have Direct Link to Al-Qaeda,» *Arab News*, 27/8/2002.

الشرطة باعتقالهم وبإطلاق النار بنية القتل عليهم إذا رفضوا تسليم أنفسهم». وبحلول أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢، زُعم أنّ السلطات السعودية احتجزت نحو مئة شخص، على خلفية الاشتباه بأن لهم صلات بالإرهاب[٢٧].

ردّ الجهاديون بالطريقة ذاتها، وذُكر أن علماء دين متشددين أصدروا فتاوى في مجالسهم الخاصة تحضّ المطلوبين على عدم تسليم أنفسهم وعلى حمل السلاح للدفاع عن النفس. وشهد شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢ أول تبادل لإطلاق النار بين مسلّحين سنّة ورجال شرطة منذ عام ١٩٧٩. كسرت هذه المواجهاتُ المبكرة الحواجزَ التي كانت تمنع من استخدام العنف في المملكة، ورصّت صفوف تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الحديث النشأة، وأضفت على مشروع «الجهاد في الجزيرة العربية» طابعاً ملحّاً داخل الوسط الجهادي[٢٨].

هناك عوامل عديدة دفعت في اتجاه تغيير المقاربة التي تعتمدها المؤسسة الأمنية: **أول** هذه العوامل اكتشاف محاولات لمهاجمة قاعدة الأمير سلطان الجوية ورأس تنّورة في ربيع وصيف العام ٢٠٠٢ (راجع الفصل التالي)، ما أقنع قطاعات في المؤسسة الأمنية بأن التهديد واقعي. والعامل **الثاني** هو الضغوط الأمريكية الهائلة على النظام السعودي لاعتماد موقف أشدّ من القاعدة. والعامل **الثالث** هو الزيادة الملحوظة في النشاط الجهادي، بدءاً بأيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢ مع عودة المجاهدين من أفغانستان، وتفاقم حدّة الخلاف بشأن العراق، وتبلور شبكة العُيَيْري.

لكنّ الزيادة المعتدلة في قساوة الطرق التي تستخدمها المؤسسة

---

(٢٧) **الإصلاح**، العدد ٣٣٤ (٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢)؛ «Prince Nayef: More than 100 Convicts under Terrorism Charges,» ArabicNews.com (21 November 2002), and «Saudi Opposition: Hunger Strike by Detained Islamists,» ArabicNews.com (4 January 2003).

(٢٨) **الإصلاح**، العدد ٣٣٤ (٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢). لم يتضح على التحديد من أصدر تلك الفتاوى، لكن الراجح أنه شخص من مدرسة الشُّعَيبي، مثل الشيخ ناصر الفهد أو علي الخُضَير. ويقال إن الشيخ حمود العقلا الشُّعَيبي أصدر فتوى مشابهة قبل وفاته في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢. انظر: **الإصلاح**، العدد ٣٤٠ (١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢)، ومقابلة أجراها المؤلف مع منصور النقيدان.

الأمنية صبّت في خدمة التعبئة عوضاً عن احتواء التهديد الأمني؛ لعدم اتساق حملات القمع وعدم شمولها. وبعبارة بسيطة، كانت مقاربة المؤسسة الأمنية صدامية بما يكفي للتأثير في نوايا المسلّحين بإذكاء إحساسهم بأنهم ضحايا، واعتقادهم بضرورة تسريع مشروعهم، لكنها لم تكن فاعلة بما يكفي لتقويض قدراتهم العملانية.

من منظور الجهاديين، آذنت حادثتان نوعيتان في أواخر عام ٢٠٠٢ بانتهاء الهدنة المؤقتة السائدة مع المؤسسة الأمنية بعد عام ١٩٩٩. **الأولى** هي ما تسمى حادثة «الإفتاء» في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢. توجّهت مجموعة ضمّت نحو ١٠٠ إسلامي شاب، وفي مقدّمهم عبد الله الرُّشود وأحمد الدُّخَيِّل المنظران المستقبليان لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، إلى دار الإفتاء في الرياض ـ بعد أن تملّكها الإحباط من عدم استعداد العلماء الرسميين لمعالجة قضايا الساعة السياسية الملتهبة ـ لمواجهة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية بعدد من المسائل المثيرة للجدل. تصدّت شرطة مكافحة الشغب للمجموعة عند المدخل ورُفض طلبها الاجتماع بالمفتي. لكنّ مقدّمي الطلب رفضوا المغادرة، وبعد أخذ وردّ، أُذن لنحو ٥٠ شخصاً بالدخول. لكنّ اجتماعهم بالمفتي كان قصيراً جداً؛ فغادروا محبَطين لعدم التعامل معهم بجدّية. وعقب مغادرة مجمّع دار الإفتاء اعتقلت الشرطةُ عدداً كبيراً منهم، لكنّ الرشود والدُّخَيِّل استطاعا الإفلات والتواري عن الأنظار. وكنتيجة مباشرة لحادثة الإفتاء، عمد بعض الجهاديين إلى حمل السلاح لغرض الحماية الشخصية[٢٩].

وقعت الحادثة الفاصلة **الثانية** بعد أسبوعين، عندما أطلق مسلّح ما وصفه الصحافي فارس بن حزام «الرصاصةَ الأولى» على ضابط في الشرطة السعودية. وفي ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر تمكنت الشرطة من

---

(٢٩) عبد الله الرشود، «بيان حول أحداث الإفتاء،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>. انظر: **الإصلاح**: العدد ٣٣٩ (٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢)، والعدد ٣٤٠ (١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢)؛ وبندر الدُّخَيِّل، «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٨ (٢٠٠٤)، ص ١٤ ـ ١٥.

تحديد مكان المشتبه به محمد السَّحيم بتتبّع مكالماته الهاتفية. اجتمع السَّحيم في منزل بحيّ الشفا في الرياض ومعه عدد ممن أصبحوا مسلّحين مشهورين بعد وقت وجيز، منهم فيصل الدُّخَيّل وبندر الدخيّل وناصر السيّاري للاستماع إلى أحمد الدُّخَيِّل. وفي أثناء اقتحام الشرطة للمنزل، جرى تبادل لإطلاق النار وأصيب محمد السحيم بطلقة في رجله اليمنى وأُلقي القبض عليه، ولاذ المسلّحون الباقون بالفرار بواسطة سيارة. وأوردت مجلة **صوت الجهاد** التابعة للقاعدة في جزيرة العرب ما جاء في الحادثة على الوجه الآتي:

«وفي رمضان وقعت حادثة الشفاء، وهي أول مواجهة مسلحة بين الشباب من مجاهدين ومتعاطفين معهم وبين كلاب المباحث وأزال الله بها حاجز الخوف لدى الناس، وكان الشباب يستدعون إلى المباحث بالهاتف فيذهبون إليها باختيارهم ولا يفكرون بالمقاومة أو التخفي إلا من رحم الله، فجاءت هذه الحادثة محفزاً لهم على حمل السلاح والدفاع عن دينهم وأنفسهم»[٣٠].

اشتدّ الاحتقان بدءاً بتلك الحادثة، وفي مطلع كانون الأول/ ديسمبر صدرت قائمة سرّية جديدة بأسماء مطلوبين، وشهدت الشهور التالية سلسلة من المواجهات المسلّحة. ففي أواسط شباط/ فبراير ذُكر أنه اعتُقل أكثر من ٤٠٠ شخص للاشتباه بعلاقتهم بالقاعدة. ولم يغب تغيّر المقاربة السعودية في مكافحة الإرهاب عن الولايات المتحدة التي أثنت على «الجهد الجديد»[٣١].

في أواخر شباط/ فبراير ٢٠٠٣، بلغت المواجهة مستوى جديداً باعتقال

---

(٣٠) **الحياة**، ٢٥/ ١/ ٢٠٠٥؛ الدُّخَيِّل، المصدر نفسه؛ **الإصلاح**: العدد ٣٤١ (١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢)، والعدد ٣٤٢ (٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢)؛ انظر أيضاً: رواية ناصر السيّاري في فيلم «بدر الرياض»؛ **الرياض**، ١٩/ ١١/ ٢٠٠٢؛ «Operations in Riyadh in Search for al-Qaida Members, 8 Saudi Soldiers Wounded in Clashes,» ArabicNews.com (18 November 2002), and «Saudi Ministry Denies Wounding of Security Men in Clashes with Bin Laden's Supporters,» ArabicNews.com (19 November 2002).

(٣١) **الإصلاح**، العدد ٣٤٩ (١٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣)؛ «Prince Nayef Announces Bringing 90 Saudis to Court over Joining al-Qaida,» ArabicNews.com (2003), and «Powell Welcomed Declared Saudi Measures on Fighting Terrorism,» ArabicNews.com (2002).

المشايخ الذين اشتُبه في مساعدتهم الجهاديين. ومع أن بعض المشايخ المتشددين مُنعوا من الخطابة في أواخر عام ٢٠٠٢، فقد مثّل سجنهم تصعيداً دراماتيكياً. بدأت موجة الاعتقالات في ٢٠ شباط/ فبراير باحتجاز الشيخ حمد الحُميدي في الزلفي. وفي ٢٧ شباط/ فبراير اعتُقل شيخ يدعى أسامة عقيل الكوهجي في الرياض. وفي ١ آذار/ مارس قامت الشرطة بمحاولة غير موفقة كما أسلفنا لاعتقال ناصر الفهد وعلي الخُضَير وأحمد الخالدي. كما بدأ علماء آخرون مثل سليمان العلوان بتلمّس حرارة الوضع وزُعم أنهم توارَوا عن الأنظار مدة من الزمن في أواسط آذار/ مارس. وفي مطلع أيار/ مايو خُفِّف الضغط عن العلماء بعض الشيء، وربما لانتهاء الأعمال العدائية الرئيسة في العراق، فأُخلي سبيل الشيخ حمد الحُميدي في ٦ أيار/ مايو، وذُكر أنه سُمح لسليمان العلوان بالتدريس من جديد. لكنّ الضرر وقع، ورأى المسلّحون الآن أنهم تجاوزوا نقطة اللاعودة[٣٢].

وقعت الحادثة التي سبقت حملة القاعدة في جزيرة العرب مباشرة في ١٨ آذار/ مارس ٢٠٠٣، عندما سُمع دويّ انفجار في منزل غير معروف في منطقة الجزيرة في الرياض. وعندما عاينت الشرطةُ مكان الانفجار تبيّن لها أنها في أحد مخابئ المسلّحين. دُمّر المنزل بعد أن انفجرت قنبلة قبل أوانها كانت ستُستخدم في عملية كبيرة في الرياض. عثر المحقّقون على مخزن كبير للأسلحة، وعلى وثائق كثيرة تشير إلى وجود خلية توشك أن تشنّ حملة عنيفة. كما عثروا على بقايا شخص تُوفي بالانفجار في أثناء تركيب القنبلة على ما يبدو، وتبين أن صانع القنبلة العاثر الحظ هو فهد الصاعدي العائد حديثاً من أفغانستان[٣٣].

باكتشاف هذا المخبأ في حيّ الجزيرة بالصدفة وضعت المؤسسة الأمنية يدها على طرف خيط قادها إلى الشبكة المسلّحة التي كانت تخطط لحملة ربيع ٢٠٠٣. وقعت عدة اشتباكات في الأسابيع الستة التالية،

---

(٣٢) **الإصلاح**: العدد ٣٥٥ (٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٣)؛ العدد ٣٥٦ (٣ آذار/ مارس ٢٠٠٣)، والعدد ٣٥٨ (١٧ آذار/ مارس ٢٠٠٣)، و Lacroix, «Le Champ politico-religieux en Arabie Saoudite après le 11 septembre».

(٣٣) **الشرق الأوسط**، ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣؛ **الإصلاح**، العدد ٣٥٩ (٢٤ آذار/ مارس ٢٠٠٣)، وفواز النشمي، «فهد بن سمران الصاعدي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٦ (٢٠٠٤).

وداهمت الشرطة يوم ٢٣ آذار/ مارس منزلاً في حيّ الريان شرقيّ الرياض، وألقت القبض على عدد من الأشخاص. وفي ٥ نيسان/ أبريل اعتقلت الشرطة شخصاً ألمانياً اعتنق الإسلام ويُشتبه في انتمائه إلى القاعدة اسمه كريستيان غانزارسكي (Christian Ganczarski). وفي ٢٢ نيسان/ أبريل جرى تبادل كثيف لإطلاق النار غربيّ الرياض عندما حاولت الشرطة إلقاء القبض على مجموعة من المسلّحين في استراحة بوادي لبن، وتمكن المسلّحون من الفرار بعد تبادل قصير لإطلاق النار. وفي نهاية نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ بدت الصورة الاستخبارية قاتمة للغاية، إلى حدّ أن السفارة الأمريكية في الرياض حذّرت رسمياً من احتمال وقوع هجمات إرهابية وشيكة[٣٤].

أشدّ الاكتشافات إثارة للفزع ذلك الذي تحقّق في ٦ أيار/ مايو ٢٠٠٣، عندما داهمت الشرطة مخبأ الناشط في القاعدة تركي الدَّنْدني في الرياض. وبعد تبادل لإطلاق النار تمكنّ المسلّحون خلاله من الفرار أجرت الشرطة تفتيشاً روتينياً للمنزل. وبالإضافة إلى الموجودات «المعتادة» ـ متفجرات، أسلحة، مال، وثائق مزوَّرة وما إلى ذلك ـ عثرت الشرطة على شيء باعث على القلق بحقّ: عثرت على وصايا مكتوبة لانتحاريِّين. وبعد أن أدركت السلطات أنه لم يعد لديها المزيد من الوقت لتخسره، نشرت قائمة بأسماء تسعة عشر مطلوباً وصورهم في ٨ أيار/ مايو، وشرعت في بحث محموم عن الانتحاريِّين، لكن بعد فوات الأوان بكل أسف[٣٥].

(٣٤) **الإصلاح**: العدد ٣٥٩ (٢٤ آذار/ مارس ٢٠٠٣)، والعدد ٣٦٤ (٢٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣)؛ M. Ghazanfar Ali Khan, «German Arrested in Riyadh for Alleged Al-Qaeda Link,» *Arab News*, 6/4/2003; *Der Spiegel*, 12/5/2003; Roger Harrison, «US Warns of Terror Plans, but Kingdom has no Information,» *Arab News*, 1/5/2003, and «US Warns Citizens of Al-Qaeda Threat,» *Arab News*, 3/5/2003.

(٣٥) «غزوة الحادي عشر من ربيع الأول: عملية شرق الرياض وحربنا مع أمريكا وعملائها،» <http://www.qa3edoon.com> (٢٠٠٣)، ص ٤٦؛ Raid Qusti, «Al-Qaeda Plot Foiled,» *Arab News*, 8/5/2003; Javid Hassan, «SR 300,000 Offered for Capture of Fugitives,» *Arab News*, 9/5/2003; Douglas Jehl, «Saudis Seek 19 Suspected of Terrorist Plot,» *New York Times*, 10/5/2003, and «Checkpoints Set up near Riyadh to Track Down Terror Suspects,» *Arab News*, 10/5/2003.

الفصل الثامن

المجاهدون في شبه الجزيرة العربية

«اليوم قد بدأ إخوانكم وأبناؤكم من أبناء الحرمين الجهاد في سبيل الله لإخراج العدو المحتل من بلاد الحرمين»

أسامة بن لادن(*)

«إن ما نقوم به اليوم من عمل ضد أعداء الله من الأمريكان وغيرهم في بلاد الحرمين، إنما هو استجابةً لله عز وجل، واستجابةً لنداء رسوله صلى الله عليه وسلم بأن قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»»

محمد الشِّهري(**)

(*) أسامة بن لادن، «بيان إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب،» (١٩٩٦).

(**) محمد الشِّهري، شريط فيديو استشهادي، في: «وصايا البطل: شهداء الحرمين،» (فيلم، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣).

بإطلاق أسامة بن لادن حملة القاعدة في جزيرة العرب في أيار/ مايو ٢٠٠٣، عاد إلى القضية الأصلية لمشروعه الجهادي العالمي، وتحديداً طرد القوات الأمريكية من المملكة العربية السعودية. كما عنى إطلاق الحملة أن قيادة القاعدة تراجعت عن قرار إرجاء عملياتها العسكرية في المملكة عام ١٩٩٨، وعنى أيضاً استعداد التنظيم للتضحية بأهم قواعد جمع الأموال والمجنَّدين لديه، لماذا حصل هذا التغيير؟ وكيف طبّق تنظيمُ القاعدة استراتيجيته الجديدة؟

أولاً: العودة من أفغانستان

عندما اصطدمت الطائرات ببرجَي مركز التجارة العالمي، وبمبنى وزارة الدفاع الأمريكية في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، كان أسامة بن لادن ورفاقه على دراية تامة بأن غزواً أمريكياً لأفغانستان بات وشيكاً؛ لذلك قاموا ببضع خطوات تحضيرية، بدءاً بوضع خطط إخلاء معسكرات التدريب في حالات الطوارئ، وانتهاءً بخطوات استراتيجية مثل اغتيال أحمد شاه مسعود قائد تحالف الشمال في ٩ أيلول/ سبتمبر. وما إن تأكّد نبأ هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر حتى أخلت قيادةُ القاعدة معسكرات التدريب الرئيسة لديها، وبدأت بتوزيع المجندين الأجانب على الوحدات العربية المنتشرة على الجبهات العسكرية لحركة طالبان. أكمل تنظيم القاعدة والوسط العربي الذي تعزّز موقفه بالمقاتلين المتطوّعين الذين شرعوا بالتوافد على أفغانستان في أواخر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ إجراءاته الأخيرة للدخول في صراع عسكري واسع النطاق. يبدو أن بن لادن كان متفائلاً بالفعل في هذه المرحلة لأنه اعتقد أن الولايات المتحدة ستغرق في مستنقع حرب عصابات في أفغانستان و«تنزف حتى

الموت»، مثل الاتحاد السوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي[1].

عندما استهلّ التحالف بقيادة الولايات المتحدة عملية «الحرّية الدائمة» في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١، اتضح بعد وقت وجيز أن المجاهدين العرب وقوات طالبان لن تقوى على الصمود أمام حملة فتاكة؛ جناحيها القصف الجوّي الغربي والقوات البرّية التابعة لتحالف الشمال. في الواقع، أساء تنظيم القاعدة تقدير طبيعة التدخل الأمريكي وليس تقدير قوته فقط. وجد المقاتلون العرب الذين توقّعوا انتشاراً واسع النطاق للقوات البرّية الأمريكية أنهم يواجهون عدواً مراوغاً لا تطاله أسلحتُهم. وفي ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر دخلت قوات تحالف الشمال العاصمة كابل منهية بذلك الشطر التقليدي للحرب. وفي غضون شهرين تمكن ١١٠ ضباط في الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) و٣٥٠ عنصراً من القوات الخاصة الأمريكية بالإضافة إلى سلاح الجو والحلفاء الأفغان و٧٠ مليون دولار من إسقاط نظام طالبان في ما وصفه الرئيس بوش «بأكبر صفقة في التاريخ»[2].

انهارت البنية التحتية العسكرية للمجاهدين العرب، وتسارعت عملية إلغاء مركزية تنظيم القاعدة بعد معركة تورا بورا (Tora Bora) وسقوط قندهار (Kandahar) في أواسط كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١. توارى أسامة بن لادن وأيمن الظواهري عن الأنظار في المناطق الحدودية، وتسلّل آخرون إلى باكستان، وواصل آخرون القتال. وفي كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير ٢٠٠٢ أعاد أغلب من تبقّى من المقاتلين العرب والذين

---

(١) سيف العدل، «رسالة إلى أهلنا في العراق والخليج خاصة وأمّتنا الإسلامية عامّة،» (٢٠٠٣)، <http://www.drasat.com>؛ Peter L. Bergen, *The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader* (New York: Free Press, 2006), pp. 311 and 326; Alan Cullison and Andrew Higgins, «Forgotten Computer Reveals Thinking behind Four Years of al Qaeda Doings,» *Wall Street Journal*, 31/12/2001; «Testimony of Detainees-CSRT,» 1002; Gary Berntsen and Ralph Pezzullo, *Jawbreaker: The Attack on Bin Laden and Al Qaeda: A Personal Account by the CIA's Key Field* Commander (New York: Crown, 2005), p. 128, and Alan Cullison, «Inside Al-Qaeda's Hard Drive,» *Atlantic Monthly* (September 2004).

(٢) Tom Downey, «My Bloody Career,» *Observer*, 23/4/2006; «Operation Enduring Freedom-Operations,» <http://www.globalsecurity.org/military/ops/enduring-freedom-ops .htm>, and Bob Woodward, *Bush at War* (New York: Simon and Schuster, 2002), p. 317.

ناهز عددهم ٦٠٠ - ٧٠٠ مقاتل جمع صفوفهم في منطقة شاهي كوت (Shahi Kot) بإقليم باكتيا (Paktia)، وردّت القوات بقيادة الولايات المتحدة على ذلك بعملية أناكوندا (Anaconda) في آذار/ مارس ٢٠٠٢. وكانت معركة شاهي كوت التي دارت رحاها من ٣ إلى ١٨ آذار/ مارس المواجهة الأخيرة التي شاركت فيها أعداد كبيرة من المقاتلين العرب في أفغانستان. وبحلول أواسط آذار/ مارس ٢٠٠٢ تقطّعت أوصال البنية التحتية للقاعدة في أفغانستان، ووجد التنظيم أو ما بقي منه نفسه في وضع استراتيجي جديد تماماً[٣].

غيّر غزوُ أفغانستان بقيادة الولايات المتحدة البيئةَ العملانية لتنظيم بن لادن بطرق أساسية ثلاث، **أولاها**؛ وأهمها خسارة التنظيم أهم أرصدته، وعلى التحديد أرضه في أفغانستان؛ فلأول مرة منذ تأسيس التنظيم لم يعد يملك مكاناً آمناً يعقد فيه لقاءاته للتخطيط لعملياته بهدوء وتدريب المجندين الجدد. **والثانية**؛ أن المقاتلين العرب بعامة وقيادة القاعدة بخاصة باتوا ملاحَقين في أفغانستان وباكستان أكثر من أي وقت مضى. **أخيراً**؛ بات تنظيم القاعدة يواجه صعوبات فائقة في تحريك عناصره وأمواله ورسائله عبر الحدود والمسافات بسبب الإجراءات الأمنية العديدة والتعاون الدولي في ما يسمى «الحرب على الإرهاب».

أرغم الواقعُ الجديد قيادةَ القاعدة على إعادة النظر في هيكلية التنظيم واستراتيجيته، ولا سيما في المملكة العربية السعودية. ولطالما كان طردُ الصليبيين من شبه الجزيرة العربية هدفاً مركزيّاً للاتجاه الجهادي العالمي، والمفهومَ الذي تعهّدته قيادة القاعدة منذ زمن طويل. كان رأي بن لادن في الحقبة الممتدة بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠١ أن ضرر حملة إرهابية في الجزيرة العربية سيكون أكبر من نفعها؛ بالنظر إلى

---

(٣) انظر: عبد العزيز حافظ، «أحداث شاهي كوت: روايةً وتحليلاً،» (أيار/ مايو ٢٠٠٢)، <http://www.alemarh.com>.

انظر أيضاً: Paul Hastert, «Operation Anaconda: Perception Meets Reality in the Hills of Afghanistan,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 28, no. 1 (2005); Sean Naylor, *Not a Good Day to Die* (London: Penguin, 2005), and Michael Scheuer, *Imperial Hubris: Why the West is Losing the War on Terror* (Washington, DC: Brassey's, 2004), p. 92.

أهمية المملكة العربية السعودية، كونها منبعاً للمجندين والمال والأيديولوجيا.

إلا أنّ البيئة الاستراتيجية الجديدة التي استجدّت في أواخر عام ٢٠٠١ بدّلت تحليل التكلفة والخسائر؛ إذْ قلّ نفع المملكة كمصدّر للمال والمجندين؛ لأن طرد تنظيم القاعدة من أفغانستان حرمه من متطوعين سعوديين جدد، بينما صار تتبّع الحوالات المالية التي يرسلها المانحون السعوديون الموسرون أسهل بكثير. وفي الوقت عينه، زادت الجاذبية النسبية للمملكة كمسرح للعمليات؛ لأن الجهاديين في عام ٢٠٠٢ كانوا أقلّ عرضة للملاحقة الجادّة في المملكة منها في أي بلد آخر في المنطقة، ما عدا اليمن.

لم يدرك تنظيمُ القاعدة في الحال مدى التغيّرات التي أحدثها الغزو؛ إذْ استمرّ تحريض السعوديين إلى تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١ على مغادرة المملكة والتوجه إلى أفغانستان للمشاركة في قتال الأمريكيين. ولم يعدل أسامة بن لادن عن رأيه إلّا في أواخر عام ٢٠٠١، وذلك عائد جزئياً إلى نفاذ صبر المجاهدين السعوديين. وفي أواخر تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١ سرى إحساس بفقدان الثقة بجدوى القتال في أفغانستان في نفوس المقاتلين السعوديين في المراتب المتوسطة، وسألوا بن لادن أن يأذن لهم بالعودة إلى الجزيرة العربية وتنفيذ عمليات هناك(٤).

ألحّت قاعدة هرم تنظيم القاعدة منذ وقت طويل على البدء بتنفيذ عمليات في المملكة العربية السعودية، وكان فهد الصاعدي الذي تقدّمت الإشارة إليه متشوّقاً إلى ذلك، ولذلك عاد من أفغانستان إلى المملكة قُبَيل ١١ أيلول/سبتمبر لتقييم فرص تنفيذ عمليات فيها. وكانت القوة الدافعة الأخرى لإعلان الجهاد في الجزيرة العربية هو متعب المُحيّاني الذي قاد لاحقاً خلية مهمة للقاعدة في جزيرة العرب بمكّة المكرّمة. في أواخر صيف عام ٢٠٠١، ذُكر أنه أقسم ومجموعةً من أصدقائه الذين

(٤) فواز النشمي، «فهد بن سمران الصاعدي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٦ (٢٠٠٤).

تعرّف إليهم في معسكر الفاروق على إعلان الجهاد في المملكة العربية السعودية يوماً ما. وأشارت مصادر أخرى إلى قَسَم مشابه في كانون الثاني/ يناير أو في شباط/ فبراير ٢٠٠٢:

بقي حيدرة يقاتل الصليبيين مع إخوته إلى حين الانسحاب من قندهار. . . ثم أقسم حيدرة مع بعض إخوته على العمل في الجزيرة العربية لتطهيرها من المشركين، كان متعب المُحيّاني في عداد تلك المجموعة. وصل الأبطال إلى الجزيرة العربية التي تاقت لقدومهم، كان متعب أحد مؤسسي العمل داخل الجزيرة. وبدءاً باليوم الأول شرع البَطَلان متعب وطلال في العمل في إحدى المجموعات التحضيرية.

وبالمثل، ذكر العضو في القاعدة في جزيرة العرب خالد الفرّاج أنه ذهب إلى أفغانستان بعد ١١ أيلول/ سبتمبر؛ حيث تلقّى عرضاً من رفاقه السعوديين «بالعمل داخل المملكة العربية السعودية». وأضاف «عدت لاحقاً والتحقت بالخلايا هناك عقب اتصالي بهم»[٥].

زادت ضغوط مقاتلي القاعدة السعوديين من الرتب المتدنية والمتوسطة لإعلان الجهاد في المملكة العربية السعودية بعد أواسط كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١؛ لأنهم رَأَوا في إصدار قادة طالبان أمراً بالانسحاب من قندهار إلى شاهي كوت نهاية المقاومة المُجدية في أفغانستان. وكما كتب تركي المُطَيري في وقت لاحق «تبلّغنا الأمر بالانسحاب، فغادرنا وقررنا العمل على ضرب القواعد الخلفية للعدو في بلاد محمد». توحي السِيَر في مجلة **صوت الجهاد** بأن بعض السعوديين الذين كانوا في أفغانستان وعادوا للاضطلاع بأدوار رئيسة في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الحديث النشأة كانوا في قندهار في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١، وأنهم انتقلوا إلى شاهي كوت في مطلع العام ٢٠٠٢. لذلك، شكّلت الروابطُ الاجتماعية التي نشأت خلال هذه التجربة

---

(٥) المصدر نفسه؛ محمد المكي، «متعب المُحيّاني،» **صوت الجهاد**، العدد ٤ (٢٠٠٣)؛ أسامة النجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٧ (٢٠٠٤)؛ «عامر الشِّهري.. همّة وأنَفة وثبات حتى الشهادة،» **صوت الجهاد**، العدد ١٢ (٢٠٠٤)، و P. K. Abdul Ghafour, «Al-Qaeda Controls Young Operatives by Torture Threats,» *Arab News*, 23/9/2004.

المشتركة عاملاً مهماً في تشكيل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في ما بعد[٦].

بينما ألحّ بعض المقاتلين السعوديين على العمل في المملكة العربية السعودية ما إن ساءت الأمور في أفغانستان، فقد ثبتت غالبية السعوديين إلى أن أعطى أسامة بن لادن شخصياً أمراً بالمغادرة. يبدو أن هذا الأمر صدر في وقت ما خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام ٢٠٠٢. ذكر كاتب سيرة تركي الدَّنْدني أحد أهم قادة القاعدة في جزيرة العرب:

«قابله أحد الإخوة في زرمت وهي آخر محطة كانت له في أفغانستان وقال له: ألا تريد أن تنزل مع إخوانك ـ أي إلى خارج أفغانستان فقد صدر لهم الأمر بالخروج، فدمعت عيناه وقال: ما عرفت الحياة الحقيقيّة إلا عند هؤلاء الأبطال، ولكن في آخر الأمر نزل وكان ذلك أمراً أُمِرَ به من الأمير»[٧].

في مطلع ربيع عام ٢٠٠٢، بدأت مجموعة صغيرة من المقاتلين الأجانب بالخروج من أفغانستان والعودة الى أوطانها. فرّ بعض السعوديين عبر إيران؛ حيث احتُجزوا عدة أسابيع أو شهور قبل السماح لهم بالمغادرة، وفرّ بعضٌ آخر عبر باكستان. كانت رحلة العودة مُجهدة للبعض؛ إذْ أُدخلوا السجن في أكثر من بلد، واستقبلتهم الأجهزة الأمنية السعودية بفتور عقب وصولهم إلى المملكة. ودخل آخرون البلد بهدوء[٨].

كان تنظيم القاعدة جاداً كثيراً بشأن استراتيجيته الجديدة. ويبدو أن الخطة الأصلية قضت بإيفاد سيف العدل نفسه القائد العسكري الأول

---

(٦) «تركي بن فُهَيد المُطَيري،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٠ (٢٠٠٤).

(٧) ابن الموصل، «استشهاد أحد شباب الجوف في بلاد الرافدين،» (٢٠٠٥) <http:// topforums.net>؛ «علي المعبدي الحربي.. بطل بدر الرياض،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٤ (٢٠٠٤)؛ أبو هاجر الجوفي، «سيرة شهيد: تركي الدَّنْدني... عزيمة وشجاعة،» **صوت الجهاد**، العدد ٧ (٢٠٠٤)، و Downey, «My Bloody Career».

(٨) بندر الدُّخَيِّل، «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٨ (٢٠٠٤)؛ فواز النشمي، «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي)،» **صوت الجهاد**، العدد ١٨ (٢٠٠٤)؛ «قبيلة عتيبة تزفّ أحد أبنائها الشهداء،» **صوت الجهاد**، العدد ٤ (٢٠٠٤)، وعبد الله السُّبَيعي، «مُساعد السُّبَيعي: رجل في زمن قلّ فيه الرجال،» **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤).

للقاعدة عقب مصرع محمد عاطف إلى المملكة لإدارة الجهد العسكري. لم يتمكن العدل من الوصول إلى غايته؛ لأنه احتُجز في إيران بعد فراره من أفغانستان، لكن عُثر على ممتلكاته الشخصية لاحقاً في مخبأ للقاعدة في الرياض[٩].

بحلول أيار/ مايو ٢٠٠٢، عادت غالبية المجاهدين السعوديين الذين بقوا أحياء إلى المملكة وكانوا بين الثلاثمئة والألف. كان الشباب الذين أعادهم بن لادن إلى ديارهم متشوقين للعمل، وباتوا في حاجة الآن إلى ضمان التنسيق في التخطيط لجهودهم وتنفيذها باحتراف. وفي أواخر ذلك الشهر زُعم أن وكالة الأمن القومي الأمريكية اعترضت رسالة احتوت على أوامر من أسامة بن لادن إلى يوسف العُيَيْري بالبدء بالتحضير لحملة شاملة في المملكة العربية السعودية. والتقى جورج تينيت (George Tenet)، مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، بالأمير بندر السفير السعودي لدى واشنطن، وقال له: «أخبار سيئة، بدّل بن لادن محطّ اهتمامه، الآن جاء دوركم، الهدف هو المملكة العربية السعودية»[١٠].

ثانياً: الناشري وهجمات القاعدة الفاشلة في عام ٢٠٠٢

عندما أعطت قيادةُ القاعدة الضوء الأخضر لتنفيذ عمليات في المملكة في مطلع عام ٢٠٠٢، كان هناك الكثير من الشبكات والخلايا شبه المستقلة التي تعمل بالتوازي على مشاريع مختلفة داخل البلاد. وبينما اعتمد يوسف العُيَيْري ورفاقه مقاربة طويلة الأجل، ركّزت على بناء التنظيم وتجنيد العناصر في هذه المرحلة، آثر آخرون العمل الفوري وأكملوا خطط العمليات أصلاً في عام ٢٠٠٢. تميّزت عامة العمليات المستقلة التي وُضعت خططها في هذه المرحلة بنطاقها المحدود نسبياً، لكنّ بعضها كانت أكثر طموحاً بلا شك.

---

(٩) مراسلات إلكترونية أجراها المؤلف مع نواف عُبَيد، ١٦ آذار/ مارس ٢٠٠٧، و«Summary of Evidence for Combatant Status Review Tribunal- al-Shib, Ramzi bin,» (US Department of Defense, 2007), p. 2.

(١٠) Ron Suskind, *The One Percent Doctrine: Deep Inside America's Pursuit of its Enemies since 9/11* (New York: Simon and Schuster, 2006), pp. 146-147.

أولى النُّذر التي أشارت إلى أن تنظيم القاعدة وضع عينيه على المملكة العربية السعودية، ظهرت في مطلع أيار/ مايو ٢٠٠٢، بالعثور على أنبوب فارغ لصاروخ أرض جو يُطلق من الكتف بالقرب من قاعدة الأمير سلطان الجوية. لقد استطاع شخص اختراق المحيط الأمني وأطلق صاروخاً في محاولة يُفترض أنها استهدفت إسقاط طائرة حربية أمريكية. وفي أواسط أيار/ مايو حددت السلطات السعودية هوية المشتبه به الرئيس بأنه سوداني من قدامى المجاهدين في أفغانستان، يُدعى أبا حذيفة، القادم حديثاً إلى المملكة. وفي ١٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢ أعلن وزير الداخلية السعودي اعتقال المشتبه به السوداني، فضلاً عن شخص عراقي، وأحد عشر مواطناً سعودياً على صلة بالمخطط. قيل إن أبا حذيفة قاد خلية للقاعدة في المملكة ضمّت ستة من الأشخاص السعوديين المعتقلين. واتُّهم العراقي والسعوديون الخمسة الباقون بإخفاء الرجل السوداني وتهريبه إلى خارج البلاد عبر العراق على ما ذُكر. وزُعم أن المشتبه بهم حصلوا على متفجرات وعلى صاروخين من اليمن. وتبيّن لاحقاً أن الصواريخ التي استُخدمت في قاعدة الأمير سلطان الجوية، كانت من حزمة الصواريخ ذاتها التي ينتمي إليها الصاروخ الذي أُطلق على الطائرة الإسرائيلية في مدينة مومباسا (Mombasa) في كينيا (Kenya)، في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢[١١].

لا يزال الغموض يكتنف الكثير من جوانب مخطط الصواريخ الذي نفّذه أبو حذيفة، بما في ذلك اسمه الحقيقي. ربما يتكهّن المرء بأنه الشخص نفسه كاتب «رسالة من أبي حذيفة إلى أبي عبد الله» المهمة جداً في عام ٢٠٠٠، والتي تشاور فيها جهادي مقيم بالمملكة العربية السعودية مع أسامة بن لادن بشأن استراتيجية مستقبلية للقاعدة في المملكة. لكنّ أبا حذيفة كُنية شائعة استخدمها في الماضي مسلّحون كثر

---

(١١) الحياة، ١٩/٦/٢٠٠٢؛ Jamie McIntyre: «FBI Warns Portable Missiles a Threat,» CNN.com (31 May 2002), and «Officials Man May Have Fired on US Planes,» CNN.com (12 June 2002; «Kingdom Arrests 7 Al-Qaeda Men,» *Arab News*, 19/6/2002; «Saudis Arrest al-Qaeda Suspects,» BBC News Online (18 June 2002); «Saudis Bar Access to Terror Suspects,» 19 June 2002, <http://www.cbsnews.com/2100-500164_162-512580.html>, and John J. Lumpkin, «Evidence Growing that al-Qaida Sponsored Kenya Attacks,» Associated Press (3 December 2002).

منهم سعوديون، والشيء الآكد هو أنّ خلية أبي حذيفة عملت بشكل مستقل نسبياً عن شبكتي الناشري والعُيَيْري. ولا تظهر العملية على القوائم الطويلة الصادرة عن السلطات الأمريكية والسعودية التي تعدد العمليات التي زُعم أن عبد الرحيم الناشري خطط لها في عام ٢٠٠٢. كما لم ترد إشارة إلى اسم أبي حذيفة ولا إلى حادثة الصواريخ ذاتها في منشورات القاعدة في جزيرة العرب، إلا أنه بصرف النظر عن حقيقة مخطط الصواريخ، كان للإعلان عن الاعتقالات في ١٨ حزيران/ يونيو أهمية بالغة لأنه شكّل أول اعتراف علني من قبل السلطات السعودية منذ أواسط التسعينيات بوجود مسلّحين ينشطون في المملكة، وعلى صلة ببن لادن. بيد أنه كان في البِركة سمكة أكبر بكثير من أبي حذيفة(١٢).

رأس الحربة في الجهود العملانية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب عام ٢٠٠٢ كانت الشبكة التي ترأسها عبد الرحيم الناشري. عمل الناشري لدى بن لادن منذ عام ١٩٩٧، واحتل مرتبة النجومية في القاعدة لأنه العقل المدبّر الذي خطط للهجوم على المدمّرة الأمريكية يو أس أس كول (USS Cole) عام ٢٠٠٠، ولإشرافه على عدة عمليات أخرى داخل الجزيرة العربية وفي محيطها. فرّ الناشري من أفغانستان إلى اليمن عبر باكستان في ربيع عام ٢٠٠٢، وزُعم أنه «أشرف [من هناك] على المسائل التجنيدية واللوجستية، مثل شراء الأسلحة والتخطيط لموجة جديدة من الهجمات في المنطقة». إذا أردنا الحكم بناء على المعلومات الصادرة عن السلطات السعودية والأمريكية، نجد أن الناشري كان منشغلاً للغاية في عام ٢٠٠٢. وتزعم سيرة للناشري صادرة عن وزارة الدفاع الأمريكية (US Defense Department)، أنه كان ضالعاً في مخطط لصدم طائرة بسفينة غربية في ميناء راشد (في الإمارات العربية المتحدة) عام ٢٠٠٢، وفي مخطط لمهاجمة سفن حربية في مضيق هرمز وفي ميناء دبي، فضلاً عن عملية استهدفت ناقلات النفط التي تعبر مضيق جبل طارق. كما ذكرت

(١٢) «Letter from Abu Hudhayfa to Abu Abdallah [AFGP-2002-003251],» (Department of Defense Harmony Database), and «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay,» Press Release, Office of the Director of National Intelligence (6 September 2006).

السيرة، التي يُفترض أنها اعتمدت على تحقيقات قاسية مع الناشري نفسه، أن له ضلعاً في خطط لشنّ هجمات على «أهداف أرضية»، في المغرب وقطر والمملكة العربية السعودية(١٣).

لا تعرف الأوساطُ العامة نطاق أنشطة الناشري داخل المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٢، وطبيعته الدقيقة، لكنّ السلطات الأمريكية والسعودية تحدثت عن عدة مخططات واسعة النطاق. من ذلك أن السلطات السعودية ادعت أن الناشري خطط لعدة هجمات في المملكة عام ٢٠٠٢، أهمها الهجوم على قاعدة تبوك الجوية، وعلى منشأة النفط في رأس تنورة، وعلى وزارتي الداخلية والدفاع، وعلى مجمّع للوافدين في جدّة. وأكدت مصادرُ أمريكية هذه القائمةَ المسهبة بالمخططات المزعومة. لكن يتعيّن التعامل مع هذه المزاعم بحذر؛ لأن الناشري مثل باقي «المحتجزين ذوي القيمة العالية» عُذّبوا على يد آسريهم الأمريكيين. زد على ذلك، أنّ المرء يتعجّب من قدرة شخص واحد على الضلوع في هذا العدد الكبير من العمليات في هذا الوقت الوجيز(١٤).

المؤامرة الوحيدة التي وُصفت بشيء من التفصيل في وسائل الإعلام، هي المخطط المزعوم لمهاجمة رأس تنورة في أواخر صيف عام ٢٠٠٢. ففي ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢ ذكرت محطة آي بي سي نيوز (ABC News) أن الاستخبارات الأمريكية والسعودية أحبطت هجوماً كبيراً على المنشأة النفطية برأس تنورة. ونقلت عن مصادر استخباراتية حديثها عن احتجاز «عدة عشرات» من المشتبه بهم، لكن جرى التكتّم على وجود المخطط «للإحراج الذي قد يسببه للحكومة السعودية ولتأثيره المحتمل في أسعار النفط». وتبين لاحقاً أنّ المشتبه بهم موظفون في

---

(١٣) Philip Shenon, «A Major Suspect in Qaeda Attacks is in US Custody,» *New York Times*, 22/11/2002, and «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay».

(١٤) Alan Sipress and Peter Finn, «Terror Cell had Recent Gun Battle with Police,» *Washington Post*, 14/5/2003; «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay,» and «Verbatim Transcript of Combatant Status Review Tribunal Hearing for ISN 10015,» (2007), <http://www.defenselink.mil>.

شركة أرامكو (Aramco) النفطية، لكن لم يُكشف النقاب أبداً عن الطبيعة الدقيقة للعملية[١٥].

الظاهر أن الناشري أدى دورَ المشرف ولم يشترك في العمليات بنفسه. وبالنظر إلى مكانة الناشري وسجله السابق، ليس واضحاً تماماً إن كان قد جازف بدخول المملكة في هذه الحقبة، لكننا نعرف أنه كان في أفغانستان وباكستان في مطلع عام ٢٠٠٢، وفي اليمن في أواسط عام ٢٠٠٢، وفي الإمارات العربية المتحدة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢. لكنّ العدد الهائل للعمليات المزعومة وأحجامها ونطاقها الجغرافي، يجعلنا نستغرب من قدرته على تمضية الكثير من الوقت في التخطيط المفصل لهجمات داخل المملكة. وهذا يقتضي أن يكون الناشري قد اعتمد بشدة من دون شك على أتباع في الداخل. والظاهر أن الشخصين الرئيسين اللذَين تواصل معهم في هذه الحقبة كانا خالد الجُهَني وخالد الحاج (الملقّب بأبي حازم الشاعر). كما أن أوثق شركاء الناشري خارج المملكة كان صديقه القديم وليد بن عطّاش (الملقّب بخلّاد) المقيم بباكستان. وبحسب السلطات الأمريكية، انتقل خلّاد من أفغانستان إلى كراتشي في مطلع عام ٢٠٠٢؛ حيث خدم كهمزة وصل بين القيادة العليا للقاعدة والشبكة الناشطة في المملكة العربية السعودية. وزُعم أيضاً أنه ساعد على انتقال الناشطين من جنوب آسيا وجنوب شرق القارّة إلى شبه الجزيرة العربية. وذُكر أيضاً أنّه أعان خالد شيخ محمد على تجنيد الخاطفين السعوديين لمخطط القاعدة الرامي إلى خطف طائرات لمهاجمة مطار هيثرو (Heathrow)[١٦].

المثير في الأمر، أنّ الناشري عمل بشكل مستقل تقريباً عن يوسف العُيَيْري وشبكته. نشير أولاً إلى أن منشورات القاعدة التي تُكثر من ذكر

---

(١٥) John McWerthy, «Pipeline Targeted,» ABCNews.com (14 October 2002).

في وقت لاحق، بيّنت التقارير اعتقال بين سبعة إلى عشرة أشخاص، بما في ذلك اعتقال أمريكي من أصل سعودي، انظر: Tabassum Zakaria, «American in Qaeda Cell in Oil Co.-Saudi Official,» Reuters (17 October 2003)

(١٦) «New Al Qaeda Terror Chief in Persian Gulf,» FoxNews.com (1 October 2003), and «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay».

الأسماء وتفاصيل الأحداث لم تتطرّق إلى عبد الرحيم الناشري ولا إلى وليد بن عطاش أو خالد الجهني. وهذا يوحي بأنّه لم يكن لرجال الناشري صلة وثيقة برجال العُيَيْري إلى ربيع عام ٢٠٠٣، على الأقل.

السبب الآخر الذي يدعونا إلى الاعتقاد بأن الشبكتين عملتا بشكل منفصل، هو عدم تأثر شبكة العُيَيْري بمراقبة الشرطة لخالد شيخ محمد رئيس عمليات القاعدة في أواخر عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣. ففي خريف عام ٢٠٠٢، قادت عمليةٌ استخباراتية بقيادة سويسرا إلى تحديد الأرقام الهاتفية التي يستعملها شيخ محمد، ما مكّن الاستخبارات الأمريكية من رسم فروع شبكته وتتبّع عناصرها. وقد أفادت هذه العملية في تنفيذ سلسلة عمليات اعتقال بالغة الأثر في هذه الحقبة. وفي ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢ أُلقي القبض على عبد الرحيم الناشري في الإمارات العربية المتحدة في أثناء توجهه إلى ماليزيا. وفي ساعات الصباح الأولى من ١ آذار/ مارس أُلقي القبض على خالد شيخ محمد في روالبندي (Rawalpindi). وفي ٢٩ نيسان/ أبريل عام ٢٠٠٣ جرى القبض على وليد بن عطاش في كراتشي (Karatchi). ويُزعم أن التحقيقات قادت إلى كشف خلايا للقاعدة داخل المملكة. لكن اللافت عدم تأثّر شبكة العُيَيْري بشكل ملحوظ(١٧).

بناءً على ما تقدم، يتبيّن أن الفصل بين الشبكات عمل مقصود وجزء من استراتيجية ذكية ذات مسار مزدوج للحملة الجهادية التي شنّها تنظيم القاعدة في المملكة العربية السعودية. في الواقع، كان للفصل بين الناشري والعُيَيْري مزايا عديدة، **أولها** إنه في حال انهيار إحدى الشبكتين تتوافر هيكلية ثانية يمكن الركون إليها، وهو ما حصل بعد اعتقال

---

(١٧) انظر: P. K. Abdul Ghafour, «Swiss Uncover Al-QaCells Planning Attacks in Kingdom *Arab News*, 13/12/2003, and Don Van Natta, Jr. and Desmond Butler, «How Tiny Swiss Cellphone Chips Helped Track Global Terror Web,» *New York Times*, 4/3/2004.

لمعرفة تفاصيل اعتقال الناشري، انظر: Patrick E. Tyler, «Qaeda Suspect was Taking Flight Training Last Month,» *New York Times*, 23/12/2002, and Pervez Musharraf, *In the Line of Fire: A Memoir* (London: Simon and Schuster, 2006), p. 240.

لمعرفة تفاصيل اعتقال عطاش، انظر: James Risen, «A Top Qaeda Member, Tied to 9/11, is Captured,» *New York Times*, 1/5/2003, and Scott Shane, «Inside a 9/11 Mastermind's Interrogation,» *New York Times*, 22/6/2008.

الناشري. وذكرت مصادر استخباراتية أمريكية أن الناشري كان يخطّط وقت اعتقاله لمهاجمة مجمّع أمريكي في الرياض في أواسط عام ٢٠٠٣. إذا كان الخبر صحيحاً، يمكن افتراض أن مهمة الناشري الأصلية كانت إدارة عملية الرياض لعام ٢٠٠٣. ربما اضطُرّت قيادة القاعدة عقب اعتقال الناشري إلى الاعتماد على الهيكلية الاحتياطية. وهذا يفسر أيضاً سبب استخدام شخصية رفيعة مثل خالد الجُهَني في تنفيذ عملية انتحارية في عملية ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣، كونه أصبح عبئاً ثقيلاً على شبكة العُيَيْري بعد افتضاح دائرة الناشري[١٨].

المزيّة **الثانية** والأهم لاستراتيجية بن لادن ذات المسار المزدوج، هي السماح لإحدى الشبكتين بالعمل في ظلّ الشبكة الأخرى. فالأخبار تشير إلى أن الاستخبارات الغربية والسعودية كرّست جلّ انتباهها ومواردها لشبكة الناشري الأقوى والأبرز، بينما أهملت أنشطةَ العُيَيْري ورجاله. لذلك عمل الناشري أيضاً كأداة إلهاء جذبت انتباه الأجهزة الاستخباراتية، وصرفت الانتباه عن الجهد الأهم استراتيجياً، لشخصية غامضة طالما أُطلق عليها لقب البتّار (السيف).

ثالثاً: شبكة العُيَيْري

كان يوسف العُيَيْري وليس عبد الرحيم الناشري هو من بنى العمود الفقري للتنظيم الذي بات يُعرف باسم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. عمل يوسف العُيَيْري طوال عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣ بعيداً عن رقابة الأجهزة الاستخباراتية السعودية والأمريكية ونجح في تجنيد عدد هائل من الناشطين وتنظيمهم وتدريبهم. وفي سحابة نحو اثني عشر شهراً، عبّأ شبكة مسلّحين أذهل حجمُها معظمَ المراقبين عندما بدأت بالتكشّف في صيف عام ٢٠٠٣[١٩].

---

(١٨) «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay».

(١٩) أكّد بروس ريدل المسؤول السابق في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية حقيقة أن الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية أُخذت على حين غرّة. انظر: Bruce Riedel, *The Search for Al Qaeda* (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2008), p. 107.

عندما شرع العُيَيْري في تعبئة المتعاطفين مع القاعدة في المملكة في ربيع عام ٢٠٠٢ لم يبدأ من العدم. فقد كان جهادياً محنّكاً وأحد أرصدة بن لادن الرئيسة في المملكة منذ وقت قريب من عام ٢٠٠٠. وانتماؤه إلى أسرة قصيمية أتاح له الاتصال بعلماء دين مرموقين وبممولين في نجد، وجعله وكيل التجنيد وجامع الأموال الأوسع نفوذاً في المملكة العربية السعودية. بل إنه حاز احتراماً ونفوذاً أكبر في الوسط الجهادي العالمي بتأسيس الموقع الإلكتروني «النداء» وإدارة تحريره وبكتابة عدد من الرسائل الأيديولوجية الشديدة الرواج والتأثير أواخر عام ٢٠٠١ ومطلع عام ٢٠٠٢.

سرّ نجاح العُيَيْري سرّيته وصبره، وقد نشر كتابات كثيرة على الإنترنت، لكنه لم يوقّع أعماله باسمه الحقيقي. كان يشار إليه في أثناء العمل الجهادي السرّي «بالبتّار». ولقّبه رفاقه الجهاديون بـ «الجندي المجهول» بعد وفاته. في الواقع كان العُيَيْري شديد التكتم إلى حدّ أن وكالة الاستخبارات المركزية لم تعرف الاسم الحقيقي للبتّار بحسب الصحافي الأمريكي رون ساسكند (Ron Suskind) إلّا في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، وزُعم أن السلطات السعودية احتجزته مدة وجيزة وأخلت سبيله في مطلع آذار/ مارس ٢٠٠٣ من دون أن تتفطّن لحقيقته. اعتمد العُيَيْري مقاربة بطيئة ومتأنّية في الجهاد في الجزيرة العربية، وصدَّ رجاله عن الضلوع في مخططات غير ناضجة، ربما تثير انتباهاً هم في غنى عنه. ففي حين كان رجال الناشري يسعون جاهدين لشنّ هجمات، كان العُيَيْري يبني بصمت تنظيماً قوياً[٢٠].

مع أن العُيَيْري قُتل في مرحلة مبكرة من حملته في ٣١ أيار/ مايو ٢٠٠٣ أو قريب من ذلك، فقد احتفت منشورات القاعدة في جزيرة العرب بالبتّار كونه الأب الروحي للمجاهدين في الجزيرة العربية ولذلك سبب وجيه. كان يوسف العُيَيْري الشخص الأهم في الفرع السعودي

(٢٠) «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣)، و Suskind, *The One Percent Doctrine: Deep Inside America's Pursuit of its Enemies since 9/11*, pp. 217-218.

لتنظيم القاعدة. كانت إدارته ومواهبه في بناء التنظيم حيوية لنشوء القاعدة في جزيرة العرب وإطلاق حملة عام ٢٠٠٣.

شكلت المعلومات والدعاية مكوّناً مهماً في الاستراتيجية التي اعتمدها العُيَيْري في بناء التنظيم. قدّم العُيَيْري إسهامات كبيرة في الجهد الإعلامي للحركة الجهادية العالمية، ولم يقتصر جهده على المملكة العربية السعودية. طوّر طرقاً وبنية تحتية دعائية جديدة، ونشر رسائل بالغة الأثر. لكنّ المبادرة التي أكسبته شهرة واسعة داخل الحركة تأسيس «مركز الدراسات والبحوث الإسلامية» الذي نشر المادّة الدعائية على موقع إلكتروني اسمه «النداء» (www.alneda.com)، بدءاً بشهر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ (لكن عنوان الموقع تغيّر باستمرار). كان المركز الذي أداره العُيَيْري بنفسه مكتباً إعلامياً، مقره في المملكة من الناحية الفعلية، ودار نشر افتراضية نشرت طائفة من المواد الدعائية المتنوعة المتّصلة بالقاعدة وبالحركة الجهادية العالمية. ولو أردنا الحكم على هذا الموقع الإلكتروني اعتماداً على تصميمه ومحتواه، نجد أن العُيَيْري تأثّر بـ «صوت القوقاز»، الموقع الإلكتروني للعرب في الشيشان الذي تأسس في أواخر التسعينيات. أذاع موقع النداء الأخبار المتعلّقة بالنشاط الجهادي المسلّح في شتى أنحاء العالم ولا سيّما في أفغانستان. كما نشر الموقع إعلانات لكتب ومقالات وفتاوى لمشايخ متشددين، وخصوصاً مشايخ مدرسة الشُّعَيبي. كما أنتج المركز دراساته ورسائله العلمية الأيديولوجية الخاصة التي كتب عامتَها العُيَيْري بنفسه[٢١].

سرعان ما أصبح موقع «النداء» أقرب ما يكون إلى موقع إلكتروني رسمي للقاعدة، فقد كان العُيَيْري على اتصال مباشر بأسامة بن لادن الذي بدأ باستخدام الموقع في مطلع عام ٢٠٠٢، في توزيع بيانات مكتوبة ومسجَّلة. وعلى سبيل المثال، بث الموقع في نيسان/ أبريل عدة بيانات حملت التوقيع «قاعدة الجهاد» والذي يُعتقد أنه منسوب إلى القيادة العليا في القاعدة (مع أنه لم تُعرف أسماء المؤلفين على

---

(٢١) محمد الشافعي، «أصوليون: العُيَيْري كان المسؤول عن موقع النداء الإنترنيتي الناطق باسم القاعدة،» **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٣/٦/٤.

التحديد). وعلّق أيضاً تسجيلاً صوتياً بشأن تفجير كنيس جربة بتونس للمتحدث الكويتي باسم القاعدة سليمان أبو غيث[٢٢].

استحوذ موقع «النداء» على انتباه كبير من جانب وسائل الإعلام لصلته بالقاعدة، وأضحى هدف قراصنة الإنترنت. وفي تطوير مثير، انتزع ناشرُ صور إباحية أمريكي الجنسية يدعى جون ميسنر (Jon David Messner) العنوان (www.alneda.com) من العُيَيْري في ١٢ تموز/ يوليو، مستخدماً خدمة إنترنت تسمى «سناب باك» لخطف الموقع بعد أن أدرك مقدّمُ خدمة الإنترنت أن تفاصيل الاتصال بالعُيَيْري وهمية. وفي غضون أسابيع قلائل، عاود «مركز الدراسات والبحوث الإسلامية» الظهور على الإنترنت بعنوان جديد هو (www.drasat.com). وفي أواخر عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣، تعرّض لهجمات ازدادت عنفاً يوماً بعد يوم، لكنه نجا بالتنقل بين عناوين الإنترنت[٢٣].

اكتسى المركز أهمية بالغة في تطور الوسط الجهادي العالمي بالمملكة العربية السعودية لسببين رئيسيَّين:

الأول؛ أنه ساعد على نشر الدعاية الجهادية العالمية وعلى زيادة الوعي بقضية الجهاد العالمي في الدوائر الإسلامية، فإلى جانب منتديات حوارية، مثل: الساحات والأنصار، نشر موقع المركز معلومات عن أنشطة القاعدة وقت تأجّج مشاعر معاداة أمريكا ووقت فقدان كثير من العائدين من أفغانستان الاتصال برفاقهم القدامى.

والسبب **الثاني**؛ هو أنّ مركز الدراسات خدم كمركز إعداد لأشخاص أداروا الأنشطة الإعلامية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق تحت اسم **صوت الجهاد**. وعلى سبيل المثال، عمل عيسى العوشن وعبد

---

(٢٢) Thomas Hegghammer, *Dokumentasjon om al-Qaida: Intervjuer, kommunikeer og andre primeerkilder, 1990-2002* [Documentation on al-Qaida: Interviews, Communiqués and Other Primary Sources, 1990-2002] (Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/ Rapport), 2002), pp. 167-170 and 173-178.

(٢٣) انظر البيان على الموقع التالي: <http://www.alneda.com>.

انظر أيضاً: Patrick Di Justo, «How Al-Qaida Site Was Hijacked,» Wired.Com (10 August 2002).

العزيز العنزي وأعضاء أساسيين آخرين في الوسط الإعلامي للتنظيم مع يوسف العُيَيْري في «مركز الدراسات والبحوث الإسلامية»[(٢٤)].

بالإضافة إلى إدارة الموقع، أسهم العُيَيْري بأعمال كثيرة؛ إذْ إن إنتاجه الأيديولوجي بين أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ وأيار/ مايو ٢٠٠٣ كان مذهلاً كمّاً ونوعاً. كتب العُيَيْري عن طائفة واسعة من المواضيع في هذه الحقبة، أهمها ما سماه «الدراسات الاستراتيجية» عن التوغّل الأمريكي في منطقة الخليج وعن الحاجة إلى مقاومة الوجود الأمريكي باستراتيجية عسكرية مبتكرة. وكان لثلاثة من أعماله تأثير عظيم، الأول كتيّب من مئة صفحة بعنوان «حقيقة الحرب الصليبية الجديدة» كتبه في غضون أسابيع في شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. ذاع صيت هذا الكتاب في الدوائر الجهادية إلى حدّ أن أسامة بن لادن نفسه ذكره في مقابلته على الجزيرة في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١. وفي خريف العام ٢٠٠٢، اشترك العُيَيْري في تأليف ما يمكن اعتباره أهم أعماله وهو كتاب «سلسلة الحرب الصليبية على العراق». نُشر الكتاب كسلسلة من ثلاث عشرة مقالة على الموقع الإلكتروني لمركز البحوث والدراسات الإسلامية، وهو دراسة استراتيجية للحرب القادمة على العراق والطريقة المثلى لمقاومة الجهاديين للأمريكيين. و**الثالث** بعنوان «مستقبل العراق والجزيرة العربية بعد سقوط بغداد»، كتبه في نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ استكمالاً لـ «سلسلة الحرب الصليبية على العراق»[(٢٥)].

كان العُيَيْري أحد مؤسسي ضرب من ضروب الدراسات الاستراتيجية في الأدب الجهادي المعاصر، وهو ضرب تميز بأسلوبه العلمي والبراغماتي والموضوعي. وفي دراسة لا يُعرف مُعدّها اشتُهرت كونها

---

(٢٤) انظر: ماجد القحطاني، «عيسى بن سعد بن محمد العوشن: فارس الإعلام الجهادي،» **صوت الجهاد**، العدد ٣٠ (٢٠٠٧)، و برنامج «العين الثالثة»: القصة الكاملة لسقوط «وزير إعلام» تنظيم القاعدة في السعودية،» العربية نت، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥، <http://www.alarabiya.net/articles/2005/10/17/17771.html>.

(٢٥) يوسف العُيَيْري: «حقيقة الحرب الصليبية الجديدة،» (٢٠٠١)، <http://www.alneda.com>؛ «سلسلة الحرب الصليبية على العراق،» (٢٠٠٢)، <http://www.drasat.com>، و«مستقبل العراق والجزيرة العربية بعد سقوط بغداد،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws/c?i=55>.

مصدر الإلهام المحتمل لتفجيرات مدريد في آذار/ مارس ٢٠٠٤ بعنوان «الجهاد العراقي: آمال وأخطار»، أُشير إلى العُيَيْري بأنه مصدر إلهام فكري أساس[٢٦].

كانت أعمال العُيَيْري عاملاً عظيم الأهمية في تكوين القاعدة في جزيرة العرب؛ لأنه صاغ أساساً منطقياً استراتيجياً للحاجة إلى طرد الأمريكيين من الخليج ومن الجزيرة العربية. أعاد العُيَيْري الحركةَ الجهادية العالمية إلى قضيتها الأصلية، أعني التواجد العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية. كما أسهم في مؤلّفات كثيرة عن التكتيكات والتدريبات العسكرية. وهو يشدّد كثيراً على الحاجة إلى التدريب العسكري، ولهذا السبب أطلق من جاء بعده على معسكراتهم التدريبية وعلى مجلتهم التي تُعنى بالشؤون العسكرية اسم «معسكر البتّار» تيمناً بلقبه. وهو أدرك أن الأيديولوجيا والدعاية ليستا كافيتين لبناء تنظيم عسكري فاعل[٢٧].

بالتالي، شكّل التجنيدُ المكوّنَ الأساس **الآخر** في جهود العُيَيْري في بناء التنظيم. بنى العُيَيْري بنية تحتية مركزية نسبياً وهرمية للتجنيد في عام ٢٠٠٢ وفي مطلع عام ٢٠٠٣. ونشير إلى أن تكوين شبكة العُيَيْري مرّ في مراحل مختلفة ثلاث تميّز كل منها بقوى محركة تجنيدية مختلفة. شهدت **المرحلة الأولى** التي امتدت من وقت قريب من أيار/ مايو ٢٠٠٢ تقريباً إلى وقت قريب من آب/ أغسطس ٢٠٠٢ تشكّلاً عفوياً لعدد من الخلايا المستقلة نسبياً في مناطق مختلفة في البلاد، وإن تركّزت في الرياض والحجاز. تألفت هذه الخلايا في العادة من واحد أو أكثر من المنظِّمين العائدين للتوّ من أفغانستان حاملين أوامر حديثة من بن لادن؛ حيث حضّوا رفاقهم على الانضمام إليهم. وفي وقت لاحق أصبح بعض هؤلاء المنظِّمين،

---

(٢٦) Brynjar Lia and Thomas Hegghammer, «Jihadi Strategic Studies: The Alleged Policy Study Preceding the Madrid Bombings,» *Studies in Conflict and Terrorism*, vol. 27, no. 5 (2004).

(٢٧) انظر على سبيل المثال: يوسف العُيَيْري: «الرياضة البدنية قبل الجهاد،» <http://www.qa3edoon.com>؛ «ثوابت على درب الجهاد،» (منبر التوحيد والجهاد) <http://www.tawhed.ws/r?i=iftddsvn>، و«لا تكن مع العدو ضدّنا: رسالة عامّة عن أمن المعلومات،» (٢٠٠٢)، <http://www.drasat.com>.

مثل فيصل الدخَيِّل وتركي المُطَيري ومتعب المُحيّاني قادة مهمين متوسطي الرتب أو قادة خلايا إقليميين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. لكن التواصل بين هذه المجموعات كان محدوداً في هذه المرحلة المبكرة، لكون هؤلاء العائدين أُجبروا على الانفصال عن بعضهم في أثناء عودتهم(٢٨).

وفي **المرحلة الثانية** الممتدة بين وقت قريب من أيلول/سبتمبر إلى قريب من كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢، أقام العُيَيْري ورجاله اتصالات مع الخلايا الأصلية التي سبق أن تشكلت في أجزاء مختلفة في البلاد. والغاية هي دمج هذه الخلايا في تنظيم كبير وتلافي تنفيذ عمليات غير ناضجة ربما تعرّض الوسط الجهادي كلّه للخطر. ونحن نجد في سيرة حياة «الشهيد» فيصل الدخَيِّل خير وصف لهذا الجهد التنسيقي:

«وقبل رمضان من تلك السنة [تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢] كانت المجموعة التي تدربت على يده [فيصل الدخيل] تستعد للقيام بعملية، وكان هو رحمه الله قد ترصد لبعض المواقع وينوي ضربها، وقبل الشروع في العملية قدّر الله أن يلتقي بالمجاهد تركي الدندني رحمه الله فعرض عليه أبو أيوب الدخول في العملية، ولكن الدندني طلب منه الانتظار والتريث بها، فقال له أبو أيوب: لا مجال للانتظار، فالكوادر جاهزة والترصد كامل ولم يبق إلا الضرب، فأخبره الدندني أن هناك تنسيقاً حثيثاً يجري لتكوين تنظيم للجهاد في الجزيرة ولعله من الأفضل توحيد الجهد. وكان الأخير [الدندني] على اتصال بأبي هاجر [عبد العزيز المقرن] رحمه الله فأخبره بما كان، فطلب أبو هاجر مقابلة أبي أيوب لمعرفة طريقة عمله والتنسيق معه، وكان له ذلك، فالتقيا لينضما بعد ذلك في مجموعة واحدة»(٢٩).

من أهم الأشخاص الذين قاموا بالتجنيد للعُيَيْري عبد العزيز المقرن، وهو جهادي مخضرم أصبح قائد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في وقت لاحق. سافر المقرن ومعاونه تركي المُطَيري إلى «كل

(٢٨) انظر: الدُّخَيِّل، «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب؛» «تركي بن فُهَيد المُطَيري،» والمكي، «متعب المُحيّاني».

(٢٩) الدُّخَيِّل، المصدر نفسه.

زاوية في الجزيرة» في عام ٢٠٠٢ ومطلع عام ٢٠٠٣ لتكوين خلايا جديدة. والمنظّم المهم الآخر هو أحمد الدخيّل، ذلك الواعظ الذي جذب عدداً من الأتباع بخُطَبِه الملتهبة في المساجد الصغيرة في الرياض في صيف وخريف العام ٢٠٠٢[٣٠].

شكلت شبكاتُ خريجي معسكرات القاعدة الأفغانية الأداةَ الرئيسة لتجنيد العناصر في التنظيم؛ إذْ ركّز العُيَيْري ورجاله بطريقة ممنهجة على العائدين من أفغانستان. لذلك، بقي التجنيد في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب محصوراً إلى حدّ بعيد في وسط الأفغان العرب ومعارفهم وأقربائهم. عرف العُيَيْري أن هؤلاء الأشخاص هم الأميل إلى الانضمام إلى مشروعه المثير للجدل، وعرف أيضاً أن الولاء الداخلي قوي في هذه الشبكات، وأن كثيراً من الأصدقاء تفرّقوا أشتاتاً عقب عودتهم من أفغانستان. وهناك كثير من السِيَر التي تصوّر متعة التئام شمل الأصدقاء القدامى من جديد في العمل العسكري السرّي[٣١].

المرحلة الثالثة لبناء تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، امتدت من كانون الثاني/ يناير إلى أيار/ مايو ٢٠٠٣، وتميّزت بإرساء قواعد القيادة المركزية، والانتقال من التواصل الاجتماعي البسيط إلى عملية تجنيد أكثر فاعلية. ركّز التجنيد في هذه المرحلة على جمهور أوسع من الجمهور السابق. فلغاية أواخر عام ٢٠٠٢، استقطبت شبكة العُيَيْري في الأساس أوسع العائدين من أفغانستان حيلةً وأكثرهم اندفاعاً. لكنها سعت في مطلع عام ٢٠٠٣ لتجنيد سعوديين متشددين آخرين، التزموا إلى ذلك الحين جانب الحياد. كما جرى تفويض مهمة التجنيد إلى قادة خلايا إقليميين متنوعين؛ لتتمكن القيادة العليا من التركيز على التدريب والقضايا اللوجستية.

المكوّن الرئيس **الثالث** في جهد البتّار في بناء التنظيم كان البنية

---

(٣٠) «تركي بن فُهَيد المُطَيري،» وذياب العتيبي، «عبد الرّحمن بن عبد الله الحربي،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٦ (٢٠٠٤)، ص ١٢. لمعرفة المزيد عن المقرن، انظر: Abd Al-Aziz Al-Muqrin, *Al-Qaida's Doctrine for Insurgency: A Practical Course for Guerrilla War*, translated and Analyzed by Norman Cigar; foreword by Julian Lewis (Washington, DC: Potomac Books, Inc., 2009).

(٣١) النشمي، «فهد بن سمران الصاعدي».

التحتية التدريبية. أدرك العُيَيْري مثل كبار الاستراتيجيين في القاعدة أن التدريب عنصر حيوي في أي مشروع عسكري جادّ. فهم أن معسكرات التدريب أوجدت لحمة تنظيمية وروابط اجتماعية قوية بين المجنّدين وليس فقط أنها طوّرت الحالة البدنية والمعرفة التقنية للمجنّدين؛ لذلك اجتهد العُيَيْري في عام ٢٠٠٢ وفي مطلع عام ٢٠٠٣ في إقامة بنية تحتية تدريبية داخل المملكة العربية السعودية[٣٢].

ظهرت أولى المؤشرات على وجود هذه المعسكرات في شباط/ فبراير ٢٠٠٣، عندما تحدثت تقارير عن اكتشاف الشرطة معسكرين تدريبيَّين وعثرت على مخازن أسلحة قريبة منهما، **الأول** في عسفان بين جدّة والمدينة المنوّرة، **والثاني** في مدينة النماص جنوبيّ الطائف. وفي كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤ ذكرت وكالات أخبارية أن السلطات السعودية اكتشفت عدداً من المعسكرات خارج المدن السعودية. وفي الوقت ذاته تقريباً ظهر مسلّحون معتقَلون من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب على شاشة التلفزيون السعودي وهم يعلنون توبتهم ويتحدّثون عن تجاربهم كمسلّحين. تحدّثوا عن نقلِ المجندين إلى مخابئ بالرياض للتدرّب على استعمال الأسلحة وتنظيفها قبل اصطحابهم إلى الصحراء للتدريب الميداني. كما ذهب بعضهم إلى مكّة المكرّمة حيث أمضى ثلاثة أيام أو أربعة في معسكر تعلموا فيه كيفية تركيب الأسلحة واستعمالها مع مسلّحين آخرين[٣٣].

أكّدت منشورات القاعدة في جزيرة العرب هذه التقارير في وقت لاحق، وهي حافلة بإشارات إلى التدريب في هذه الحقبة. وعلى سبيل المثال، جاء في إحدى السِيَر أن عبد المُحسن الشبانات «انضم إلى المجاهد أبي أيوب فيصل الدخَيّل، فور حادثة الشفا [في ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢]، وتدرّب معه مدة من الزمن، ثم تدرّب مع أبي

---

(٣٢) انظر مثلاً: عبد القادر بن عبد العزيز، «رسالة العُمدة في إعداد العُدّة،» (منبر التوحيد والجهاد، ١٩٨٨)، <http://www.tawhed.ws/dl?i=f8ro5d45>، أبو مصعب السوري، «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws>.

(٣٣) **الإصلاح**، العدد ٣٥٥ (٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٣)؛ «Saudis Discover al-Qaida Training Camps,» Associated Press (15 January 2004), and Dominic Evans, «Saudi Militants Shown Repenting on State TV,» Reuters (12 January 2004).

هاجر وتلقّى مقرراً تنفيذياً معه، وتعلم الكثير عن العلوم العسكرية وعن فنّ الحرب في مدة وجيزة». وتحدثت روايات أخرى عن أشخاص عُيّنوا مدرِّبين، مثل طلال العنبري الذي «انتقل إلى معسكر البتّار للإشراف على المناورات العسكرية، وقد انتفع الإخوة كثيراً من خبرته»[٣٤].

إننا نجد أوضح دليل على التدريب في كثير من أفلام تنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ فيُظهر فيلم «شهداء المواجهات»، العائد إلى مطلع كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣ يوسف العُيَيْري وهو يخطب في حشد من شباب الجهاد، تمّ وضع تعليق على الشاشة وصفَ الخطاب بأنه جرى «في أثناء إحدى الجلسات التدريبية في الجزيرة العربية»، وظهر في ختام الفيلم مشاهد كثيرة مصورة لجلسات تدريبية عسكرية داخل منزل دُعي «نزل الأمانة الآمن» (الأمانة حيّ سكني بشمال الرياض). أظهرت الصور رجالاً بثياب ميدانية سوداء يتدربون على الأسلحة ويلهون بها ويتمرنون على الحركات القتالية داخل المباني. كما احتوى فيلم «بدر الرياض» الذي عُرض في شباط/فبراير ٢٠٠٤ على تسجيلات مطولة لجلسات تدريبية داخل مبنى وُصف بـ «معسكر البتّار». وظهرت أولى مشاهد التدريب في العراء في آذار/مارس ٢٠٠٦ في فيلم يتحدث عن حياة فهد الجُوَير الناشط في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. وقد ظهر في الفيلم مجنّدون يجرون في مضمار حواجز في موقع صحراوي وُصف بـ «معسكر البتّار» أيضاً. وظهرت أكثر الصور انتشاراً في فيلم يُسمّى «سريّة القدس» الذي أُنتج في حزيران ٢٠٠٦ وعرض الفيلم مشاهد كثيرة عن أنشطة تدريبية داخل مبنى، وخصوصاً مشهد لرجل يجمع عبوة ناسفة وقد صاحبه تعليق على الشاشة يقول «تجميع المتفجرات وتجريبها ـ معسكر البتّار». وأظهر الفيلم أيضاً مشاهد للتدريب في العراء، ويظهر أحد المقاطع تفجير سيارة نقل مهجورة للتدريب، وفي لقطة أخرى في الفيلم، ظهر رجل مقنّع وصف بأنه

(٣٤) عيسى بن سعد العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٥ (٢٠٠٤)، ص ٢٧؛ «شهداء المواجهات،» (مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٣)؛ تركي المُطَيري، «عبد المحسن الشبانات: شهيد في يوم عيد،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٣ (٢٠٠٤)، ص ٢٠، والنجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي».

عبد العزيز المقرن يخاطب مجموعة من عشرة أشخاص ليلاً. وعلى الأرجح أنه جرى تصوير أفلام الفيديو هذه في عام ٢٠٠٣ أو ٢٠٠٤[٣٥].

اعتمدت البنية التحتية للمعسكرات في المملكة العربية السعودية على نموذج المعسكرات الأفغانية. من الناحية العملية، حاكَت النواحي المتصلة بالمعسكرات السعودية كافة المادّية منها والاجتماعية المناخَ الذي كان سائداً في معسكرات القاعدة في أفغانستان. أُطلق على تلك المعسكرات أسماء رمزية، وأشرف عليها مدرِّبون معينون، وأعطت مقررات شبه رسمية في أوضاع قاسية. وبالنظر إلى الإشارات الكثيرة إلى معسكرات التدريب الأفغانية في منشورات القاعدة في جزيرة العرب، من المنطقي افتراض أن المعسكرات خدمت غاية عسكرية، وكذلك غاية اجتماعية تُشبع الحنين إلى مجتمع الأفغان العرب. في الواقع، قدّم العُيَيْري «قطعة صغيرة من أفغانستان» داخل المملكة العربية السعودية.

لم يتّضح العدد الكامل للمعسكرات ومواقعها على وجه الدقة، وكانت الأوصاف التي صُوّرت في منشورات القاعدة في جزيرة العرب غامضة، إلى حدّ أنها لا تعطي لمحة مفصلة عن البنية التحتية التدريبية وعن تطورها. لكننا نعرف أمراً واحداً، وهو أنها أضحت معقّدة ومنظّمة بحلول أواخر العام ٢٠٠٢، فصار في مقدور المجندين تلقّي «مقررات» في تشرين الثاني/ نوفمبر، وأمكن تعيين الأعضاء المقتدرين كمدرّبين. والواضح أيضاً أن التدريب الأكثر شمولاً وتعقيداً تمّ في الشهور الأربعة الأولى من عام ٢٠٠٣. بيد أنه بات من الصعوبة بمكان تنظيم دورات تدريبية في العراء، على الأقل بعد الإجراءات المشددة التي لجأت إليها المؤسسة الأمنية بعد أيار/ مايو ٢٠٠٣[٣٦].

المكوّن **الرابع**، في مشروع بناء التنظيم الذي أداره يوسف العُيَيْري كان تكديس الموارد المادّية في مخابئ خاصة، وجمع الأسلحة

---

(٣٥) دارت معركة «استراحة الأمانة» في ١٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٣. انظر: «شهداء المواجهات؛» فيلم «بدر الرياض؛» «دماء لن تضيع ـ الجزء الأول،» (مؤسسة صوت الجهاد للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٦)، و«سرية القدس» (مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٦).

(٣٦) المُطَيري، المصدر نفسه، والنجدي، المصدر نفسه.

والأموال. في البداية، كان المسلّحون يلتقون في منازلهم، لكنهم سرعان ما أقاموا شبكة من المخابئ؛ فاستأجروا شققاً سكنية ومنازل بأسماء مزورة باستخدام أوراق مزورة أو بطاقات هوية مسروقة (أحياناً كانوا يسرقون بعض هذه البطاقات من محطات الوقود، حيث كان بعض الناس يتركونها كودائع في حال لم يتوفر لديهم مال لتسديد قيمة الوقود). واستخدُمت بعض هذه المنازل كأماكن إقامة للمسلّحين، فأقام بعض الجهاديين معاً مدة ربما وصلت إلى ستة أشهر قبل الشروع في الحملة. وإن هجر أغلب المسلّحين أسرهم وتواروا عن الأنظار، إلا أن بعضهم أحضروا زوجاتهم إلى المخابئ كي لا يثيروا شكوك الجيران. ولم تُستخدم المنازل الأخرى على الإطلاق، وجُعلت مخابئ في حالات الطوارئ[٣٧].

الظاهر أن البنية التحتية الأولى أقيمت في نجد والحجاز، والظاهر أن أهم المخابئ عُثر عليها في مدن الرياض ومكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وفي أرياف منطقة القصيم. لكن اكتُشفت في وقت لاحق خلايا في أماكن متفرقة تمتدّ من جيزان جنوباً إلى حائل شمالاً، ومن جدّة غرباً إلى الدمام شرقاً. وأدّت حملة المداهمات في ربيع وصيف العام ٢٠٠٣ إلى اكتشاف عدد من الشقق السكنية والمنازل والمزارع استخدمتها - كمخابئ - مجموعاتٌ بلغ عدد أفرادها عشرين إلى ثلاثين مسلّحاً في بعض الأحيان. وفي عام ٢٠٠٦ ذكر مصدر أمني سعودي أن الشرطة فكّكت منذ انطلاق الحملة اثني عشر مخبأً رئيساً، منها أربعة في الرياض وثلاثة في الحجاز، واثنان في القصيم، واثنان في المنطقة الشرقية، وواحد في نجران[٣٨].

---

(٣٧) مقابلة أجراها المؤلف مع منصور التركي؛ «علي المعبدي الحربي: بطل بدر الرياض،» و«Two Saudi Detainees Speak on «Illegitimate» Methods Used by «Terrorist Cells,» Al-Arabiya Television (from World News Connection), 2 October 2004.

(٣٨) Nawaf Obaid, «Remnants of al-Qaeda in Saudi Arabia: Current Assessment,» (Presentation at the Council of Foreign Relations, New York, 2006).

اعتُقل في حملة قمع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عناصر داخل المدن الآتية، وفي ضواحيها وهي: جيزان وأبها والباحة والطائف ومكّة المكرّمة وجدّة والمدينة المنوّرة وينبع وتبوك وسكاكا وحائل وبُرَيدة وعُنَيزة والزُلفي والرياض والهفوف والدمام وغيرها.

العنصر الأساس الآخر هو الأسلحة بالطبع، وقد عمل العائدون من أفغانستان في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ على تكديس المتفجرات والأسلحة من الأعيرة كافة؛ وقد شكّل يوسف العُيَيْري «مجموعات التجهيز» التي كُلفت بحيازة الأسلحة. وعلى سبيل المثال، تشرح سيرة نشرتها مجلة **صوت الجهاد** أن «متعب [المُحيّاني] وطلال [العنبري] عملا في إحدى مجموعات التجهيز، واستطاعا إيصال شحنة أسلحة ضخمة للإخوة». وفي مطلع العام ٢٠٠٣، كان مسلّح آخر هو خالد السُّبَيت «منهمكاً في جمع الأسلحة وشرائها». وكشفت الأجهزة الأمنية السعودية أربعة مسارات رئيسة استخدمها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في تهريب العناصر والأسلحة والمعدّات من البلاد وإليها. ومع أنه لم يتمّ الإعلان عن المواقع الدقيقة لتلك المسارات، لا نشكّ في كون اليمن المصدر الرئيس للأسلحة، ذلك أنّ تاريخ اليمن الحافل بالحروب الأهلية وضعف الدولة وعادة حيازة الأسلحة المنتشرة في القبائل والقدرة على دخول البلاد من البحر، جعلت اليمن المركز الرئيس لتوزيع الأسلحة غير الشرعية في الجزيرة العربية، وفي أغلب أصقاع الشرق الأوسط. ومشكلة تدفق الأسلحة عبر المنطقة الحدودية الجنوبية تمتدّ لعدة عقود، علماً بأن المسلّحين السعوديين كافة منذ جُهَيمان حصلوا على أسلحتهم من اليمن. ومن المعلوم، أن حرس الحدود يصادر بانتظام كميات ضخمة من الأسلحة والمتفجرات على الحدود السعودية اليمنية. ففي عام ٢٠٠٢ فقط صادر حرس الحدود ١٧٦,٠٠٠ أصبع ديناميت و٤,١ مليون طلقة[٣٩].

ذكرنا أن كميات الأسلحة والمتفجرات التي عثرت عليها الشرطة في أواسط عام ٢٠٠٣ أذهلت عامة المراقبين. ومع أنه يتعيّن التعامل مع الأرقام الصادرة عن وزارة الداخلية السعودية بشيء من التحفّظ، نشير إلى أن وزارة الداخلية أعلنت في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤ أنها صادرت

---

(٣٩) النجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي،» ص ٥٢؛ العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» ص ٢٧؛ Obaid, Ibid.; «Paper: Saudis Seize Arms at Yemen Border Every Hour,» Reuters (21 August 2003); Stephen Ulph, «Shifting Sands: Al-Qaeda and Tribal Gunn Running along «the Yemeni Frontier»,» *Terrorism Monitor*, vol. 2, no. 7 (2004), and Ibrahim al-Mutawa, «Smuggling on Saudi-Yemeni Border,» *Arab News*, 15/2/2003.

منذ أيار/ مايو ٢٠٠٣ أربعة وعشرين طناً من الموادّ المتفجرة، و٣٠٠ قذيفة آر بي جي، و٤٣٠ قنبلة يدوية، و٣٠٠ حزام ناسف و٦٧٤ صاعق تفجير. وذكر دبلوماسيون مطلعون أن الكميات التي عُثر عليها في صيف العام ٢٠٠٣، كافية لتجهيز «جيش يبلغ عدد أفراده عدة آلاف»[٤٠].

في الواقع، بلغت الكميات المصادرة حداً من الضخامة يجعلنا نستبعد عمل شبكة العُيَيْري بمفردها على جلبها في غضون اثني عشر شهراً فقط. وإذا كانت الأسلحة متاحة على نطاق واسع في السوق السوداء لمن يشتريها بكميات صغيرة، كان من الصعب تدبير شحنات أسلحة ضخمة في عام ٢٠٠٢، وهو الأمر الذي أقرّ به تجّار الأسلحة أنفسهم. والواضح أن هناك عاملَين تُعزى إليهما هذه الكميات الضخمة من الأسلحة المكتشَفة: **الأول**؛ هو أن الجهاديين دأبوا على جمع الأسلحة طوال سنين، وربما منذ عام ١٩٩٤ بحسب بعض المصادر. و**الثاني**؛ هو أنه ليست الأسلحة كلها عائدة إلى المسلّحين، ذلك أن بعض مخازن الأسلحة، وخصوصاً الحاويات المدفونة التي عُثر عليها في أواسط عام ٢٠٠٣، عائدة إلى تجار أسلحة محترفين لا إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب[٤١].

سرت شائعات بين الحين والآخر، فحواها أن التنظيم حصل على بعض أسلحته من عناصر فاسدة في الأجهزة الأمنية السعودية، لكن لم يظهر دليل يؤكد ذلك. وبما أن الأسلحة متاحة بكثرة في اليمن، وأن مخازن الأسلحة العائدة إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب تفيض كثيراً عن حاجة عناصره، يصعب تصديق إقدام التنظيم على المجازفة بالاتّجار بالأسلحة مع عناصر في الحرس الوطني أو الداخلية. لكن هناك مؤشرات على سوق سوداء لمعدات الجيش والشرطة، مثل البزّات العسكرية. ومن المعلوم أن الكثير من العمليات التي نفذها التنظيم، مثل: حوادث إطلاق

---

(٤٠) «Terror Hunt Nets Huge Quantities of Explosives,» *Arab News*, 13/1/2004.

(٤١) مقابلات أجراها المؤلف مع فارس بن حزام وسعود السرحان؛ al-Mutawa, Ibid., Fahd Frayyan, «Saudi Arabia Says Terror Plot Foiled Detained,» Reuters (21 July 2003), and «Saudi Authorities Report Terror Arrests,» Associated Press (20 October 2003).

النار في الخُبَر، في أيار/ مايو ٢٠٠٤، وخطف المهندس الأمريكي بول جونسون (Paul Johnson)، في الرياض في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤؛ حيث قام بها ناشطون ارتدوا زيّ الحرس الوطني أو الشرطة. ومثل هذه الأسواق السوداء متوافرة في بعض البلدان، وهي ليست مؤشراً على اختراق القاعدة لهاتين المؤسستين[(٤٢)].

لم يكن هناك غنى عن المال للقيام بالأنشطة المتقدمة كافة. وما من مرّة عُثر فيها على مخبأ استراتيجي أو اعتُقل فيها عنصر رفيع إلّا وعُثر على كميات من الأموال في مكان قريب. والواضح أنه أتيح للعييري ورجاله مقادير ضخمة من المال في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣. وقد أشار كثير من سير الشهداء إلى انخراطهم في جمع المال في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣. ومما يُؤسف له أنه لا يتوافر كثير من المعلومات المتاحة للعموم عن المصادر المالية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وقد جُمعت بعض هذه الأموال من إساءة استغلال نظام الزكاة. كما حصلوا على المال من مموّلين خاصين أُوهموا أنهم يتبرعون بالمال لصالح قضية أخرى، مثل «الأسر العراقية»[(٤٣)].

بحلول ربيع العام ٢٠٠٣ آتت جهود العُيَيْري في بناء التنظيم ثمارَها، فتدفقت الأموال والأسلحة، وجُهّزت المخابئ، وخرّجت المعسكراتُ المجندين بأعداد كبيرة. وكما أشار أحد المسلّحين وقتئذٍ إلى أن «الحال في الجزيرة العربية مثل بركان يمكن أن ينفجر في أي لحظة»[(٤٤)].

---

(٤٢) «قصة الأسير الأمريكي مهندس الأباشي بول مارشال»، **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤)؛ Peter Finn, «Al Qaeda Arms Traced to Saudi National Guard,» *Washington Post*, 19/5/2003; «Police Dragnet Yields 34; Army Uniforms Seized,» *Arab News*, 3/4/2007, and Michael Knights, «The Khobar Rampage, May 2004,» (JTIC Terrorism Case Study (Jane's Information Group), 2005).

(٤٣) انظر: آل عوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية؛» سعد العنزي، «عبد اللطيف بن حمد الخُضَيري،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٧ (٢٠٠٤)؛ عبد الرّحمن المطوّع، «الأمير نايف يدعو المواطنين إلى عدم المساهمة دون علمهم في قتل الأبرياء.. بدفع التبرعات إلى صناديق مشبوهة،» **الشرق الأوسط**، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٣؛ Frayyan, Ibid., and Mahmoud Ahmad, «Al-Qaeda Operatives are an Ignorant Lot, Say Former Members,» *Arab News*, 3/10/2003.

(٤٤) العوشن، المصدر نفسه.

رابعاً: إعلان الجهاد

لا نعرف التفاصيل الدقيقة للقرار الذي قضى بشنّ هجوم ١٢ أيار/ مايو؛ لأننا نفتقر إلى شهادات أغلب الجهات الفاعلة المهمّة. فقد لقي يوسف العُيَيْري وتركي الدندني وخالد الحاج وعبد العزيز المقرن مصرعهم قبل أن يتسنّى استجوابهم، ولا يزال أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وسيف العدل طلقاء حتى تاريخ صدور هذا الكتاب(*). وبالإضافة إلى ذلك، لاذت المنشورات الجهادية بصمت لافت حيال دقائق عملية صنع هذا القرار. لذلك، يكاد كل شيء معلوم عن هذه العملية يستَقى من مصادر استخباراتية لا يمكن التثبّت منها.

تألفت شبكة العُيَيْري وقت إطلاق الحملة من نواة عملانية ضمّت نحو ٥٠ شخصاً، ومن شبكة واسعة ضمت ٣٠٠ إلى ٧٠٠ شخص متأهبين لحمل السلاح. لكن الهيكل التنظيمي لم يتبلور بشكل كامل. وهناك من يزعم إن العُيَيْري ترأّس هيكلية مؤلّفة من خمس خلايا مستقلة في هذه الحقبة. لكنّ هيكلية الخلايا الخمس بقيت خطة لم تتحوّل إلى واقع أبداً، ويمكن وصف شبكة العُيَيْري في هذا الوقت بأنها مجموعة فضفاضة من الخلايا. لم يحمل المسلّحون اسماً محدداً، وكانوا يشيرون إلى أنفسهم ببساطة «بالمجاهدين في جزيرة العرب»، واقتضى الأمر ستة أشهر أخرى ليُستخدم اسم «القاعدة في جزيرة العرب» لأول مرّة، كما أن المنابر الإعلامية التي اشتُهر بها التنظيم لاحقاً لم تكن قد تبلورت بعد؛ إذ لم تُطلق مجلة **صوت الجهاد** إلّا في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣، ولم يظهر اسم معسكر البتّار إلّا بعد بضعة أشهر(٤٥).

(*) صدر الكتاب باللغة الإنكليزية في عام ٢٠١٠، علماً بأنّ بن لادن توفي في ٢ أيار/ مايو عام ٢٠١١.

(٤٥) هذه تقديرات توصل إليها المؤلف بناء على تقييم إجمالي لسِيَر عناصر القاعدة في جزيرة العرب، وقراءة الرسائل التي نشرتها مجلة **صوت الجهاد**، ومقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولين أمنيين سعوديين وغربيين. وذكر عُبَيد وكوردسمان أن عددهم كان بين ٥٠٠ و٦٠٠، منهم نحو ٢٥٠ متزمتاً. انظر: Anthony H. Cordesman and Nawaf Obaid, *Al-Qaeda in Saudi Arabia: Asymmetric Threats and Islamic Extremists* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005), p. 20. =

إن عدم اكتمال بناء التنظيم يشير بقوة إلى أنّ إطلاق الحملة كان سابقاً لأوانه. ومما يقوّي هذه الفرضية تقارير تحدّثت عن جدال يُروى أنه جرى بين يوسف العُيَيْري والقيادة المركزية للقاعدة في ربيع العام ٢٠٠٣ بشأن توقيت الحملة. وكما ذكر نواف عُبَيد الاستشاري الأمني السعودي:

شاع الخلاف في أوساط القيادة حتى في أفغانستان بشأن توقيت الهجوم وأهدافه المحتملة. أصرّ العُيَيْري على أنّ أعضاء القاعدة لم يُكملوا استعداداتهم، وينقصهم الوقت والموارد وطرق الإمداد اللازمة من اليمن، كما تبيّن أن التجنيد أصعب مما كان متوقعاً، لكن أيمن الظواهري رفض هذه الاعتراضات مجادلاً بأن الوقت مناسب للبدء بالعمليات. طالب الظواهري بمهاجمة أهداف سهلة ومهاجمة الأمريكيين (الذين سيفرّون من المملكة)، ما سيشلّ الحكومة السعودية ويؤدّي إلى سقوطها في النهاية. ووافق عبدُ الكريم المجاطي ـ وهو مغربي الجنسية والنائب الرئيس والاستراتيجي العام ـ العُيَيْري قائدَه في تقييمه، لكنّ بن لادن رفض القبول بحجته. وبعد وقت وجيز غادر المجاطي المملكة العربية السعودية معتقداً أن الهجوم السابق لأوانه هو خطأ حسابات كبير، وسيقضي على وجود خلايا القاعدة الحالية، ويمنع من تشكيل خلايا جديدة في المستقبل[٤٦].

وفي شأن موازٍ، أكد مسؤول استخباراتي أوروبي ودبلوماسيّ أمريكي، كل على حدة، صحة هذه الرواية بالإجمال في مقابلات مع المؤلف. وأضافا كل على حدة بأن مشايخ وجِهات راعية خاصة مقيمة

= وفي أواخر أيار/ مايو ٢٠٠٣، قدّر الأمير بندر نواة مؤلفة من ٥٠ أفغانياً عربياً مخضرماً جنّدوا ما يصل إلى ٣٠٠ شخص آخرين؛ انظر: Don van Natta, Jr. and Neil MacFarquhar, «Al Qaeda Still Plotting in Saudi Arabia, Officials Say,» *New York Times*, 20/5/2003.

انظر أيضاً: مقابلة أجراها المؤلف مع نواف عُبَيد في الرياض في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧، و Anthony H. Cordesman and Nawaf E. Obaid, *National Security in Saudi Arabia: Threats, Responses, and Challenges* (Westport, CT: Praeger Security International, 2005), p. 112.

(٤٦) Cordesman and Obaid, *National Security in Saudi Arabia: Threats, Responses, and Challenges*, p. 113, and Craig Whitlock, «Al Qaeda Shifts its Strategy in Saudi Arabia,» *Washington Post*, 19/12/2004.

بالسعودية شاركوا في الجدال وهددوا بقطع التمويل عن القاعدة إن أُطلقت حملة شاملة على التراب السعودي[(٤٧)].

ذكرت مصادر سعودية أن ناشطين يتّخذون من إيران مقراً لهم اضطلعوا بدور حاسم في التخطيط لهجوم ١٢ أيار/ مايو. فلم يمضِ أسبوع على الهجوم حتّى أشير بأصابع الاتهام إلى سيف العدل المسؤول في القاعدة الذي يُعرف أنه مقيم بإيران. وبحسب مقالة نشرتها **الواشنطن بوست** في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣ «عثرت [السلطات السعودية] على أدلة ثمينة ـ أجهزة هاتف، وأقراص حاسوبية صلبة، ووثائق وأموال نقدية، أشارت إلى إيران وإلى [سيف] العدل. وبالإضافة إلى ذلك، سلّم علي الفقعسي الغامدي نفسه للسلطات، وهو أحد قادة القاعدة المحلّيين بالمملكة العربية السعودية، واعترف بأن العدل ورفاقه مسؤولون عن التفجيرات». وذكرت مصادر أخرى، أن سعد بن أسامة بن لادن الذي ساد اعتقاد أنه مقيم بإيران أيضاً أجرى مكالمات بالهاتف الخلوي مع أعضاء في الخلية قبل يومين من هجمات ١٢ أيار/ مايو. وزُعم أن السلطات السعودية ردّت بإرسال وفدين إلى إيران للمطالبة بتسليم أعضاء سعوديين كبار في القاعدة، وبإعادة سيف العدل إلى مصر. رفضت إيران الطلبين، لكن زُعم أنها وضعت مجموعة القاعدة في الإقامة الجبرية[(٤٨)].

من دواعي الأسف أننا لا نعرف على التحديد متى دارت تلك المناقشات أو متى صدرت الأوامر بإطلاق الحملة. فمن **ناحية**، قال نواف عُبَيد إن إصدار الأمر والمناقشات التي تلته جرت في أواخر نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. ومن **ناحية أخرى**، يشير الانفجار السابق لأوانه، المرتبط بفهد الصاعدي في ١٨ آذار/ مارس ٢٠٠٣، إلى أنّ الأمر ربما صدر قبل ذلك. وبيان أسامة بن لادن في ١٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٣، أو ما

---

(٤٧) مقابلة أجراها المؤلف مع مصدر استخباراتي أوروبي، آذار/ مارس ٢٠٠٦، ومقابلة أجراها المؤلف مع دبلوماسي أمريكي، أيار/ مايو ٢٠٠٦.

(٤٨) Dana Priest and Susan Schmidt, «Al Qaeda Figure Tied to Riyadh Blasts,» *Washington Post*, 18/5/2003; Peter Finn and Susan Schmidt, «Iran, al Qaeda and Iraq,» *Washington Post*, 6/9/2003, and John R. Bradley, «Clues Tie al Qaeda to Saudi Bombings,» *Washington Times*, 18/8/2003.

يسمى «خطبة اليوم الأول لعيد الأضحى» فسرها بعضهم بأنها إشارة البدء بالحملة[٤٩].

بيد أنّ هناك ما يشير إلى صدور القرار بتنفيذ الهجوم قبل ذلك، فذكر جورج تينيت (George Tenet) مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، في مذكراته أن الجدال في أوساط القاعدة حول تنفيذ الهجمات في المملكة العربية السعودية يرجع إلى خريف العام ٢٠٠٢. بل إن تينيت أشار إلى أن بن لادن أمر بعد ذلك الجدال أبا حازم الشاعر (خالد الحاج) بتنفيذ الهجمات مهما كان الثمن. وجاء في وثيقة رسمية أمريكية أخرى أنه عندما أُلقي القبض على عبد الرحيم الناشري في مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢ كان يخطّط لتنفيذ هجوم كبير على مجمّع في الرياض في صيف العام ٢٠٠٣. زد على ذلك، أنّ صحيفة **القدس العربي** ذكرت في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢، أنّ موقعاً إلكترونياً للقاعدة نشر رسالةً زُعم أنّ بن لادن كاتبها تحرّض «أهل الجزيرة» بقول «إحملوا سلاحكم» واستعدوا «لمحنة» قادمة. وزُعم أنّ الرسالة التي لم يتمّ التأكّد من صحتها نقلها مجاهد قيادي عاد مؤخراً من أفغانستان إلى المملكة العربية السعودية[٥٠].

بما أنّنا لا نعرف متى صدر الأمر على التحديد، يصعب تحديد العوامل التي أمْلت التوقيت التكتيكي للحملة، لكن هناك خمسة احتمالات على الأقل: **الاحتمال الأول**؛ هو رغبة القاعدة في استغلال

---

(٤٩) مقابلة أجراها المؤلف مع نواف عُبَيد. افتُتح البيان «بآية السيف» التي تقول **﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشركينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٥] وتزامنت نهاية الأشهر الحُرُم (وهي ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم ورجب) [ذكر المؤلف أشهراً أخرى، والصواب ما ذكرناه هنا (المترجم)].

في عام ٢٠٠٣ مع نهاية شهر أيار/ مايو، ما يوحي بأن النص إعلان للجهاد بشكل رسمي. وهناك دليل مبني على تفسير مسلّح واحد على الأقل بيان بن لادن في شباط/ فبراير بهذه الطريقة. انظر: خليل المكي، «سامي اللُهَيبي: عزيمة الرجال،» **صوت الجهاد**، العدد ٦ (٢٠٠٣).

(٥٠) «بن لادن في رسالة خاصة إلى «أهل الجزيرة»: احملوا السلاح للدفاع عن أعراضكم،» **القدس العربي**، ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٢؛ George Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA* (New York: HarperCollins, 2007), p. 248, and «Biographies of High Value Terrorist Detainees Transferred to the US Naval Base at Guantanamo Bay».

جَيَشان مشاعر المعاداة لأمريكا في المملكة عقب حرب العراق. **والاحتمال الثاني**؛ هو أنّ إلقاء القبض على خالد شيخ محمد في شباط/ فبراير ٢٠٠٣، وعلى وليد بن عطاش في نيسان/ أبريل، حمل القاعدة على تسريع التحضيرات مخافةَ تعرّض شبكاتها في المملكة للخطر. **والاحتمال الثالث**؛ هو تزامن توقيت الهجمات مع زيارة مسؤولين أمريكيين كبار للمملكة في أيار/ مايو. **والاحتمال الرابع**؛ هو رغبة القيادة المركزية للقاعدة في تنفيذ عملية الرياض وقت تنفيذ عملية الدار البيضاء التي خُطط لتنفيذها في ذلك الوقت تقريباً (وتمت في ١٧ أيار/ مايو ٢٠٠٣). وربما يكون **الاحتمال الأخير**؛ فقدان الصبر. فنحن نعرف أن أيمن الظواهري ومصريين آخرين في القيادة المركزية للقاعدة كان يلحّون من أجل تنفيذ عمليات داخل المملكة منذ وقت طويل، وربما لم يعد في مقدور بن لادن الاستمرار في تأجيل الهجوم، ولا يهمنا معرفة الوقت الدقيق لاتخاذ القرار، لكنّ المهم أن القرار الاستراتيجي بشن الهجوم اتُخذ في مطلع العام ٢٠٠٢، أي قبل حرب العراق بزمن طويل(٥١).

السؤال المثير الآخر الذي يبقى بلا جواب أيضاً، متعلّق بما إذا تمّ الإعلان عن عملية ١٢ أيار/ مايو قبل تنفيذها. ففي ٧ نيسان/ أبريل وفي ١٠ أيار/ مايو ٢٠٠٣، نشرت مجلة **المجلة** رسائل لمتحدث باسم القاعدة يدعى أبا محمد الأبلج نبّه على هجمات وشيكة في المملكة العربية السعودية. ونقل تقرير ٧ نيسان/ أبريل عن الأبلج قوله إن تنظيم القاعدة «أتمّ التحضيرات للهجوم على النظام السعودي ومؤخرة الجيش الأمريكي». وجاء في تقرير ١٠ أيار/ مايو أن تنظيم «القاعدة سينقل المعركة إلى الخليج وإلى الجزيرة العربية، وأن القواعد الجوية والسفن الحربية والقواعد العسكرية ستكون أهدافاً». وقد تبين أن هذه الرسائل تنبّأت بما سيحدث بوضوح، مع أنّها نُشرت في أثناء الأزمة العراقية

---

(٥١) Joel Brinkley, «Saudis Blame US and its Role in Iraq for Rise of Terror,» *New York Times*, 14/10/2004; «Rumsfeld, Powell, and Spencer to visit Saudi Arabia,» ArabicNews.com (29 April 2003), and Kathy Gannon, «Al-Qaeda Claims Riyadh Attacks,» Associated Press (22 June 2003).

عندما كانت هذه التهديدات شائعة جداً، علماً بأن الأهداف المحدّدة لم تهاجَم في نهاية الأمر(٥٢).

تتوافر لدينا معلومات أكثر تفصيلاً بعض الشيء عن النواحي التكتيكية للعملية، اختيرت الأهداف بعناية لتلائم أجندة معاداة القاعدة لأمريكا. فالمجمعات في نظر المتشددين رموز للمسيحية وللفساد الأخلاقي. ووصفت دراسةٌ المجمعات بأنها تحتضن «كنائس وخمارات ونوادي ليلية وبرك سباحة مختلَطة، والشرك والفسق بأشكاله كافة». زد على ذلك، أنّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب جادل بأن المجمعات جزء من أمريكا وليست أراضٍ سعودية، ما مكّن منظِّري التنظيم من ردّ اعتراض العلماء المعتدلين الذين قالوا إن الأجانب يحملون تأشيرات سعودية، وإنهم بالتالي ضيوف رسميون تنبغي حمايتهم. لقد اختيرت تلك المجمعات لارتباطها بشركات متعاقدة مع وزارة الدفاع الأمريكية. وربما اختير مجمع فينيل (Vinnell)؛ لترديد صدى تفجير الرياض السابق، لأن عبد العزيز المقرن كتب في وقت لاحق: «ضربنا فينيل في عام ١٩٩٥ وفعلنا ذلك مرة أخرى في عام ٢٠٠٣»(٥٣).

كان تركي الدَّنْدني ـ الزميل المقرب إلى العُيَيْري ـ المنسّقَ الرئيس للهجوم، أدار الدَّنْدني فريقاً تألّف من أربعة عشر مهاجماً توزّعوا على ثلاث مجموعات، بقيادة محمد الشِّهري وخالد الجُهني وحازم الكشميري. استُخدم في العملية خمس مَركَبات، مهدت اثنتان منها الطريق للمركَبَة المفخخة. ومع أنّ السلطات زعمت مقتل المهاجمين

(٥٢) **المجلة** (٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣)، ومحمود خليل، «القاعدة: أجرينا تغييرات في هيكلية التنظيم ونتفوق على الأمريكان استراتيجياً،» **المجلة** (١٠ أيار/ مايو ٢٠٠٣). وفور وقوع هجوم ١٢ أيار/ مايو، بعث الأبلج برسالة تبنّى فيها المسؤولية عن الانفجار. انظر: محمود خليل، «القاعدة: هدفنا إرباك أمن الخليج،» **المجلة** (١٨ أيار/ مايو ٢٠٠٣). وبعد أسبوع، أطلق الأبلج تهديدات جديدة لم يُلحقها ببيانات. انظر: محمود خليل، «القاعدة تُطلق سلسلة تحديات جديدة ومياه الغرب مهددة بالتسمّم،» **المجلة** (٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٣).

(٥٣) «غزوة الحادي عشر من ربيع الأول: عملية شرق الرياض وحربنا مع أمريكا وعملائها،» (٢٠٠٣)، ص ٤٦، وعبد العزيز المقرن، **دورة التنفيذ وحرب العصابات**، (كتاب إلكتروني ٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>، ص ٣٩، و Michael Knights, «The East Riyadh Operation, May 2003,» (JTIC Terrorism Case Study (Jane's Information Group), 2005).

كافة، تبيّن لاحقاً أنّ ما يقارب الستة منهم نجوا وتواروا عن الأنظار(٥٤).

كان من المفترض أن تنفَّذ العملية في وقت لاحق من الشهر، لكنها قُدّمت بسبب مداهمات الشرطة المعرقِلة في ٦ أيار/ مايو. كما تغيّر تكوين الفرق قُبَيل الهجوم مباشرة، فجرى إبدال المرشحين الصغار السنّ بناشطين أوسع خبرة في اللحظات الأخيرة. ربما يبدو ذلك غريباً من زاوية بقاء التنظيم، لكنّ الدافع المرجَّح هو الحرص على أن تكون العملية الأولى أو «الطلقة الافتتاحية» ناجحة. وقد كانت عملية ناجحة بالفعل؛ إذ لم يفصل بين انفجار القنابل الثلاث سوى بضع دقائق؛ حيث أحدثت نتائج مروّعة؛ إذْ لقي ٣٥ شخصاً مصرعهم، وأصيب أكثر من ١٦٠ آخرين بجراح(٥٥).

أطلق رجال العُيَيْري مشروعاً طموحاً للغاية لم يُعرف له مثيل؛ فمن هم هؤلاء الأشخاص، وما هي دوافعهم؟

---

(٥٤) «تركي الدَّنْدني: رحل البطل،» **صوت الجهاد**، العدد ٨ (٢٠٠٤)؛ «غزوة الحادي عشر من ربيع الأول: عملية شرق الرياض وحربنا مع أمريكا وعملائها،» ص ٤٧؛ النشمي، «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي)؛» **وصايا البطل: شهداء الحرمين**، و Knights, Ibid.

(٥٥) أبو ياسر الخالدي، «ناصر السيّاري: بطل بدر الرياض،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٥ (٢٠٠٤)، و Cordesman and Obaid, *National Security in Saudi Arabia: Threats, Responses, and Challenges*, p. 269.

وردت تقارير متضاربة بشأن حصيلة القتلى وجنسياتهم. وخلصت دراسة مفصّلة أعدها المحلل مايكل نايتس (Michael Knights) الذي يعمل لدى مؤسسة جاين (Jane) إلى أنه قُتل في تلك الهجمات ثمانية أمريكيين وسبعة سعوديين وثلاثة فيليبينيين، وأستراليّان وأردنيان وبريطاني واحد وإيرلندي واحد وسويسري واحد. انظر: Knights, Ibid.

الفصل التاسع

الانخراط في صفوف القاعدة في جزيرة العرب

كانت الحرب في جزيرة العرب مشروعاً راديكالياً حتى وفق معايير الجهاديين السعوديين؛ ففي حين شارك المجاهدون الأوائل في صراعات تقليدية وارتادوا معسكرات التدريب، فقد نفّذ أعضاء القاعدة في جزيرة العرب هجمات انتحارية في شوارع الرياض. عرف المسلّحون أيضاً أن النّشاط المحلّي سيثير على الأرجح رداً حكومياً أشدّ قسوة بكثير من الردّ الذي يثيره القتال في الخارج. الحاصل أن مشروع القاعدة في جزيرة العرب كان أشدّ خطراً وإثارةً للجدل من أي عمل قام به الإسلاميون السعوديون في السابق، فلماذا بقي التنظيم يجذب مئات الأشخاص؟

للإجابة عن هذا السؤال، سنلقي نظرة على خلفيات المجندين الأفراد في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وعلى دوافعهم ومساراتهم، كما فعلنا مع الناشطين الذين سبقوهم. إن التحليل الآتي مبني على ٢٥٩ سيرة لأشخاص شاركوا في حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٦. ولكي نعالج مسألة التفاوت في نسب المشاركة، يفرّق التحليل بين العيّنة الشاملة المؤلّفة من ٢٥٩ سيرة، وعيّنة نواة من ٦٩ سيرة لأكثر مسلّحي التنظيم نشاطاً[١].

---

(١) درس علماء آخرون سيَر أعضاء القاعدة في جزيرة العرب، مستخدمين عينات أصغر، انظر على سبيل المثال: عبد الله خليفة، **التطرّف والإرهاب في المجتمع العربي السعودي: دراسة اجتماعية وإثنوغرافية** (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٤)، و Roel Meijer, «The «Cycle of Contention» and the Limits of Terrorism in Saudi Arabia,» in: Paul Aarts and Gerd Nonneman, eds., *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Aairs* (London: Hurst, 2005).

كما أجرت السلطات السعودية عدة دراسات سرّية لخلفيات المسلّحين، انظر مثلاً: Mohamed Al-Ghamdi and Shahid Ali Khan, «Study Gives Insight on Terrorists' Lives,» *Saudi Gazette* (1 May 2008).

أولاً: شباب الرياض

تشكّلَ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب من عناصر سعودية أساساً، لكنّه ضمّ في صفوفه أجانب، وبخاصة من اليمن وتشاد والمغرب والكويت وسوريا وموريتانيا. تولّت بعض العناصر غير السعودية في القاعدة في جزيرة العرب مراكز قيادية، مثل: خالد الحاج اليمني وكريم المجاطي ويونس الحيّاري المغربيَّين، لكنّ عامة الأجانب في التنظيم اضطلعوا بأدوار هامشية، ما يجعله ظاهرة سعودية مميَّزة.

المثير في الأمر أنّ التنظيم لم يضمّ من الناحية الفعلية عناصر من جنوب آسيا. وفي ما عدا استثناءات قليلة لم تشارك الجالية الآسيوية الكبيرة الوافدة في أنشطة عسكرية طوال تاريخ المملكة. وربما يعلَّل ذلك بكون الآسيويون يشتغلون في مهن شاقّة ويخضعون لرقابة مشدّدة في المملكة. لكنّ العامل الأهم هو غياب تيّار جهادي عالمي قوي في جنوب آسيا (إلى أواسط العقد الأول من القرن الحالي). كما أحجم المسلّحون السعوديون المحلّيون عن التعاون مع الآسيويين؛ بسبب النزعة العرقية، والعوائق اللغوية وخوف الاختراق[٢].

كان مسلّحو القاعدة، في جزيرة العرب كبار السنّ وفق معايير الإسلاميين المسلّحين؛ إذْ بلغ متوسط أعمارهم ٢٧ سنة عند بدء الحملة، وهو أعلى من متوسط أعمار كل من المجاهدين السعوديين الأوائل والإسلاميين المسلّحين في البلاد الأخرى الذين كانوا في مطلع العشرينيات من أعمارهم. تكشف هذه الأرقام فساد مقولة إنّ المسلّحين السعوديين كانوا صغار السنّ وفتياناً ومراهقين سُذّجاً.

---

(٢) تتضمن الاستثناءات مخططاً زُعم أن باكستانيين أعدوه لتفجير هدف أمريكي، في جدّة في أواسط عام ٢٠٠١. انظر: George Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA* (New York: HarperCollins, 2007), p. 147.

وكان لباكستاني، وُلد في السعودية، إسهامات كثيرة في المواقع الجهادية، في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣، انظر: «في معلومات خاصة حصلت عليها الشرق الأوسط. . . انظر: «أشهر المتعصبين من كتّاب الإنترنت غير السعوديين،» **الشرق الأوسط**، ٢/١٠/٢٠٠٥. وزُعم أنه كان في عداد من اعتُقلوا، في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨، بعض الآسيويين. انظر مثلاً: Andrew Hammond, «Saudi Arabia Sags Arrests 520 Terrorism Suspects,» Reuters (25 June 2008).

ومع أنه وُجد فيهم مراهقون، إلا أنهم اضطلعوا بأدوار هامشية[٣].

تجدر الإشارة إلى أن أربعة عشر مسلّحاً على الأقل في العيّنة النواة كانوا متزوجين، وهذا يُضعف فرضية رائجة - رغم هشاشتها - في بعض الدوائر الغربية، تقول إن الكبت الجنسي والرغبة في نيل الحور العين بالجنّة تدفع إلى الاستعداد للموت. وإذا كان أغلب مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب قد هجروا أُسرهم، فقد صحبت بعض الزوجات أزواجهنّ عندما تواروا عن الأنظار كي لا يشتبه فيهم الجيران ورجال الشرطة. والظاهر أن بعض زوجات المسلّحين أدّين مهمات لوجستية ثانوية ومهمات إعلامية؛ إذْ نشرت مجلة **صوت الجهاد** عدة مقالات وُقّعت بأسماء نسائية مستعارة، وذُكر أن «المكتب الإعلامي النسائي في جزيرة العرب» أصدر مجلة **الخنساء**، لكنْ لم تشارك أي امرأة في العمليات[٤].

وعلى صعيد الخلفية الجغرافية، كان لأبناء الرياض والمناطق المحيطة بها غلبة واضحة. وفي الواقع، زادت النسبة المئوية لسكان الرياض في هذه العيّنة على نسبتهم في إجمالي عدد السكان. إن لغلبة سكان الرياض صلة بـ «هيمنة النجديين» في التيار الجهادي السعودي التي يمكن عزوها إلى وجود المنظرين الأساسيين (مثل مشايخ مدرسة الشُّعَيبي)، ووكلاء التجنيد في القاعدة في جزيرة العرب (مثل يوسف العُيَيْري) في نجد، بدءاً بأواخر تسعينيات القرن الماضي. وبقي تمثيل المناطق الجنوبية، مثل: أبها وعسير وجيزان ونجران متدنّياً بشكل ملحوظ.

كما هي الحال مع مجندي القاعدة، تتوافر أدلة قولية قليلة نسبياً على تأثير الروابط القبلية في التجنيد، والافتقار إلى إحصاءات وطنيّة

---

(٣) بلغ متوسط أعمار (أعضاء) الجماعتين المسلّحتين المصريتين اللتين درسهما سعد الدِّين إبراهيم، في أواخر السبعينيات ٢٢ سنة و٢٤ سنة على التوالي. انظر: Saad Eddin Ibrahim, «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Notes and Preliminary Findings,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 12, no. 4 (1981), p. 439.

وبلغ متوسط أعمار مسلّحي حزب الله الذين عاينهم ألان كرويغر ٢٢ سنة عندما قُتلوا، انظر: (Alan Krueger) Alan B. Krueger and Jitka Malečková, «Education, Poverty and Terrorism: Is there a Causal Connection?,» *Journal of Economic Perspectives*, vol. 17, no. 4 (2003), p. 132.

(٤) Donna Abu Nasr, «Suspected Militants Killed in Saudi Clash,» Associated Press (13 October 2004).

جيدة يجعل البتّ في كون قبائل معيّنة حظيت بتمثيل زائد أو متدنّ أمراً مستحيلاً. والمثير في الأمر زيادة الإشارات إلى القبائل وإلى الانتماءات القبلية في منشورات القاعدة في جزيرة العرب العائدة إلى مراحل لاحقة في الحملة، أي بدءاً بسنة ٢٠٠٤. لكن في تلك المرحلة، كان التنظيم قد نجح في تجنيد أغلب عناصره[٥].

وعلى الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، انتمى أغلب أعضاء القاعدة في جزيرة العرب إلى الطبقة الوسطى الفقيرة. وتحدّرت حفنة صغيرة من أُسر واسعة الثراء أو متنفّذة، في حين كانت لأقلية صغيرة سوابق جرمية قبل جنوحها إلى التشدد، كما إن متوسط التحصيل العلمي لمسلّحي القاعدة في جزيرة العرب أدنى من متوسط تحصيل المجاهدين السعوديين الأوائل والأفغان السعوديين بعد العام ١٩٩٦، مع أنّ متوسط أعمار مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب أزيد بثلاث إلى خمس سنين، ما يعني امتلاكهم وقتاً أكبر لإكمال دراساتهم. والظاهر أيضاً أنّ بعضهم كان عاطلاً عن العمل أو يشتغل في وظائف مؤقّتة. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ قلّة من الأشخاص في عيّنتنا، إذا وُجدوا أصلاً، تمتّعوا بمؤهّلات تزيد كثيراً على متطلبات وظائفهم، وقلّة منهم تخصّصت في مجالات مرموقة، مثل: الطبّ أو الهندسة. وهذا يشير إلى أنّ انغلاق الترقّي في السلّم الاجتماعي لم يكن شكوى مهمة، بعكس المسلّحين المصريين في سبعينيات القرن الماضي.

على العكس من المجاهدين السعوديين الأوائل، عمل عدد كبير نسبياً من مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب في وظائف دينية في مؤسسات، مثل: هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجمعيات الخيرية الإسلامية، والمعاهد والمحاكم الشرعية. وفي أغلب الحالات كانت وظائف متدنّية أو ذات دوام جزئي. زد على ذلك أنّ عدد الطلاب في القاعدة في جزيرة العرب تدنّى عن نظيره في المجاهدين الأوائل. والراجح أنّ هذه التوجّهات الوظيفية تعكس مشكلات تتعلّق بإعادة

---

(٥) للاطلاع على استثناء نادر، انظر: «قبيلة عتيبة تزفّ أحد أبنائها الشهداء،» **صوت الجهاد**، العدد ٤ (٢٠٠٤).

اندماج العائدين من أفغانستان اجتماعياً واقتصادياً. والراجح أنّ معدّل الطلاب في التنظيم متدنّ أيضاً لقلّة من استأنف دراسته الجامعية عقب عودته من أفغانستان، بينما تعكس نسبة الوظائف الدِّينية زيادة الالتزام الدِّيني المترافقة مع الحياة في معسكرات القاعدة.

المثير في الأمر، أنّه بالكاد وُجد في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مهندسون أو أطباء أو اقتصاديون. والاستثناء الجدير بالملاحظة يضم تركي الدَّنْدني الذي درس الطبّ، وعبد الرّحمن الجُبارة الذي درس الهندسة في كندا، وعلي الغامدي الذي درس علم الاقتصاد، إلا أن أياً من هؤلاء لم يشتغل في تخصّصه، وهذا يتناقض مع جماعات إسلامية مسلّحة في دول أخرى ضمّت عدداً كبيراً جداً من عناصر مثقفة تخصّصت في علوم طبيعية مرموقة كما في مصر. إن غياب هذه المهن في القاعدة في جزيرة العرب يُفسَّر ولو جزئياً بتركيبة سوق العمل السعودي. فعلى العكس من طلاب الهندسة المصريين في سبعينيات القرن الماضي، تقلّد أغلب خرّيجي كلّيات الهندسة السعوديين في العقد الأول من القرن الحالي وظائف جيدة ومرتفعة الأجر في القطاع الخاص[(٦)].

عموماً، لا يمكن نعت هؤلاء المسلّحين بالفقراء أو المحرومين، لكنّ تدنّي مستوى تحصيلهم العلمي نسبياً، ومعدّل بطالتهم المرتفع، جعلهم المجموعة الأقل تمتّعاً بالامتيازات من بين العيّنات الثلاث المدروسة إلى الآن، ولا ريب في أنّ المشكلات التي واجهوها في سوق الوظائف تفاقمت بسبب ماضيهم الجهادي.

ثالثاً: عامل أفغانستان

يوجد قاسم مشترك واضح واحد في سِيَر أعضاء القاعدة في جزيرة العرب هو تجربتهم الجهادية؛ ذلك أنّ ثمانية وثلاثين عنصراً على الأقل (يشكلون ٥٥ بالمئة أو أكثر) في العيّنة النواة المؤلّفة من تسعة وستين عنصراً، تدرّبوا أو قاتلوا في الخارج قبل انضمامهم إلى القاعدة في

(٦) Diego Gambetta and Steffen Hertog, «Engineers of Jihad,» *University of Oxford: Sociology Working Papers*, no. 10 (2007).

جزيرة العرب. ونحن نعرف من سياقات ومراحل أخرى أنّ الاحتكاك بالعنف وتلقّي التدريب العسكري يُفضي إلى سلوك عنيف. ونعرف أيضاً أنّه كان لمعسكرات القاعدة في أفغانستان بعد العام ١٩٩٦ تأثير قوي في تغذية المجنّدين بأفكار متشددة؛ لأنّ التدريب كان ممنهجاً للغاية وثقافة العنف واضحة جداً. والسعوديون الذين عادوا من أفغانستان في عام ٢٠٠٢ مالوا إلى التشدد بطريقة واضحة، وشكّلوا عنصراً غريباً على الساحة الإسلامية السعودية(٧).

إذا كانت التجربة الأفغانية مزيّة في المرحلة الأولى، فقد تحوّلت إلى مشكلة جدّية على المدى الطويل؛ لأنّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عجز عن تجنيد عناصر من خارج وسط الأفغان العرب. إن مفهوم الجهاد على أرض الوطن مستهجن في نظر الأغلبية الساحقة من الإسلاميين في المملكة، والأشخاص الذين لم يعتبروه جهاداً غير مشروع رَأَوا أنه سيعود بنتائج عكسية. ومن ناحية أخرى، رأى العائدون من أفغانستان الأمورَ بشكل مختلف، بعد أن تشربوا التشدد في معسكرات التدريب، وبعد أن صقلتهم المعارك عادوا حاملين رؤية أيديولوجية أكثر تشدداً وعالمية ومعاداة لأمريكا من رؤية الإسلاميين الذين لم يغادروا أرض المملكة.

إن العواقب غير المباشرة المترتّبة على المشاركة في الجهاد بالخارج، وخصوصاً تجربة السجن والتعذيب، ليست أقل أهمية من تأثيرات الجهاد في أفغانستان. ذلك أن عدداً من عناصر القاعدة في جزيرة العرب لا يقلّ عن أربعة عشر في عينتنا النواة المؤلفة من تسعة وستين عنصراً، أمضوا مدة في السجن قبل عام ٢٠٠٣. اعتُقل بعضهم مثل: علي الحربي ويوسف العُيَيْري في حملة الاعتقالات عام ١٩٩٦ أو ١٩٩٨، وسُجن آخرون في الخارج مثل: عبد العزيز المقرن وخالد البغدادي في أواخر التسعينيات في دول مثل إثيوبيا وباكستان، وأمضى آخرون مثل عامر الشِّهري وعيسى العوشن وقتاً في السجون السورية أو الإيرانية في أثناء إيابهم من أفغانستان أواخر عام ٢٠٠١. واعتُقل عدد قليل من الأشخاص العائدين من أفغانستان

(٧) انظر مثلاً: Dave Grossman, *On Killing: The Psychological Cost of Learning to Kill in War and Society* (Boston, MA: Little, Brown, 1995).

في أواخر عام ٢٠٠١ أو في مطلع عام ٢٠٠٢ عقب وصولهم إلى المملكة العربية السعودية، وبَقَوا رهن الاحتجاز مدداً تراوحت بين شهر واحد وستة أشهر. وتحدّث أغلب المسلّحين الذين أمضوا مدة من الزمن في السجون عن تعرّضهم لتعذيب نفسي أو بدني، إنّ تأثير سجن الناشطين السياسيين أو تعذيبهم في غرس التطرّف معروفٌ جيداً في بلاد وحقب أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر مصر في زمن عبد الناصر والجزائر في مطلع التسعينيات، وإذْ يصعب تحديد عدد عناصر القاعدة في جزيرة العرب الذين عُذّبوا أو أُسيئت معاملتهم، لا يُشترط أن يكون عدد ضحايا التعذيب كبيراً جداً في وسط ما ليكون سبباً للتطرّف. ذلك أنّ قصص سوء المعاملة يمكن أن تنتشر بسرعة بفضل وسائل الإعلام الحديثة، وكما إن للأعمال القمعية أثراً اجتماعياً عميقاً، يمكن لسجن شخص واحد أو تعذيبه إثارة نقمة شبكته الاجتماعية برمتها[٨].

من النتائج الأخرى المترتبة على خوض قتال في الخارج، بروز مشكلات تتعلّق بإعادة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي عقب العودة إلى الديار. وكما مرّ معنا يبدو أنّ بعض العائدين من أفغانستان واجهوا مشكلات في إعادة الاندماج في المجتمع؛ لأنّ غيابهم وليس تشددهم فقط أضعف فرصهم في سوق العمل. زد على ذلك، أنّ الاعتقال والاستجواب أشعر الكثير منهم بخيانة الدولة والمجتمع لهم. وبعد مواجهة هذه المشكلات ومشكلات التكيّف الأخرى، آل الأمر بالكثير منهم إلى اختلاطه بقدامى الأفغان العرب في الأغلب. وبالتالي، قويت الشبكات الاجتماعية الداخلية في الوسط الجهادي على حساب الروابط بباقي شرائح الوسط الإسلامي[٩].

---

(٨) «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣)؛ فواز النشمي، «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي)،» **صوت الجهاد**، العدد ١٨ (٢٠٠٤)؛ محمد السالم، «يوسف العُيَيْري (٢)،» مجلة **الإصلاح**، العدد ٢٢ (١٣ آب/ أغسطس ١٩٩٦)؛ مقابلة مع علي الحربي في فيلم «بدر الرياض»، و James Moody, «Fighting a Hydra: A Note on the Network Embeddedness of the War on Terror,» *Structure and Dynamics: E-Journal of Anthropological and Related Sciences*, vol. 1, no. 2 (2006).

(٩) انظر مثلاً: النشمي، المصدر نفسه.

انتمى قدامى المجاهدين من عناصر القاعدة في جزيرة العرب إلى جيلين مختلفَين: الجيل الذي مضى إلى أفغانستان قبل عام ١٩٩٦، والجيل الذي مضى إلى هناك بعد عام ١٩٩٩. شكّل الجيلُ **الأول** مجموعةً غير متجانسة على صعيد الخبرة الجهاديّة؛ فقد حارب بعض أفرادها في أفغانستان في الثمانينيات، وحارب بعضهم في البوسنة أو الشيشان. وقد سلك قدامى المجاهدين هؤلاء سبيلين مختلفَين بعد توقف جهادهم الأول، فعاد بعضهم إلى المملكة العربية السعودية وعاش حياة هادئة إلى عام ٢٠٠٣، مثل سعود العتيبي وحمد الحُمَيدي، وأضحى بعضهم جهادياً متمرّساً وبنى علاقات وثيقة بقيادة القاعدة مثل عبد العزيز المقرن ويوسف العُيَيْري. لكنّ تجربة الجيل الثاني من قدامى المجاهدين كانت أكثر تجانساً؛ إذْ توجّه أغلبهم إلى أفغانستان بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، وتدرّبوا في معسكر الفاروق بقندهار. وحارب بعضهم إلى جانب طالبان على جبهة كابل في أواخر عام ٢٠٠١، وغادروا أفغانستان عبر إيران أو باكستان، وهؤلاء تقاسموا تجارب يرجّح أنها قوّت اللُّحمة الداخلية لجماعتهم[١٠].

المثير في الأمر اتضاح الرابط القوي بين دور المسلّحين المستقلين في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في أثناء حملته وطبيعة تجربتهم الجهادية وزمانها. وربما نستطيع التمييز بين ثلاث فئات لعناصر القاعدة في جزيرة العرب: «كبار القادة»، و«المنظّرون» و«المقاتلون». كان كبار القادة مثل: العُيَيْري والمقرن «جهاديين متمرّسين» من جيل قدامى المجاهدين الأول، وقد رحل هؤلاء إلى أفغانستان في مقتبل أعمارهم في أواخر الثمانينيات أو في مطلع التسعينيات، وميّزوا أنفسهم بقدراتهم البدنية ومهاراتهم القيادية،

---

(١٠) انظر مثلاً: المصدر نفسه؛ «قبيلة عتيبة تزفّ أحد أبنائها الشهداء؛» محمد المكي، «متعب المُحيّاني،» **صوت الجهاد**، العدد ٤ (٢٠٠٣)؛ أبو هاجر الجوفي، «تركي الدَّنْدني: عظمة وشجاعة،» **صوت الجهاد**، العدد ٧ (٢٠٠٤)؛ فواز النشمي، «فهد بن سمران الصاعدي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٦ (٢٠٠٤)؛ أسامة النجدي، «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٧ (٢٠٠٤)؛ «تركي بن فُهَيد المُطَيري،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٠ (٢٠٠٤)؛ «علي المعبدي الحربي: بطل بدر الرياض،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٤ (٢٠٠٤)؛ بندر الدُّخَيِّل، «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٨ (٢٠٠٤)؛ «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)؛» «لقاء مع المجاهد صالح بن محمد العوفي،» **صوت الجهاد**، العدد ٨ (٢٠٠٤)، و«عبد الرّحمن اليازجي يروي وقائع معركة حيّ النهضة في لقاء خاص،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٨ (٢٠٠٤).

وعملوا مدرّبين في معسكرات التدريب، وبقوا مسلّحين ناشطين طوال التسعينيات، ولبثوا في السجن سنين وتعرّضوا للتعذيب.

ومن ناحية أخرى، كان للمنظّرين تجربة جهادية محدودة أو لم يشاركوا في الجهاد على الإطلاق. من كبار المنظرين في القاعدة في جزيرة العرب عبد الله الرشود وفارس الزهراني وأحمد الدُّخَيِّل وعيسى العوشن وسلطان العتيبي وعبد العزيز العنزي وعبد اللطيف الخُضَيري وعبد المجيد المُنَيع وحمد الحُمَيدي. وفي ما عدا الحُميدي الذي أقام بأفغانستان مدة قصيرة في الثمانينيات، والدُّخَيِّل الذي أمضى وقتاً قصيراً هناك في أواخر التسعينيات، والعوشن الذي وصل إلى الحدود الإيرانية الأفغانية في أواخر عام ٢٠٠١، لم يشارك المنظّرون في الجهاد في الخارج. درسوا جميعاً العلوم الشرعية، إما بشكل رسمي في جامعة الإمام محمد بن سعود أو على أيدي مشايخ في حلقات خاصة. كما إن أداء أغلبهم في القطاع الدِّيني كان متواضعاً أو متعثّراً، ولا يُعرف عن أي منهم أنه كان عالماً دينياً معروفاً قبل إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حمْلَتَه.

كوّن المقاتلون جماعة أقل تجانساً، يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات فرعية: تكوّنت أولى هذه الفئات الفرعية وأهمها من الناحية العملانيّة من قدامى المجاهدين الشباب الذين توجّهوا إلى أفغانستان بعد عام ١٩٩٩ وعادوا في أواخر عام ٢٠٠١ (أنظر الفقرة أعلاه). تدرّب هؤلاء في معسكرات بن لادن عندما كان تنظيم القاعدة في أوجه وغادروا أفغانستان رغماً عنهم، ولذلك عادوا إلى البلاد، وهم على مستوى عالٍ من التدريب والتحفيز. وإلى هذه الفئة الفرعية ينتمي أغلب أعضاء نواة القاعدة في جزيرة العرب، مثل تركي الدَّنْدني ومتعب المُحيّاني وفيصل الدُّخَيِّل. وتتكون الفئة الفرعية الثانية من قدامى المجاهدين الأكبر سنّاً، الذين «تقاعدوا» في أواسط عقد التسعينيات أو في أواخره، واستُنفروا في حملة القاعدة في جزيرة العرب عام ٢٠٠٣. كان هؤلاء الرجال من أمثال إبراهيم الريّس وخالد السُّبَيت وعلي الحربي وسعود العتيبي وبندر الغامدي مقاتلين محنّكين ومحترمين، لكنهم افتقروا إلى المهارات القيادية التي تؤهلهم ليكونوا من كبار القادة. وتكوّنت الفئة الفرعية

الثالثة من المجنّدين الجدد، أي من أشخاص لم يبلغوا سنّاً تؤهلهم للذهاب إلى أفغانستان، لكنّهم انخرطوا في التنظيم بدءاً بعام ٢٠٠٢. وكان لبعضهم مثل بندر الدُّخَيِّل ومنصور الفقيه أصدقاء وأقرباء من قدامى المجاهدين، أو أعضاء في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.

يبدو أنه كان لعدد كبير ممن لم يذهب إلى أفغانستان من مجنّدي التنظيم أصدقاء أو أقرباء لقدامى المجاهدين، وهناك عدد مذهل من مسلّحي التنظيم الذين كان لهم أقرباء فيه، وهذه أبرز الأمثلة على ذلك:

- فيصل الدُّخَيِّل وشقيقه بندر وابن عمه أحمد الدُّخَيِّل.
- فهد الجُوَير وقريبه خالد الفرّاج (والظاهر أن لكل منهما أقرباء مسلّحين آخرين).
- منصور الفقيه وشقيقه حسن.
- محمد السُّوَيلمي وشقيقه أحمد.
- مصطفى الأنصاري وشقيقه أيمن وابنا عمهما سمير وسامي الأنصاري.
- فايز الجُهَني وشقيقه عيد الجهني وقريبهما تركي الحُزَيمي.
- عبد الكريم اليازجي وابن عمه عبد الرّحمن.

إذا أدرجنا الأشخاص الذين لديهم أقرباء في الوسط الجهادي الأوسع، تكبر القائمة. من الأمثلة على ذلك:

- عيسى العوشن الذي كان له شقيق في معتقل غوانتنامو، وشقيق آخر قُتل في أفغانستان عام ٢٠٠١.
- فايز وعيد الجهني اللذَين قُتل ثلاثة من أبناء عمومتهما في الفلّوجة في العراق عام ٢٠٠٤.
- عبد الرّحمن الجُبارة له شقيق محتجز في غوانتنامو اسمه محمد.
- منصور وحسن الفقيه، قتل شقيقهما في أفغانستان عام ١٩٩٨.

● عامر الشهري، قُتل شقيقه زيدان في أفغانستان في أواخر عام ٢٠٠١.

● عبد المحسن الشبانات، قُتل شقيقه بدر في أفغانستان في أواخر عام ٢٠٠١.

يمكن افتراض أن عددَ أواصر الصداقة التي سبقت تشكيل القاعدة في جزيرة العرب كان أكبر من عدد أواصر القربى. بعبارة أخرى، تكوّن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في الأساس من قدامى المجاهدين ومن معارفهم. لكن ما الذي حملهم على الضلوع في تنفيذ أعمال عنيفة في بلادهم؟

خامساً: معاداة أمريكا والصحبة

مع أن المسلّحين السعوديين السابقين لم يعدّوا العداء لأمريكا حافزاً أساسياً، فقد كان مقاتلو القاعدة السعوديون بأسرهم شديدي المعاداة لأمريكا. والدافع الذي كثر الاستدلال به هو الهدف المعلَن للتنظيم، وعلى التحديد إنهاء الاحتلال العسكري الأمريكي المتصوَّر للمملكة العربية السعودية. شدّد بعضهم على المسوّغ السياسي لهذا الصراع، أعني الحاجة إلى منع الجيش الأمريكي من استخدام المملكة العربية السعودية قاعدةً لمهاجمة المسلمين في أفغانستان والعراق. وشدد آخرون على البُعد الدِّيني مستدلّين بحديث النبي [ﷺ] الذي يقول: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» أو بضرورة «إخراج المشركين من جزيرة العرب».

المثير في الأمر، أنّ عدداً ممّن انضمّوا إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ولم يتوجّهوا إلى أفغانستان، أرادوا في البداية الذهاب إلى العراق والقتال هناك، لكنّ وكلاء التجنيد في التنظيم أقنعوهم بالعدول عن ذلك (كما سيأتي). وهذا يشير إلى أن بعض المجندين آثروا الجهادَ الكلاسيكي في البداية، وليس الجهاد العالمي أو النشاط الثوري.

كما أعرب مسلّحو تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عن وجهات نظر أشدّ معاداة للنظام بعض الشيء من وجهات نظر المجاهدين السابقين. ومع ذلك، يبدو أنّ الدوافع الثورية اضطلعت بدور أصغر بكثير من دافع معاداة أمريكا في تحفيز مجندي القاعدة في جزيرة العرب. كان الكثير

منهم معادياً للشرطة وللأجهزة الأمنيّة بالطبع، وربما انضمّ إلى التنظيم فراراً من السجن كما سنرى لاحقاً. كما إنه مع تواصل الحملة، زاد انتقاد خطاب التنظيم للنظام، ولا ريب في أنّ أكثر مقاتلي التنظيم نشاطاً رأَوا أنهم في حرب مع كل من الصليبيين والمؤسسة الأمنية السعودية. لكن، يبدو أنّ عدداً قليلاً منهم كان مدفوعاً بالعداء للنظام من البداية[١١].

الدافع **الثاني** للانضمام إلى العمل المسلّح السرّي، هو الرغبة في الصحبة والحس بالولاء لرفاق السلاح في أفغانستان. شدّد بعض أوائل الأعضاء في شبكة العُيَيْري على أنهم بايعوا وهم في أفغانستان على مواصلة الجهاد في الجزيرة العربية. وكان بعض العائدين يكنون مودّة عظيمة لمن صادقوهم في أفغانستان واشتاقوا إلى جوّ الصحبة المميز وإلى الفروسية التي عايشوها في «أرض الكرامة» أي أفغانستان[١٢].

كان عامل الصحبة مهماً في حالة قدامى المجاهدين، وكذلك في حالة الآخرين في الشبكة الجهادية الموسّعة الذين وجدوا أنفسهم معرّضين لضغوط متعاظمة من السلطات. فباعتبار أنّ الوسط الجهادي كان مُغلقاً نسبياً ومتشابكاً بإحكام، يمكن أن يجد المرء نفسه في وضع حيث انضم فيه بعض أصدقائه أو أكثرهم إلى القاعدة في جزيرة العرب، فاختار كثير منهم اللحاق بهؤلاء في العمل العسكري السرّي. وقد ازدادت أهمية الولاء مع زيادة ضغوط الشرطة على عناصر القاعدة؛ إذ التحق عدد من الأشخاص بالتنظيم بعد أن ظهر اسم صديق أو قريب في قائمة المطلوبين، أي إن الانضمام إلى التنظيم في نظر كثير من هؤلاء إنما كان إعلان ولاء ووفاء أكثر منه تصريح بانتماء أيديولوجي[١٣].

إن مفهومَي الصحبة والولاء على صلة وثيقة بمفهومي الفروسية

---

(١١) من هؤلاء أحمد الدُّخَيِّل الذي عمل في عام ٢٠٠٢ «على زيادة الوعي بكفر الطاغية» وجّه رسائل إلى العلماء وألقى خطباً ملتهبة في المساجد المنتشرة في محيط الرياض. انظر: القعقاع النجدي، «الشيخ أحمد بن ناصر الدُّخَيِّل،» **صوت الجهاد**، العدد ٥ (٢٠٠٣).

(١٢) المكي، المصدر نفسه، والنجدي، المصدر نفسه.

(١٣) «مجموعة مقالات الشهيد محمد بن عبد الرّحمن السُّوَيلمي،» (٢٠٠٦) <http://www.alhesbah.org>.

والبطولة؛ وإذا أردنا أن نحكم من منطلق خطاب منشورات القاعدة في جزيرة العرب، يتضح أن المسلّحين رَأَوا أنهم جزء من طليعة محاربين متديّنين. والظاهر أنّ بعضَ المجنّدين، وخصوصاً الذين أمضَوا وقتاً في أفغانستان، استهواهم بُعْد الفروسية في جهاد القاعدة في جزيرة العرب. ففي مقابلة تلفزيونية، ذكر مسلّح سابق أن جهد التجنيد في التنظيم «استغلّ رومانسية الشباب، واعتمد على العناصر المندفعة التي تهوى المغامرة... ولا سيما الذين في سن العشرين ممن يرغبون في إثبات أنفسهم»(١٤).

الدافع **الثالث** للانضمام إلى القاعدة في جزيرة العرب هو الخوف من قمع المؤسسة الأمنية والتذمّر منه. ذكرنا أن الأمن السعودي شنّ حملة اعتقالات في أواخر عام ٢٠٠٢، ما لبثت أن تصاعدت وتيرتها بسرعة في عام ٢٠٠٣، وخصوصاً بعد إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حملته. وجد عدد من الأشخاص أنفسهم على قوائم المطلوبين، وبلغهم نبأ اعتقال الأمن أصدقاءهم وأقرباءهم. وبالنظر إلى شيوع حكايات التعذيب في الوسط الإسلامي، خشي بعضهم الوقوع في الأسر بلا شك، ورأى في الانخراط مع المسلّحين استراتيجية للدفاع عن النفس. وهناك عدد كبير من الأشخاص في الوسط الجهادي ذي التعريف الفضفاض ليست لهم مشاركة مباشرة في شبكة العُيَيْري، ولم ينضموا إلى القاعدة إلّا بعد أن أدركوا أن السلطات تلاحقهم. وهذا ما يصحّ على الخصوص في عدد من الخطباء المتشددين (الذين أصبحوا منظّري القاعدة في جزيرة العرب لاحقاً)، مثل: أحمد الدُّخَيِّل وعبد الله الرشود وحمد الحُميدي. لم ينضمّ هؤلاء إلى العمل السرّي المسلّح إلّا بعد أن لاحقتهم وزارة الداخلية؛ حيث وجدوا الحماية عند مجموعات القاعدة. وعلى سبيل المثال، انضم محمد السويلم إلى القاعدة في جزيرة العرب في أواسط عام ٢٠٠٣ بعد أن جدّت وزارة الداخلية في طلبه. والمثال الجيد الآخر هو خالد السُّبَيت أحد قدامى المجاهدين في الشيشان،

---

(١٤) Rawya Rageh, «Ex-Militants: Al-Qaida Preys on Young Men,» Associated Press (22 September 2004).

شارك في جمع التبرعات لأفغانستان والشيشان ولم يكن عنصراً في التنظيم. ففي أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣، وبُعَيد عودة ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله من زيارة إلى موسكو، يرجَّح أنها تضمّنت تبادلاً للمعلومات الاستخباراتية بشأن سعوديين نشطوا في الشيشان سابقاً، شرعت المؤسسة الأمنية تبحث عن خالد، عندئذٍ قرّر التواري عن الأنظار «والإقامة في مخبأ مع نحو ثمانين مجاهداً آخر». تشير هذه الراويات أنّ قوائم المطلوبين الصادرة عن السلطات في أيار/ مايو ٢٠٠٣، وفي كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، وفي تموز/ يوليو ٢٠٠٥ ربما عادت بنتائج عكسية (مع أنه كان لإصدارها أثر إيجابي في إغراء الواشين وقوننة عمليات المطاردة الأمنية)[١٥].

يبدو أن دافع مجندين آخرين كان الغضب والرغبة في الانتقام من ظلم متصوَّر نزل بهم أو بأصدقائهم على أيدي الأجهزة الأمنية، كان بعض المجندين أنفسهم ضحايا للتعذيب. وعلى سبيل المثال، أطال علي الحربي (أحد الانتحاريين في تفجير المحيّا في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣) الحديث في فيلم بدر الرياض عن التعذيب الذي تعرّض له وأصدقاءه في سجن الرويس في أواسط التسعينيات. والمثال الآخر هو خالد البغدادي (أحد الانتحاريين في تفجير الرياض الذي وقع في أيار/ مايو ٢٠٠٣) الذي اعتقلته الشرطة في عام ٢٠٠٢. تزعم سيرة هذا «الشهيد» أنه بُعيد وصوله قادماً من أفغانستان، اقترب منه مسؤولون من وزارة الداخلية وطلبوا إليه بأدب الذهاب معهم لمدة «خمس دقائق للتحقيق»، لكنه سُجن خمسة أشهر، وذُكر أنه تعرّض للتعذيب. جاء في سيرته «عقب إطلاق سراحه، انضم إلى المجاهدين في الجزيرة». كما إن عدداً من الأشخاص الذين لم يُعتقَلوا انضموا إلى التنظيم بعد أن بلغهم نبأ مصرع صديق قريب أو نسيب

---

(١٥) انظر: النجدي، «الشيخ أحمد بن ناصر الدُّخَيِّل؛» عبد الله الرشود، «بيان حول أحداث الإفتاء،» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>؛ عبد الله الراشد، «العالم المجاهد حمد بن عبد الله الحُمَيدي،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٩ (٢٠٠٥)؛ تركي المُطَيري، «عبد المحسن الشبانات: شهيد في يوم عيد،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٣ (٢٠٠٤)؛ «مجموعة مقالات الشهيد محمد بن عبد الرّحمن السُّوَيلمي»، وعيسى بن سعد العوشن، «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٥ (٢٠٠٤).

أو اعتقاله. وعلى سبيل المثال، انضم منصور الفقيه إلى التنظيم عقب اعتقال شقيقه حسن في أيار/ مايو ٢٠٠٣. وانضم فهد الجوَير إلى القاعدة في جزيرة العرب في مطلع عام ٢٠٠٥، عَقِبَ مصرع شقيقَيه أو أبناء عمومته برصاص الشرطة في السنة التي قبلها[١٦].

سادساً: الإقناع والتوريط والحماية

بما أن المجندين الذين تجاوزوا الشبكات الاجتماعية في طريق انضمامهم إلى القاعدة في جزيرة العرب كانوا قلة، فإنه يصعب التمييز بين عملية التجنيد من قمة الهرم إلى قاعدته وعملية التجنيد من قاعدة الهرم إلى قمته. فلا يوجد في قصص التجنيد أمثلة كثيرة على تعرّف تمّ بالصدفة إلى مجندين أو تجنيد بتأثير خطب عامة، وليس هناك أمثلة على أشخاص أغراهم وكلاء تجنيد متسترون في المراكز الصيفية أو في المدارس بالالتحاق بالتنظيم في عام ٢٠٠٢ أو ٢٠٠٣. وبالمقابل، قلّة هم الذين التحقوا بالتنظيم بمبادرة خاصة منهم، لكن يوجد استثناءات مثل سامي اللُّهَيبي الذي نفّذ هجوماً على قاعدة بحرية أمريكية في الجُبَيل بمبادرة خاصة منه، قبل التحاقه بالقاعدة في جزيرة العرب. كما إن بعض العمليات، مثل حوادث إطلاق النار في مدينة ينبع في ١ أيار/ مايو ٢٠٠٤، نفّذتها خلايا مستقلّة لم تكن على اتصال وثيق بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب. وهناك مؤشّرات أيضاً على أنّ أشخاصاً شجّعتهم الحملة الإعلامية الواسعة التي أدارها التنظيم على الإنترنت على توفير صور متنوعة من العون، لكن قلّة منهم أصبحوا مسلّحين أساسيين بهذه الطريقة. ربما لم يكن اهتمام عامة الناس كبيراً أو أنّ التنظيم تردّد لدواع أمنية في ضمّ أشخاص من دون تزكية. وعلى أي حال، قلة هم الأشخاص الذين التحقوا بالقاعدة في جزيرة

---

(١٦) فيلم «بدر الرياض»، والنشمي، «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي)». انظر: Raid Qusti, «Background of the Most Wanted Terrorists: Part 4,» *Arab News*, 14/12/2003.

وقد عمّق فهد الجوير مشاركته في القاعدة في جزيرة العرب عقب مصرع شقيقيه برصاص الشرطة السعودية. انظر: **الشرق الأوسط**، ٤/ ٧/ ٢٠٠٥، و Abdullah al-Shihri, «Leader of al-Qaida in Saudi Arabia Killed,» Associated Press (28 February 2006).

العرب، وليس لديهم شخص يعرفونه في الوسط الجهادي[١٧].

تشير السِيَر المتاحة إلى طرق رئيسة ثلاث للالتحاق بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ولا يمكن وصف أي منها بأنها تجنيد من قمة الهرم إلى أسفله أو العكس، وهي: الإقناع، والتوريط، والحماية. بموجب **الطريقة الأولى**، أقنع ناشطون في التنظيم أشخاصاً آخرين في الوسط الجهادي بالانضمام إلى التنظيم. وعادة ما كان ذلك يتمّ في اللقاءات الاجتماعية غير الرسمية في منازل الأشخاص المنتمين إلى وسط الأفغان العرب، وعُرف عن بعض الأشخاص، مثل عبد اللطيف الخُضَيري، استضافتهم سهرات مسائية منتظمة لقدامى المجاهدين. وعلى سبيل المثال، يذكر بندر الدخَيِّل أنه التقى بعلي الحربي في تجمّع للشباب المجاهد في عام ٢٠٠٢، ويشير إلى أنّ «علي جادل بقوة دفاعاً عن الجهاد في الجزيرة العربية». وأراد جهادي مخضرم آخر يدعى إبراهيم الريّس الذهاب إلى العراق في ربيع العام ٢٠٠٣، لكنه «التقى بأحد الإخوة الذي اقترح عليه الانضمام إلى المجاهدين في الجزيرة العربية عوضاً عن ذلك». ونحن نجد مثالاً توضيحياً مميزاً على عمليات التجنيد تلك في سيرة مساعد السُّبَيعي العائد حديثاً من أفغانستان في مطلع العام ٢٠٠٣:

مساعد وعبد الله السبيعي وعبد الإله العتيبي كانوا يحاولون جمع الأوراق للسفر إلى العراق.. «وفي هذه الأثناء كان مساعد رحمه الله يلتقي بالشهيد: عبد المحسن الشبانات، وكانت بينهما علاقة أخوية ومودة، وكان عبد المحسن رحمه الله له اتصّال بالإخوة الذين يعملون في الجزيرة»، وقد عرّف مساعد إلى أحد المجاهدين. وكان مساعد لا يترك مشورة إخوانه، فاستشار كل من عبد الله السبيعي وعبد الإله العتيبي، فتبايعوا على العمل، وقرروا جميعاً الجهاد في سبيل الله[١٨].

---

(١٧) خليل المكي، «سامي اللُّهَيبي: عزيمة الرجال،» **صوت الجهاد**، العدد ٦ (٢٠٠٣)، وعبد العزيز المقرن، «لكل الراغبين في الجهاد على أرض الجزيرة العربية،» **معسكر البتّار**، العدد ١٠ (٢٠٠٤). انظر مثلاً «رسائل إلى المحرر،» في: **صوت الجهاد**، الأعداد ٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧ و٢٨.

(١٨) «علي المعبدي الحربي: بطل بدر الرياض؟» عبد الله السُّبَيعي، «مُساعد السُّبَيعي: رجل في زمن قلّ فيه الرجال،» **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤)، وسعود العتيبي، «إبراهيم الريّس: ثبات حتى الممات،» **صوت الجهاد**، العدد ٩ (٢٠٠٤).

وبدءاً بأواخر عام ٢٠٠٢، نظّم الداعون إلى الجهاد في المملكة العربية السعودية تجمّعات أريد من ورائها إقناع الآخرين في وسط الأفغان العرب بالانضمام إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حديث النشأة. وفي هذا السياق، ألقى شيوخ متشددون مثل أحمد الدُّخَيِّل محاضرات خاصة على مجموعات صغيرة من الأشخاص في الوسط الجهادي. بل إن غارة الشفا الشهيرة التي نفّذتها المؤسسة الأمنية في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢ (انظر الفصل الثامن) قاطعت إحدى تلك المحاضرات. وقد انضم بعضهم، مثل عبد الرّحمن الحربي، إلى الجهاديين عقب اجتماعه بأحمد الدُّخَيِّل، ولم يتّضح إلى الآن إنْ كان لأبرز الشيوخ المتشددين (مثل الشيخ ناصر الفهد وعلي الخُضَير) ضلعٌ مباشر في هذا الجهد التعبوي؛ فمن ناحية ليس هناك إشارات صريحة في مؤلّفات القاعدة في جزيرة العرب إلى لقاءات سرّية أو مهرجانات تجنيدية شارك فيها هؤلاء المشايخ. ومن ناحية أخرى تبيّن لاحقاً أن الكثير من تلامذتهم انضووا في صفوف المسلّحين[١٩].

قامت عملية التوريط - وهي **الطريقة الثانية** - بإقحام بعض الناس في التنظيم من دون قصد منهم عقب مدّهم ليد العون لأصدقاء قدامى من أعضاء التنظيم، فكان المسلّحون الهاربون من الشرطة ينشدون العون من أصدقائهم وأقربائهم بصور مختلفة، مثل إيوائهم أو مدّهم بالمال أو نقلهم. وقد أدّى ذلك غالباً إلى تحويل المُعين نفسه إلى مطارَد من قبل الشرطة، وإلى اقتناعه بقضية المسلّحين واختياره الانضمام إليهم في نهاية المطاف. وإذا سارت عامة هذه العمليات بشكل طبيعي، بمعنى أنّ المسلّح الذي طلب العون إنما فعل ذلك بدافع الحاجة، هناك مؤشرات على أنّ بعض أعضاء القاعدة في جزيرة العرب تعمّدوا الطلب إلى الأصدقاء والأقرباء تقديم خدمات بغرض توريطهم في المجموعة وتعقيد انسحابهم منها. ففي البرنامج التلفزيوني «داخل الخلية» بيّن مسلّحون مسجونون كيف حاول أعضاء في القاعدة توريط معارفهم عن عمد:

---

(١٩) ذياب العتيبي، «عبد الرّحمن بن عبد الله الحربي،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٦ (٢٠٠٤)، وسعد العنزي، «عبد اللطيف بن حمد الخُضَيري،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٧ (٢٠٠٤).

«كانوا يقولون إن بعض الشباب مطلوب [من قبل الأجهزة الأمنية] أو أنهم مجاهدون متوجّهون إلى العراق، وفي حاجة إلى المال أو إلى استئجار شقة سكنية للإقامة بها مدة قصيرة من الزمن. بهذه الطريقة، يمكن أن يجد الشخص [الذي أعان المجاهدين] نفسه منخرطاً في الخلية بدون علمه». والشيء الآخر الذي تجدر الإشارة إليه بشأن هذه الشهادة، هو طريقة استغلال القاعدة للتعاطف مع قضية العراق لأغراضها الخاصة، وهو ما يذكّر باستغلال القاعدة لقضية الشيشان بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، التي أوضحت علاقة الجهاد العالمي بالجهاد الكلاسيكي(٢٠).

الطريقة الرئيسة **الثالثة** التي توصل إلى القاعدة في جزيرة العرب، تقوم على بحث بعضهم عن معارف في التنظيم لحمايته من الشرطة. وكما بيّنا أعلاه، هناك عدة أشخاص في الوسط الجهادي لم ينضمّوا إلى القاعدة في جزيرة العرب في البداية، لكنّهم فعلوا ذلك لاحقاً بعد أن باتوا مطارَدين من السلطات. ولهذا السبب بالذات عمل أعضاء التنظيم بطريقة ممنهجة على تعميق الخوف من الشرطة. وبيّن مسلّحون سابقون كيف كان قادة التنظيم يعرضون أوصافاً مؤثّرة للتعذيب المروّع الذي سينزل بالمسلّحين إن وقعوا في الأسر. وكان لذلك أثر في تشنيع العدو، وفي إضعاف احتمال الانسحاب وشدّ عزيمة المسلّحين على القتال حتى الموت عوضاً عن الاستسلام(٢١).

كان الأشخاص الذين انضموا إلى حملة الجهاد في الجزيرة العربية متفائلين للغاية بشأن مستقبل حملتهم، فهم مدرَّبون جيداً ومدجَّجون بالأسلحة ومتحمسون للغاية؛ وقد وَعَدَهم قادتهم بالنصر وأكّد لهم منظّروهم أن الجهاد قدرٌ إلهي، لكنّ الحصيلة جاءت مختلفة.

---

(٢٠) «لقاء مع الشيخ المجاهد سعود بن حمود العتيبي،» **صوت الجهاد** (٢٠٠٣)، وRageh, «Ex-Militants: Al-Qaida Preys on Young Men».

(٢١) Rageh, Ibid., and P. K. Abdul Ghafour, «Al-Qaeda Controls Young Operatives by Torture Threats,» *Arab News*, 23/9/2004.

الفصل العاشر

إخفاق الجهاد في جزيرة العرب

كانت العملية شرقيّ الرياض مجرّد بداية؛ ذلك أنّه أعقب هجومَ أيار/ مايو ٢٠٠٣، سلسلة بدت بلا نهاية من حوادث إطلاق النار والهجمات، وأثار كلّ منها قلق حيال الوضع الأمني في المملكة. وسيطر التشاؤم على وجهات نظر كثير من المحللين الغربيين ردحاً طويلاً. وفي مطلع صيف العام ٢٠٠٤، عندما كان الجوّ مفعماً بالتوتر، اعتقد كثير من الناس أنّ الوضع على وشك الخروج عن السيطرة. وكم كان وقْع المفاجأة عندما خفّت حدّة العنف إلى أن توقفت حملة القاعدة في جزيرة العرب في أواخر عام ٢٠٠٦، ولماذا؟

أولاً: أهداف القاعدة في جزيرة العرب

حريٌّ بنا قبل معاينة الحملة بمزيد من التفصيل أن نتدبّر قليلاً في الأهداف التي حارب تنظيم القاعدة في جزيرة العرب من أجلها. السؤال الأساس الذي انقسم المحللون بشأنه هو تحديد إن كان هدف المسلّحين إسقاط الحكومة السعودية أم مجرّد التخلّص من الوجود الغربي. بعبارة أخرى، هل كان تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ظاهرة ثورية أم وحدوية إسلامية؟ عند تقصّي نوايا تنظيم عُنفي بالطريقة التقليدية، نبدأ بإعداد قائمة أهداف مستنبَطة من بيانات هذا التنظيم. لكنّ «مقاربة البيان» قد تكون مضللة؛ إذ إن الجماعات تجمع غالباً بين أهدافها القصيرة والمتوسطة والطويلة الأجل في بياناتها بحسب الظروف. وربما يصف قادةُ الجماعة أهدافَهم بطرق تختلف باختلاف من يخاطِبون، مثل مخاطبة قادة آخرين أو أتباع أو جمهور عريض. وكما سنرى، هذه هي حال تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ولذلك نحن في حاجة إلى مقاربة فيها شيء من التفصيل الدقيق.

تقوم طريقة نافعة لتحليل الجهات الغامضة أيديولوجياً مثل القاعدة

في جزيرة العرب، على التفريق بين الأهداف السرّية والأهداف المعلَنة والموضوعات الخطابية. الأهداف السرّية هي التي لا يعرفها أحد غير القادة. والأهداف المعلَنة هي المصرَّح عنها في الموادّ الدعائية. والموضوعات الخطابية هي الرسائل العامة التي تُنقَل عبر الاستخدام الممنهج لكلمات وأمثلة مترابطة من حيث دلالة اللفظ. تمثّل الموضوعات الخطابية طريقة غير مباشرة لسبْر النوايا لأنها عادة تمثِّل في المؤلّفات الراديكالية الشكوى الرئيسةَ التي تأمل المجموعة بأن تكون الباعث على استنفار الأتباع. وكما بيّنا في المقدّمة، ربما يتحدّث المرء عن «موضوع ثوري» مثالي وعن «موضوع وحدوي إسلامي» مثالي في دعاية إسلامية راديكالية. يسلّط الموضوع الأول الضوء على فساد الحاكم المسلم بتقديم أمثلة على القمع المحلّي والتعذيب والفساد. ويشدّد الموضوع الأخير على معاناة المسلمين على مستوى العالم على يد غير المسلمين بتعداد «الأراضي المحتلة» (فلسطين، كشمير، الشيشان)، والمجازر المزعومة (قانا، الفلّوجة)، والإساءة إلى المعتقلين (غوانتنامو وأبو غريب).

في حالة القاعدة في جزيرة العرب، لا ريب في أن الهدف المعلن هو طرد الصليبيين، وأن الثيمة الخطابية المهيمنة هي الدعوة إلى الوحدة الإسلامية. وعلى سبيل المثال، وضع الكاتب السعودي مؤلف كتاب **هكذا نرى الجهاد ونريده**، «اليهودَ والصليبيين» في أعلى قائمة الأعداء، وأشار إلى أن «هذا هو العدو الذي يتعيّن علينا مقاومته في هذه المرحلة». وفي مقالة افتتاحية مبكرة في مجلة **صوت الجهاد** ذُكر أيضاً أنّ «عدونا رقم واحد هم اليهود والمسيحيون». وبالعكس، شددت الجماعة مراراً على أنها لن تستهدف القوى الأمنية ما لم تتدخل لحماية الصليبيين. كانت الجماعة شديدة الحرص على النأي بنفسها عن وصمة «التكفيريين»، ورفضت صراحة الاتهامات بأنها تنوي مهاجمة المسلمين. كما إن المرء ليس في حاجة إلى مراجعة الكثير من المواد الدعائية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب؛ ليعرف أن الثيمة الخطابية وحدوية إسلامية أكثر منها ثورية[1].

---

(١) حازم المدني، **هكذا نرى الجهاد ونريده** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>، وسليمان الدوسري، «الافتتاحية،» **صوت الجهاد** (٢٠٠٣). وفي أيلول/ =

مع تواصل الحملة، قويت النبرة المعادية للحكومة في بيانات الجماعة. والمؤلفات الصادرة عن التنظيم بدءاً بمطلع العام ٢٠٠٤ حافلة بالتهجمات الكلامية على المؤسسة الأمنية على الخصوص، وكذلك على الأسرة الحاكمة والعلماء. استخدم مؤلفون في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، عباراتٍ مثل خائن الحرمين عوضاً عن خادم الحرمين، وهيئة كبار العملاء عوضاً عن هيئة كبار العلماء. لكن على الرغم من الزيادة النسبية في الخطاب الاجتماعي الثوري، بقي طردُ الصليبيين الغايةَ الرئيسة المعلَنة لحملة القاعدة في جزيرة العرب(٢).

يوجد في الوقت عينه دليل قوي يوحي بأنّ القيادة العليا في القاعدة وبعض قادة القاعدة في جزيرة العرب على الأقل أرادوا إسقاط الحكومة السعودية في النهاية. ذُكر مثلاً أن خالد شيخ محمد أخبر المحققين بأن الأولوية القصوى لدى بن لادن هي إشعال ثورة في المملكة العربية السعودية والإطاحة بحكومتها. وكان رفاق منظّر القاعدة في جزيرة العرب فارس الزهراني في السجن سابقاً قد نقلوا عنه حديثه المتواصل عن كفر النظام. وبيّن مسلّحون من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كانوا قد أُسروا أن قادة التنظيم تصوّروا حملة ذات مرحلتين، وأن هدف **المرحلة الأولى** هو تعبئة الشعب السعودي لجهاد الصليبيين، ثم في **المرحلة الثانية** تنقلب الجماهير المتحمسة على آل سعود. وهذه الاستراتيجية منسجمة مع الاستراتيجية التي صيغت في

= سبتمبر ٢٠٠٣، نقلت مجلة **صوت الجهاد** عن عبد العزيز المقرن قوله إن «أشقاءنا يحاولون بقدر الإمكان تجنب الاشتباكات مع الجيش ومع القوى الأمنية». انظر: «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)،» **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣).

كتب سليمان الدوسري في افتتاحيته «[يتعين علينا] تجنب مواجهة القوى والأجهزة الحكومية بقدر المستطاع ليتسنّى لنا توجيه ضربات قاضية إلى المحتلين». وفي أيار/ مايو ٢٠٠٣، قال يوسف العُيَيْري «كيف يكون منطقياً التضحية بدمائنا وحناجرنا دفاعاً عن الأباعد ثم نقرر ترويع شعبنا وسفك دمه؟». انظر: «غزوة الحادي عشر من ربيع الأول: عملية شرق الرياض وحربنا مع أمريكا وعملائها،» (٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>.

(٢) للاطلاع على هجوم كلامي قاسٍ للغاية على القوى الأمنية، انظر: أبو بكر الحُسْني، **هداية الساري في حكم استهداف الطوارئ** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>، الذي نُشر بعد تفجير الوشم في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤.

وثائق القاعدة العائدة إلى ما قبل العام ٢٠٠١، (كما رأينا في الفصل الخامس)[٣].

اللافت أنّ الأجندة الثورية لم تُعرف على نطاق واسع في أوساط الناشطين من الرتب الدنيا، لقد بذلت قيادة القاعدة في جزيرة العرب أقصى ما في وسعها لحجب أهدافها عن أعضائها وعن الشعب السعودي كذلك، وهو الأهم. وكما رأينا في الفصل السابق، التحق المجندون بالتنظيم بدافع الرغبة في مقاتلة الأمريكيين أساساً وليس مقاتلة النظام. زد على ذلك أنّ أغلب العمليات التي دبّرها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب طالت أهدافاً غربية كما سيأتي. وعندما بدأ المسلّحون بمهاجمة الشرطة السعودية في تحوّل مثير للجدل، تبنّوا المسؤولية عن تلك العمليات باسم منظمة «كتائب الحرمين» الوهمية. والهدف هو المحافظة على وضوح استراتيجية «الأمريكيين أولاً» التي اعتمدها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وتلافي تلطيخ سمعة التنظيم بدماء المسلمين[٤].

بعبارة أخرى، شكّل التنظيمُ ظاهرةً ثورية ووحدوية إسلامية في آن، والتجاذب بين هذين المشروعين كان واضحاً، إلا أن البُعد الوحدوي الإسلامي كان الأهم؛ لأنّ نجاح تعبئة التنظيم اعتمد على معاداته المعلَنة لأمريكا. وقد برز التنظيم إلى الوجود، على الرغم من الأهداف الثورية لقادته لا بسببها، وقد أخفى هؤلاء القادة خطّتهم الطويلة الأجل؛ لأنّهم عرفوا أن الخطاب الثوري والعنف لن يعبّئا عدداً كافياً من الأتباع في المملكة العربية السعودية. لذلك سَعَوا جاهدين لاستخدام دعاية وحدوية إسلامية وكيلِ ضربات لأهداف غربية صرفة لأطول مدّة ممكنة، لكن تبيّن أنّ قول ذلك كان أسهل من فعله.

---

(٣) George Tenet, *At the Center of the Storm: My Years at the CIA* (New York: HarperCollins, 2007), p. 248, and Rawya Rageh, «Ex-Militants: Al-Qaida Preys on Young Men,» Associated Press (22 September 2004).

(٤) مقابلة مع مصدر أمني سعودي في الرياض في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥، و Mahmoud Ahmad, «Al-Qaeda Operatives are an Ignorant Lot, Say Former Members,» *Arab News*, 3/10/2003.

ثانياً: تطوّر الحملة

على العموم، انطلقت حملة القاعدة في جزيرة العرب بقوة، ثم ضعفت شيئاً فشيئاً إلى أن أخفقت في النهاية. لكنّ مستوى العنف تصاعد طوال الحملة، ويسعنا تقسيمها إلى مراحل خمس أساسية امتدت من أيار/ مايو ٢٠٠٣ إلى آخر سنة ٢٠٠٩ (سنة تحويل الكتاب الأجنبي إلى الطباعة): **الأولى**؛ مرحلة إعادة تنظيمية عقب نكسات أولية. **الثانية**؛ مرحلة توطيد الحملة والثأر من القوى الأمنية. و**الثالثة**؛ مرحلة الهجوم النهائي للتنظيم، و**الرابعة**؛ مرحلة احتضار التنظيم الأصلي، و**الخامسة**؛ مرحلة إخفاق محاولات الجيل الجديد إنعاش الحملة[٥].

١ ـ النكسة وإعادة التنظيم (أيار/ مايو ـ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣)

ردّت المؤسسة الأمنية على تفجير شرقيّ الرياض في ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣ بحملة مطاردة واسعة للوسط الجهادي السعودي، فاعتقلت في صيف العام ٢٠٠٣ عدداً كبيراً من الأشخاص، وتبادلت إطلاق النار مع المسلّحين في شتّى أنحاء البلاد (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ١)). سددت حملةُ القمع ضربات موجعة لشبكة العُيَيْري، فقُتل ستة وعشرون مسلّحاً على الأقل بين ١٣ أيار/ مايو و٨ تشرين الثاني/ نوفمبر، منهم: القادة الكبار يوسف العُيَيْري وتركي الدَّنْدني وأحمد الدخَيّل. كما احتُجز أشخاص لم يُعرف عددهم (لا يقلّون على مئة)، منهم ناشطون أساسيون، مثل علي الغامدي. كما اعتُقل شيوخ بُرَيدة المتمردون في المدينة المنوّرة واحتُجز عدد كبير من الشيوخ الآخرين من دون الإعلان عن ذلك طوال الصيف، ما أفقد المسلّحين دعمهم. وبالإضافة إلى ذلك خسرت الشبكةُ مواردها المالية وبُنيتَها التحتية مع عثور المؤسسة الأمنية على المزيد والمزيد من المخابئ.

---

(٥) للاطلاع على استعراضات لحملة القاعدة في جزيرة العرب، انظر على سبيل المثال: Bruce Riedel and Bilal Y. Saab, «Al Qaeda's Third Front: Saudi Arabia,» *Washington Quarterly*, vol. 31, no. 2 (2008); Andrzej Ancygier, *Al-Qa'ida in Saudi Arabia 2003 and 2004* (Berlin: Grin Verlag für akademische Texte, 2005), and Bouchaib Silm, «Notes on al Qaeda in Saudi Arabia,» *Asian Journal of Social Science*, vol. 35, nos. 4-5 (2007).

انظر أيضاً: علي بكر، «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب،» الإسلاميون. نت (٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٩)، <http://islamyoon.islamonline.net>.

الإطار الرقم (١٠ ـ ١)
حملات المواجهة الرئيسة وحوادث إطلاق النار، أيار/ مايو ـ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣

- **٢٨ أيار/ مايو ـ اعتقال المشايخ**: اعتُقل خمسة عشر شخصاً، منهم الشيوخ علي الخُضَير وناصر الفهد وأحمد الخالدي، في المدينة المنوّرة.
- **٣١ أيار/ مايو ـ مصرع يوسف العُيَيْري**: قتلت الشرطةُ يوسف العُيَيْري ورفيقه في أثناء مطاردة سيارتهما بالقرب من تربة في محافظة حائل. كما قُتل في الاشتباك شرطيان وأصيب آخران بجراح.
- **١٤ ـ ١٥ حزيران/ يونيو ـ حوادث الخالدية**: داهمت الشرطةُ شقةً سكنيةً في حيّ الخالدية في مكّة المكرّمة، وقَتَلَت خمسة مسلّحين، واعتقلت خمسة أشخاص. كما قُتل شرطيان وأصيب تسعة آخرون بجراح. وفي ١٥ حزيران/ يونيو، اعتُقل سبعة أشخاص آخرون في مواقع مختلفة من مكّة المكرّمة ممن كانوا في شقّة الخالدية.
- **٣ تموز/ يوليو ـ مصرع تركي الدَّنْدني**: قُتل تركي الدَّنْدني أحد كبار المسؤولين في القاعدة واثنان من مرافقيه في أثناء معركة إطلاق نار مع الشرطة وحصارهم في مخبأ في منطقة الجوف.
- **٢٨ تموز/ يوليو ـ مصرع أحمد الدخيّل**: قتل المنظر الأيديولوجي المسلح أحمد الدخيّل في تبادل لإطلاق النار مع الشرطة في مزرعة في محافظة القصيم. كما قُتل أربعة مسلّحين آخرين وشرطيان، وأصيب مسلّح واحد وثمانية من رجال الشرطة بجراح.
- **١٢ آب/ أغسطس ـ معركة السويدي الأولى**: دار اشتباك في منطقة السويدي في الرياض، طوال خمس ساعات، ما أدّى إلى مصرع أربعة من الشرطة وأحد المسلّحين، واعتُقل خمسة مسلّحون آخرون وفرّ سبعة.
- **١٥ آب/ أغسطس ـ اعتقالات جيزان**: داهم ٢٠٠ عنصر من جهاز قوات الطوارئ مستودعاً للأسلحة، واعتقلوا واحداً وعشرين شخصاً في إحدى قرى محافظة جيزان.

● **٢٣ أيلول/ سبتمبر ـ حصار مشفى جيزان**: اندلع اشتباك في مشفى بجيزان، أوقع قتيلاً في صفوف الشرطة وثلاثة مسلّحين، منهم: سلطان القحطاني وهو أحد قادتهم، كما أصيب مسلّحان وأربعة من الشرطة بجراح.

● **٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ـ معركة السويدي الثانية**: دارت معركة شرسة في منطقة السويدي في الرياض عندما حاولت الشرطة الإغارة على مخبأ بحثاً عن مسلّحين، قُتل أحد المسلّحين وأصيب ثمانية من الشرطة بجراح.

وعلى إثر هذه الحملة الأمنية تخلّى المسلّحون المتبقّون عن هيكلية الخلايا الخمس التي تصوّرها العُيَيْري وشرعوا في عملية إعادة تنظيم مرتَجَلة. كان شغلهم الشاغل توليد انطباع لدى العالم الخارجي بأن القاعدة في جزيرة العرب تنظيم ضخم مكتمل. بناء على ذلك شكّل المسلّحون في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣ وحدة إعلامية متخصصّة باسم صوت الجهاد كُلّفت بإصدار مجلّات وأشرطة فيديو دعائية. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣، بدؤوا كذلك باستخدام اسم «القاعدة في جزيرة العرب» للمرّة الأولى. وعلى الأرجح أن ترميم الصورة كان محاولةً للتعويض عن ضعف التنظيم وارتباك صفوفه بعد الضربات التي سُددت إليه في أواسط عام ٢٠٠٣. نجح التنظيم في محاولته؛ إذ إنّ الحملة الإعلامية المبتكَرَة التي نظّمها بين أواخر عام ٢٠٠٣ وأواخر عام ٢٠٠٤ جعلته يبدو أكبر حجماً وأكثر تماسكاً مما كان عليه في الواقع[٦].

تبقى تفاصيل الهيكليّة التنظيمية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب في هذه الحقبة قليلة. وذكر مصدر دبلوماسي غربي أنّ الرأي السائد في الأوساط الاستخباراتية آنذاك هو تبلور ثلاث مجموعات رئيسة للمسلّحين في أواخر عام ٢٠٠٣: مجموعتان في منطقة الرياض وواحدة في الحجاز، لكن لم تتضح التركيبة التنظيمية لكل مجموعة وما إذا كانت تجمْعها قيادة استراتيجية مركزية، وقد حلّ محلّ العُيَيْري في منصب رجل بن لادن الأول في المملكة خالد الحاج على الأرجح، لكن لم

(٦) «بيان حول التراجعات الأخيرة،» **صوت الجهاد**، العدد ٥ (٢٠٠٣).

تتضح درجة مشاركته في التخطيط العملاني، فاسمه لم يظهر في منشورات القاعدة في جزيرة العرب في هذه الحقبة. لكننا نعرف أنّ مركز ثقل الشبكة كان في الرياض؛ لأنّها الساحة التي نُفّذت فيها أهم العمليات الكبرى في الأشهر الاثني عشر التالية[٧].

بحلول خريف العام ٢٠٠٣، أعاد التنظيم رصّ صفوفه وبات مستعداً لإطلاق حملة جديدة، فشهد يوم ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣ العملية الكبرى الثانية في المملكة التي عُرفت باسم تفجير المُحيّا. قاد انتحاريان سيارة مقفلة ملأى بالمتفجرات ومموّهة بألوان مَرْكَبات الشرطة، وذكرت الدعاية التي أطلقها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أنهما من «ألوية الحق». تمكّنا من تفجير المركبة داخل مجمّع المحيّا السكني، ما أدّى إلى مصرع ١٧ شخصاً، وإصابة أكثر من ١٢٠ شخصاً آخر بجراح. تزامن الهجوم مع الذكرى السنوية لغزوة بدر الكبرى التي حدثت في القرن السابع الميلادي (١٧ رمضان)، وحملت لوحة تسجيل المركبة الرقم ٣١٣ وهو عدد الصحابة الذين قاتلوا في تلك الغزوة التاريخية. وفي وقت لاحق وثّق شريط فيديو للقاعدة في جزيرة العرب التحضير لعملية بدر الرياض وتنفيذها بتفاصيل مدهشة[٨].

إلا أنه اتضح أنّ عملية المُحيّا أنزلت بالمسلّحين كارثة في ميدان العلاقات العامة؛ إذْ إنّ عامة المصابين كانوا عرباً ومسلمين ومنهم الكثير من الأطفال، علماً بأنّ الهجوم وقع في رمضان شهر الصيام. وبناءً على كلّ ما جاء من أخبار، لم يتفطّن المسلّحون لكون سكان المجمع من العرب أساساً، وأصرّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في بياناته على أنّ الإعلام الحكومي يكذب بقوله: إن المصابين عرب ومسلمون. وساد اعتقاد واسع بأن المُحيّا مثّلت نقطة تحوّل في الحملة: لأنّها ألّبت الرأي

---

(٧) مقابلة أجراها المؤلف مع مصدر دبلوماسي غربي في الرياض في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥.

(٨) غزوة بدر رمز لانتصار المسلمين ولذلك شاع اسمها في العمليات الجهادية المعاصرة. وقد نفّذ المقاتلون العرب عمليات حملت اسم «بدر» على أغلب جبهات الجهاد منذ الثمانينيات؛ حيث وافق تنفيذها يوم ١٧ رمضان.

العام على المسلّحين. ومع ذلك، خطّط التنظيم لهجوم كبير على مجمّع آخر في الرياض في أواخر عام ٢٠٠٣. ففي ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، داهمت الشرطة منزلاً وعثرت على مركبة محمّلة بكمية من المتفجّرات فاقت الكمية التي استُخدمت في تفجير المُحيّا، وعثرت أيضاً على شريط فيديو تضمّن لقطات عن مراقبة مجمع سدر في الرياض. وسواء أكان ذلك نكسة للقاعدة في جزيرة العرب في ميدان العلاقات العامة أم لا، صَمّم التنظيم على مواصلة صراعه[٩].

الإطار الرقم (١٠ ـ ٢)
حوادث إطلاق النار الرئيسة،
كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ ـ آذار/ مارس ٢٠٠٤

- **٨ كانون الأول/ ديسمبر ـ مصرع الريّس**: أطلقت الشرطة النار على الجهادي المخضرم (والعضو السابق في بيت شبرا) إبراهيم الريّس، وأردَتْه قتيلاً في محطة وقود بمنطقة السويدي في الرياض.
- **٢٩ كانون الثاني/ يناير: مصرع الفرّاج على يد ابنه**: أخبر حمود الفرّاج الشرطة عن إخفاء ولده خالد أسلحة في منزل في الرياض. وعندما توجّهت قوة من الشرطة بصحبة الوالد إلى المنزل؛ لتفتيشه، تعرّضوا لإطلاق نار من قبل جماعة من المسلّحين كان من بينهم خالد. لقي ستة من رجال الشرطة مصرعهم وكذلك الوالد، وأُلقي القبض على سبعة مسلّحين.
- **١٨ شباط/ فبراير ـ حادثة قتل في الرياض**: أطلقت الشرطةُ النار على مسلّح لم تُكشف هويته في الرياض؛ فخرّ صريعاً.
- **١٥ آذار/ مارس ـ مصرع الحاج**: أطلقت الشرطة النار على خالد الحاج القيادي في القاعدة في جزيرة العرب، وعلى مساعده في الرياض ما أدّى إلى مصرعهما.

(٩) انظر: «العملية العسكرية على مجمّع الصليبيين بإسكان المُحيّا،» **صوت الجهاد**، العدد ٥ (٢٠٠٥)، و Neil MacFarquhar, «Among Saudis, Attack has Soured Qaeda Supporters,» *New York Times*, 11/11/2003.

٢ ـ توطيد الحملة والثأر (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ ـ آذار/ مارس ٢٠٠٤)

هدأ العنف نسبياً بين كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ وآذار/ مارس ٢٠٠٤. ذلك أنّ حملة المداهمات التي نفّذتها الشرطة في الصيف، وعمليّات تشرين الثاني/ نوفمبر، جفّفت موارد القاعدة في جزيرة العرب، فاحتاج التنظيم إلى وقت ليعيد تنظيم صفوفه. كما إن نفور الناس المقترِن بنشر قائمة جديدة بأسماء ستة وعشرين مطلوباً في ٦ كانون الأول/ ديسمبر أرغم المسلّحين على التواري عن الأنظار. وقد استمرّت الاشتباكات بين الشرطة والمسلّحين وإن بوتيرة أقلّ (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٢)). وباستثناء اشتباك ٢٩ كانون الثاني/ يناير، لم يظهر المسلّحون في مجموعات زاد عدد عناصرها على ثلاثة أشخاص إلّا نادراً، وكانت المواجهات معهم تقع في الشوارع أكثر منها في المخابئ. أضف إلى ذلك، أن الاشتباكات كافة وعمليات الاعتقال حدثت فعلياً في منطقة الرياض.

شهد شهر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، تطوّراً مثيراً تمثّل في شنّ هجمات على القوى الأمنية السعودية (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٣)). وسبب أهمية هذا التطور أنّ وقوع مثل هذه الهجمات نادر في المملكة، فلم يسبق أن استهدف المسلّحون قلب المؤسسة الأمنية السعودية بهذه الطريقة. ولا ريب في أنّ الهجمات نُفّذت بدافع الانتقام من عمليات الدهم التي قامت بها المؤسسة الأمنية في الأشهر الفائتة، تشير البيانات وأشرطة الفيديو التي أعدها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب إلى أن المسلّحين شعروا بالإحباط؛ لإعاقة الشرطة هجماتهم على أهداف غربية. وبذلك زاد الطابع الاجتماعي الثوري للتنظيم تدريجياً في خطابه وسلوكه.

الإطار الرقم (١٠ ـ ٣)

الهجمات على الأجهزة الأمنية، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣

- **٤ كانون الأول/ ديسمبر ـ مهاجمة الهُوَيريني**: أطلق مسلّحون النار على الفريق عبد العزيز الهويريني في الرياض، وهو مدير عام جهاز المباحث في وزارة الداخلية، وأصابوه بجراح.

- **أواسط كانون الأول/ ديسمبر ـ محاولة استهداف المباحث بسيارة مفخخة**: عطّلت الشرطة عبوة مزروعة في سيارة بالقرب من مقرّ المباحث السعودية.

- **٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ـ استهداف المباحث بسيارة مفخخة**: انفجرت قنبلة في سيارة متوقفة عائدة لإبراهيم الدالي، وهو ضابط برتبة رائد في جهاز المباحث.

الأمر الأشد إثارة للدهشة، هو عدم ادعاء القاعدة في جزيرة العرب مسؤوليتها عن هذه الهجمات، بل عزوها إلى تنظيم يسمى «كتائب الحرمين». وقد أثار ظهور جماعة جديدة في ذلك الوقت الكثير من التكهّنات لدى المحلّلين. ذلك أن من نفّذ الهجمات في الحقيقة أعضاء أساسيون في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب منذ ظهوره، وأنّ «كتائب الحرمين» منظمة وهميّة أريد من اختراعها إبعاد مسؤولية «العمل القذر»، المتمثّل في مهاجمة رجال الشرطة السعوديين عن التنظيم. ويُظهر ذلك أنّ التنظيم خشي أن يُنظر إليه بأنه ثوري اجتماعي، مدركاً بلا شك أنّ هجماته على السعوديين ستقضي على ما بقي من دعم الناس لحملته، ولم يكن هناك بدّ من الاحتفاظ باسم القاعدة في جزيرة العرب لاستراتيجية «الغربيين أولاً» المعلَنة(١٠).

٣ ـ هجوم الربيع وتهاوي تنظيم القاعدة في جزيرة العرب (نيسان/ أبريل ـ تموز/ يوليو ٢٠٠٤)

تصاعد العنف في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤ مرّة أخرى، وشكّلت الحقبة الممتدّة بين نيسان/ أبريل وحزيران/ يونيو ٢٠٠٤ ذروة حملة القاعدة في جزيرة العرب على صعيد تواتر الهجمات ووقْعها الإعلامي. عكس الهجوم تولّي عبد العزيز المقرن قيادة التنظيم عقب مصرع خالد الحاج

(١٠) «بيان كتائب الحرمين،» (٢٠٠٤) <http://www.hostinganime.com/kataeb>؛ مقابلة أجراها المؤلف مع إسلامي سعودي لم يشأ الكشف عن اسمه؛ مقابلة مع مصدر أمني سعودي، و Ahmad, «Al-Qaeda Operatives are an Ignorant Lot, Say Former Members».

في ١٥ آذار/ مارس. خطط التنظيم أساساً لسلسلة هجمات انتحارية بواسطة سيّارات محمّلة بالمتفجرات في ربيع العام ٢٠٠٤، وهو ما تجلّى في العثور على نحو عشر مَركَبَات كان يجري تفخيخها بالمتفجرات في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو وحزيران/ يونيو.

نتج من تصاعد حملة مطارَدة المسلّحين في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو وقوع عدّة حوادث إطلاق نار وحصار لمخابئ المسلّحين (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٤)).

لكنّ أحد أهمّ التطورات الجديدة المذهلة التي حدثت في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، كان تبنّي المسلّحين موقفاً أشدّ عدائية من الشرطة (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٥)). فبالإضافة إلى استعداد المسلّحين المتزايد لإطلاق النار على رجال الشرطة، بدؤوا باستخدام أسلحة أثقل، مثل قذائف الآر بي جي.

الإطار الرقم (١٠ ـ ٤)

حوادث إطلاق النار المهمة، نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ٢٠٠٤

- **٥ نيسان/ أبريل ـ اشتباك الروضة**: أطلقت الشرطة السعودية النار على مسلّح بعد مطاردته بالسيارة وأرْدَته قتيلاً في منطقة الروضة في الرياض. وحاول رفيق القتيل اللجوء إلى منزل في الجوار لكنه أصيب بجراح، واعتُقل بعد حصار دام سبع ساعات.
- **١٢ نيسان/ أبريل ـ حادثة الفيحاء**: قُتل عنصر من الشرطة ومسلّح، وأصيب أربعة من رجال الشرطة بجراح في أثناء مداهمة أحد المخابئ في منطقة الفيحاء في الرياض.
- **٢٢ نيسان/ أبريل ـ إطلاق نار في جدّة**: قُتل ثلاثة مسلّحين وأصيب شرطي بجراح في اشتباك وحصار استمرّ مدة طويلة لمخبأ في منطقة الصفا في جدّة.
- **٢٠ أيار/ مايو ـ حصار بُرَيدة**: قُتل أربعة مسلّحين ورجل شرطة في تبادل لإطلاق النار وحصار لاستراحة في منطقة خُضَيرة في بُرَيدة، وأصيب شرطيّان بجراح.

تجلّت الحرب المطلقة العنان بين المسلّحين والشرطة في ٢١ نيسان/أبريل، عندما فجّر انتحاري سيارته المفخخة قبالة مقرّ شرطة المرور في منطقة الوشم في وسط الرياض. أسفر الانفجار عن مصرع ستة أشخاص، وإصابة نحو ١٥٠ آخرين بجراح. شكّل تفجير الوشم نكسة أخرى لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب في مجال العلاقات العامة؛ لأنّ الضحايا كافة مسلمون. وهنا أيضاً لجأ التنظيم إلى التضليل الإعلامي للنأي بنفسه عن الهجوم، فأصدر يومَ وقوعه بياناً تحمّلت فيه «كتائبُ الحرمين» المسؤولية عن الهجوم، ثمّ أتبع ذلك ببيان باسم القاعدة في جزيرة العرب نأى بالتنظيم عن التفجير. وفي وقت لاحق، وُثِّق التحضير للهجوم في شريط فيديو، نَسَبَتْه مجلة **صدى الجهاد** إلى «كتائب الحرمين»، لكنّ قلة من الناس عرفت أنّ القاعدة في جزيرة العرب و«كتائب الحرمين» وجهان لعملة واحدة، وأن المقرن هو من أمر بتنفيذ عملية الوشم[١١].

الإطار الرقم (١٠ ـ ٥)
الهجمات الرئيسة على القوى الأمنية، نيسان/ أبريل ـ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤

- ٥ **نيسان/ أبريل ـ جدّة**: قُتل شرطي بالرصاص من مسافة قريبة، في أثناء استجوابه مشتَبَهاً به خارج أحد المحلات.
- ٩ **نيسان/ أبريل ـ جدّة**: قُتل شرطي بنيران مسلّحين كانوا يستقلون سيارة أوقفها الشرطي لتفتيشها.
- ١٣ **نيسان/ أبريل ـ عُنَيزة**: هاجم مسلّح يستقلّ سيارة دوريتين منفصلتين للشرطة على طريق الرياض القصيم؛ فقتل أربعة منهم، ثم لاذ بالفرار.

(١١) «البيان الرابع،» (٢٠٠٤)، <http://www.qal3ah.org>، و Abd al-Aziz al-Muqrin, «27 April Audio Statement,» *Sawt al-Jihad* (2004).

- **١٤ نيسان/ أبريل ـ العُيينة**: هاجم مسلّحون نقطة تفتيش على مسافة ٣٥ كلم شمال غرب الرياض، ما أدّى إلى مصرع شرطي وإصابة آخر، ثمّ هربوا صوب التلال.
- **٢٠ نيسان/ أبريل ـ بُرَيدة**: فتح مسلّح النار على نقطة تفتيش في بُرَيدة؛ فأصاب شرطيَّين بجراح، ثمّ لاذ بالفرار.
- **١ حزيران/ يونيو ـ الطائف**: فتح مسلّحان النار على عناصر من الشرطة عند نقطة تفتيش على طريق مكّة الطائف السريع، ثم لقيا مصرعهما، بعد اثنتي عشرة ساعة، عقب فرارهما واختبائهما في منطقة جبلية قريبة.

كما إنّ شدة انفجار الوشم الذي يُعتبر أكبر هجوم يستهدف هدفاً حكومياً في المملكة، استدعت توضيحاً وتبريراً أيديولوجياً؛ لذلك نشر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كتاباً عنوانه «هداية الساري في حكم استهداف الطوارئ»، لام فيه الشرطة على لجوئها إلى العنف وبيّن أن اعتداءات القوى الأمنية دفعت تنظيماً آخر يدعى «كتائب الحرمين» إلى التدخل دفاعاً عن المجاهدين[١٢].

وبغرض التأكيد أن مهمة القاعدة في جزيرة العرب ضرب الأهداف الغربية فقط، أطلق المسلّحون سلسلة من الهجمات البسيطة ولكنها مدوّية على وافدين غربيين في أيار/ مايو وحزيران/ يونيو ٢٠٠٤. بدأ الهجوم في ١ أيار/ مايو، عندما تسللت مجموعة من أربعة مسلّحين إلى المكتب الرئيس لشركة أي بي بي (ABB) في مدينة ينبُع على الساحل الغربي، وأطلقوا النّار عشوائياً على موظفي المجمع الغربي، قُتل خمسة أشخاص كما قُتل المهاجمون الأربعة. شكّل الهجوم تحوّلاً تكتيكياً وجغرافياً مهماً لنشاط المسلّحين وأثار مخاوف من إمكانية استهداف القاعدة الصناعةَ النفطية، وتبيّن لاحقاً أنّ هجوم ينبع من تدبير خلية تعمل بشكل مستقل عن قيادة القاعدة في جزيرة العرب الأساسية. لكن

(١٢) الحسني، هداية الساري في حكم استهداف الطوارئ.

سرعان ما اعتُمد نموذج عملية ينبع وتنفيذه على نطاق أكبر من قِبل المقرن ورجاله[١٣].

وفي ٢٩ أيار/ مايو ٢٠٠٤، استهدفت عملية مشابهة للغاية للعملية السابقة مجمّعاً في مدينة الخُبَر في الطرف الآخر من المملكة. اخترقت مجموعة من أربعة مسلّحين عرّفوا عن أنفسهم بأنهم «سرية القدس» مجمّعاً سكنياً وأطلقوا النار عشوائياً فقتلوا غربيين وأشخاصاً آخرين غير مسلمين، قبل أن يتحصّنوا في مبنى ويحتجزوا عدداً صغيراً من الرهائن. الظاهر أن المهاجمين استلهموا فكرة هجومهم من عملية مسرح دوبْروفْكا (Dubrovka) في موسكو التي وقعت في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢، وأمِلوا بافتعال أزمة رهائن دولية. وذُكر أنّهم اتصلوا بمحطة الجزيرة الفضائية، مطالبين بمنحهم فرصة للحديث في بثّ حيّ، لكنّ طلبهم رُفض. ومع انتهاء الفصل الدرامي في اليوم التالي، تبيّن أن اثنين وعشرين شخصاً لقوا مصرعهم بينما تمكّن ثلاثة من المسلّحين من الفرار[١٤].

اعتمد المسلّحون في الرياض قبل وقت قصير من هجوم الخُبَر استراتيجية مختلفة، لكنها لا تقلّ جذباً للانتباه، تقوم على اغتيال أفراد غربيين في الرياض. نفّذ هؤلاء خمس هجمات من هذا النوع في أواخر أيار/ مايو ومطلع حزيران/ يونيو، ما أحدث صدمة قوية في الجالية الغربية الوافدة إلى المملكة (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٦)).

---

(١٣) عبد العزيز المقرن، «لكل الراغبين في الجهاد على أرض الجزيرة العربية،» **معسكر البتّار**، العدد ١٠ (٢٠٠٤).

(١٤) Michael Knights, «The Khobar Rampage, May 2004,» (JTIC Terrorism Case Study (Jane's Information Group), 2005), and Abdul Hameed Bakier, «Lessons from al-Qaeda's Attack on the Khobar Compound,» *Terrorism Monitor* 4, no. 16 (2006).

وثّق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بنفسه، هذا الهجوم بتفاصيله. انظر: «بيان بشأن غزوة سريّة القدس،» (٢٠٠٤)؛ «التقرير الإخباري الحادي عشر بشأن تفاصيل عملية سرية القدس،» (٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>؛ «لقاء خاص مع قائد سرية القدس فواز بن محمد النشمي،» (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤)؛ **صوت الجهاد**، العدد ١٨ (٢٠٠٤)، و**الرأي العام**، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٤.

الإطار الرقم (١٠ ـ ٦)

اغتيال الغربيين، أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤

- **٢٢ أيار/ مايو**: أطلق مسلّحون كانوا يستقلّون سيارة النار على المواطن الألماني جوناثان هيرمان بينغلِر (Jonathan Hermann Bengler)، في أثناء خروجه من مصرف في الرياض فأرْدوه قتيلاً.
- **٢ حزيران/ يونيو**: أصيب أمريكي وسعودي، كان مُتفرِّجاً، بجراح عندما فتح مسلّحون النار خارج مجمّع في الرياض.
- **٦ حزيران/ يونيو**: قُتل المصور الإيرلندي سايمون كومبرز (Simon Cumbers)، وأصيب الصحافي البريطاني فرانك غاردنر (Frank Gardner) إصابة بليغة، عندما فتح عليهم مسلّحون النار في منطقة السويدي في الرياض، فيما كانا يعدّان برنامجاً وثائقياً عن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.
- **٨ حزيران/ يونيو**: قتل مسلّحون المواطن الأمريكي روبرت جاكوبس (Robert Jacobs) داخل منزله في الرياض.
- **١٢ حزيران/ يونيو**: قُتل المواطن الأمريكي كينيث سكروغز (Kenneth Scroggs) بالرصاص، فيما كان يركن سيارته بجوار منزله في الرياض.

بلغت موجة العنف هذه أوجها، في ١٢ حزيران/ يونيو، عندما احتجزت خليةٌ بقيادة عبد العزيز المقرن المواطنَ الأمريكي بول جونسون (Paul Johnson) رهينة في الرياض. جذبت الحادثة ـ حيث كانت عملية الخطف الأولى والأخيرة التي ينفّذها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ـ انتباهاً إعلامياً هائلاً لأسباب وأهمها نشر المسلّحين تسجيلات فيديو، ظهر فيها جونسون وهو يتوسل للمحافظة على حياته. وفي ١٨ حزيران/ يونيو، ضُربت عنقه أمام الكاميرا وكان شريط الفيديو الفظيع قد بثّ على الإنترنت. وقد أضعفت هذه العمليات كافة، على بساطتها النسبية، حسّ الوافدين الغربيين بالأمن، ما حمل كثير على المغادرة وقتذاك. وظنّت وسائل الإعلام الغربية والمراقبون الأجانب أن السلطات السعودية

فقدت قدرتها على المحافظة على الأمن، حتى إن بعضهم اعتقد أن استقرار النظام نفسه بات على المحك[(١٥)].

لكنّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب هو الذي كان على وشك الانهيار في الواقع. فقد دلّت التكتيكات الجديدة على وقعها الهائل على ضعف التنظيم؛ إذْ أُرغم المسلّحون على استعمال المسدسات بطرق مبتكرة لافتقارهم إلى المتفجرات. كما إنه لم تحدث انتفاضة عارمة لأن أغلب أعمال العنف كان من تدبير خلية المقرن فقط. وقد اتضح الضعف الهيكلي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب في صيف العام ٢٠٠٤، عندما سددت الأجهزة الأمنية السعودية بمعونة الاستخبارات الأمريكية ضربتين قاضيتين إلى التنظيم. ففي ١٨ حزيران/ يونيو حدّدت الشرطة مكان عبد العزيز المقرن، فقتلته وثلاثة من أقرب معاونيه في محطة وقود في الرياض، ما أفقد التنظيم أمهر منظِّميه المسلّحين، ثمّ داهمت الشرطة، في ٢٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٤ منزلاً في الرياض شكّل المقرّ الفعلي للتنظيم ومركز إنتاجه الإعلامي. وزُعم أنّ الشرطة عثرت على كنز ثمين من الوثائق والحواسيب وأشرطة الفيديو التي مكّنت المحققين من تعقّب أغلب بقايا شبكة التنظيم. في الواقع، قصم هذا الاكتشاف ظهرَ القاعدة في جزيرة العرب[(١٦)].

٤ ـ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب القديم يلفظ أنفاسه الأخيرة (آب/ أغسطس ٢٠٠٤ ـ أيار/ مايو ٢٠٠٥)

شهدت الحقبة الممتدة بين آب/ أغسطس ٢٠٠٤ وأيار/ مايو ٢٠٠٥، تصفية آخر من تبقّى من قادة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الأصلي، منهم سعود العتيبي الذي خلف المقرن. ومع أنّ التنظيم شنّ هجومَيْن كبيرَين في جدّة والرياض في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤، فقد عجز عن

---

(١٥) «قصة الأسير الأمريكي مهندس الأباشي بول مارشال،» **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤)، و Ewan MacAskill and Brian Whitaker, «Shaken Expatriates Rethink Saudi Future,» *Guardian*, 2/6/2004.

(١٦) مقابلة أجراها المؤلف مع نواف عُبَيد؛ مقابلة أجراها المؤلف مع سجين سعودي سابق علم بشأن الوقْع المروّع لمداهمة ٢٠ تموز/ يوليو من فارس الزهراني منظر القاعدة في جزيرة العرب مباشرة.

المحافظة على كيانه وإعادة بنائه. وبعد المعركة النهائية في بلدة الرس في مطلع نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، أصاب التنظيم ضعفٌ شديد كَكَيان، وإن واصلت خلايا متفرقة من ناشطين أحداث القتالَ.

صعب في البداية معرفة إن كان تنظيم القاعدة في جزيرة العرب يرزح تحت ضغوط شديدة، لأنّ عمليات اغتيال أفراد غربيين تواصلت في شهري آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤. ففي ٣ آب/ أغسطس، قتل مسلّحون الإيرلندي أنتوني هيغينز (Antony Higgins) في مكتبه في الرياض. وفي ١٥ أيلول/ سبتمبر قُتل البريطاني إدوارد مويرهَد سميث (Edward Muirhead-Smith) في مرآب للسيارات خارج مركز تسوّق في الرياض. ثم وصلت عدوى الاغتيالات في وقت لاحق إلى جدّة؛ حيث قُتل المواطن الفرنسي لوران باربو (Laurent Barbot) في ٢٦ أيلول/ سبتمبر. لكنّ تلك كانت آخر عمليات الاغتيال التي استهدفت غربيين في المملكة العربية السعودية في تلك المرحلة؛ إذْ لم تُستأنف هذه العمليات إلّا في شباط/ فبراير ٢٠٠٧.

رجّحت النجاحاتُ الاستخباراتية التي أُحرزت في أواسط عام ٢٠٠٤، كفّةَ الأجهزة الأمنية السعودية على كفّة القاعدة في جزيرة العرب؛ ذلك أن المعلومات التي عُثر عليها في مقرّ التنظيم، فضلاً عن المعلومات التي حصل عليها المحقّقون من المسلّحين المعتقلين، مكّنت المؤسسة الأمنية من تحديد هويات عدد كبير من الناشطين ومساعديهم في مختلف أنحاء البلاد. والنتيجة أن عدد الاعتقالات وحوادث إطلاق النار زاد بشكل كبير في خريف العام ٢٠٠٤ (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٧))، ثم تراجع عدد الاشتباكات بين المسلّحين والشرطة بشكل كبير، بدءاً بأواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، وإذا استثنينا حادثة تبادل إطلاق النار بالقرب من مدينة الزُلفي، لم تواجه عملياتُ الاعتقال والمداهمات أيّ مقاومة من الناحية الفعلية.

إلا أنه اتضح في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤، أن بعض الخلايا أفلتت من يد الشرطة؛ لأنّ جماعة مؤلّفة من خمسة مسلّحين أطلقت على نفسها اسم «سريّة الفلّوجة» هاجمت القنصلية الأمريكية في جدّة في عملية متقنة التخطيط في كانون الأول/ ديسمبر. استغلّ المسلّحون لحظة

فتح بوابة القنصلية للسماح بدخول مركبة دبلوماسية واقتحموها، وسقط في المعركة التي تلت ذلك ستة آسيويين وأفارقة من موظّفي القنصلية وأصيب اثنا عشر شخصاً آخر على الأقل بجراح(١٧).

في هذه الأثناء، بدأت خلية عملانية أخرى اسمها «سرية المقرن» بالتحضير لعملية كبرى اشتملت على شنّ هجومين منسَّقين على هدفين للشرطة في الرياض. انفجرت سيارة مفخخة مساء ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر عند مخرج نفق للسيارات قريب من وزارة الداخلية، ما أدّى إلى مصرع الناشط الذي كان يقود السيارة وإصابة خمسة صدف وجودهم في المكان بجراح. وبعد نصف ساعة، انفجرت سيارة انتحاري قبل الوقت المحدّد فيما كان يسير بأقصى سرعة نحو مدخل منشأة تدريب للحرس الوطني؛ قُتل المهاجمان وأصيب اثنا عشر عنصراً من الحرس الوطني بجراح في ذلك الانفجار. وبعد ساعة، حدّدت الشرطة مكان بقايا عناصر الخلية، ودارت بينها وبينهم معركة لقي فيها نحو سبعة مسلّحين حتفهم(١٨).

الإطار الرقم (١٠ ـ ٧)

عمليات الدهم الرئيسة، آب/ أغسطس ـ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤

- **١١ آب/ أغسطس**: قُتل مسلّح وأصيب شرطي بجراح في حادث إطلاق نار في مكّة المكرّمة.
- **٣١ آب/ أغسطس**: قُتل مسلّح وأصيب ثلاثة مسلّحين آخرين بجراح، إثر تبادل لإطلاق النار عند نقطة تفتيش في الأحساء.
- **٣ أيلول/ سبتمبر**: قُتل شرطي وأصيب ثلاثة آخرون بجراح، في اشتباك مع مسلّحين في بريدة.

---

(١٧) Michael Knights, «Operation Conquest of Falluja: Assault on the US Consulate in Jeddah, December 2004,» *JTIC Terrorism Case Study* (Jane's Information Group, 2006); «بيان حول عملية القنصلية الأميركية في جدّة (غزوة الفلّوجة)،» (٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>، و«غزوة القنصلية الصليبية الأمريكية،» (وحدة الإنتاج الإعلامي في صوت الجهاد، ٢٠٠٦).

(١٨) «بيان حول عملية الداخلية في الرياض،» (٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>.

- **٥ أيلول/ سبتمبر**: أطلق مسلّحون النار على سيارة أمن كانت تطاردهم؛ ما أدّى إلى اشتعالها ومصرع ثلاثة ضباط أمن سعوديين كانوا يستقلونها.
- **٢٠ أيلول/ سبتمبر**: أصيب مسلّح وثلاثة رجال شرطة بجراح في حادثة إطلاق نار في تبوك.
- **١٢ تشرين الأول/ أكتوبر**: قُتل ثلاثة مسلّحين في إطلاق نار، في أثناء مداهمة الشرطة مخبأً في الرياض.
- **٣ تشرين الثاني/ نوفمبر**: أصيب شرطيان ومسلّح بجراح في تبادل لإطلاق النار في بُرَيدة.
- **٥ تشرين الثاني/ نوفمبر**: قُتل مسلّح وأصيب ثلاثة رجال شرطة بجراح، في غارة على شقة سكنية في منطقة الجامعة في جدّة.
- **٩ تشرين الثاني/ نوفمبر**: قُتل مسلّح وأصيب آخر بجراح، عندما داهمت الشرطة منزلاً آخر، في منطقة الجامعة في جدّة.
- **١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر**: قُتل شرطي وأصيب ثمانية آخرون بجراح، في حادث إطلاق نار بعُنَيزة.
- **٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر**: قُتل مسلّح في اشتباك مع الشرطة، في منطقة الجامعة في جدّة.

مع أنّ عملية ٢٩ كانون الأول/ديسمبر، تميّزت بالضخامة على صعيد الأسلحة المستخدَمة فيها، وحصيلة الإصابات الناجمة عنها، فقد اعتُبرت على نطاق واسع إخفاقاً للقاعدة في جزيرة العرب[١٩]؛ إذ لم تنفجر القنبلتان في المكان الصحيح، ولم يُقتل أحد غير المهاجمين. واتضح أن قدرة التنظيم على تنفيذ عملية تفجير ضخمة قد ضعفت. ولا شكّ في أنّه احتاج إلى أكثر من سنة ليحاول تنفيذ عملية تفجير كبرى أخرى. ويظهر أنّ انعدام النشاط المسلّح في مطلع العام ٢٠٠٥، والذي اقترن بانقطاع منشورات القاعدة في جزيرة العرب على الإنترنت، مثل

(١٩) Stephen Ulph, «Al-Qaeda's Diminishing Returns in the Peninsula,» *Terrorism Focus*, vol. 2, no. 1 (2005).

مجلة **صوت الجهاد**، منذ أواخر عام ٢٠٠٤ أكّد الاعتقاد بأنّ التنظيم بات مشلولاً، لكن بقي كثيرٌ من الأسئلة من دون إجابات، أهمها تلك المتعلّقة بأماكن كبار القادة الفارّين.

أجيب عن الأسئلة في مطلع نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، عندما أبلغ أحد السكان المحلّيين في بلدة الرس الشرطة، بعد أن لاحظ نشاطاً مريباً في مزرعة مجاورة. وعندما حاولت الشرطة تفتيش المزرعة في ٣ نيسان/ أبريل، وُوجِهَت بمقاومة مسلّحة عنيفة في معركة دامت ثلاثة أيام، كانت الأكثر دموية في حملة القاعدة في جزيرة العرب. وقد عكست شراسة المعركة أهمية المكان؛ إذ كانت تختبئ فيه قيادة التنظيم بأكملها أو ما تبقى منها، وبعد أن أدركوا أنهم يمثّلون المركز العصبي في التنظيم، قاتلوا حتى النهاية مستخدمين مخزن أسلحتهم الضخم. وعندما انجلى غبار المعركة في ٥ نيسان/ أبريل، تبيّن أنّ ١٤ مسلّحاً لَقَوا حتفهم، منهم القائدان الكبيران: كريم مجاطي وسعود العتيبي، وأصيب ٥ آخرون بجراح. وتكبّدت الشرطة نحو مئة إصابة، شكّلت حادثة الرس من الناحية الفعلية المسمارَ الأخير في نعش تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الأصلي؛ إذْ إنه بحلول ذلك الوقت كان مصير المسلّحين كافة المنتمين إلى شبكة يوسف العُيَيْري الأصلية إما القتل وإما الأسر.

ومع ذلك، خبّأ الجهاديون مفاجأة أخيرة؛ إذ ظهر العدد التاسع والعشرون من مجلة **صوت الجهاد** على الإنترنت بعد توقف دام ستة أشهر؛ كان استمرار ظهور المجلة على الرغم من النكسات التي أصيب بها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب قد حيّر كثيرٌ من المراقبين في عام ٢٠٠٤؛ لأنّ عودة ظهورها عقب حادثة الرس بتفاصيل دقيقة لما جرى في أثناء الحصار، شكّلت تحدّياً للمنطق مرة أخرى. لكنّ اللغز قد انحلّ بدرجة كبيرة في أيار/ مايو ٢٠٠٥، عندما ألقت الشرطة القبض على عبد العزيز العنزي الذي كان شخصية غير معروفة؛ فقد اتضح أن العنزي كان آخر عضو في لجنة تحرير **صوت الجهاد** الأصلية، وأنه أصدر بمفرده «الإصدار الإضافي» (Bonus Issue) في نيسان/ أبريل ٢٠٠٥. وحدث تطوّر مشابه في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧ عندما أصدر خبير جهادي في شؤون الإنترنت،

يدعى أبا عبد الله النجدي، الإصدار الثلاثين لـ **صوت الجهاد**؛ ليُعتَقل في ربيع ذلك العام. توضح حالتا العنزي والنجدي كيف يمكن أن يزيد أفراد حَذِقون في الإعلام الحجم والقوة المتصوَّرة لتنظيم معيّن بشكل كبير[٢٠].

٥ ـ الجيل الجديد (حزيران/ يونيو ٢٠٠٥ ـ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨)

شكّل الأشخاص الذين واصلوا الجهاد في الجزيرة العربية، بدءاً بأواسط عام ٢٠٠٥، جيلاً جديداً من مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب. غاب الناشطون الكبار الذين تدربوا في أفغانستان وعرفوا يوسف العُيَيْري، ولم يختبر خلفاؤهم الذين جُنّدوا في أواخر عام ٢٠٠٣ أو في عام ٢٠٠٤ الجهاد في الخارج. وقد تجلّى هذه التغيّر الجيلي في القائمة الجديدة بأول المطلوبين الستة والثلاثين الصادرة عن وزارة الداخلية في ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥، والأهمّ من ذلك أن الشبكات المتبقية قُطّعت أوصالها ولم يعد لديها قيادة مركزية. وعقب مصرع سعود العتيبي في بلدة الرس، سُمّي صالح العَوفي القائد الرسمي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب. وعندما لقي هذا الأخير مصرعه في ١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٥ لم يُعلن اسم قائد جديد، مع أنّ السلطات أشارت لاحقاً إلى أن فهد الجُوَير هو الشخصية الأرفع. وعقب مصرع الجُوَير في ٢٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، لم تظهر أي شخصية قيادية.

تجلّى تشتت التنظيم على الأرض بالظهور المتقطع على الإنترنت لبيانات صادرة عن كيانات تنظيمية مبهمة، وعن أفراد غير معروفين سابقاً. صدرت سلسلة قصيرة من البيانات بين تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥ وآذار/ مارس ٢٠٠٦، باسم «كتائب صدى طُوَيق بالزُلفي». وفي أواسط عام ٢٠٠٦، نشر كيان مبهم آخر يسمّى «مؤسسة البشائر للإنتاج

---

(٢٠) Shaun Waterman, «Saudi Arrests are Effort against Web Jihad,» United Press International (18 June 2007).

لمعرفة المزيد عن أبي عبد الله النجدي، انظر: فارس بن حزام، «أمير اللجنة الإعلامية،» الرياض، ١٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٦.

الإعلامي» شريط فيديو (كسر الأسر) وسلسلة بيانات، قبل «ضمّها» رسمياً إلى تنظيم القاعدة. ويرجّح أن من علّق تلك البيانات أفراد متفرّقون أو خلايا متفرّقة على صلة بعيدة بشبكة العُيَيْري، أو لا صلة لها بها على الإطلاق[٢١].

تبيّن، في النصف الثاني من العام ٢٠٠٥، أنّ الجيل الجديد من المسلّحين السعوديين لزم جانب الدفاع. في الواقع، لم ينفّذ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب طوال عام ٢٠٠٥ غير هجومَين ناجحَين ثانويَّين على القوى الأمنية. ففي ١٩ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥، قتلت جماعة من المسلّحين مبارك السواط في منزله بالرياض، وهو محقّق في المباحث ذُكر أنه كان يعامل السجناء بوحشية. وفي ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر، أطلق مسلّحان مطلوبان من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب النار عشوائياً على دوريات للشرطة في منطقة بُرَيدة وقتلا خمسة من رجال الشرطة، ولقي المسلّحان مصرعهما في النهاية.

الإطار الرقم (١٠ ـ ٨)

الاشتباكات المهمة، تموز/ يوليو ـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥

- **٣ تموز/ يوليو ـ مصرع الحيّاري**: قُتل القيادي المسلّح يونس الحيّاري، عندما داهمت الشرطة مخبأً في الرياض، كما أصيب مسلّحان آخران وستة من رجال الشرطة بجراح.

(٢١) أبو هاجر الزلفي، «أول بيان رسمي لكتائب صدى طُوَيق بالزلفي،» (٢٠٠٥)؛ «الردّ على تكهنات جريدة الوطن،» (البيان ٣) (٢٠٠٦)؛ Abdullah al-Shihri, «Leader of al-Qaida in Saudi Arabia Killed,» Associated Press (28 February 2006).

للاطلاع على تحليل لظاهرة صدى الطويق، انظر: علي القحطاني، «بيان كتائب الزلفي يتضمن الإعلان عن تأسيس الجماعة المناصرة للقاعدة،» **الوطن**، ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٥؛ «مؤسسة البشائر للإنتاج الإعلامي تقدّم الإصدار الأول: كسر الأسر،» (٢٠٠٦)، <http://www.w-n-n.com>؛ «بيان من نحن وماذا نريد وما علاقتنا بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب،» (٢٠٠٦)، <http://www.al-hesbah.org>؛ «بيان من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب يبشّر بانضواء مؤسسة البشائر للإنتاج الإعلامي تحت لوائه،» (٢٠٠٦)، <http://www.al-boraq.com>؛ Stephen Ulph, «Another al-Qaeda Group Forms in Saudi Arabia,» *Terrorism Focus*, vol. 2, no. 19 (2005); Chris Heffelfinger, «Statement to the Saudi Mujahideen Summons Iraq Returnees,» *Terrorism Focus*, vol. 3, no. 26 (2006), and «Group Vows Revenge after Saudi Shoot-Out: Web,» Reuters (24 June 2006).

- **١٨ آب/ أغسطس ـ مصرع العوفي**: قُتل القائد المزعوم للقاعدة في جزيرة العرب صالح العَوفي ومسلّح آخر عندما داهمت الشرطة مخبأً في المدينة المنوّرة.
- **١٨ آب/ أغسطس ـ مداهمة الرياض**: قُتل مسلّح في اشتباك مع الشرطة في الرياض.
- **٤ ـ ٦ أيلول/ سبتمبر ـ حصار الدمّام**: لقي خمسة مسلّحين مصرعهم في معركة، وبعد حصار استمرّ ثلاثة أيام لمخبأ في الدمام. وزُعم أن المسلّحين كانوا يخططون لمهاجمة هدف نفطي في المنطقة الشرقية.
- **٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر**: قتل مسلّحٌ شرطياً في اشتباك في مكّة المكرّمة.

لم يتمكن المسلّحون من تنفيذ هجمات في هذه الحقبة؛ لأن الشرطة أمسكت بزمام المبادرة. عثرت الشرطة، في النصف الثاني من عام ٢٠٠٥، على عدد كبير من مخازن الأسلحة والمخابئ وواصلت عمليات الاعتقال. لم تلقَ عامة تلك العمليات مقاومة تُذكر، لكن بعضها تطوّر إلى معارك بالأسلحة الرشاشة (أنظر الإطار الرقم (١٠ ـ ٨)).

وبحلول مطلع عام ٢٠٠٦ قلّ عدد الاشتباكات، وبدا مرة أخرى أنّ حملة القاعدة في جزيرة العرب قد خمدت. وهنا أيضاً كان في حوزة المسلّحين ورقةً يلعبونها؛ ففي ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٦ حاولت جماعة من المسلّحين أطلقت على نفسها اسم «سرية أسامة بن لادن» دخول مصفاة النفط في بقيق بواسطة مركبتين محمَّلتين بالمتفجرات عبر إحدى البوابات الجانبية. انفجرت المركبتان قبل الأوان في أثناء الاشتباك مع حرّاس البوابة. وبعد ذلك، استطاعت الشرطة تحديد مكان من خططوا للعملية وقتلتهم جميعاً في معركة في الرياض في ٢٧ شباط/ فبراير. وكان ذلك أول هجوم يشنّه تنظيم القاعدة في جزيرة العرب على منشأة نفطية، وأحدثَ موجات ارتدادية في أسواق النفط العالمية. لكن بقدر ما كانت عملية بقيق مدوّية، إلا أنها كانت هجوماً وُضع له هدف طموح على نحو مفرط فباء بالفشل. وقد دلّ ذلك على

الضعف العملاني الذي اعترى التنظيم منذ أواسط عام ٢٠٠٤[٢٢].

كانت عملية بقيق الهجوم المهم الوحيد الذي بلغ مرحلة التنفيذ في عام ٢٠٠٦. ولا نريد بذلك القول إن المسلّحين افتقروا إلى النية؛ إذْ إن المؤسسة الأمنية أحبطت في عام ٢٠٠٦ عدة مخططات ضخمة كانت في طور الإعداد. وعلى سبيل المثال، عثرت الشرطة في ٢١ نيسان/أبريل على سيارة ملأى بالأسلحة، وعلى أوراق مزورة وخرائط لمنشآت حيوية في المنطقة الشرقية. وفي ٢٣ حزيران/يونيو داهمت الشرطةُ شقة في الرياض؛ فاندلع اشتباك قُتل فيه ستة مسلّحين وشرطي واحد. وهناك عثرت على أشرطة فيديو لاستشهاديين، وعلى أدلة أخرى أشارت إلى أن الخلية كانت على وشك تنفيذ عملية انتحارية زُعم أنها تستهدف «هدفاً أمنياً» في الرياض. وفي تموز/يوليو وآب/أغسطس اعتقلت الشرطة نحو ٨٠ مسلّحاً مشبوهاً في شتى أنحاء المملكة. وفي ١٢ آب/أغسطس اندلع اشتباك آخر في منطقة الجامعة في جدّة، لقي فيه مسلّحان مصرعهما.

وقع آخر هجوم دموي في المملكة العربية السعودية قبل طبع هذا الكتاب (النسخة الإنكليزية) في ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٠٧، قُتل فيه أربعة سياح فرنسيين بنيران الأسلحة الرشاشة بالقرب من موقع مدائن صالح الأثري شماليّ المدينة المنوّرة، دبّر الهجوم خليةٌ من أربعة رجال فرّوا من المكان، لكنّ الشرطة طاردتهم إلى أن تمكّنت منهم في سياق الأشهر الستة التالية. منذ ذلك الحين، والسلطات السعودية تعلن من حين لآخر اعتقال أعداد كبيرة من الأشخاص. وعلى سبيل المثال، ذكر تقرير

---

(٢٢) Michael Knights, «Abqaiq Attack Underscores Terrorist Failings and Highlights Growing Focus on Oil Targets,» *Olive Group Special Report* (March 2006).

للاطلاع على رواية المسلّحين، انظر: «التقرير الإخباري الحادي عشر بشأن تفاصيل عملية سريّة الشيخ أسامة بن لادن،» (٢٠٠٦)، <http://www.qa3edoon.com>.

انظر أيضاً: Michael Scheuer, Stephen Ulph and John C. K. Daly, *Saudi Arabian Oil Facilities: The Achilles Heel of the Western Economy* (Washington, DC: Jamestown Foundation, 2006); Khalid R. Al-Rodhan, *The Impact of the Abqaiq Attack on Saudi Energy Security* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2006); Simon Henderson, «Al-Qaeda Attack on Abqaiq: The Vulnerability of Saudi Oil,» *Policy Watch*, no. 1082 (Washington Institute of Near East Policy, 2006), and Stephen Ulph, «Mujahideen Explain Away Failures of the Abqaiq Attack,» *Terrorism Focus*, vol. 3, no. 9 (2006).

أخباري في حزيران/يونيو ٢٠٠٨ أنه ألقي القبض على ٧٠١ مشتبه به في وقت لاحق من تلك السنة. عكست هذه البيانات تغيّراً في استراتيجية التواصل (مبنيّة على بيان حصيلة عدة عمليات اعتقال، عوضاً عن إعلان حصيلة كل عملية حال تنفيذها)، وتشدّداً مع منتجي الوثائق الدعائية على الإنترنت، ومع السعوديين الذين يؤازرون الجهاد في العراق، ومع الأشخاص الذين لم تهتم باعتقالهم في الماضي. وروت مصادر رسمية أن بعض الخلايا التي افتضح أمرها في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨، كانت تعدّ مخططات ضخمة وطموحة لضرب منشآت نفطية[٢٣].

مع أن الاشتباكات والهجمات المتدنية الشدة والاعتقالات تواصلت، بدا واضحاً في أواخر عام ٢٠٠٩ أنّ الجهاد في جزيرة العرب فقد زخمه؛ إذْ تراجع معدّل العمليات ونوعيتها بالتدريج منذ انطلاق الحملة، وتمّ القضاء على قادة التنظيم الأصليين كافة، وانخفض عدد المسلّحين الناشطين إلى بضع عشرات. ومع أنّه توافر عدد صغير من المجنَّدين الجدد، لم يكونوا على قدر من سبقوهم في التنظيم في مهاراتهم وقدراتهم. توقفت مجلتا **صوت الجهاد** و**معسكر البتّار**، وتقلّص نشاط الجهاديين على الإنترنت في المملكة العربية السعودية بشكل ملحوظ. لقد أخفقت حملة القاعدة في جزيرة العرب بشكل كامل تقريباً.

ثالثاً: تعليل انهيار القاعدة في جزيرة العرب

تضافرت عوامل ثلاثة على إفشال مشروع الجهاد في الجزيرة العربية: **الأول**؛ هو قوة الدولة التي استطاعت بما تمتلكه من موارد غير محدودة واستراتيجية فاعلة في مكافحة الإرهاب تعطيل الحملة العسكرية التي أطلقها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. والعامل **الثاني**؛ هو غياب الدعم الشعبي لمشروع التنظيم والاعتقاد العام بأن المسلّحين ثوريون

---

(٢٣) Hassan M. Fattah, «Gunmen Kill 3 French Sightseers on Road Near Saudi Holy City,» *New York Times*, 27/2/2007; Michael Slackman, «Saudis Arrest 172 in Anti-terror Sweep,» *New York Times*, 27/4/2007; Sulayman Nimr, «Saudi Detains 208 Suspects in Plot Targeting Oil Facility,» Agence France Press (28 November 2007), and Donna Abu Nasr, «Saudi: 701 Suspected Militants Arrested this Year,» Associated Press (25 June 2008).

عازمون على إشاعة الفوضى. والعامل **الثالث**؛ هو حرب العراق التي شطرت الحركة الجهادية السعودية وأضعفت جهود التعبئة التي بذلها التنظيم.

إذا كانت رقابة السلطات السعودية للوسط الإسلامي المسلّح متهاودة أو غير فاعلة بين الحين والآخر في الماضي، فقد تغيّر ذلك كلّه عقب انفجار شرقيّ الرياض. وبدءاً بأيار/ مايو ٢٠٠٣، سخّرت الدولة كل مواردها لمحاربة المسلّحين الإسلاميين. وفي هذا الصدد بلغت الموارد المخصصة لمكافحة الإرهاب مقادير ضخمة؛ إذْ بلغت موازنة الأمن الإجمالية ٨,٥ مليار دولار في عام ٢٠٠٤، و١٠ مليارات دولار في عام ٢٠٠٥، و١٢ مليار دولار في عام ٢٠٠٦. من الناحية العملية، أعطيت وزارة الداخلية ميزانية مفتوحة؛ لتجنيد العناصر وشراء المعدات. وشيّدت منشآت تدريبية رفيعة المستوى وبَنَت نظم مراقبة إلكترونية متقدّمة جداً. وأُخضعت القوات الخاصّة لتدريبات مكثّفة، بمساعدة كبيرة من المملكة المتحدة. وقدِم محللون وخبراء تقنيون من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية إلى الرياض للعمل جنباً إلى جنب مع نظرائهم السعوديين، حاملين معهم خبراتهم الحاسمة في جمع المعلومات المتطورة وتحليلها. كما إن خطورة العنف والإصابات الكثيرة التي تكبدتها الشرطة بدّلت ثقافة الأجهزة الأمنية ومواقفها، فاشتدّت عزيمة ضباط الأمن والاستخبارات، وارتفعت معنوياتهم وكذلك رواتبهم. الحاصل أن تفجير أيار/ مايو ٢٠٠٣ أطلق عملية ترميم شاملة للمؤسسة الأمنية السعودية(٢٤).

كانت ثمرة هذه الجهود زيادة دراماتيكية في ما يسمى قدرة الأجهزة

---

(٢٤) للاطلاع على تفاصيل متصلة بالجهود السعودية في مجال مكافحة الإرهاب منذ أيار/ مايو ٢٠٠٣، انظر: Anthony Cordesman and Nawaf Obaid, *Saudi National Security: Military and Security Services-Challenges and Developments* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2004), pp. 144-147; Nawaf Obaid, «Remnants of al-Qaeda in Saudi Arabia: Current Assessment,» (Presentation at the Council of Foreign Relations, New York, 2006); «Saudi-US Cooperation in War on Terror Sharply Up: Official,» *Arab News*, 25/10/2003; Abdullah F. Ansary, «Combating Extremism: A Brief Overview of Saudi Arabia's Approach,» *Middle East Policy*, vol. 15, no. 2 (2008), and E. Glass and Y. Yehoshua, «Saudi Arabia's Anti-Terror Campaign,» *MEMRI Inquiry and Analysis Series*, no. 425 (2008).

الأمنية السعودية على «مكافحة الإرهاب بالشدّة». زادت كفاءة فرق قوات الأمن الخاصة (قوات الطوارئ) بدرجة كبيرة، وارتفع مستوى احتراف الأجهزة الاستخباراتية. وقد مكنت التطورات في مجال المراقبة التقنية المؤسسة الأمنية من فرض رقابة شاملة من الناحية الفعلية على الإنترنت وعلى شبكة الهاتف وشبكة الطرقات. ينبغي الإقرار بأنّ التغيّر لم يحدث بين عشية وضحاها؛ لأن السنة أو السنتين الأوليين للحملة شهدتا أمثلة كثيرة على إدارة الأوضاع بطريقة سيئة. ومع ذلك، بشّر الاتجاه العام بحدوث تطوّر مهم، وربما كانت تلك الزيادة الكبيرة في قدرة (جهاز خاص بمكافحة الإرهاب) هي الأكثر إبهاراً عبر التاريخ الحديث.

لكنّ تعامل السلطات السعودية مع القاعدة في جزيرة العرب لم يعتمد على مكافحة الإرهاب بالشدّة فقط، في الواقع كان استخدام الدولة للقوة محسوباً وهادفاً نسبياً مقارنة بطريقة تعامل الدول العربية الأخرى مع الإسلاميين المسلّحين على الأقل. إن المقاربة السعودية «اللينة» أرّقت كثيراً من المعلّقين الأجانب، بل إن بعضهم لام المملكة العربية السعودية على عدم لجوئها إلى تدابير قمعية على شاكلة التدابير المصرية والجزائرية. عند النظر إلى الماضي، يتضح أن الطابع المنضبط والمتنوّع لجهود مكافحة الإرهاب السعودية هو الذي جعلها ناجعة للغاية[٢٥].

اشتملت جهود مكافحة الإرهاب باللين على مكونات عديدة مختلفة؛ ثلاثة منها مهمة لفهم أسباب تهاوي تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. المكوّن **الأول**؛ هو الحدّ من الموارد المتاحة للتنظيم؛ إذْ سدّت السلطاتُ ثغرات عديدة في القطاعين الخيري والمالي أتاحت للمسلّحين تدبير الأموال. واتخذت إجراءات صارمة للقضاء على سوق الأسلحة غير الشرعيّة الضخمة وعززت ضبط الحدود ما قلّل الكميات المتاحة من

---

(٢٥) Joshua Teitelbaum, «Terrorist Challenges to Saudi Arabian Internal Security,» *Middle East Review of International Affairs*, vol. 9, no. 3 (2005), and Christopher Boucek, *Saudi Arabia's «Soft» Counterterrorism Strategy* (Washington, DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2008).

المتفجرات وأجهزة التفجير. أدّت هذه التدابير التي اقترنت بوضع اليد على المخابئ وعلى مخازن الأسلحة إلى تجفيف ينابيع القاعدة في جزيرة العرب ببطء، لكن بشكل نهائي.

المكون الأساس **الثاني**؛ في استراتيجية مكافحة الإرهاب «باللين»، هو إتاحة خيارات الانسحاب للمسلّحين، ففتح النظام قنوات اتصال وأقام «منافذ اتصال» للمنسحبين المحتملين. وصدر عفو عام طوال شهر كامل في أواسط عام ٢٠٠٤ وفي أواسط عام ٢٠٠٦، وشُجِّع المسلّحون على تسليم أنفسهم طوال مدة الحملة. كما أُطلقت مبادرات وساطة شبه رسمية هادئة شارك فيها إسلاميون مؤثّرون، مثل: الشيخ سَفَر الحَوالي والدكتور محسن العَواجي، وحظي المستسلمون بتغطية إعلامية واسعة، وظهر المسلّحون التائبون على شاشات التلفزة بانتظام لتوليد انطباع بأن حالات الانسحاب من التنظيم شائعة (علماً بأن الحال لم تكن كذلك في الواقع).

وللتشجيع على مزيد من حالات الانسحاب، سعت الدولة للظهور في مظهر الرحيم والمتسامح مع المسلّحين التائبين. بدأت الخطوة بالتوقف الفعلي عن إساءة معاملة المحتجَزين، وبحسب أغلب الروايات المتاحة يظهر أن المؤسسة الأمنية لم تعذّب مسلّحي التنظيم المقبوض عليهم، أو ليس بالأساليب التي استخدمتها في أواسط التسعينيات ونطاقها على الأقل. وللردّ على قصص التعذيب الماثلة في الأذهان والعائدة إلى أواسط التسعينيات، سعت السلطات إلى اعتماد قدر من الشفافية في معاملة السجناء؛ ببثّ مقابلات مع محتجزين أثنوا على الأوضاع في السجون بطريقة مقْنعة إلى حدّ ما. كما أطلقت الحكومة برنامجاً حظي بتغطية إعلامية واسعة لإعادة تثقيف المسجونين، وقد صُمّم لإقناع المسلّحين المحتجَزين بنبذ التطرّف وإعادة إدماجهم في مجتمعهم. وإذا كانت معاملة المحتجَزين باللين لم تثمر سوى عن عدد لا يُعتدّ به من حالات الانسحاب من التنظيم، فقد كان لها تأثير أهم بكثير في كبح محاولات التجنيد الجديدة، وفي تلافي جنوح المحتجزين إلى مزيد من التشدّد. وهناك ناحية أقل جاذبية في استراتيجية الابتعاد عن مظاهر القمع، وهي قرار عدم عقد محاكمات علنية للمشتبه بتورطهم بأعمال إرهابية. بناءً على ذلك، اعتُقل

نحو ألف شخص في أثناء الحملة، لكنهم بَقَوا من دون محاكمة إلى أن بدأت المحاكمات السرّية في عام ٢٠٠٩[٢٦].

المكون **الثالث**؛ والأهم في استراتيجية مكافحة الإرهاب السعودية باللين هو الحملة الدعائية؛ حيث أطلقت السلطات السعودية حملة واسعة ومبتكرة للغاية لاستمالة الشعب عامة والوسط الإسلامي خاصة. استخدمت الدولة المنابر المتاحة كافة، بدءاً بوسائل الإعلام، ومروراً بالقطاع الدِّيني الرسمي، وانتهاءً بالنظام التعليمي؛ لنقل رسالة واحدة شاملة، وهي أن المسلّحين ثوار مشوَّشون عازمون على قتل المسلمين وإشاعة الفوضى.

يكمن ذكاء الاستراتيجية الإعلامية السعودية في تصويرها المسلّحين بأنهم ثوريّون، مستغلّةً بذلك تحريم التمرّد المحلّي في الثقافة السياسية السعودية لنزع الشرعية عن المسلّحين في عيون السكان. واستخدمت وسائل الإعلام خصوصاً كل فرصة متاحة لتسليط الضوء على أثر العنف في حياة المسلمين وأملاكهم وتضخيمه، مفنّدةً بذلك زعم المسلّحين تركيزهم على الغربيين. فعقب انفجار المُحيّا على سبيل المثال، عرض التلفزيون والصحف صوراً عن قُرب للأطفال العرب الجرحى. وسلطت وسائل الإعلام الضوء أيضاً على مصرع فتاة سورية عمرها ١١ سنة في انفجار الوشم الذي وقع في نيسان/أبريل ٢٠٠٤، وعلى مصرع صبي مصري عمره ١٠ سنوات في هجوم الخُبَر الذي وقع في الشهر التالي.

---

(٢٦) «Terrorists Offered Amnesty,» *Arab News*, 24/6/2004, and «Saudi's Qaeda Rejects Renewed Amnesty by King: Web,» Reuters (4 July 2006).

حتى إنه سرت شائعات في مرحلة معينة، تحدّثت عن مجيء المحامي الإسلامي المصري منتصر الزيّات إلى المملكة العربية السعودية للوساطة، مع أنّ ذلك لم يحصل مطلقاً، انظر: «The Lawyer of the Egyptian Islamic Groups Mediates to Stop Violence in Saudi Arabia,» ArabicNews.com (20 May 2004); John Solomon, «Saudi Interrogators Try Gentler Approach,» Associated Press (30 November 2003); James Sturcke, «Come on in... the Bread and Water is Fine,» *Guardian*, 15/12/2004, and «Saudi Terror Trials Reach Verdict,» Reuters (8 July 2009).

لمعرفة المزيد عن إعادة تأهيل المساجين، انظر: Christopher Boucek, «Extremist Reeducation and Rehabilitation in Saudi Arabia,» *Jamestown Terrorism Monitor*, vol. 5, no. 16 (2007) and Lawrence E. Cline, «Changing Jihadist Behaviour: The Saudi Model,» *Small Wars Journal*, 10/4/2009.

استخدمت السلطات أيضاً ما سُمّي «الدعاية السوداء» (أي المعلومات الملفَّقة)، التي تناولت خططاً زُعم أن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أعدّها لقتل مدنيين مسلمين، وتدنيس المسلّحين المزعوم للمساجد والقرآن الكريم، وكانت السلطات السعودية تدّعي كل سنة تقريباً منذ العام ٢٠٠٣ إحباط مخطّطات للقاعدة لمهاجمة مكّة المكرّمة في أثناء موسم الحج. وزعم تقرير، غير مقنع قط، تفخيخ مسلّحين نسخاً من القرآن الكريم تحضيراً لهجوم في موسم الحج(٢٧).

اشتمل الشقّ الآخر لاستراتيجية الإعلام على عرض المسلّحين التائبين على شاشات التفلزة، والطلب إليهم تبيان خطئهم بحمل السلاح، فظهر الشيخ علي الخُضَير والشيخ ناصر الفهد والشيخ أحمد الخالدي في مظهر التائبين على شاشات التلفزة في تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣. وفي كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣، عُرض أول برنامج في سلسلة من ثلاثة برامج بعنوان «من داخل الخلية»، تحدّث فيه مسلّحون معتقَلون ينتمون إلى القاعدة في جزيرة العرب عن كيّفية وقوعهم في حبائل الإرهاب على يد قادة القاعدة الماكرين.

ضخّمت الحملة الدعائية الحكوميّة مشكلة حساسة واجهت القاعدة في جزيرة العرب، وهي افتقار حملة عنيفة على التراب السعودي إلى الدعم الشعبي حتى في الوسط الإسلامي. فالفصل بين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وجمهورها المزعوم فضح حملتها من اليوم الأول، فقوبلت عملية ١٢ أيار/مايو ٢٠٠٣ بإدانة واسعة في المجتمع السعودي كله، بما في ذلك الدوائر الإسلامية المحافِظة. وامتلأت الجرائد بمقالات وصفحات افتتاحية شجبت الهجمات، وانتقدت المؤسسةُ الدِّينية بأسرها فضلاً عن المشايخ الصحويين المؤثّرين التفجيراتِ بعنف. والأشخاص الذين لم يدينوا تلك التفجيرات تحدّثوا عن نظريات مؤامرة، برّأت الوسطَ الجهادي منها، لكنّ هذه الشكوك كلها تبدّدت بانفجار المُحيّا في

---

(٢٧) «Official: Saudis Foil Terror Attack on Pilgrims,» Reuters (4 November 2003); P. K. Abdul Ghafour, «Cell Was Targeting Muslims,» *Arab News*, 5/11/2003, and Mohammed Alkhereiji, «Abdullah Tells Citizens to Report Suspects,» *Arab News*, 22/6/2003.

تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣. فالصور الفظيعة للأطفال المسلمين الجرحى على الصفحات الأولى في الجرائد السعودية، قلبت الرأي العام المحلّي على المسلّحين بشكل حاسم. وحتى المنظّمات الإسلامية المسلّحة في الخارج، منها حماس والجماعة الإسلامية المصرية انتقدت العنف. ومن ذلك الحين فصاعداً تبلور إجماع عريض في المملكة على أن المسلّحين ليسوا سوى إرهابيين يشكلون خطراً على المجتمع السعودي. إن الهزيمة التي نزلت بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب في مجال العلاقات العامة، أظهرت وهن أيديولوجيا الجهاد العالمي، مقارنةً بالجهاد الكلاسيكي، فضلاً عن النجاح الأيديولوجي النسبي للخطاب الدِّيني الرسمي على الساحة المحلّية[٢٨].

أوجد الافتقار المزمن إلى الشرعية مناخاً عملانياً عدائياً؛ فتناقصت أعداد المتعاطفين المستعدّين لمدّ يد العون للمسلّحين، بينما زاد عدد الأشخاص المستعدّين لإبلاغ الشرطة عن أي سلوك مريب. ومع انتشار العيون والآذان حول المسلّحين، أُعيقت حركتُهم، وقلّت فرص حصولهم على المال وتأمين المخابئ. وفي تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣، أشارت مقالة افتتاحية لمجلة **صوت الجهاد** إلى «في زمن كثر فيه المخذِّلون، واشرأب فيه النفاق والمنافقون، وقلّ النّاصحون، أصبح المجاهدون غرباء بين الأهل والأحباب، وبين الأقارب والأصحاب، فلا يجدون على الخير أعواناً إلا ما ندر، ولا يجدون على الطريق أنصاراً إلا من رحم الله . . .»[٢٩].

الأهم من ذلك، أنّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب عانى مشكلات

---

(٢٨) انظر مثلاً: «The Enemy Within [Editorial],» *Arab News*, 14/5/2003; Raid Qusti, «Cleaning Up Our Own Backyard,» *Arab News*, 21/5/2003, and «Hamas Condemns Riyadh Bombing as Harmful to Islam,» Reuters (13 November 2003).

انظر أيضاً: «بيان حول حوادث التفجيرات،» الإسلام اليوم (١٦ أيار/ مايو ٢٠٠٣)؛ سلمان العودة، «التفجيرات وتداعياتها،» الإسلام اليوم (٢٠٠٣)، <http://www.islamtoday.net>، وكرم محمد زهدي، مُعِدّ، **تفجيرات الرياض: الأحكام والآثار** (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ٢٠٠٣).

(٢٩) **صوت الجهاد**، العدد ١ (٢٠٠٣).

خطيرة في التنجيد عقِب إطلاقه حملته، فأسفت مقالات كثيرة في مجلة **صوت الجهاد** على عدم الاستجابة لنداء الجهاد، ودعت المعارف السابقين من المسلّحين إلى الالتحاق بالحملة؛ وعلى سبيل المثال، ناشد عبدُ العزيز المقرن مَن تدرّبَ معه في أفغانستان، بينما خاطب عيسى العوشن أصدقاءه القدامى في المراكز الصيفية الدِّينية. وأمِل آخرون باستنفار مجتمعاتهم المحلّية بمقالات بعنوان «يا أهل الزُلفي» وما شابهه، بل إن بعضاً أوصلوا دعاية التنظيم إلى أبواب الأصدقاء السابقين، كما عكست الجهود الدعائية للتنظيم، الرامية إلى حشد دعم النساء ـ وهي مبادرة ليست معتادة نسبياً بالنسبة إلى جماعة جهادية ـ المشكلاتِ التي واجهها التنظيم في تجنيد الأتباع. ويتعيّن كذلك فهم استثارة الانتماء القبلي بوتيرة متزايدة في رسائل القاعدة بدءاً بأواخر عام ٢٠٠٣ في هذا السياق[٣٠].

المظهر الآخر لفقدان تنظيم القاعدة في جزيرة العرب الشرعيةَ، محاولاته المستمرّة فتح نقاش مع شخصيّات إسلامية معروفة. وقد أدّى سجن شيوخ مدرسة الشُّعَيبي في أواسط عام ٢٠٠٣ إلى حرمان التنظيم من مصدر تشريعي حيوي، والأشخاص الذين عملوا منظّرين للتنظيم في أثناء حملته، مثل: فارس الزهراني وعبد الله الرشود كانوا غير معروفين وغير متميزين فكرياً، وليس لهم حضور وتأثير قوي في الوسط الإسلامي الأرحب، وكانت تلك نقيصة خطيرة في الساحة السعودية التي ترتبط فيها الشرعية السياسية ارتباطاً وثيقاً بالصدقية العلمية. وبعد أن أدرك الزهراني ومنظرو القاعدة الآخرون أنهم في حاجة إلى مؤازرة أكبر من المشايخ المؤثرين، كتبوا عدداً من الرسائل المفتوحة إلى العلماء، وكتبوا رسائل

---

(٣٠) «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)،» ص ٢٧؛ عيسى بن سعد العوشن: «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٥ (٢٠٠٤)، و«رسالة مفتوحة إلى شباب المراكز الصيفية،» **صوت الجهاد**، العدد ١٩ (٢٠٠٤)؛ فهد الجُوَير الفرّاج، «يا أهل الزلفي،» **صوت الجهاد**، العدد ١٨ (٢٠٠٤)؛ عبد الله البهلال، «يا أهل الزلفي أين غيرتكم؟،» **صوت الجهاد**، العدد ٢٧ (٢٠٠٤)؛ محمد السالم، «يا أهل الكويت،» **صوت الجهاد**، العدد ١٣ (٢٠٠٤)، ومنى بنت صالح الشرقاوي، «يا نساء دوركنّ ـ فقد نام الرجال،» (٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>. للاطلاع على الخطاب الدِّيني للقاعدة في جزيرة العرب، انظر: Madawi al-Rasheed, «The Local and the Global in Saudi Salafism,» *ISIM Review*, vol. 21 (2008).

شخصية إلى شخصيات، مثل الشيخ سَفَر الحَوالي. لكنّ مبادراتهم أخفقت؛ لأنّ مؤازرة عموم الإسلاميين للتنظيم كانت غير واردة، والشخصيات الصحوية القديمة لم تؤيّد أساليب العنف في السابق، واقتربت من النظام عقب إخلاء سبيلها في أواخر التسعينيات[٣١].

وكما يحصل عادةً مع المنظمات السرّية، ردّ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب على مأزقه السياسي بالإنكار والانكفاء على الذات. أنكر المسلّحون التقارير الأخبارية كافة التي ناقضت رؤيتهم العالمية، مثل التقارير التي تحدّثت عن وقوع ضحايا مسلمين، ووصفوها بأنها تلفيقات. ومالت رواياتهم الخاصة بالهجمات والاشتباكات إلى المبالغة والبُعد عن الواقع بشكل متزايد. وألقَوا باللائمة في إحجام الناس عن الاستجابة لنداء الجهاد على التلاعب الحكومي، وبغرض المحافظة على نقاوة هذا العالم الأيديولوجي، طلب التنظيم إلى القادة منع أتباعهم من الاطلاع على وسائل الإعلام المعروفة أو الاتصال بالأصدقاء والأسرة؛ وبذلك ابتعد المسلّحون عن الواقع وانزَوَوا في عالم أيديولوجي خدّاع، وبالتالي أمست خلايا التنظيم مفصولة بالكامل عن البيئة الاجتماعية والسياسية التي نشطت فيها، لكنّ عجز التنظيم عن التفطّن للارتدادات السياسية لأعماله العنيفه، قاده إلى تنفيذ عمليات زادت عزلته، وأوقعته بالتالي في حلقة مُفرغة، دفعته إلى الغوص أكثر فأكثر في أعماق الأرض، بحسب تعبير دوناتيلا ديلا بورتا (Donatella Della Porta)[٣٢].

السبب الأساس الثالث لإخفاق حملة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، هو الجهاد الموازي في العراق الذي أبرز الهوّة بين التيار «الكلاسيكي» والتيار «العالمي» في الحركة الجهادية السعودية.

---

(٣١) انظر: عبد الله النجدي، «رسالة إلى العلماء والدعاة،» (٢٠٠٤)؛ عبد الله الرشود، «طلب مناظرة مع الشيخ ناصر العمر،» <http://www.qa3edoon.com>؛ فارس الزهراني، «طلب مناظرة مع الشيخ سَفَر الحَوالي،» (٢٠٠٤) <http://www.qa3edoon.com>، وأبو جندل الأزدي، «بيان حول الدعوى الكاذبة من سَفَر الحَوالي وأشباهه،» ألقاه فارس الزهراني (٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws/r?i=38bf2hun>.

(٣٢) P. K. Abdul Ghafour, «Al-Qaeda Controls Young Operatives by Torture Threats,» *Arab News*, 23/9/2004.

جذب العراقُ بعد العام ٢٠٠٣، الجهاديين الكلاسيكيين من المملكة العربية السعودية ومناطق أخرى؛ لأنه حالة مألوفة من الجهاد الدفاعي؛ إذْ احتلت قوى عسكرية أجنبية أرضاً إسلامية، عقب ما اعتُبر على نطاق واسع عملاً عدوانياً غير مبرَّر؛ لذلك حظيت المقاومة العراقية بمؤازرة كبيرة في الدوائر الوحدوية الإسلامية في المملكة العربية السعودية. تمثّل رأي السواد الأعظم من الإسلاميين السعوديين الذي صاغه الصحويون القدامى وبعض المشايخ في المؤسسة الدِّينية، في أنّ الجهاد في العراق فرض كفاية، أي إنه واجب على العراقيين وطوْعي في حالة السعوديين، لكنّ الجهاديين الكلاسيكيين زادوا على ذلك وقالوا إن الجهاد هناك فرض عين على سائر المسلمين بما في ذلك السعوديين، ورأى هؤلاء أنه لا جهادَ مقدَّمٌ على الجهاد في العراق، وبالإضافة إلى كون الجهاد في العراق قضيةً جليةً من الناحية الشرعية؛ فهو أقرب إلى السعودية جغرافياً وثقافياً من مناطق الجهاد السابقة، مثل: أفغانستان أو البوسنة أو الشيشان؛ لذلك، اجتهد الجهاديون الكلاسيكيون بدءاً بمطلع عام ٢٠٠٣ في تعبئة الشباب المسلم للقتال في العراق. وتوجّه آلاف المقاتلين الأجانب، منهم أكثر من ألف سعودي إلى العراق، ولا يزالون إلى وقت هذا الكتاب[*] (مع أنّ أعدادهم تضاءلت، منذ عام ٢٠٠٥). وقد أصاب بعض المراقبين كبد الحقيقة، عندما وصفوا العراق بأنها «أفغانستان الجديدة» بالنسبة إلى الحركة الجهادية[٣٣].

تبنّى الجهاديون العالميون، من أمثال القاعدة في جزيرة العرب، رأياً مختلفاً قليلاً عن الجهاد في العراق؛ مع أنهم رَأَوا أنّ العراق قضية

(*) أي حتى تاريخ صدور النسخة الأجنبية من الكتاب في عام ٢٠١٠.

(٣٣) انظر: «جمْع من العلماء السعوديين يوجّهون خطاباً مفتوحاً للشباب العراقي،» صيد الفوائد (٢٠٠٤)، <http://www.saaid.net/mktarat/iraq/50.htm>. انظر أيضاً: بيان الشيخ عائض القرني على قناة الجزيرة في ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤، ومقالة الشيخ سلمان العودة في الرياض، ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤، ومقابلة الشيخ سَفَر الحَوالي، في: صحيفة **عكاظ**، ١٩/٥/٢٠٠٥؛ *Kingdom's Response* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005), and Thomas Hegghammer, *Saudi Militants in Iraq: Backgrounds and Recruitment Patterns* (Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Report), 2007).

مهمة للغاية، فهو لم يكن في نظرهم غير واحد من ميادين قتال شرعية عديدة لجهاد الصليبيين عموماً. ومع شحّ الموارد المتاحة للنشاط الإسلامي العنيف في المملكة العربية السعودية بعد أيار/ مايو ٢٠٠٣، سرعان ما وجد الجهاديون الكلاسيكيون والعالميون أنفسهم في منافسة على المجنَّدين والمال، وقد أشعل ذلك جدالاً أيديولوجياً حامياً بين المعسكرين حول جبهات القتال التي ينبغي تقديمها على غيرها، أهي العراق أم المملكة العربية السعودية.

برز الخلاف فور تفجيرات أيار/ مايو ٢٠٠٣ تقريباً عندما أوعز النقاد إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب بالتوجه إلى العراق إذا كان يريد مقاتلة الصليبيين فعلاً. وقد تجلّى هذا الخلاف في منتديات الجهاديين على الإنترنت طوال صيف العام ٢٠٠٣. وفي إصدار مجلة **صوت الجهاد** الأول في تشرين الأول/ أكتوبر، شعر عبد العزيز المقرن أنّه مرغم على تعليل إحجامه عن الذهاب إلى العراق. واشتدّ الخلاف كثيراً، في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ عندما نشر أبو عمر السيف المنظّر السعودي المقيم بالشيشان، تسجيلاً صوتياً انتقد فيه القاعدة في جزيرة العرب جهاراً، ودعا السعوديين إلى القتال في العراق عوضاً عن الالتحاق بحملة التنظيم. جادل أبو عمر وجهاديون كلاسيكيون آخرون بأن العنف في المملكة العربية السعودية، صرف الانتباه والموارد بعيداً عن الجهاد في العراق، ردّ التنظيم بنشر مقالات في مجلة **صوت الجهاد**، ذكر فيها أن الجهاد في المملكة لا يتعارض مع الجهاد في العراق، وأنه ينبغي للسعوديين محاربة الصليبيين الأقرب إلى ديارهم؛ حيث سيكون لجهودهم وقْع أقوى؛ فالواضح أن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كان يصارع من أجل الردّ على الحجج الدامغة التي ذكرها الجهاديون الكلاسيكيون؛ لأنه نشر في ربيع العام ٢٠٠٤، سلسلة مقالات عالج فيها «المفاهيم الخاطئة» الشائعة و«الشكوك» حول الجهاد في المملكة العربية السعودية، وفي مقدّمها حجة أولوية القتال في العراق، لكنّ كفة الجدال في أواسط عام ٢٠٠٤ بدت أنّها مالت إلى مصلحة موقف الجهاديين الكلاسكيين. واللافت عدم مشاركة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري في الجدال، لكنهما تحدثا بلا شك عن العراق أكثر

من حديثهما عن المملكة، في بياناتهما الصادرة في هذه الحقبة[٣٤].

تجلّى النزاع الأيديولوجي بين الجهاديين الكلاسيكيين والجهاديين العالميين، في انفصال تنظيمي فعلي بين جانبي الوسط الجهادي السعودي. ويظهر أن الأشخاص الضالعين في التجنيد وفي جمع الأموال للعراق نَأَوا بأنفسهم عن القاعدة في جزيرة العرب خشيةَ لفت أنظار الشرطة. وعلى العكس، لم يجد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كبيرَ فائدةٍ في التفاعل مع ناشطين يرسلون المجندين والأموال إلى خارج البلاد. لكننا لا نقصد بذلك القول إن الشبكتين كانتا منفصلتين تماماً؛ إذْ كان هناك اتصالات شخصية وبيانات دعم مشترك للقاعدة في جزيرة العرب والقاعدة في العراق، كما توجّه عدد قليل من مقاتلي القاعدة في جزيرة العرب من المملكة إلى العراق بعد أنِ اشتدّ الوضع عليهم في المملكة. ومع ذلك، فإن الأمثلة على التفاعل بين الطرفين نادرة جداً بالنسبة إلى حجم الشبكتين. في الواقع، كان تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وشبكة السعوديين في العراق كيانين منفصلين تماماً[٣٥].

قوّض الشرخُ في الحركة الجهادية السعودية الدعمَ المتاح لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب وجهوده التجنيدية بدرجة كبيرة؛ ذلك أن

---

(٣٤) عبد الله بن ناصر الرشيد، «انتقاد الاعتراض على تفجيرات الرياض،» (٢٠٠٤) <http://www.tawhed.ws/c?i = 60> ؛ «ما لكم لا تقاتلون في العراق وجميع الطرق مفتوحة؟» صدى الجهاد (٢٠٠٣)، <http://www.sadaaljihad.net> ؛ «تساؤلات حول الجهاد ضدّ الصليبيين في جزيرة العرب،» **صوت الجهاد**، العدد ١١ (٢٠٠٤)؛ «لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١)؛» محمد السالم: «لا تذهبوا إلى العراق،» **صوت الجهاد**، العدد ٧ (٢٠٠٣)، و«لبّيك يا عراق،» **صوت الجهاد**، العدد ١١ (٢٠٠٤).

(٣٥) ذُكر أن الناشط في القاعدة في جزيرة العرب يونس الحيّاري، كان صديقاً قديماً لأبي أنس الشامي، المنظر الرئيس لجماعة التوحيد والجهاد التي تزعمها أبو مصعب الزرقاوي إلى حين مصرعه، في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤. من الأمثلة على بيانات الدعم الجنازة الرمزية، في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤، ومجلس العزاء الذي استمرّ ثلاثة أيام في مسجد للراديكاليين في بغداد؛ لوفاة عبد العزيز المقرن، انظر: Nir Rosen, *In the Belly of the Green Bird: The Triumph of the Martyrs in Iraq* (New York: Free Press, 2006), p. 191.

وفي بيان صدر في تموز/ يوليو ٢٠٠٥، أثنى أبو مصعب الزرقاوي على منظّر القاعدة في جزيرة العرب عبد الله الرشود الذي زُعم أنه قُتل في العراق. وفي ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥، أصدر المنظّر الجهادي العراقي، أبو ميسرة العراقي، بياناً دعماً للقاعدة في جزيرة العرب.

الجهاديين السعوديين الطموحين التوّاقين إلى الذَّود عن الأمّة الإسلامية، رَأوا العراق ميداناً قتالياً أقوى جاذبية بكثير من شوارع الرياض ومكّة المكرّمة؛ ولم يعد هناك متبرّع سعودي مستعد لتمويل مشتريات أسلحة ستُستخدَم خارج عتبة بابه بالمعنى الحرفي للكلمة، إذا كان في استطاعته عوضاً عن ذلك، مؤازرة المجاهدين في العراق. وقد ظهرت مزيّة «التيار الخطّابي» على «تيار بن لادن» بوضوح شديد في حصيلة جهودهما التجنيدية؛ ففي حين لم يجنّد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب سوى عدد ضئيل من الأقرباء والمعارف، عبّأ الجهاديون الكلاسيكيون جيلاً جديداً كاملاً من السعوديين للجهاد في العراق.

لم يكن العراق ميدان القتال الوحيد الذي جذب الجهاديين الكلاسيكيين السعوديين في هذه الحقبة. ذلك أنّه برزت مؤشرات عديدة في مطلع عام ٢٠٠٦ على تجدّد توافد المقاتلين السعوديين (وإن بأعداد قليلة جداً لا تتعدّى العشرات على الأرجح) إلى أفغانستان. ففي نيسان/أبريل ٢٠٠٦، حاول مواطن سعودي التسلل إلى الأراضي الفلسطينية عبر الحدود الأردنية الإسرائيلية، ووردت تقارير في صيف العام ٢٠٠٦ عن أموال ومقاتلين سعوديين (قُدّرت بثلاثين إلى أربعين شخصاً) وصلوا الى الصومال للمشاركة في الصراع مع إثيوبيا المدعومة من الولايات المتّحدة. وفي أثناء أحداث العنف في لبنان صيف العام ٢٠٠٧، كانت هناك تقارير عن وجود سعوديين يقاتلون في صفوف جماعة فتح الإسلام الجهادية. وقد أشار هذا التدفّق المتواصل للسعوديين إلى مناطق الجهاد الخارجية إلى أنّ الحركة الجهادية الكلاسيكية لا تزال موفورة الحياة في المملكة، على الرغم من الضعف الذي اعترى القاعدة في جزيرة العرب. إن انتصار الجهاديين الكلاسيكيين يقوّي الفرضية التي تقول إن الجهاد العالمي الذي دعا إليه بن لادن أشدّ إثارة للجدل في المملكة العربية السعودية مما يُعتقد غالباً، وأن جلّ الوسط الإسلامي المسلّح في المملكة متأثّر بأيديولوجيا الجهاد الكلاسيكي، الأكثر اعتدالاً بعض الشيء[٣٦].

---

(٣٦) مقابلات أجراها المؤلف مع مريم أبو الذهب ونواف عُبَيد؛ فارس بن حزام: «شبابنا إلى أفغانستان مجدداً،» **الرياض**، ٣/١٠/٢٠٠٦، و«لماذا عادوا إلى أفغانستان؟، **الرياض**، ١٠/١٠/ =

المفارقة الأكبر في حملة القاعدة في جزيرة العرب، أنها أُطلقت قبل أسابيع قليلة من إعلان الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى عزمهما على سحب معظم قواتهما العسكرية من المملكة، أي إن الهدف المعلَن للتنظيم وهو طرد الصليبيين من بلاد الحرمين قد تحقّق قبل بدء المواجهة. والغريب أن هذه الحقيقة لم تظهر في مناقشات السعوديين من الجهاديين ومن غيرهم لحملة القاعدة. وصف المسلّحون التقارير التي تحدّثت عن الانسحاب بالكاذبة وواصلوا الحديث عن الجزيرة بأنّها محتلّة من قبل القوات الأمريكية، بينما لم تستخدم السلطاتُ السعودية حججاً سياسيّة قط، واكتفت بالحجج الدِّينية في حرب الأفكار مع القاعدة[(٣٧)].

أصيب مشروع القاعدة في جزيرة العرب بكارثة نزلت به؛ فقد فشل المشروع فشلاً ذريعاً، وحَمَل السلطات في الوقت نفسه على اتخاذ تدابير مضادّة حرمت الحركة الجهادية العالمية من مصدر الأيديولوجيا والمال والمجندين الذي كانت تجده في المملكة. وكم كان عبد الرّحمن الراشد رئيس تحرير صحيفة **الشرق الأوسط** دقيقاً وبليغاً في تكهّنه عندما قال: «إذا كان يقال إن المتطرّفين يوم استهدفوا نيويورك في هجمات الحادي عشر من سبتمبر قد أصابوا أنفسهم في القدم، فإنهم في تفجيرات الرياض قد أصابوا أنفسهم في الرأس»[(٣٨)].

= ٢٠٠٦؛ Raid Qusti, «Saudi Being Held in Israel: Saud,» *Arab News*, 5/4/2006; Sue Pleming, «US Says Funds Flow in from Saudi Arabia to Somalia,» Reuters, 29/6/2006, and «10 Saudi Islamists Killed in Lebanon Unrest,» Agence France Presse (9 July 2007).

(٣٧) Eric Schmitt, «US to Withdraw All Combat Units from Saudi Arabia,» *New York Times*, 30/4/2003.

زُعم أن القيادة السعودية اتخذت القرار في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣. انظر: Patrick E. Tyler, «Saudis Plan End to US Presence,» *New York Times*, 9/2/2003.

(٣٨) عبد الرّحمن الراشد، «بين نيويورك والرياض،» **الشرق الأوسط**، ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٣.

خاتمــة

بدأ خبراء جنائيون برفع أنقاض مواقع الانفجارات في هجوم الرياض بحثاً عن أشلاء المصابين صباح الثالث عشر من أيار/ مايو ٢٠٠٣. وُضعت على أرض مجمّع فينيل (Vinnell) أشلاء خالد الجُهَني، وهو انتحاري اختصرت سيرته قصةَ حملةِ القاعدة في جزيرة العرب. سافر خالد وهو في سنّ الثامنة عشرة إلى البوسنة في عام ١٩٩٢، وأصبح مجاهداً أجّجت عواطفَه الدعواتُ المتواصلة في المساجد وفي وسائل الإعلام التي تناشد السعوديين نصرةَ أشقائهم المسلمين المضطهدين في البوسنة. وعندما عاد خالد إلى المملكة بعد بضع سنين، وجد أنّ الدولة لم تعد تعترف بالتضحيات التي قدّمها ذوداً عن الأمّة الإسلامية، وربما فراراً من الاعتقال والتعذيب الذي نزل بقدامى المجاهدين عقب تفجيرات الرياض والخُبَر (عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦)، سافر خالد إلى أفغانستان عام ١٩٩٦، عندما شرع أسامة بن لادن في إعادة بناء تنظيم القاعدة لإعلان الجهاد العالمي على أمريكا. وأمسى خالد عضواً بارزاً في القاعدة، وسجّل شريطَ فيديو استشهادياً في عام ٢٠٠١ على أمل أن يشارك في يوم من الأيام في عملية تستهدف الصليبيين، لكن عندما وجد تنظيمُ القاعدة نفسه فجأة مطروداً من أفغانستان في مطلع عام ٢٠٠٢، قرّر بن لادن فتح جبهة قتال جديدة في المملكة العربية السعودية. كُلّف خالد بمهمة جديدة: العودة إلى الديار والتحضير للجهاد في الجزيرة العربية، وبعد سنة، قاد إحدى فرق الهجوم في عملية ١٢ أيار/ مايو[1].

مع أنّ مهمة المحققين الذين عاينوا مكان الانفجار انتهت منذ زمن

---

(١) «Saudi Sought by FBI May have Died Years Ago, Relatives Say,» *Arab News*, 20/1/2002, and Alan Sipress and Peter Finn, «Terror Cell had Recent Gun Battle with Police,» *Washington Post*, 14/5/2003.

بعيد، سعت هذه الدراسة إلى جمع قطع أحجية كبرى، وهي سبب إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حملته في عام ٢٠٠٣ وليس قبلها. بعبارة واحدة، الجواب هو أنّ التيار الإسلامي الثوري والتيار الجهادي العالمي لم يجدا أرضاً خصبة في المملكة العربية السعودية يوماً، وأنّ أحداث العنف التي شهدتها المملكة في عام ٢٠٠٣ سببها السيل المفاجئ والهائل للجهاديين العالميين الذين عادوا من أفغانستان في عام ٢٠٠٢.

جاءت حملة القاعدة في جزيرة العرب ثمرة التحوّل الجوهري في البيئة الاستراتيجية للقاعدة عقب سقوط نظام طالبان في أواخر عام ٢٠٠١. من وجهة نظر القاعدة، بدّلَت خسارةُ ملاذ آمن في أفغانستان وشنُّ «الحرب العالمية على الإرهاب» تحليلَ الخسائر والمكاسب إلى قرار المحافظة على المملكة العربية السعودية كقاعدة دعم. لذلك، أعطى أسامةُ بن لادن الضوء الأخضر لإعلان جهاد في الجزيرة العربية في مطلع عام ٢٠٠٢، وقبل زمن طويل من ظهور ملامح غزو أمريكي للعراق. وفي السنة التالية، بنى يوسف العُيَيْري المفوَّض من بن لادن تنظيماً بمعونة كثير من السعوديين الذين عادوا مؤخراً من أفغانستان. إن التعبئة المذهلة التي قام بها العُيَيْري، إنما تحقّقت لعجز الجهاز الأمني السعودي عن التعامل مع السيل المفاجئ والهائل لمسلّحين على قدر ممتاز من التدريب والتحفيز. تضافرت القدرات العالية للمسلّحين، والقدرات المتدنّية للأجهزة الأمنية على فتح نافذة فرص، أَحسَنَ يوسف العُيَيْري استغلالها بتنظيم بارع لحركة اجتماعية. وساعدته في ذلك استراتيجيةُ بن لادن ذات المسار المزدوج في الجهاد، التي جذبت انتباه المؤسسة الأمنية إلى شبكة الناشري الفائقة النشاط، ومكّنت العُيَيْري من تعبئة الأتباع بهدوء. كما إن التطوّرات السياسية المحلّية والدولية ساعدت الجهود التجنيدية التي بذلها العُيَيْري، لكن لم يعد هناك مفرّ من العنف؛ لكثرة عدد العائدين وقوة عزيمتهم.

لكن، لماذا ذهب هذا العدد الكبير من السعوديين إلى أفغانستان في المقام الأول؟ إنّ الحضور السعودي القوي في معسكرات القاعدة متصل بالصعود المتتابع للتيار الجهادي الكلاسيكي والتيار الجهادي العالمي في المملكة. نشأت حركة جهادية سعودية في أواسط الثمانينيات لتعبئة

العرب بتحريض من الإخوان المسلمين على الجهاد في أفغانستان، وعلى مناصرة الدولة السعودية الدعوة إلى الوحدة الإسلامية؛ تحقيقاً لغايات محلّية متصلة بشرعية الدولة. وفي مطلع التسعينيات، دخل النظام السعودي في لعبة احتلال موقع المتصدّر المزدوجة في التضامن المعلَن مع المسلمين المضطهدين، التي أشاعت بدورها تقبّلاً اجتماعياً واسعاً للنشاط الجهادي الكلاسيكي. ولم يقم النظام بخطوات جدّية لكبح تدفق السعوديين إلى مناطق الصراع إلّا بعد إخماده المعارضة الإسلامية في عام ١٩٩٤، وهي خطوات أدرك حينها أنها قد تجلب نتائج عكسية، لكنّ التيار الوحدوي الإسلامي كان قد توطّد بحلول ذلك الوقت كقوة حاسمة في السياسة السعودية، وحاز التيارُ الجهادي السعودي زخماً من تلقاء نفسه، وبقيت أعداد كبيرة من الناس في المملكة العربية السعودية ترى أنّ عمل التيار الجهادي الكلاسيكي المعني بالمشاركة في صراعات التحرّر الوطني التي يخوضها المسلمون الآخرون مشروع بالمطلق.

لم يتمتّع مشروع الجهاد العالمي الذي أطلقه أسامة بن لادن في أواسط التسعينيات بالقدر نفسه من الدعم داخل المملكة؛ لاشتماله على تكتيكات متطرّفة ولجوئه إلى العنف في الداخل. كما شكّك أغلب الوهّابيين المحافظين في الأساس الشرعي لهذه التكتيكات وهذه الاستراتيجية. بيد أنّ تجذّر الخطاب الجهادي العالمي في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، مكّن بن لادن من استغلال المساندة السعودية الشعبية الواسعة النطاق للتيّار الجهادي الكلاسيكي بكل سهولة خدمةً لغاياته الخاصة. وفي هذا السياق، عوّلت استراتيجية التجنيد التي اتّبعها تنظيم القاعدة بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠١، على تقديم معسكرات التدريب في أفغانستان كمحطة على درب جهاد كلاسيكي، ولا سيما في الشيشان. وبعد أن يقيم المجنّدون في هذه المعسكرات، يتخالطون مع التيار الجهادي العالمي ويتشرّبون عقيدته. وقد زاد تدفّق السعوديين إلى معسكرات القاعدة زيادةً كبيرة بدءاً بعام ١٩٩٩ لبروز أربع تطورات حاسمة شبه متزامنة: انبعاث التيار الوحدوي الإسلامي بسبب حرب الشيشان والانتفاضة الفلسطينية، وبروز مدرسة الشُّعَيبي التي ضمّت مشايخ متشددين، وظهور الإنترنت، وإطلاق سراح يوسف العُيَيْري من السجن.

إن المستوى المتدنّي للعنف داخل المملكة قبل عام ٢٠٠٣ عائد ببساطة إلى افتقار الجهاديين الكلاسيكيين إلى النية وافتقار الجهاديين العالميين إلى القدرة، يتمحور التيار الجهادي الكلاسيكي حول مقارعة الأعداء في الصراعات التي يُفتي كبار علماء الدِّين السعوديين بأنها جهاد، ومع أنّ الجهاديين الكلاسيكيين من أمثال خطّاب امتعضوا من الوجود العسكري الأمريكي في المملكة، فهم لم يَرَوا قتاله في المملكة شرعياً لمعارضة الحكومة وكبار العلماء ذلك. ومن ناحية أخرى، أراد الجهاديون العالميون قتال الأمريكيين على التراب السعودي؛ لأنّهم اعتبروا الوجود الأمريكي عليه غير مقبول ولأنهم رَأَوا أن الحكومة السعودية وعلماءها غير شرعيين؛ ولذلك ليسوا مؤهلين للفصل في مسألة الجهاد. لكن لم يكن لدى بن لادن أتباع سعوديون كثر في البداية، وكانت البنية التحتية لتنظيمه في المملكة ضعيفة للغاية قبل عام ١٩٩٩. وبعد سلسلة من العمليات الفاشلة التي عادت على جهوده بنتائج عكسية داخل المملكة في عام ١٩٩٨، قرّر إرجاء إعلان الجهاد في الجزيرة العربية إلى أجل غير مسمى. وبالمقابل، تعهّد ذلك الجهادَ ليكون وسيلة لتجنيد الأنصار وجمع الأموال، وهي استراتيجية أثبتت فاعليتها الكبيرة.

إن الدور الحاسم للدعوة إلى الوحدة الإسلامية في السياسة السعودية، والقفزة النوعية التي حققها تنظيم القاعدة في جهوده التجنيدية، مثّلت نتائج حاسمة؛ لأنها استلزمت أن يكون الحضور السعودي القوي في مناطق الجهاد الأولى، وفي معسكرات القاعدة ثمرة تطورات سياسية مؤقتة، وليس تطرّفاً سعودياً جوهرياً وأبدياً. وعلاوةً على ذلك، فهو يضعف التصور الشائع بأنّ المملكة العربية السعودية هي «بلد القاعدة». وهذا يشير أيضاً إلى أنه قبل ١١ أيلول/سبتمبر، كان الجهاد العالمي الذي أطلقه بن لادن مشروعاً أكثر هامشية وإثارة للجدل في الأوساط الجهادية، بحسب ما ذُكر إلى الآن في الكتب التي تحدّثت عن القاعدة. بالتالي، فإنّ النتائج التي توصلْتُ إليها أقرب للنتائج التي توصّل إليها فوّاز جرجس (Fawaz Gerges) وبرينيار ليا (Brynjar Lia) اللذَين أثبتا أن الجهاد العالمي بقي دعوةً هامشيةً في وسط الأفغان العرب إلى يوم ١١ أيلول/سبتمبر؛ لذلك فإنّ الانتقادات التي وجّهها جهاديون مخضرمون بارزون للقاعدة في أواخر العقد الأول من

القرن الحالي، والتي اعتبرها بعض المراقبين تحوّلاً حاسماً في الحرب الأيديولوجية على القاعدة، ليست أكثر من عودة إلى الوضع السابق[٢].

في أعقاب الفشل الاستراتيجي الذي مُنيت به حملة القاعدة في جزيرة العرب، عادت المملكة العربية السعودية إلى وضع أمني شبيه بالوضع الذي كانت فيه قبل ١١ أيلول/ سبتمبر. إن أعمال العنف التي شهدتها البلاد في عام ٢٠٠٣، ليست من وجوه عديدة سوى استثناء يثبت القاعدة، وهي أن المملكة تنعم باستقرار داخلي نسبي. جاءت الحملة وليدة تناقض لحظي فريد بين قدرة تنظيمية فائقة تمتّع بها العائدون من أفغانستان في عام ٢٠٠٢ من **ناحية**، وبين الموقف الليّن وغير الصدامي الذي اعتمدته الأجهزة الأمنية السعودية من **ناحية أخرى**. أما وقد سُدّت هذه الفجوة الآن، فقد باتت التعبئة لنشاط منظَّم على مستوى المملكة صعبة للغاية. إن انهيار القاعدة في جزيرة العرب يؤكد ميلاً تاريخياً عاماً، وهو أن تعبئة واسعة النطاق لنشاط سنّي عنيف داخل المملكة العربية السعودية هو أمر فائق الصعوبة.

يثبت ما تقدّم ما يصفه هذا الكتاب بأنّه الخاصيّة الأهم للتيار الجهادي السعودي، وعلى التحديد توجّهه الوحدوي الإسلامي. ونلاحظ أن المملكة عانت عنفاً اجتماعياً ثورياً أقل بكثير من عنف استهدف غير المسلمين كان أقوى بكثير مما عانته الدول العربية الأخرى. في الحقيقة، لم تكن المملكة يوماً حاضنة لحركة إسلامية اجتماعية ثورية على شاكلة الحركة المصرية أو الجزائرية. وبالمقابل، نشأت في المملكة حركة جهادية كلاسيكية قوية نسبياً منذ أواسط الثمانينيات. لا نقصد بذلك القول إنه ليس في المملكة ميول اجتماعية ثورية؛ لأنها موجودة فعلاً وأنتجت عنفاً أحياناً، كما في حالة عمليات الاغتيال في مدينة سكاكا عام ٢٠٠٢. زد على ذلك، أنّ بعض نواحي النشاط العسكري المعادي للغرب، ربما تكون نواحي نشاط اجتماعي ثوري مموّه؛ فالتعذيب الذي مورس في السجون السعودية في

---

(٢) Fawaz Gerges, *The Far Enemy: Why Jihad Went Global?* (New York: Cambridge University Press, 2006); Brynjar Lia, *Architect of Global Jihad: The Life of Al-Qaeda Strategist Abu Mus'ab Al-Suri* (London: Hurst, 2007); Peter Bergen and Paul Cruickshank, «The Unraveling: The Jihadist Revolt Against bin Laden,» *New Republic* (11 June 2008), and Lawrence Wright, «The Rebellion Within: An Al Qaeda Mastermind Questions Terrorism,» *New Yorker* (2 June 2008).

أواسط التسعينيات دفع بعض الجهاديين الكلاسيكيين إلى أحضان القاعدة، وكانت البطالة عاملاً في تجنيد الجهاديين بدءاً بأواسط التسعينيات أيضاً، لكنّنا نلاحظ في الصورة الكبيرة التي نتعامل معها نمطاً واضحاً نسبياً، بالكاد يمكن اعتباره تصادفياً(٣).

إن ما يشير إليه تحليلنا، هو أنه توجد صور مثالية مختلفة للتيار الإسلامي المسلّح، تتجلّى على صعد متنوّعة في دول مختلفة. وهذا يُفسح المجال أمام احتمال أن يكون للأنواع المختلفة لهذا النشاط أسباب أيضاً مختلفة، وأنّ كل صورة له مرتبطة بخصائص اجتماعية وسياسية معيّنة لبلد معيّن. والظاهر أن هذا النهج التحقيقي الذي ربما يمكن وصفه بـ «السياسة المقارَنة للتنافس الإسلامي»، يفرض معاينةً أشدَّ تمحيصاً للقوى المحركة المسبّبة للعنف الإسلامي. وعوضاً عن معاينة العلاقات المتبادَلَة بين أنواع النظم أو الفقر على صعيد النزوع الإرهابي أو الإسلامي عموماً، يمكننا معاينة تأثيراته في النشاط الإسلامي بأنواعه المختلفة. وعلى سبيل المثال، ربما يكون الرابط بين الفقر والسياسة الحكومية القمعية من **جهة**، والتيار الإسلامي الاجتماعي الثوري من **جهة أخرى**، أقوى من ترابط الفقر وتلك السياسة مع التيار الوحدوي الإسلامي المسلّح. وعلى العكس، ربما يكون تأثير التباينات الزمنية في عدد الصراعات الدائرة بين المسلمين وغير المسلمين وبروزها أقوى في مستويات النشاط الوحدوي الإسلامي منه في التيار الإسلامي الاجتماعي الثوري.

هناك تفسيرات أربعة على الأقل «للنزوع الخارجي» للتيار السعودي المسلّح. التفسير **الأول**؛ هو أنّ القوى الرئيسة الدافعة للتيار الإسلامي الاجتماعي الثوري، وتحديداً الإجراءات القمعية العنيفة التي يتخذها النظام والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، أقل بروزاً في المملكة العربية السعودية منها في الدول العربية الأخرى؛ صحيح أن المملكة شهدت

---

(٣) لاحظت مضاوي الرشيد النمط عينه، في: Madawi Al-Rasheed, «The Minaret and the Palace: Obedience at Home and Rebellion Abroad,» in: Madawi Al-Rasheed, ed., *Kingdom without Borders: Saudi Arabia's Political, Religious and Media Frontiers* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 199-220.

حالات تباطؤ اقتصادي، لكنها أقل وقْعاً من الركود الاقتصادي الذي حلّ بمصر في السبعينيات وبالجزائر في أواخر الثمانينيات. وبالإضافة إلى ذلك، كانت الإجراءات القمعية العنيفة التي لجأت إليها المملكة، أقل شدّة من الإجراءات التي اتُّبعت في أغلب الدول العربية الأخرى.

التفسير **الثاني**؛ هو أنّ السياسة السعودية انطوت على عوائق بنيوية معيّنة للصراع الاجتماعي الثوري لا يوجد مثيل لها في الدول العربية الأخرى. فاستمرار حكم آل سعود وغياب أي سابقة ثوريّة، جعل التعبئة لتغيير النظام أمراً صعباً. وربما منح الاقتصادُ الريعي الحكومةَ قوةً استرضائية أكبر تهدّئ بها منظّمي الحركات الاجتماعية. ويبدو أنّ القبلية تشجّع على طاعة السلطة السياسية وتلافي تبلور هوية طبقية. والمظهر الدِّيني للدولة السعودية منحها حصانة أقوى بعض الشيء من الاتهامات التكفيرية مقارنةً بالدول العربية العلمانية. وكما بيّنت مضاوي الرشيد، لطالما تمتّعت المؤسسة الدِّينية السعودية بالقدرة على تقييد الحيّز الأيديولوجي للمواضيع الخلافية. والتفسير المحتمل **الثالث**؛ هو عدائيّة الإسلاميين السعوديين بخاصة لغير المسلمين؛ تأثّراً بالتعاليم الوهّابية المتشددة أو بالمسافة الاجتماعية بين السعوديين وغير المسلمين. إنّ مبدأ الولاء والبراء يشجّع المؤمنين على النأي بأنفسهم عن غير المسلمين وعالمهم. وغياب الحركة السياحية وإقامة الوافدين في مجمّعات تعني أنّ تفاعل عامة السعوديين، باستثناء نخبة ليبرالية، مع غير المسلمين محدود تاريخياً. فالظاهر أنّ عدداً قليلاً من المسلّحين السعوديين الثمانمئة الذين شملتهم هذه الدراسة التقوا بغربيين. والتفسير **الرابع**؛ هو أنّ النظام السعودي منح الناشطين الوحدويين الإسلاميين حيّزاً سياسياً أكبر من الذي منحته الدول العربية الأخرى، كأحد مكوّنات استراتيجية صرف المنافسة الإسلامية بعيداً عن النظام. وإذا كان في كل من هذه التفسيرات جانب من الصحة، يرجّح أن تكون فرضيةُ صرف الاهتمام السياسي أهمها[٤].

(٤) Madawi Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*, Cambridge Middle East Studies; 25 (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2007), and Thomas Hegghammer, «Jihad, Yes, but not Revolution: Explaining the Extroversion of Islamist Militancy in Saudi Arabia,» *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 35, no. 3 (2009).

توصّل هذا الكتاب إلى نتائج لها انعكاسات عريضة على الميادين الأكاديمية القريبة، سيلاحظ المهتمّون بالسياسة والمجتمع السعودي رؤى ثلاث على الأقل. تتعلّق **الأولى**؛ بطريقة تعاطي الدولة السعودية مع المعارضة السياسية. المثير في الأمر أنّ النظام نجح في تعسير تعبئة الجماهير من دون اللجوء إلى المستوى نفسه من القمع العنيف الذي لجأت إليه الدول المجاورة في المنطقة. وكما رأينا، تميّزت رقابة الحكومة السعودية للوسط الإسلامي قبل عام ٢٠٠٣ باللين وعدم التصادم نسبياً، باستثناء الحملات الأمنية بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٨. وبالمقابل، أتقنت الدولة بناء صيغة معقدة للرقابة الاجتماعية مبنية على استغلال الريع والقبائل والدِّين في استمالة المعارضين وإجهاض عملية تكوّن الطبقات وتلافي التسييس، إلا أن هذه المنظومة البيئية السياسية التي تتميز بالتوازن الدقيق حقّقت المرجو منها، فلطالما بقي المجتمع السعودي معزولاً نسبياً عن باقي أنحاء العالم. وبعد أن كسرت ثورةُ الوسائل الإعلامية احتكارَ السلطة للمعلومات، استجمعت جماعات المعارضة مزيداً من القوة في المنفى، وقويت شوكة جهات محلّية صغيرة. وكما جادلت مضاوي الرشيد، قوّضت العولمةُ احتكارَ علماء الدولة السعودية للسلطة الدِّينية، وأضعفت قدرتهم على قولبة إذعان المواطنين. في الواقع، جاءت حملة القاعدة في جزيرة العرب، من بعض الوجوه، عاقبة فشل الدولة السعودية في التفطّن للمضامين الشاملة لتلك التغيّرات. وفي الوقت عينه، يدلّ إخفاق القاعدة في جزيرة العرب على أنه لا يزال للعلماء نفوذ كبير في المملكة على الرغم من عدة تحديات(٥).

النقطة **الثانية** ذات الصلة، تتعلق بدور الدِّين في المجتمع السعودي. إنّ الروح العسكرية الإسلامية متفشية في المملكة العربية السعودية؛ للفرص المتزايدة التي يوفرها المجال الدِّيني منذ مطلع الثمانينيات للتعبئة السياسية، لا لشدّة الورع في حدّ ذاته. فالطبيعة الأيديولوجية للدولة السعودية ضمنت المساندةَ السياسية للنشاط الدِّيني، والعائداتُ النفطية مكّنت الدولة من تحمّل نفقات قطاع ديني ضخم غير مُنتج. إن المجال الدِّيني السعودي في صورته المنعزلة المثالية، يقوّي الانضباط الذاتي

---

(٥) Al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation.*

للمواطنين ويُبقيهم مطيعين وبعيدين عن السياسة؛ لهذا السبب وللأسباب الأخرى التي ذكرناها أعلاه، لا يخضع القطاع الدِّيني لرقابة اقتحامية مباشرة من جانب الدولة. وبالتالي، وجد منظمو الأنشطة الجهادية في المجال الدِّيني عدداً وافراً من الساحات والأدوات (المساجد المحلّية، ومجالس العلم الخاصة، والمراكز الصيفية، والجمعيات الخيرية، وما إلى ذلك) التي أمكنهم توظيفها في التعبئة السياسية بحرية كاملة تقريباً. وبقيت الدولة متمسكة بتسامحها مع هذه الأنشطة، طالما أنها لم تُحدث عنفاً في الداخل. لكنّ منظمي الحركة الجهادية العالمية تمكنوا بسهولة نسبية من استخدام الساحات ذاتها في تعبئة العناصر بالخفاء للقيام بأعمال عنف داخل المملكة عندما أرادوا ذلك. وهذا يوضح علّة وصف غويليان دينو (Guillain Denoeux) وستيفان لاكروا (Stéphane Lacroix) طبيعة الشبكات الدِّينية بأنها ذات حدّين، إلا أنه لم يكن بالإمكان استغلال هذه الساحات، من دون مساندة واسعة من الوسط السعودي، ولمدة زمنية قصيرة يُصار بعدها إلى إقصاء المتمرّدين عن المجالات عينها، وشلّ قدرتهم على مواصلة حملتهم، كما كانت الحال مع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب[٦].

هناك مجموعة **ثالثة** من الملاحظات المتصلة بجغرافيا المملكة العربية السعودية السياسية؛ غالباً ما يُفترض أن التطرّف الإسلامي أقوى في أجزاء معيّنة من البلاد منه في أجزاء أخرى، وخصوصاً في «الأطراف المحرومة» و«المناطق القبلية» التي تُعدّ «مراتع للتشدد الدِّيني»، لكن تبيّن أن كثيراً من هذه الافتراضات باطل؛ فالجنوب الذي اعتُبر بعد ١١ أيلول/ سبتمبر قاعدةَ تجنيدٍ رئيسة للقاعدة، كان المنطقة الأقل تمثيلاً في الحركة الجهادية السعودية، بل إن ندرة الجنوبيين في صفوف القاعدة بلغت حدّاً يجعلنا نفترض أنّه لا بدّ من أنّ خاطفي الطائرات يوم ١١ أيلول/ سبتمبر اختيروا لأسباب خاصة جداً، أحدها الرغبة في معالجة المشكلات التي تعترض

---

(٦) Guillain Denoeux, *Urban Unrest in the Middle East: A Comparative Study of Informal Networks in Egypt, Iran and Lebanon*, SUNY Series in the Social and Economic History of the Middle East (Albany, NY: State University of New York Press, 1993), and Stéphane Lacroix, «The Double-edged Role of Islamic Networks in Saudi Politic,» paper presented at: The Annual Meeting of the Middle East Studies Association, Montreal, 19 November 2007.

التجنيد في الجنوب. وبالمثل، لم يكن تمثيل منطقة القصيم الشديدة المحافظة اجتماعياً زائداً بشكل ملحوظ. في الواقع، كان أغلب الجهاديين السعوديين على الصعيدين المطلق والنسبي من أبناء الرياض والخُبَر ومن مثلث مكّة ـ المدينة ـ جدّة، وهي المناطق التي تضمّ أكبر التكتلات العمرانية في المملكة، كما إن حفنة من المدن المتوسطة الحجم مثل الزُلفي، وأحياء في المدن الكبيرة مثل حيّ الثُّقبة في الدمام، قدّمت عدداً كبيراً جداً من المسلّحين السعوديين بسبب «تأثير الشبكة الاجتماعية» غالباً. والمثير في الأمر، أنّ مركز الثقل الجغرافي للحركة الجهادية السعودية انتقل بمرور الزمن من الحجاز؛ حيث انطلقت التعبئة للجهاد الأفغاني بتحريض من الإخوان المسلمين، إلى نجد التي نشط فيها شيوخ تنظيم القاعدة ووكلاء التجنيد الرئيسيون فيه بدءاً بأواخر التسعينيات.

توصل هذا الكتاب أيضاً إلى نتيجتين مهمتين، على الأقل، لهما صلة بدراسة الإسلام السياسي. **الأولى**؛ نفع المفاهيم التحليلية المبنية على السلوك السياسي مقارنةً بالمفاهيم المبنية على المعتقد الدِّيني. بتحاشي عبارات أساسية مثل «سلفي» و«تكفيري»، والاعتماد عوضاً عن ذلك على فئات تعكس الميول السياسية المباشرة مثل «ورع» و«اجتماعي ثوري»، استطعت التفريق بين الظواهر المدمجة سابقاً وتقديم تفسيرات تعليلية أقوى من التفسيرات المقدّمة إلى الآن. لقد أدّى الإطارُ المفاهيمي المعتمد على الأساس المنطقي، الذي بيّناه في المقدمة، الغرضَ منه بشكل ممتاز في السياق السعودي، وأكّد تحليلي ارتباط المسلّحين في العادة بجهات غير عنيفة تشاطرها الأساسَ المنطقي المهيمن نفسه سوسيولوجياً أو منطقياً أو الأمرين معاً. ذلك أن أغلب الجهاديين العالميين جاؤوا من خلفية جهادية كلاسيكية، وكان للجهاديين الكلاسيكيين الأوائل صلات قوية بمنظمات إسلامية دولية، ومع أنه يلزم إجراء مزيد من البحوث لاختبار هذه الفئات في سياقات أخرى يبدو أنّها مترابطة بالبداهة؛ فالمسلّحون الاجتماعيون الثوريون في مصر والجزائر خرجوا من أرحام حركات غير عنيفة تطمح إلى الوصول إلى الحكم (حركة الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية للإنقاذ)، لا من أوساط سلفية شديدة الورع. وفي باكستان، خرجت جماعات طائفية مسلّحة مثل: عسكر جهنكوي (لشكر جهنكوي/ Lashkar-e Janghvi)، من

عباءات جماعات مصالح طائفية أكثر اعتدالاً مثل: جيش الصحابة (سپاه صحابة/ Sipah-e Sahabah)، لا من جماعات تطمح إلى الوصول إلى الحكم، مثل الجماعة الإسلامية (Jamaat-e Islami).

النقطة **الثانية** ذات الصلة؛ هي فائدة مفهوم الوحدة الإسلامية في تحليل التيار الإسلامي المسلّح العابر للحدود. إن للرأي القائل إن التيارين الجهاديَّين الكلاسيكي والعالمي، إنما هما تعبيران للتيار الوحدوي الإسلامي المتشدد، وأن لديهما نقاط تَماثل بنيوية مع الأيديولوجيات الإثنية القومية، مضامين مهمة على صعيد فهمنا لأسباب نمو القاعدة وتوسع فهمنا لسياسة مكافحة الإرهاب. لقد ركّز خطاب الجهاديين السعوديين وأعمالهم باتساق على العدو الخارجي، وعلّلوا لجوءهم إلى العنف بشكل دائم تقريباً بأنه تعبير عن تضامنهم مع المسلمين الذين تضطهدهم جهات غير مسلمة، وليس جهداً لتقويم الحكم السيئ أو إزالة فساد الحكام المسلمين. وبالإضافة إلى ذلك، كانت التعبئة للتيار الجهادي الإسلامي أسهل بكثير عند توافر رموز معاناة المسلمين على الساحة الدولية. بعبارة بسيطة للغاية، هذا يشير إلى أن الدور الذي تضطلع به رموزُ معاناة المسلمين، وخصوصاً صراعات التحرر الوطني التي يخوضها المسلمون كما في فلسطين والشيشان، أهم بكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المحلّية في تجنيد الشباب في التيارين الجهاديَّين الكلاسيكي والعالمي.

في النهاية، ذلك يعني أن محاربة القاعدة ومعالجة رموز معاناة المسلمين أكثر إلحاحاً من الإصلاح السياسي والاقتصادي في العالم العربي. من الواضح أن حلّ الصراعين الفلسطيني والشيشاني لن يقنع مسلّحي القاعدة بإلقاء سلاحهم، لكن التعامل مع الصراعين بجدّية أكثر مما هي عليه الحال اليوم سيُضعف صدى خطاب بن لادن عند الشعوب الإسلامية؛ وبالتالي يقلّص الدائرة التجنيدية لدى القاعدة. ولا ريب في أن التيار الجهادي ليس تعبيراً مباشراً عن المستوى الموضوعي للمعاناة في الدول الإسلامية، وخصوصاً منذ أن مكّنت التقانات ووسائل الإعلام الحديثة منظّمي الدعاية الجهادية من إنتاج رموز لمعاناة المسلمين من

حوادث صغيرة ظاهرها بريء. ومع ذلك، يعيننا مفهوم الوحدة الإسلامية على الأقل على التعرف إلى اللغة والآليات الخطابية التي يستخدمها تنظيم القاعدة لكسب تأييد عموم المسلمين.

كما سيجد العارفون المتخصصون في دراسة العنف السياسي عموماً نقاطاً مهمة في هذا الكتاب. بادئ ذي بدء، أوضح تحليلنا أن حدوث أعمال عنف على نطاق محدود أمر ممكن، وأنّ للنظريات البنيوية على المستوى الكلّي حدود في تفسير سلوك الجماعات الإرهابية. فإذا كان في مقدورنا تحديد قضايا اجتماعية واقتصادية معينة تقف بالضرورة خلف قرار النظام السعودي الترويج للوحدة الإسلامية في الثمانينيات مثلاً، أو يُعزى إليها التحاق جموع السعوديين بتنظيم القاعدة والقاعدة في جزيرة العرب في أواخر التسعينيات؛ فهذه العوامل تبقى غير كافية لتفسير التعبئة لأفغانستان في تلك الحقب، فكيف بتفسير اندلاع العنف في عام ٢٠٠٣. وبالمقابل، كان لمنظمين فرديين (مثل يوسف العُيَيْري) وللصدف (مثل صدفة التقاء عبد الله عزّام بكمال السنانيري) دور حاسم في رسم مسار الأحداث. وبالنسبة إلى جهات سياسية بحجم القاعدة في جزيرة العرب أو الحركة الجهادية السعودية، يكمن مفتاح تفسير التوقيت والتباينات في مستوى العنف وصوره في الأغلب في المستوى التنظيمي وقدرة الوكلاء على تعبئة الموارد في ظروف سياسية معيّنة. وقد سهّل إطار العمل الدِّينامي ثلاثي المراحل الذي اقترحته دوناتيلا ديلا بورتا (Donatella Della Porta)، التعرف إلى ثلاث مجموعات عوامل على مستويات مختلفة في نقاط زمنية معيّنة، مثل نقطة التحول في انخراط السعوديين في القاعدة عام ١٩٩٩. كما سلّط إطارُ العمل الضوء على تأثير التفاعل بين الدولة السعودية والجهاديين الكلاسيكيين، ولا سيما تأرجح الدولة بين الشدّة واللين في تعزيز نمو التيار الجهادي العالمي. ويُظهر التحليل أيضاً فائدة النظريات الخاصة بالتأطير، ولا سيما في إظهار العلاقة بين التطوّرات السياسية الدولية والقوة التعبوية للجماعات الوحدوية الإسلامية؛ ذلك أنّ هذه الجماعات برزت في مراحل زيادة عدد الصراعات بين مسلمين وغير المسلمين واشتدادها، مثل الحقبة الممتدة بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٧، والحقبة الممتدة بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٥، والحقبة الممتدة بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٣.

النتيجة المهمة **الثانية**؛ هي أن التفريق بين الأيديولوجيات القومية والأيديولوجيات الاجتماعية الثورية، التي اشتُهرت في صور عنف سياسي أخرى، يسري على ما يبدو على عالم التيار الإسلامي المسلّح. وهذا يشير إلى وجود فارق عام بين العوامل المؤجّجة للصراع، مثل الدِّين والإثنية من ناحية، والعوامل المحرّكة المعتمدة على الانقسامات الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى. ونحن نعرف أصلاً من السياق الأوروبي أن جماعات إثنية قومية، مثل الجيش الجمهوري الإيرلندي ومنظمة إيتا الانفصالية أكبر حجماً في العادة، وأكثر تماهياً مع السكان، وذات قاعدة تجنيدية أكبر (من مدلول اجتماعي واقتصادي)، مقارنة بجماعات اجتماعية ثورية مثل فصيل الجيش الأحمر أو الألوية الحمراء .والظاهر أن الدراسات التي شملت جماعات إسلامية قومية مثل حماس وحزب الله تؤكد هذا المنحى. وقد بيّنا في هذا الكتاب أن الجماعات الوحدوية الإسلامية تتشابه مع الجماعات القومية الإثنية في كثير من خصالها وسلوكياتها المتنوعة. زد على ذلك، أنّ لدى الوحدويين الإسلاميين قاعدة تجنيد أكبر من قواعد الاجتماعيين الثوريين. بل إن الجهاديين الكلاسيكيين يتمتعون بقاعدة تجنيد أكبر من قاعدة الجهاديين العالميين، ما يشير إلى ترابط بين الشرعية المتصوَّرة لقضية شعب معين واتساع قاعدة التجنيد.

اللافت، أنّ القوى المحركة الاجتماعية على المستويين المتوسط والجزئي، لكل من الجماعات الجهادية السعودية والجماعات المسلّحة الأخرى، متشابهة إلى حدّ بعيد مع الخصائص الكثيرة التي ينفرد بها المجتمع السعودي؛ فالتيار الجهادي السعودي ظاهرة برزت في المدن وجذبت شبابها الذكور. والقوى المؤثرة في الجماعة مثل الولاء لها والمزايدات مهمة للغاية في التجنيد الفردي، بل إنها تفوق القوى المحركة الأيديولوجية أهمية، وهذا ميل يعكس ملاحظات مارك سايجمان (Marc Sageman) بشأن جنوح الجماعات الصغيرة إلى التطرّف. كما إن معايشة العنف من خلال التدريب والمعارك عنصر حاسم في جنوح الفرد إلى التطرّف، وهي تزيد احتمال اللجوء إلى حمل السلاح أكثر من أي عامل آخر. لقد مثّلت نواة القاعدة في جزيرة العرب بقايا وسط جهادي كان يتقلّص ويزداد تطرّفاً شيئاً فشيئاً. كما شاطر تنظيمُ القاعدة في جزيرة

العرب الجماعاتِ السرّية المنعزلة ميلَها إلى «الغوص أكثر فأكثر في أعماق الأرض»، والوقوع في شرَكَ دورات العمليات الثأرية مع الشرطة؛ إلى حدّ التغافل عن جماهيرها المفترضة والمظالم المعلَنة، كما كانت الحال مع الجماعات اليسارية المتطرّفة التي عاينتْها ديلا بورتا.

وُصف الانفجار الذي وقع في ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣، بأنه « صيحة التنبيه الكبرى» للنظام السعودي إلى أخطار ترك الوسط الجهادي من دون مراقبة، وساد اعتقاد عام في أوساط الحكومة والمؤسسة الأمنية السعودية منذ عام ٢٠٠٣، بأن حملة القاعدة في جزيرة العرب تمثّل بالفعل شكل «موجة ارتدادية» ناجمة عن تشجيع الدولة على المشاركة العسكرية الخاصة في الصراعات الخارجية ورضاها عنها، لكنّ تغيير الثقافة الذي حصل بعد ذلك، وتعزيز قدرات الشرطة والأجهزة الاستخبارية كان مذهلاً إلى حدّ أن المملكة العربية السعودية دولة تغدو التعبئةُ لأعمال العنف فيها الآن أصعب بكثير منها في عام ٢٠٠٢. والأهم من ذلك عدم اقتران هذا التغيير بردّ فعل مفرط شامل من جانب الدولة؛ فعلى العكس من القمع الوحشي للمعارضة الإسلامية في الجزائر ومصر في مطلع التسعينيات، كان قمع الحكومة السعودية للقاعدة في جزيرة العرب محسوباً وهادفاً نسبياً. إنها سياسة فاعلة في مكافحة الإرهاب، كما إنها محبَّذة من منظور حقوق الإنسان.

بات تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مشلولاً بحق كتنظيم إلى وقت هذه صدور هذا الكتاب(*)، مع أنّ استمرار عمليات الاعتقال يوحي بأنّه لا تزال هناك مجموعات مصمّمة على شنّ عمليات في المملكة. وإصدار قائمة جديدة بأسماء خمسة وثمانين مشبوهاً في ٢ شباط/ فبراير يفترض أنهم جميعاً خارج البلاد، يشير إلى أنّ التهديد الأشد خطورة مصدره عودة المقاتلين من الخارج. وفي هذا الصدد، يشكّل السعوديون في العراق مصدر قلق خاص؛ لأن كثيراً من المراقبين يحذّرون من موجة أعمال العنف شبيهة بالموجة التي أطلقها من عادوا من أفغانستان في عام ٢٠٠٢، إلا أنه في حين يخضع العائدون من العراق لمراقبة مشددة ولا بدّ، يُستبعد تكرار

(*) أي صدور الكتاب باللغة الإنكليزية عام ٢٠١٠.

تعبئة عام ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣؛ لأن السعوديين في العراق أقل عدداً وسيعودون قليلاً قليلاً، وسيجدون جهازاً أمنياً سعودياً مصقولاً في انتظارهم(٧).

مصدر القلق **الثاني** هو اليمن؛ حيث يوجد فرع محلّي للقاعدة تتعاظم قوته منذ عام ٢٠٠٦. ونشير إلى أن عدداً من المسلّحين السعوديين فرّوا من المملكة إلى اليمن؛ آملين بمواصلة الجهاد في الجزيرة العربية. وفي ١٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ ظهر بعض هؤلاء الفارّين في شريط فيديو إلى جانب مسلّحين يمنيين للإعلان عن اندماج فرعَي القاعدة السعودي واليمني تحت اسم القاعدة في جزيرة العرب. وإذا كان هذا الاندماج يثبت أن شبكات القاعدة في المملكة قد ضعفت؛ فهو مدعاة للقلق؛ لأن اليمن يمثّل نقطة انطلاق منيعة لعمليات منفصلة داخل المملكة. وهذا ما اتضح، في ٢٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩، عندما كاد انتحاري سعودي أُرسل من اليمن أن ينجح في اغتيال الأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية في مكتبه بجدّة(٨).

في نهاية المطاف، لا يمكن تلافي إعادة إعلان الجهاد في المملكة

---

(٧) لمعرفة حال القاعدة في جزيرة العرب في سنة ٢٠٠٨، انظر: Michael Knights, «The Current State of al-Qain Saudi Arabia,» *Sentinel*, vol. 1, no. 10 (2008).

ولمعرفة المزيد عن العائدين من العراق، انظر: Michael Knights: «Saudi Terrorist Cells Await Return of Jihadists from Iraq,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 17, no. 12 (2005), and «A New Afghanistan?: Exploring the Iraqi Jihadist Training Ground,» *Jane's Intelligence Review*, vol. 18, no. 7 (2006); «Blowback Time Beckons as Saudi Jihadists are Squeezed in Iraq,» *Gulf States Newsletter*, vol. 29, no. 767 (2005); Sulayman Nimr, «Saudi Fears Iraq Returnees Will Boost Qaeda,» Agence France Presse (5 December 2006), and Megan Stack, «Iraqi Strife Seeping into Saudi Kingdom,» *Los Angeles Times*, 26/4/2006.

للاطلاع على قائمة المطلوبين، انظر: «Kingdom Unveils List of 85 Wanted Militants Abroad,» *Arab News*, 3/2/2009.

(٨) Michael Slackman, «Would-be Killer Linked to Al Qaeda, Saudis Say,» *New York Times*, 29/8/2009.

للاطلاع على مؤشرات دالة على حضور سعودي في القاعدة باليمن، انظر: «مقابلة مع أحد المطلوبين: أبو همّام القحطاني،» **صدى الملاحم**، العددان ١ ـ ٢ (٢٠٠٨)؛ Gregory Johnsen: «Tracking Yemen's 23 Escaped Jihadi Operatives-Part 1,» *Terrorism Monitor*, vol. 5, no. 18 (2007), and «Tracking Yemen's 23 Escaped Jihadi Operatives-Part 2,» *Terrorism Monitor*, vol. 5, no. 19 (2007).

لمعرفة تفاصيل الدمج السعودي اليمني، انظر: Thomas Hegghammer, «Saudi and Yemeni Branches of al-Qaida Unite,» 24 January 2009, <http://www.jihadica.com>.

العربية السعودية مرة أخرى. فنسيان القاعدة في جزيرة العرب أمر مستبعد؛ باعتبار أن صدى حملاتها الدعائية سيتردد باستمرار على الإنترنت. ربما يعيد المسلّحون المستقبليون تعريف غاية الصراع من منظور أكثر ثورية، ما سيجعل الجهاد السعودي أشبه بالحملة الجزائرية أو المصرية أو السورية. وربما يَقْنَع خلفاء مسلّحي القاعدة في جزيرة العرب بتمرّد لا يعمّ البلاد بأسرها؛ مؤْثرين شنّ هجمات متفرقة ولكنها موضعية ومدوّية. ومع أنّ الجهاديين العالميين قليلو العدد ومهمَّشون حالياً؛ فقد تمتلئ صفوفهم بالعائدين من العراق أو بالمجندين من أصدقاء شهداء القاعدة وأُسرهم. وكما أشار دافيد كوك (David Cook) ليس في الجهاد شيء اسمه الفشل، وإنما نجاح مؤجَّل[٩].

السؤال الكبير المطروح على المدى الطويل، يتعلق بمعرفة إن كانت المملكة العربية السعودية قادرة وراغبة في كبت المشاعر الوحدوية الإسلامية القوية في المجتمع السعودي، وهو إجراء يقتضي اعتماد مواقف جريئة وغير شعبوية حيال القضايا الدولية الرئيسة، فضلاً عن ترسيخ ممنهج لمشاعر قومية سعودية محلّية، ولن تكون تلك مهمة سهلة. وكما أشار مسؤول في الاستخبارات السعودية في عام ٢٠٠٥، «شجّعنا شبابنا على القتال دفاعاً عن الإسلام في أفغانستان. وشجّعنا شبابنا على القتال دفاعاً عن الإسلام في البوسنة والشيشان، وشجّعنا شبابنا على القتال دفاعاً عن الإسلام في فلسطين، والآن نقول لهم ممنوع عليكم القتال دفاعاً عن الإسلام في العراق، إنهم في حيرة من أمرهم»[١٠].

---

(٩) «Introduction,» in: David Cook, *Failed Jihad* (New York: Cambridge University Press, forthcoming).

(١٠) Robert Windrem, «Saudi Arabia's Ambitious al-Qaida Fighter,» NBC News (11 July 2005).



ملحقـــان

الملحق الرقم (١)
معطيات اجتماعية واقتصادية
عن المسلّحين السعوديين

لمحة عن مجموعة المعطيات

• تحتوي مجموعة المعطيات على ٥٣٩ ترجمة فريدة، لمسلّحين سعوديين نشطوا بين عامي ١٩٨٠ و٢٠٠٦. لكن مجموع العينات الفرعية كافة أكبر؛ لأنّ بعض الأفراد قاتل في أكثر من مكان.

• أُعدت مجموعة المعطيات، باستخراج أكبر قدر ممكن من المعلومات الترجمية عن أكبر عدد ممكن من الأفراد، بالاستعانة بالمصادر المتاحة للعموم، مثل المنشورات الجهادية والتقارير الصحافية والمنشورات الثانوية والمستندات القانونية.

• تتضمّن المجموعة معلومات عن أفراد، يمكن التحقق من ضلوعهم في أنشطة عنيفة، مثل القتال أو التدريب أو حيازة الأسلحة، بدرجة مقبولة من اليقين. وفي أغلب الحالات، المعيار الذي يحكم إدراجهم هو مصرعهم/إصابتهم في القتال، أو إعلانهم عن أنشطتهم، أو اعتقالهم وتوجيه التهم إليهم علناً. ولم نُدرج الأفراد الذين اعتُقلوا ولم يحاكَموا (مثل: المحتجزين في غوانتنامو) ما لم يُقرّوا علناً بضلوعهم في التدريب أو في القتال.

• لم يُجرَ أيّ عمل مسحي أو مقابلات مع المسلّحين، كجزء من عملية جمع المعلومات. لذلك، تتفاوت السِيَر في طولها وتركيزها

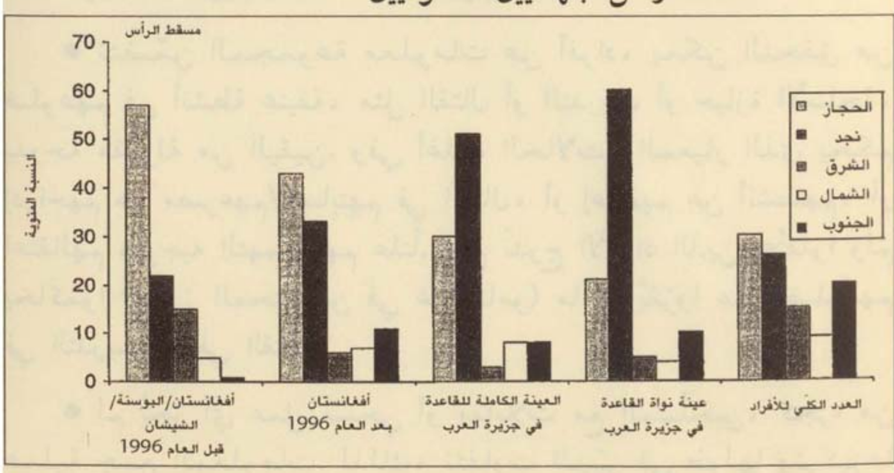
وتفصيلها. والأفراد الذين امتلكنا أفضل معلومات عنهم، ليسوا عينة عشوائية، ولكنّهم المقاتلون الأكثر نشاطاً وشهرة.

• إنّ مجموعة المعطيات منظّمة بحسب ثلاثين متغيّراً مختلفاً، لكنْ هناك كثير من القيم التي لم يتسنّ تحصيلها، إلى حدّ تعذّرِ إجراء تحليل ذي فائدة. وقد أدرجتُ أدناه، معطيات عن تلك المتغيّرات التي تميّزت المعلومات المتاحة عنها بأنها الأكثر اكتمالاً، وعلى التحديد السنّ ومسقط الرأس ومستوى التعليم والمهنة.

السنّ

	العدد الكلّي	سنة الميلاد المعلومة	السنّ المعلوم وقت الانضمام	متوسط سنة الميلاد	متوسط السن عند الانضمام
جبهات الجهاد الأولى	١٦١	٥٣	٣٠	١٩٦٨	٢٠
أفغانستان	١١٣	٤٢	٢٢	١٩٦٧	٢٠
البوسنة	٥٣	٢٣	٨	١٩٦٩	٢١
الشيشان/ طاجيكستان	٣٧	٨	لا يوجد	١٩٧١	لا يوجد
القاعدة ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١	١٩٧	٦٧	٣٢	١٩٧٥	٢٢,٥
القاعدة في جزيرة العرب	٢٦٠	٧٣	٧٣	١٩٧٦	٢٧
النواة	٦٩	٤٠	٤٠	١٩٧٧	٢٦

مسقط رأس الجهاديين السعوديين، ١٩٨٠ ـ ٢٠٠٦



مسقط رأس الجهاديين السعوديين بحسب المنطقة الكلّية

	العدد الكلّي	المعلوم	الحجاز	نجد	الشرق	الشمال	الجنوب
جبهات الجهاد الأولى	١٦١	١٣٧	٧٨	٣٠	٢٠	٧	٢
أفغانستان	١١٣	٩٥	٥٨	١٧	١٦	٣	١
البوسنة	٥٣	٤٨	٢٨	١٢	٥	٢	١
الشيشان/ طاجيكستان	٣٧	٢٧	١١	٦	٦	٣	١
القاعدة ١٩٩٦ _ ٢٠٠١	١٩٧	١٤٠	٦٠	٤٧	٨	١٠	١٥
القاعدة في جزيرة العرب	٢٦٠	٩٢	٢٨	٤٧	٣	٧	٧
النواة	٦٩	٥٧	١٢	٣٤	٣	٢	٦

مسقط رأس الجهاديين السعوديين بحسب المنطقة الإدارية

(أ)

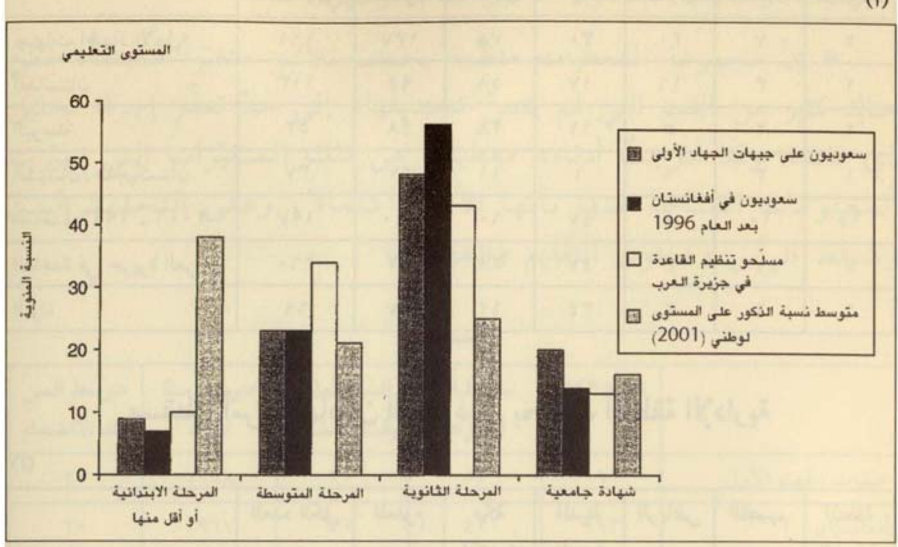
	العدد الكلّي	المعلوم	مكّة المكرّمة	المدينة المنوّرة	الرياض	القصيم	المنطقة الشرقية
جبهات الجهاد الأولى	١٦١	١٣٧	٥٢	٢٦	٢٨	٢	٢٠
أفغانستان	١١٣	٩٥	٣٦	٢٢	١٦	١	١٦
البوسنة	٥٣	٤٨	٢٢	٦	١٢	٠	٥
الشيشان/ طاجيكستان	٣٧	٢٧	٧	٤	٥	١	٦
القاعدة ١٩٩٦ _ ٢٠٠١	١٩٧	١٤٠	٤٩	١١	٤٢	٥	٨
القاعدة في جزيرة العرب	٢٦٠	٩٢	١٦	١٢	٣٧	١٠	٣
النواة	٦٩	٥٧	٧	٥	٢٨	٦	٣

(ب)

	الشمال	الجوف	حائل	تبوك	الباحه	عسير	جيزان	نجران
جبهات الجهاد الأولى	١	١	٢	٣	١	١	٠	٠
أفغانستان	٠	١	١	١	١	٠	٠	٠
البوسنة	٠	٠	٢	٠	٠	١	٠	٠
الشيشان/ طاجيكستان	١	٠	٠	٢	١	٠	٠	٠
القاعدة ١٩٩٦ _ ٢٠٠١	٢	٣	١	٤	٤	١٠	١	٠
القاعدة في جزيرة العرب	٠	٦	١	٠	٢	٣	٢	٠
النواة	٠	١	١	٠	١	٣	٢	٠

تطور المستوى التعليمي للجهاديين السعوديين

(أ)



(ب)

	العدد الكلّي	المعلوم	خرّيج	طالب جامعي	لم يكمل دراسته	ثانوية	متوسطة	ابتدائية
جبهات الجهاد الأولى	١٦١	٣٥	١	٦	١١	٦	٨	٣
أفغانستان	١١٣	-	-	-	-	-	-	-
البوسنة	٥٣	-	-	-	-	-	-	-
الشيشان/ طاجيكستان	٣٧	-	-	-	-	-	-	-
القاعدة ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١	١٩٧	٤٤	٠	٦	١٨	٧	١٠	٣
القاعدة في جزيرة العرب	٢٦٠	-	-	-	-	-	-	-
النواة	٦٩	٣٠	٠	٤	١١	٢	١٠	٣

ملاحظات: فُرزت المعطيات بحسب أعلى مستوى تعليمي حصّله الفرد.

خرّيج: حائز على شهادة دكتوراه أو ماجستير؛

طالب جامعي: حائز على شهادة بكالوريوس أو ما يعادلها؛

لم يُكمل دراسته: التحق بتعليم عالٍ ولم يحز شهادة.

الوضع المهني

(أ)

	العدد الكلّي	معلوم	طالب	حرفي	زراعي	تجارة صغيرة
جبهات الجهاد الأولى	١٦١	٣٧	١٣	٤	١	٤
أفغانستان	١١٣	-	-	-	-	-
البوسنة	٥٣	-	-	-	-	-
الشيشان/ طاجيكستان	٣٧	-	-	-	-	-
القاعدة ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١	١٩٧	٣٧	١٣	٢	١	٥
القاعدة في جزيرة العرب	٢٦٠	-	-	-	-	-
النواة	٦٩	٢٩	١	٠	٠	٣

ملاحظة: تشير المعطيات إلى آخر مهنة اشتغل فيها الناشط قبل حمل السلاح.

(ب)

	قطاع التعليم	قطاع الصحة	شرطة/ جيش	القطاع الحكومي	القطاع الخاص	القطاع الدّيني
جبهات الجهاد الأولى	١	٠	١	١	٨	٤
أفغانستان	-	-	-	-	-	-
البوسنة	-	-	-	-	-	-
الشيشان/ طاجيكستان	-	-	-	-	-	-
القاعدة ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١	١	٠	٤	١	٤	٦
القاعدة في جزيرة العرب	-	-	-	-	-	-
النواة	٢	٠	٤	٠	٢	١٢

الملحق الرقم (٢)
استعراض تاريخي لحوادث العنف المنسوبة إلى إسلاميين في المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩ ـ ٢٠٠٩(*)

٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ـ ٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩: احتل بضعُ مئات من جماعة تؤمن بالنبوءات، بقيادة جُهَيمان العتيبي الحرمَ المكي، وحوصر الحرم مدة أسبوعين وتسبّبت الحادثة بسقوط مئات الضحايا.

١٩ أيار/ مايو ١٩٨٥: انفجرت عبوتان، زُرعتا في صندوقين للنفايات في الرياض، ما أدّى إلى مصرع شخص وإصابة ثلاثة من المارّة بجراح. ويُشتبه في ضلوع مسلّحين شيعة في الحادثة.

١٥ آب/ أغسطس ١٩٨٧: تبنّى حزب الله في الحجاز، المسؤولية عن انفجار وقع في منشأة للغاز في رأس تنورة، بينما عزت السلطاتُ الانفجار إلى تماسّ كهربائي.

٢٨ و٣٠ آذار/ مارس ١٩٨٨: انفجرت عبوات ناسفة في مصفاة في رأس تنورة وفي منشأة بتروكيماوية في الجُبَيل. ألقي القبض على أربعة أشخاص من الشيعة، وضُربت أعناقهم؛ لمسؤوليتهم عن الهجوم.

(*) هذه القائمة معتمدة على تقارير صحافية، ومنشورات جهادية، ومقابلات شخصية، في:
J. E. Peterson, «Saudi Arabia: Internal Security Incidents Since 1979,» *Arabian Peninsula Background Note*, no. 3 (2005).

يمكن الاطلاع على مراجع ببليوغرافية كاملة في: Thomas Hegghammer, «Violent Islamism in Saudi Arabia».

بالنسبة إلى الحقبة التي شهدت أكبر عدد من الحوادث بين أيار/ مايو ٢٠٠٣ وكانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦، آثرت الاقتصار على ذكر الحوادث الأخطر لضيق الحيّز.

آب/ أغسطس ١٩٨٨ : بحسب تقارير لم تتأكد صحتها، قتل مسلّحون شيعة ثلاثة من ضباط الشرطة السعودية في القطيف.

تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩ : جرى تعطيل عبوتين ناسفتين، بالقرب من وزارة الداخلية. ويُشتبه في مسؤولية مسلّحين شيعة عن زرع العبوتين.

٣ شباط/ فبراير ١٩٩١ : أطلق أشخاص مجهولون عيارات نارية على حافلة للجيش الأمريكي، ما أدّى إلى إصابة ثلاثة جنود أمريكيين وحارس سعودي واحد بجراح. وألقى مجهولون مادة الكيروسين على حافلة نقل أمريكية في جدّة، في اليوم نفسه.

٢٨ آذار/ مارس ١٩٩١ : أُطلقت ستة أعيرة نارية على الأقل، على مركبة لمشاة البحرية (المارينز) ما أدّى إلى إصابة ثلاثة منهم بجراح.

أواسط سنة ١٩٩١ : نفّذ إسلاميون أخذوا على عاتقهم مهمة الحِسبة (رعاية الآداب)، نحو عشر هجمات على محلات لبيع أشرطة الفيديو وعلى مراكز نسائيّة، وعلى سيارات خالية من الركاب لأشخاص يُشتبه في عيشهم «حياة منحرفة» بالرياض وبُرَيدة، ولم تقع خسائر بشرية.

١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٤ : ألقى الإسلامي عبد الله الحُضيف حمضاً على وجه ضابط شرطة في الرياض.

١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٥ : انفجرت سيارة مفخخة (هجوم ليس انتحارياً) خارج مكتب مدير برنامج تشرف عليه الولايات المتحدة، خاص بالحرس الوطني السعودي في وسط الرياض، ما أودى بحياة خمسة أمريكيين وهنديَّين.

٢٧ آذار/ مارس ١٩٩٦ : خُطفت طائرة مصرية في أثناء رحلتها، من جدّة إلى مصر وحُوّلت إلى ليبيا. نفّذ العملية ثلاثة سعوديين زُعم أنّهم أرادوا «تبليغ رسالة الله بشأن المشكلات في فلسطين والسودان».

نيسان/ أبريل ١٩٩٦ : أُلقي القبض على عدد من الشيعة السعوديين في أثناء محاولتهم تهريب متفجرات متطورة من الأردن إلى المملكة العربية السعودية على متن سيارة.

٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٩٦: انفجر صهريج مفخخ بالمتفجرات (هجوم ليس انتحارياً) في ثكنة لسلاح الجو الأمريكي في الخُبر ما أودى بحياة تسعة عشر أمريكياً.

كانون الثاني/ يناير ١٩٩٨: صادرت السلطات السعودية شحنة من الصواريخ المضادّة للدبابات حاول ناشطون على صلة بالقاعدة تهريبها من اليمن إلى المملكة. تلى تلك الحادثة اعتقال بضع مئات من المسلّحين المشبوهين.

كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٨: تحدّثت تقارير غير مؤكدة عن محاولة فاشلة، قام بها مسلّحون مصريون مقيمون باليمن؛ لتهريب صواريخ إلى المملكة. وزُعم اعتقال ثلاثمئة مسلّح مشبوه في المملكة على إثر الحادثة.

١٧ آذار/ مارس ٢٠٠٠: إطلاق نار من سيارة مرّت بجوار القنصلية الروسية في جدّة، وإصابة حارس بجراح.

٩ آب/ أغسطس: أطلق مسلّح كان بمفرده النار على بريطاني، بالقرب من القاعدة الجوية في خميس مُشَيط الجوية وأصابه بجراح.

١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠: خطف سعوديان طائرة ركاب وتوجّهوا بها إلى بغداد.

١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠: قُتل بريطاني وأصيبت زوجته بجراح في انفجار سيارة صغيرة مفخّخة في الرياض.

٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠: أصيب ثلاثة بريطانيين بجراح في انفجار سيارة صغيرة مفخّخة في الرياض.

١٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠: أصيب بريطاني بجراح في انفجار عبوة زُرعت في سيارته بالخُبَر.

١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠١: تعطيل عبوة كانت مزروعة في سيارة في الرياض.

١٥ آذار/ مارس ٢٠٠١: انفجار عبوة ناسفة قبالة مكتبة جرير في الرياض.

١٦ آذار/مارس ٢٠٠١: خطف ثلاثةُ شيشانيين طائرة كانت في رحلة من إسطنبول إلى موسكو، وتوجّهوا بها إلى المدينة المنوّرة.

١٨ نيسان/أبريل ٢٠٠١: العثور على قنبلة مصنوعة يدوياً، خارج السفارة الأردنية في الرياض.

٢ أيار/مايو ٢٠٠١: إصابة طبيب أمريكي بجراح في انفجار طرد مفخّخ.

٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١: مقتل أمريكي وإصابة أربعة أشخاص آخرين بجراح في تفجير، ربما كان انتحارياً في الرياض.

١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١: إلقاء زجاجة مملوءة بالحمض على سيارة تملكها أسرة ألمانية في الرياض.

مطلع أيار/مايو ٢٠٠٢: العثور على أنبوب فارغ لصاروخ سام ـ ٧، خارج قاعدة الأمير سلطان الجوية.

٥ حزيران/يونيو ٢٠٠٢: أطلق قناص النار على موظف أسترالي يعمل لدى شركة بريتش إيروسبايس في تبوك.

٢٠ حزيران/يونيو ٢٠٠٢: مقتل مصرفي بريطاني في انفجار سيارة صغيرة في الرياض.

٢٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٢: العثور على قنبلة أسفل سيارة لموظف أمريكي يعمل في مستشفى في الرياض.

١١ تموز/يوليو ٢٠٠٢: احتجاز سعودي بعد دخوله القنصلية القطرية في جده، وفي حوزته مسدس مذخَّر بالطلقات.

أواخر صيف العام ٢٠٠٢: اعتقالات على صلة بهجوم، كان مزمَعاً على منشأة نفطية في رأس تنورة.

أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢: مقتل قاضٍ سعودي رمياً بالرصاص في مدينة سكاكا.

٢٩ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢: مقتل ألماني في انفجار سيارة صغيرة في الرياض.

١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢: وقوع أول اشتباك بين مسلّحين إسلاميين ورجال شرطة في الرياض، وإصابة أحد المسلّحين بجراح.

٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢: أطلق رجل النار وألقى زجاجة مولوتوف على مطعم للوجبات الأمريكية السريعة بالخَرْج.

٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢: انفجرت عبوة بدائية أسفل سيارة عائدة إلى أسرة هولندية، ولم يُصب أحد بأذى.

مطلع شباط/ فبراير ٢٠٠٣: إطلاق أعيرة نارية على وافد أسترالي يتريّض بالقرب من المجمع الذي يقيم فيه، في خميس مُشَيط.

٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٣: أطلق مسلّحون النار على سيارة عائدة إلى بريطاني في الرياض، ما أدّى إلى وقوع إصابات طفيفة.

١٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٣: مقتل وكيل إمارة الجوف، على يد مسلّحين في مدينة سكاكا.

٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٣: مصرع بريطاني بالرصاص داخل سيارته في الرياض.

٢٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٣: إلقاء القبض على شخص بعد محاولته تفجير قنبلة في مطعم لشركة ماكدونالد بالدمّام.

١٨ آذار/ مارس ٢٠٠٣: اكتشاف مصنع للقنابل تابع للقاعدة في الرياض، بعد انفجار قنبلة في أثناء تحضيرها.

٢٥ آذار/ مارس ٢٠٠٣: قتل مسلّحٌ شرطياً وأصاب آخر بجراح عند إشارة مرورية في مدينة سكاكا.

٢١ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣: مصرع قائد شرطة في سيارته في الجوف.

١ أيار/ مايو ٢٠٠٣: مصرع أمريكي في هجوم شنّه مسلّح بمفرده على قاعدة لمشاة البحرية الأمريكية بالجبيل.

٦ أيار/ مايو ٢٠٠٣: دارت معركة حامية بالأسلحة الرشاشة في الرياض وصدرت بعد يومين من وقوعها قائمة بأسماء تسعة عشر مسلّحاً مطلوباً.

٨ أيار/ مايو ٢٠٠٣: أصدرت السلطات السعودية قائمة بأسماء تسعة عشر مسلّحاً مطلوباً.

١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٣: دمّرت ثلاثُ سيارات مفخّخة ثلاثة مجمّعات سكنيّة للوافدين الغربيين في الرياض ما أدّى إلى مقتل خمسة وثلاثين شخصاً.

أواخر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣: صدور العدد الأول لمجلة **صوت الجهاد** الناطقة باسم القاعدة في جزيرة العرب، ثم صدور مجلة **معسكر البتّار** بعد ثلاثة شهور.

٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣: مقتل ١٧ شخصاً وإصابة أكثر من ١٢٠ آخرين بجراح، جلّهم عمال وافدون عرب ومسلمون في تفجير انتحاري، بواسطة سيارة بمجمع المُحيّا السكني.

٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣: أطلق مسلّحون النار على الفريق عبد العزيز الهُوَيريني وأصابوه بجراح.

٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣: أصدرت السلطات السعودية قائمة بأسماء ستة وعشرين مسلّحاً مطلوباً.

٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣: انفجرت شرقيّ الرياض سيارة عائدة إلى ضابط برتبة رائد يعمل في وزارة الداخلية.

١٥ آذار/ مارس ٢٠٠٤: مصرع خالد الحاج، قائد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ومسلّح آخر بنيران الشرطة في منطقة النسيم في الرياض.

٢١ نيسان/ أبريل ٢٠٠٤: انفجار الوشم، استهدف انتحاري بسيارته المفخّخة مبنى للأمن العام في الرياض، ما أدّى إلى مصرع ستة أشخاص وإصابة ١٤٥ آخرين بجراح.

١ أيار/ مايو ٢٠٠٤: هجوم ينبُع، أطلق أربعة مسلّحين النار عشوائياً في ينبُع.

٢٢ أيار/ مايو ٢٠٠٤: قتل مسلّحون مجهولون المواطنَ الألماني جوناثان هيرمان بينغلِر في الرياض.

٢٩ ـ ٣٠ أيار/مايو ٢٠٠٤: هجوم الخُبَر، أطلق أربعة مسلّحين النار عشوائياً على عدة مواقع في الخبر، ما أوقع عدداً من الإصابات.

٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: أطلق مسلّحون النار على أمريكيين في سيارتين منفصلتين، في أثناء مغادرتهما مجمعاً في الرياض، ما أدى إلى إصابة أحد الأمريكيين وسعودي، صدف وجوده في المكان، بجراح.

٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: أصيب فرانك غاردنِر مراسل محطة بي بي سي (BBC) بجراح وقُتل رفيقه المصور الأيرلندي في هجوم شنّه مسلّحون بحي السُّوَيدي في الرياض.

٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: قُتل المواطن الأمريكي روبرت جاكوب، في منزله الواقع في حي الخليج في الرياض.

١٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: قُتل المواطن الأمريكي كينيث سكروغز بالرصاص، فيما كان يركن سيارته بقرب منزله في الرياض (حي الملز).

١٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: خُطف المواطن الأمريكي بول جونسون في الرياض، وضُربت عنقه في ١٨ حزيران/يونيو.

١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: قتلت القوى الأمنية عبدَ العزيز المقرن وثلاثة مسلّحين آخرين في الرياض.

٢٣ حزيران/يونيو ٢٠٠٤: أصدرت السلطات عفواً، طوال شهر، عن المسلّحين الراغبين في تسليم أنفسهم.

٢٠ تموز/يوليو ٢٠٠٤: قتلت القوى الأمنية السعودية مسلّحَين وأصابت ثلاثة آخرين بجراح، واعتقلت اثنين على الأقل، في أثناء مداهمة منزل صالح العَوفي.

٣ آب/أغسطس ٢٠٠٤: لقي الإيرلندي أنتوني كريستوفر هيغينز مصرعه بنيران مسلّحين اقتحموا مكتبه في الرياض وهم يطلقون نيران بنادقهم الرشاشة.

٣٠ آب/أغسطس ٢٠٠٤: إطلاق أعيرة نارية على سيارة دبلوماسية أمريكية بالقرب من القنصلية الأمريكية في جدّة من دون وقوع إصابات.

١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤: وقع انفجار داخل سيارة أجرة، في ما يبدو، في أثناء مرورها بالقرب من فرع لمصرف سعودي أمريكي في منطقة البوادي في جدّة، عند الساعة التاسعة صباحاً، تقريباً، ما أدّى إلى إصابة أحد المهاجمين بجراح.

١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤: قُتل البريطاني إدوارد مويرهيد سميث رمياً بالرصاص في الرياض.

٢٦ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤: قُتل المهندس الفرنسي لوران باربو رمياً بالرصاص، داخل سيارته بالقرب من المخازن الكبرى، في منطقة الزهرا في جدّة في ساعات الصباح الأولى.

١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤: أُطلقت أعيرة نارية من سيارة مارّة على مجمع قرية سدر في الرياض.

مطلع تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤: توقفت المجلتان **صوت الجهاد** و**معسكر البتّار** عن الصدور، ثمّ صدر عددان جديدان لـ **صوت الجهاد** في نيسان/أبريل ٢٠٠٥ وكانون الثاني/يناير ٢٠٠٧، لكن بجهود فردية.

٦ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤: اقتحم مسلّحون القنصلية الأمريكية في جدّة، ما دفع السلطات إلى فرض حصار دموي، دام ثلاث ساعات، قُتل فيه ستة موظفين غير أمريكيين وأربعة مهاجمين.

٢٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤: وجّه مسلّحون هجمات انتحارية، بواسطة سيارات ملأى بالمتفجّرات على منشأة لوزارة الداخلية ومنشأة تدريب للحرس الوطني. لكنّ المتفجرات انفجرت قبل أوانها، ما أدّى إلى مقتل عشرة مهاجمين وشخص آخر صدف وجوده في مكان الانفجار.

٣ ـ ٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٥: اندلعت معركة شرسة دامت ثلاثة أيام في الرس، لقي فيها أربعة عشر مسلّحاً مصرعهم وأصيب عدد آخر بجراح.

١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٥: قتل مسلّحون مبارك السوّاط، المحقّق في جهاز المباحث وهو في منزله.

٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥: أصدرت السلطات السعودية قائمة بأسماء ستة وثلاثين مسلّحاً مطلوباً.

٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٦: حاول مسلّحون اقتحام منشأة بقيق النفطية، عبر بوابة جانبيّة بواسطة سيارتين مملوءتين بالمتفجرات. فشل الهجوم وانفجرت السيارتان عند البوابة، ما أدّى إلى مقتل السائقَين وحارسَين أمنيَّين.

٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦: أصيب رجل بريطاني بجراح، إثر تلقّيه طعنات بالسكين، عند محطة وقود في الجبيل في المنطقة الشرقية.

٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦: أعلنت السلطاتُ السعودية اعتقال ١٣٦ مسلّحاً، في عدة مدن خلال مدة شهرين.

٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦: فتح مسلّحون نيران أسلحتهم من أحد المباني على حارسين أمنيَّين، وأردوهما خارج سجن الرويس بجدّة.

٢٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٧: قُتل أربعة سياح فرنسيين بنيران مسلّحين، بالقرب من موقع مدائن صالح الأثري شماليّ المدينة المنوّرة.

٢٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ١٧٢ مسلّحاً مشبوهاً، قبل مدة وجيزة.

٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٧: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ١٣٥ مسلّحاً مشبوهاً، قبل مدة وجيزة.

٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ٢٠٨ مسلّحين مشبوهين، قبل مدة وجيزة.

٣ آذار/ مارس ٢٠٠٨: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ٥٦ مسلّحاً مشبوهاً، قبل مدة وجيزة.

٢٥ حزيران/ يونيو ٢٠٠٨: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ٧٠١ مسلّحاً مشبوهاً، قبل مدة وجيزة.

١٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩: أعلن الفرعان السعودي واليمني اندماجهما تحت اسم القاعدة في جزيرة العرب.

٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٩: أصدرت السلطات السعودية قائمة بأسماء خمسة وثمانين مسلّحاً مطلوباً، يُعتقد أنهم خارج البلاد.

٢٦ أيار/ مايو ٢٠٠٩: إطلاق أعيرة نارية على حافة صغيرة، كانت تنقل أجانب في الجبيل ولم تقع إصابات.

١٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٩: أعلنت السلطات السعودية اعتقال ٤٤ مسلّحاً مشبوهاً، قبل مدة وجيزة.

٢٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٩: فجّر انتحاري نفسه في مكتب الأمير محمد بن نايف، مساعد وزير الداخلية، ما أدّى إلى إصابة الأمير بجراح طفيفة. أراد المهاجم تجاوز الأمن بادعاء أنه ينوي تسليم نفسه لمحمد بن نايف شخصياً.

١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٩: قُتل مسلّحان وشرطي واحد، في اشتباك عند نقطة تفتيش أمنية، بالقرب من جيزان على الحدود اليمنية.

المراجـع

١ ـ العربية

كتب

آرتس، بول وغيرد نونمان (محرران). **المملكة العربية في الميزان: الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢.

أبو رمان، بشير وعبد السعيد. **العالم والمجاهد والشهيد الشيخ عبد الله عزّام.** عمّان: دار البشير، ١٩٩٠.

أبو مجاهد. **الشهيد عبد الله عزّام... بين الميلاد والاستشهاد.** بيشاور، باكستان: مركز الشهيد عزّام العلمي، ١٩٩١.

أُخوة الإسلام: المملكة العربية السعودية ومسلمو البوسنة والهرسك. لندن: دار الهاني للكتب والنشر، ١٩٩٣.

أنس، عبد الله. **ولادة «الأفغان العرب»: سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزام.** لندن: دار الساقي، ٢٠٠٢.

تدمير المدمّرة الأميركية كول. [د. م.]: مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠١. ٢ ج.

جاموس، عبد الرحيم محمود. **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية.** الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠١.

حمزة، مولانا أمير. **قافلة دعوة جهاد** (بالأردو). [د. م.]: دار الأندلس، ٢٠٠٤.

الزبيدي، فتحي. **الجهاد الأفغاني في الكتابات العربية المعاصرة.** دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٦.

زهدي، كرم محمد (معد). **تفجيرات الرياض: الأحكام والآثار**. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ٢٠٠٣.

السباعي، فيصل بن محمود بن عبد الرحمن. **القضية الفلسطينية بأقلام سعودية**. مكّة المكرمة، جامعة أمّ القرى، ٢٠٠٢.

عزام، عبد الله. **آيات الرحمن في جهاد الأفغان**. عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٦.

ـــــ. **الحق بالقافلة**. ط ٢. [د. م.: د. ن.]، ١٩٨٨.

ـــــ. **الدفاع عن أراضي المسلمين**. عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٧.

قرارات وتوصيات أهم المؤتمرات التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي. مكّة المكرّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩١.

المجذوب، محمد. **ذكريات لا تنسى مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان**. المدينة المنوّرة: نادي المدينة المنوّرة الأدبي، ١٩٨٤.

محمد، باسل. **الأنصار العرب في أفغانستان**. ط ٢. الرياض: لجنة البرّ الإسلامية، ١٩٩١.

الهذلول، زياد صالح ومحمد عبد الله الحميضي. **القصة الكاملة للدور السعودي في البوسنة والهرسك**. الرياض: مطبعة الحميداني، ١٩٩٨.

الورداني، صالح. **فقهاء النفط: راية الإسلام أم راية آل سعود؟**. القاهرة: المدبولي الصغير، ١٩٩٤.

دوريات

الإصلاح: العدد ١١٣، ١ حزيران/ يونيو ١٩٩٨؛ العدد ٣٣٤، ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢؛ العدد ٣٣٩، ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢؛ العدد ٣٤٠، ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢؛ العدد ٣٤١، ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢؛ العدد ٣٥٥، ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٣؛ العدد ٣٥٦، ٣ آذار/ مارس ٢٠٠٣؛ العدد ٣٥٨، ١٧ آذار/ مارس ٢٠٠٣؛ العدد ٣٥٩، ٢٤ آذار/ مارس ٢٠٠٣، والعدد ٣٦٤، ٢٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣.

«بن لادن في رسالة خاصة إلى أهل الجزيرة: احملوا السلاح للدفاع عن أعراضكم.» **القدس العربي**: ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٢.

البنيّان، حسن. «أقدم الأفغان العرب السعوديين: شهادة ميلاد القاعدة، فكرة التنظيم مصرية.» **الشرق الأوسط**: ٢١/ ١١/ ٢٠٠١.

البنيان المرصوص: العددان ١٦ ـ ١٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦.

البهلال، عبد الله. «يا أهل الزلفي أين غيرتكم؟.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٧، ٢٠٠٤.

«بيان حول التراجعات الأخيرة.» **صوت الجهاد**: العدد ٥، ٢٠٠٣.

«تائب يعترف: استخدمنا الاستراحات لغسل العقول وتجنيد الإرهابيين.» **عكاظ**: ٨/ ١٠/ ٢٠٠٥.

«تركي بن فُهَيد المُطَيري.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٠، ٢٠٠٤.

«تركي الدَّنْدني: رحل البطل.» **صوت الجهاد**: العدد ٨، ٢٠٠٤.

«تساؤلات حول الجهاد ضدّ الصليبيين في جزيرة العرب.» **صوت الجهاد**: العدد ١١، ٢٠٠٤.

«التعذيب في السجون السعودية.» **نداء الإسلام**: العدد ٢١، ١٩٩٧.

الجاسر، جاسر. «قصة الأفغان السعوديين.» **المجلة**: ١١ أيار/ مايو ١٩٩٦.

ـــــــ . «معظم الأفغان السعوديين يمارسون حياتهم بصورة طبيعية بعد عودتهم.» **المجلة**: العدد ٨٤٧، ١٩٩٦.

الجزيرة: ١٥/ ٤/ ٢٠٠٢، و٩/ ٩/ ٢٠٠٢.

الجزيرة العربية: العدد ٣١، آب/ أغسطس ١٩٩٣.

الجهاد: العدد ٥، نيسان/ أبريل ١٩٨٥؛ العدد ١٦، ١٩٨٥؛ العدد ٢٢، أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦؛ العدد ٣٧، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧؛ العدد ٤٠، آذار/ مارس ١٩٨٨؛ العدد ٤٦، [١٩٨٧]؛ العدد ٤٧، [١٩٨٨]؛ العدد ٥٠، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨؛ العدد ٥٣، نيسان/ أبريل ١٩٨٩؛ العددان ٥٤ ـ ٥٥، ١٩٨٩؛ العدد ٥٦، ١٩٨٩، والعدد ٥٩، [١٩٩٠].

الجوفي، أبو هاجر. «سيرة شهيد: تركي الدَّنْدني... عزيمة وشجاعة.» **صوت الجهاد**: العدد ٧، ٢٠٠٤.

حجازي، أكرم. «رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية.» **القدس العربي**: ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٦.

الحياة: ١٩/ ٦/ ٢٠٠٢، و٢٥/ ١/ ٢٠٠٥.

خليل، محمود. «القاعدة: أجرينا تغييرات في هيكلية التنظيم ونتفوق على الأمريكان استراتيجياً.» **المجلة**: ١٠ أيار/ مايو ٢٠٠٣.

ـــــ. «القاعدة تُطلق سلسلة تحديات جديدة ومياه الغرب مهددة بالتسمّم.» **المجلة**: ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٣.

ـــــ. «القاعدة: هدفنا إرباك أمن الخليج.» **المجلة**: ١٨ أيار/ مايو ٢٠٠٣.

الخُوَيلدي، ميرزا. «قصة بيان المثقفين السعوديين: دعوة التعايش التي سقطت ضحية الحوار الداخلي.» **الشرق الأوسط**: ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢.

الدُّخَيِّل، بندر. «فيصل بن عبد الرّحمن الدُّخَيِّل: مسعّر حرب.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٨، ٢٠٠٤.

الدعوة: ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٣.

الذايدي، مشاري. «مطبخ بيشاور وطبخة غرناطة.» **الشرق الأوسط**: ١٥/ ٥/ ٢٠٠٣.

الرابطة: العدد ٢٦٥، نيسان/ أبريل ١٩٨٧، والعدد ٢٧٨، أيار/ مايو ١٩٨٨.

الراشد، عبد الله. «العالم المجاهد حمد بن عبد الله الحُمَيدي.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٩، ٢٠٠٥.

الراشد، عبد الرّحمن. «بين نيويورك والرياض.» **الشرق الأوسط**: ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٣.

«رسالة مفتوحة إلى شباب المراكز الصيفية.» **صوت الجهاد**: العدد ١٩، ٢٠٠٤.

الرياض: ١٩/ ١١/ ٢٠٠٢.

السالم، محمد. «٣٩ وسيلة لخدمة الجهاد والمشاركة فيه.» **صوت الجهاد**: ٢٠٠٣.

ـــــ. «لا تذهبوا إلى العراق.» **صوت الجهاد**: العدد ٧، ٢٠٠٣.

ـــــ «لبّيك يا عراق.» **صوت الجهاد**: العدد ١١، ٢٠٠٤.

ـــــ. «يا أهل الكويت.» **صوت الجهاد**: العدد ١٣، ٢٠٠٤.

ـــــ. «يوسف العُيَيْري (١ ـ ٢).» مجلة **الإصلاح**: العدد ٢٢، ١٣ آب/ أغسطس ١٩٩٦.

ـــــ. «يوسف العُيَيْري؛ شموخ في زمن الهوان.» **صوت الجهاد**: العدد ١، ٢٠٠٣.

السُّبَيعي، عبد الله. «مُساعد السُّبَيعي: رجل في زمن قلّ فيه الرجال.» **صوت الجهاد**: العدد ١٩، ٢٠٠٤.

«السعودية تلمّح للتعاون عسكرياً لضرب العراق.» **القدس العربي**: ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٢.

«السلطة تفتح باب الدمّ: أول شهيد في مسيرة الإصلاح.» **بيان لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية**: العدد ٣٨، ١٩٩٥.

الشافعي، محمد. «أصوليون: العُيَيْري كان المسؤول عن موقع النداء الإنترنيتي الناطق باسم القاعدة.» **الشرق الأوسط**: ٤/ ٦/ ٢٠٠٣.

الشرق الأوسط: ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣؛ ١٨/ ٦/ ٢٠٠٣؛ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤؛ ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٥؛ ١٨/ ٦/ ٢٠٠٥؛ ٤/ ٧/ ٢٠٠٥، و٨/ ٨/ ٢٠٠٦.

الصراط المستقيم: العدد ٣٣، ١٩٩٤.

الظواهري، أيمن. «فرسان تحت راية النبي.» **الشرق الأوسط**: ٢ ـ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠١.

«عامر الشِّهري. . همّة وأنَفة وثبات حتى الشهادة.» **صوت الجهاد**: العدد ١٢، ٢٠٠٤.

«عبد الرّحمن اليازجي يروي وقائع معركة حيّ النهضة في لقاء خاص.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٨، ٢٠٠٤.

العتيبي، ذياب. «عبد الرّحمن بن عبد الله الحربي.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٦، ٢٠٠٤.

العتيبي، سعود. «إبراهيم الريّس: ثبات حتى الممات.» **صوت الجهاد**: العدد ٩، ٢٠٠٤.

عزام، عبد الله. «آيات وبشائر وكرامات في الجهاد الأفغان.» **المجتمع**: العدد ٥٦٩، ١٩٨٢.

عكاظ: ١٩/ ٥/ ٢٠٠٥.

«علي المعبدي الحربي. . بطل بدر الرياض.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٤، ٢٠٠٤.

«العملية العسكرية على مجمّع الصليبيين بإسكان المُحيّا.» **صوت الجهاد**: العدد ٥، ٢٠٠٥.

العنزي، سعد. «عبد اللطيف بن حمد الخُضَيري.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٧، ٢٠٠٤.

العوشن، عيسى بن سعد. «خالد بن عبد الله السبيت: فداء وتضحية.» **صوت الجهاد**: العدد ١٥، ٢٠٠٤.

الفرّاج، فهد الجُوَير. «يا أهل الزلفي.» **صوت الجهاد**: العدد ١٨، ٢٠٠٤.

«في معلومات خاصة حصلت عليها الشرق الأوسط... أشهر المتعصبين من كتّاب الإنترنت غير السعوديين.» **الشرق الأوسط**: ٢/ ١٠/ ٢٠٠٥.

«قبيلة عتيبة تزفّ أحد أبنائها الشهداء.» **صوت الجهاد**: العدد ٤، ٢٠٠٤.

القحطاني، ماجد. «بيان كتائب الزلفي يتضمن الإعلان عن تأسيس الجماعة المناصرة للقاعدة.» **الوطن**: ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٥.

ـــــ. «عيسى بن سعد بن محمد العوشن: فارس الإعلام الجهادي.» **صوت الجهاد**: العدد ٣٠، ٢٠٠٧.

القدس العربي: ٣/ ٨/ ٢٠٠٤؛ ١٨/ ٣/ ٢٠٠٥؛ ١٩ ـ ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٥؛ ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٥؛ ٣١/ ٣/ ٢٠٠٥، و٢/ ٤/ ٢٠٠٥.

«قصة الأسير الأمريكي مهندس الأباشي بول مارشال.» **صوت الجهاد**: العدد ١٩، ٢٠٠٤.

«قصة «الأفغان العرب» من الدخول إلى أفغانستان إلى الخروج مع طالبان (ج ٢).» **الشرق الأوسط**: ٩/ ١٢/ ٢٠٠٤.

«قصة «الأفغان العرب» من الدخول إلى أفغانستان إلى الخروج مع طالبان (ج ٤).» **الشرق الأوسط**: ١١/ ١٢/ ٢٠٠٤.

«كيف مات الحضيف.» **بيان لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية**: العدد ٣٩، ١٩٩٥.

«لقاء مع أحد المطلوبين التسعة عشر (١).» **صوت الجهاد**: العدد ١، ٢٠٠٣.

«لقاء مع الشيخ المجاهد سعود بن حمود العتيبي.» **صوت الجهاد**: ٢٠٠٣.

المجاهد: العدد ٥، [د. ت.].

المجلة: ٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣.

مجلة رابطة العالم الإسلامي: السنة ٦، العدد ٤، ١٩٧٩؛ السنة ٨، العدد ٤، ١٩٨١.

المطوّع، عبد الرّحمن. «الأمير نايف يدعو المواطنين إلى عدم المساهمة دون علمهم في قتل الأبرياء.. بدفع التبرعات إلى صناديق مشبوهة.» **الشرق الأوسط**: ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٣.

المُطَيري، تركي. «عبد المحسن الشبانات: شهيد في يوم عيد.» **صوت الجهاد**: العدد ٢٣، ٢٠٠٤.

المقرن، عبد العزيز. «لكل الراغبين في الجهاد على أرض الجزيرة العربية.» **معسكر البتّار**: العدد ١٠، ٢٠٠٤.

المكي، خليل. «سامي اللُّهَيبي: عزيمة الرجال.» **صوت الجهاد**: العدد ٦، ٢٠٠٣.

المكي، محمد. «متعب المُحيّاني،» **صوت الجهاد**: العدد ٤، ٢٠٠٣.

النجدي، أسامة. «طلال العنبري: حيدرة الجدّاوي.» **صوت الجهاد**: العدد ١٧، ٢٠٠٤.

النشمي، فواز. «خالد البغدادي (أبو أيوب النجدي).» **صوت الجهاد**: العدد ١٨، ٢٠٠٤.

ـــــ . «فهد بن سمران الصاعدي.» **صوت الجهاد**: العدد ١٦، ٢٠٠٤.

النقيدان، منصور. «دعوة إلى تقنين وظيفة رجال الحِسبة.» **المجلة**: ٣٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٠.

ـــــ . «خريطة الإسلاميين في السعودية وقصة «التكفير».» **الوسط** (المنامة): ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٣.

ـــــ . «الهجرة إلى المستحيل: مقاطِع من سيرة روحية.» **المجلة**: ٢ أيار/مايو ٢٠٠٠.

ـــــ . «هل كان ابن أبي دؤاد مظلوماً.» **الحياة**: ٢٣/ ٢/ ١٩٩٩.

بيانات، ودراسات وكتب إلكترونية

ابن عبد العزيز، عبد القادر. «ردّ كلام الحوالي في كتاب الدفاع.» (منبر التوحيد والجهاد، ١٩٩٠)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــ . «رسالة العُمدة في إعداد العُدّة.» (منبر التوحيد والجهاد، ١٩٨٨)، <http://www.tawhed.ws/dl?i=f8ro5d45>.

ابن الموصل. «استشهاد أحد شباب الجوف في بلاد الرافدين.» (٢٠٠٥) <http://topforums.net>.

أبو أنس الليبي. **الشيخ العُقلاء علم شامخ في زمن الانحطاط** (٢٠٠٢)، <http://www.almuqatila.com>.

الأزدي، أبو جندل. **أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأميركان** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٣)، <http://www.aljlees.com/6s7698241-1094.html>.

ـــــــ . «بيان حول الدعوى الكاذبة من سَفَر الحَوالي وأشباهه.» ألقاه فارس الزهراني (٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws/r?i=38bf2hun>.

ـــــــ . **تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال** (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.com>.

ـــــــ . «وجوب استنقاذ المستضعفين في سجون الطواغيت.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws>.

البرّاك، عبد الرّحمن [وآخرون]. «بيان من علماء دين السعودية.» (٢٠٠٢)، <http://www.mafhoum.com>.

«برنامج «العين الثالثة»: القصة الكاملة لسقوط «وزير إعلام» تنظيم القاعدة في السعودية.» العربية نت، ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥، <http:// www.alarabiya.net/articles/2005/10/17/17771.html>.

بكر، علي. «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.» الإسلاميون. نت (٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٩)، <http://islamyoon.islamonline.net>.

«بيان حول عملية القنصلية الأميركية في جدّة (غزوة الفلّوجة).» (٢٠٠٤)، <http://www.qa3edoon.com>.

«بيان في الحثّ على المقاطعة الاقتصادية ضدّ أعداء المسلمين.» (٢٠٠١)، <http:// www.saaid.net>.

«بيان من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب يبشّر بانضواء مؤسسة البشائر للإنتاج الإعلامي تحت لوائه.» (٢٠٠٦)، <http://www.al-boraq.com>.

«بيان من نحن وماذا نريد وما علاقتنا بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب.» (٢٠٠٦)، <http://www.al-hesbah.org>.

«التقرير الإخباري الحادي عشر بشأن تفاصيل عملية سريّة الشيخ أسامة بن لادن.» (٢٠٠٦)، <http://www.qa3edoon.com>.

الجربوع، عبد العزيز. «التأصيل لمشروعية ما حصل في أمريكا من التدمير.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «لم آمر بها ولم تسُؤني ـ ردّ على مقال الشيخ سلمان.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

«جْمع من العلماء السعوديين يوجّهون خطاباً مفتوحاً للشباب العراقي.» صيد الفوائد (٢٠٠٤)، <http://www.saaid.net/mktarat/iraq/50.htm>.

الجفن، عبد الرحمن بن عبد العزيز. **إيناس النبلاء في سيرة شيخنا العُقلاء** (٢٠٠٢)، < http://www.al-oglaa.com/index.php?section = subject&Subject ID = 1 >.

حافظ، عبد العزيز. «أحداث شاهي كوت: روايةً وتحليلاً.» (أيار/ مايو ٢٠٠٢)، < http://www.alemarh.com >.

الحُسْني، أبو بكر. **هداية الساري في حكم استهداف الطوارئ** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٤)، < http://www.qa3edoon.com >.

الحوالي، سفر. «مفهوم الجهاد.» موقع سفر الحوالي (١٩٨٩)، < http://www.alhawali.com/index.cfm?method = home.showcontent&contentID = 648 >.

الخضير، علي. **الوجازة في شرح الأصول الثلاثة** (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ١٩٩٤)، < http://www.tawhed.ws/dl?i = jthpo6yw >.

ـــــ. «بيان في حسن بن فرحان المالكي.» (منبر التوحيد والجهاد)، < http://www.tawhed.ws >.

ـــــ. «فتوى في تأييد هدم الأصنام.» (٢٠٠١)، < http://www.tawhed.ws >.

ـــــ. «القواعد الأربع التي تفرّق بين دين المسلمين ودين العلمانيين.» (منبر التوحيد والجهاد)، < http://www.tawhed.ws >.

ـــــ [وآخرون]. «إحياء ملّة إبراهيم والردّ على المخذِلين المنهزمين.» (٢٠٠٢)، < http://www.alkhoder.com >.

ـــــ. أحمد الخالدي. «بيان في ردّة منصور النقيدان.» (٢٠٠٣)، < http://www.alkhoder.com >.

ـــــ، ـــــ وناصر الفهد. «نصيحة في بيان حكم من والى الكفّار وأعانهم في حربهم على المسلمين وكلام على الراية.» (٢٠٠٣)، < http://www. alkhoder.com >.

الرشود، عبد الله. «بيان حول أحداث الإفتاء.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، < http://www.tawhed.ws >.

الرشيد، عبد الله بن ناصر. «انتقاد الاعتراض على تفجيرات الرياض.» (٢٠٠٣)، < http://www.qa3edoon.com >.

السوري، أبو مصعب. «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، < http://www.tawhed.ws >.

الشُّعَيبي، حمود. «بيان عما جرى في أمريكا من أحداث.» (٢٠٠١)، < http://www.aloqla.com >.

ـــــ . «بيان عما حصل من لَبْس في شروط الإفتاء.» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

ـــــ . «حكم إقامة اليهود والنصارى في جزيرة العرب وتملّكهم العقارات واستثمارها.» (٢٠٠٠)، <http://www.saaid.net>.

ـــــ . «حكم الجهاد في الشيشان وواجب المسلمين تجاههم.» (١٩٩٩) <http://www.qoqaz.com>.

ـــــ . «حول شرعيّة حكومة طالبان.» (٢٠٠٠)، <http://www.aloqla. com>.

ـــــ . «فتوى في تكفير الحكام والمشرّعين للقوانين الوضعية.» (٢٠٠١)، <http://www.al-fahd.com>.

ـــــ . «القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار.» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

ـــــ . «معنى الإرهاب وحقيقته.» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

ـــــ . «نداء إلى حكام العرب والمسلمين.» (٢٠٠١)، <http://www.aloqla.com>.

«عزاء من المجاهدين للأمّة بأحد أبطال الجهاد خطاب.» (٢٠٠٢)، <http://www.alneda.com>.

العودة، سلمان بن فهد. «خطّاب حيٌّ يُرزَق.» الإسلام اليوم (٢٠٠٢)، <http://www.islamtoday.net>.

ـــــ . «رأي في أحداث أمريكا.» الإسلام اليوم (٢٠٠١)، <http://www.islamtoday.net>.

ـــــ . «يا ابن (الوطن) لا تفترِ على أهلك!.» الإسلام اليوم، ١٩/ ١١/ ٢٠٠٤، <http://www.islamtoday.net/albasheer/show_news_content. cfm?id=35746>.

العييري، يوسف. «ثوابت على درب الجهاد،» (منبر التوحيد والجهاد)، <http://www.tawhed.ws/r?i=iftddsvn>.

ـــــ . «حقيقة الحرب الصليبية الجديدة.» (٢٠٠١)، <http://www.alneda.com>.

ـــــ . «الحملة العالمية لمقاومة العدوان.» (منبر التوحيد والجهاد)، ٢٠٠٣، <http://www.tawhed.ws/pr?i=723>.

ـــــــ . «الرياضة البدنية قبل الجهاد.» <http://www.qa3edoon.com>.

ـــــــ . «سلسلة الحرب الصليبية على العراق.» (٢٠٠٢)، <http://www.drasat.com>.

ـــــــ . «طريقة طلب العلم.» (١٩٩٨)، <http://www.qa3edoon.com>.

ـــــــ . «مستقبل العراق والجزيرة العربية بعد سقوط بغداد.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws/c?i=55>.

ـــــــ . «الميزان لحركة طالبان.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «هل انتحرت أم استُشهدت؟.» (٢٠٠٠)، <http://www.qoqaz. com>.

«غزوة الحادي عشر من ربيع الأول: عملية شرق الرياض وحربنا مع أمريكا وعملائها.» (٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>.

الفهد، ناصر. «آيات الرّحمن في غزوة سبتمبر.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws/r?i=ktuz8sa8>.

ـــــــ . «إقامة البرهان على وجوب كسر الأوثان.» (٢٠٠١)، <http://books.islamicgate.org/book6>.

ـــــــ . «التبيان في كفر من أعان الأمريكان.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws/r?i=3b5bz0v8>.

ـــــــ . التبيان في مخاطر التطبيع على المسلمين.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «التنكيل بما في بيان المثقفين من أباطيل.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «حول قاعدة من لم يكفِّر الكافر فهو كافر.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٢)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ : **الدولة العثمانية وموقف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب منها** (كتاب إلكتروني، منبر التوحيد والجهاد، ١٩٩٣)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «الردّ على مقال هدم التماثيل من منظور إسلامي لكاتبه سليمان بن عبد الله التركي.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠١)، <http://www.tawhed.ws>.

ـــــــ . «فتوى في كفر من أعان الأمريكان على المسلمين في العراق.» (٢٠٠٢)، <http://www.al-fahd.com>.

ـــــــ . «لا تكن مع العدو ضدّنا: رسالة عامّة عن أمن المعلومات.» (٢٠٠٢)، <http://www.drasat.com>.

ـــــــ . **مُعجم أنساب الأُسر المتحضرة من عشيرة الأساعدة** (١٩٩٩)، <http://www.al-fahd.com>.

ـــــــ . «هل تُعتبر تأشيرة الفيزا عقدَ أمان؟.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٣)، <http://www.tawhed.ws/r?i=wi56w3c5>.

«القائد خطاب أسد من أسود الإسلام.» (٢٠٠٢)، <http://www.qoqaz.com>.

القطري، حمد. **من قصص الشهداء العرب في البوسنة والهرسك** (كتاب إلكتروني)، ط ٢ (٢٠٠٢)، <http://www.saaid.net/Doat/hamad/index.htm>.

«مجموعة مقالات الشهيد محمد بن عبد الرّحمن السُّوَيلمي،» (٢٠٠٦)، <http://www.alhesbah.org>.

محبّ الجهاد. «شهداء أرض الرافدين.» (٢٠٠٥)، <http://www.hikma.net>.

المدني، حازم. **هكذا نرى الجهاد ونريده** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>.

المقدسي، أبو محمد. **الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية** (١٩٨٩)، <http://www.tawhed.ws/r?i=r8830mff>.

ـــــــ . «وقفات مع ثمرات الجهاد.» (منبر التوحيد والجهاد، الفصل الخامس)، <http://www.tawhed.ws/r?i=5yj8ssez>.

المقرن، عبد العزيز. **دورة التنفيذ وحرب العصابات** (كتاب إلكتروني، ٢٠٠٤)، <http://www.www.qa3edoon.com>.

«من هو الشيخ البتّار؟.» (٢٠٠٣)، <http://www.qa3edoon.com>.

ناجي، أبو بكر. «إدارة التوحش.» (منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٤)، <http://www.tawhed.ws>.

الهرفي، عبد الرحمن بن محمد. **السيرة الذاتية لسماحة الشيخ حمود بن العُقلاء الشُّعَيبي** (٢٠٠١)، <http://www.saaid.net/Warathah/hmood/h34.htm>.

«وصايا البطل: شهداء الحرمين.» (مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٣).

٢ ـ الأجنبية

Books

The 9/11 Commission Report. New York: W.W. Norton, 2004.

Aarts, Paul and Gerd Nonneman (eds.). *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs*. London: Hurst, 2005.

Akbarzadeh, Shahram and Fethi Mansouri (eds.). *Islam and Political Violence*. London: I. B. Tauris, 2007.

Ancygier, Andrzej. *Al-Qai'ida in Saudi Arabia 2003 and 2004*. Berlin: Grin Verlag für akademische Texte, 2005.

Anonymous. *Through Our Enemies' Eye: Osama bin Laden, Radical Islam, and the Future of America*. Washington, DC: Brassey's, 2002.

Ayoob, Mohammed and Hasan Kosebalaban (eds.). *Religion and Politics in Saudi Arabia: Wahhabism and the State*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2008.

Bakker, Edwin. *Jihadi Terrorists in Europe: Their Characteristics and the Circumstances in Which They Joined the Jihad: An Exploratory Study*. The Hague: Netherlands Institute of International Relations, 2006. (Clingendael Security Paper; no. 2)

Bergen, Peter L. The Osama Bin Laden I Know: An Oral History of al-Qaeda's Leader. New York: Free Press, 2006.

Berntsen, Gary and Ralph Pezzullo. *Jawbreaker: The Attack on Bin Laden and Al Qaeda: A Personal Account by the CIA's Key Field Commander*. New York: Crown, 2005.

Bin Laden, Najwa, Omar Bin Laden and Jean Sasson. *Growing up Bin Laden: Osama's Wife and Son Take Us Inside their Secret World*. New York: St. Martin's Press, 2009.

Bin Sayeed, Khalid. *Western Dominance and Political Islam: Challenge and Response*. Albany, NY: State University of New York Press, 1995.

Bodansky, Yossef. *Chechen Jihad: Al Qaeda's Training Ground and the Next Wave of Terror*. New York: Harper, 2007.

Bonner, Michael. *Jihad in Islamic History: Doctrines and Practice*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.

Boucek, Christopher. *Saudi Arabia's «Soft» Counterterrorism Strategy*. Washington, DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2008.

Burr, J. Millard and Robert O. Collins. *Alms for Jihad: Charity and Terrorism in the Islamic World*. Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2006.

Byman, Daniel. *Deadly Connections: States that Sponsor Terrorism*. Cambridge, MA; New York: Cambridge University Press, 2005.

Calvert, John. *Sayyid Qutb and the Origins of Radical Islamism*. New York: Columbia University Press; London: Hurst, 2010.

Coll, Steve. *The Bin Ladens: An Arabian Family in the American Century*. New York: Penguin Press, 2008.

_____. *Ghost Wars: The Secret History of the CIA, Afghanistan, and Bin Laden, from the Soviet Invasion to September 10, 2001*. New York: Penguin Press, 2004.

Collin, Aukai. *My Jihad: The True Story of an American Mujahid's Amazing Journey from Usama Bin Laden's Training Camps to Counterterrorism with the FBI and CIA*. Guilford, Conn.: Lyons Press, 2002.

Commins, David. *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia*. London; New York: I. B. Tauris, 2006.

Cook, David. *Understanding Jihad*. Berkeley, CA: University of California Press, 2005.

_____. *Failed Jihad*. New York: Cambridge University Press, forthcoming.

Cordesman, Anthony H. *Islamic Extremism in Saudi Arabia and the Attack on Al Khobar*. Washington, DC: Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2001.

_____ and Nawaf E. Obaid. *National Security in Saudi Arabia: Threats, Responses, and Challenges*. Westport, CT: Praeger Security International, 2005.

_____ and _____. *Al-Qaeda in Saudi Arabia: Asymmetric Threats and Islamic Extremists*. Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005.

Crile, George. *Charlie Wilson's War: The Extraordinary Story of the Largest Covert Operation in History*. New York: Atlantic Monthly Press, 2003.

Della Porta, Donatella. *Social Movements, Political Violence, and the State: A Comparative Analysis of Italy and Germany*. Cambridge [UK]; New York: Cambridge University Press, 1995. (Cambridge Studies in Comparative Politics)

_____ (ed.). *Social Movements and Violence: Participation in Underground Organizations*. Greenwich: JAI Press Inc., 1992. (International Social Movements Research; vol. 4)

Denoeux, Guillain. *Urban Unrest in the Middle East: A Comparative Study of Informal Networks in Egypt, Iran and Lebanon*. Albany, NY: State University of New York Press, 1993. (SUNY Series in the Social and Economic History of the Middle East)

Esposito, John L. (ed.). *Political Islam: Revolution, Radicalism, or Reform?*. Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1997.

Fandy, Mamoun. *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*. New York: Palgrave Macmillan, 2001.

Filkins, Dexter. *The Forever War: Dispatches from the War on Terror*. New York: Alfred A. Knopf, 2008.

Forest, James J. F. (ed.). *The Making of a Terrorist: Recruitment, Training and Root Causes*. Westport, CT: Praeger, 2006.

Gallab, Abdullah A. *The First Islamist Republic: Development and Disintegration of Islamism in the Sudan*. Aldershot, UK; Burlington, VT: Ashgate, 2008.

Garfinkle, Adam (ed.). *A Practical Guide to Winning the War on Terrorism*. Stanford, CA: Stanford University, Hoover Institution Press, 2004. (Hoover Institution Press Publication; no. 530)

Gerges, Fawaz. *The Far Enemy: Why Jihad Went Global?*. New York: Cambridge University Press, 2006.

Ghandour, Abdel-Rahman. *Jihad humanitaire: Enquête sur les ONG islamiques*. Préf. de Rony Brauman. Paris: Flammarion, 2002.

Gold, Dore. *Hatred's Kingdom: How Saudi Arabia Supports the New Global Terrorism*. Washington, DC: Regnery, 2004.

Grossman, Dave. *On Killing: The Psychological Cost of Learning to Kill in War and Society*. Boston, MA: Little, Brown, 1995.

Habib, John S. *Ibn Saud's Warriors of Islam: The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Sa'udi Kingdom, 1910-1930*. Leiden: Brill, 1978. (Social, Economic and Political Studies of the Middle East; v. 27)

Hegghammer, Thomas. *Dokumentasjon om al-Qaida: Intervjuer, kommunikeer og andre primeerkilder, 1990-2002* [Documentation on al-Qaida: Interviews, Communiqués and Other Primary Sources, 1990-2002]. Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Rapport), 2002.

_____. *Saudi Militants in Iraq: Backgrounds and Recruitment Patterns*. Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Report), 2007.

Henderson, Simon. *After King Abdullah: Succession in Saudi Arabia*. Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2009.

Holden, David and Richard Johns. *The House of Saud*. London: Sidgwick and Jackson, 1981.

Hollingsworth, and Sandy Mitchell. *Saudi Babylon: Torture, Corruption and Cover-Up Inside the House of Saud*. Edinburgh: Mainstream, 2005.

Huband, Mark. *Warriors of the Prophet: The Struggle for Islam*. Boulder, CO: Westview Press, 1999.

Ibrahim, Fouad N. *The Shi'is of Saudi Arabia*. London: Saqi, 2007.

Israel and the Occupied Territories Shielded from Scrutiny: IDF Violations in Jenin and Nablus. London: Amnesty International, 2002.

Kepel, Gilles. *Jihad: The Trail of Political Islam*. Translated by Anthony F. Roberts. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002.

_____. *The War for Muslim Minds: Islam and the West*. Translated by Pascale Ghazaleh. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2004.

Kingdom's Response. Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2005.

The Kingdom of Saudi Arabia's Economic and Social Development Aid to the Islamic World. Riyadh: Ministry of Finance and National Economy, 1991.

Klandermans, Bert, Hans Peter Kriesi and Sidney Tarrow (eds.). *International Social Movements: From Structure to Action: Comparing Social Movement Research across Cultures*. Greenwich: JAI Press, 1988.

Kohlmann, Evan. *Al-Qaida's Jihad in Europe: The Afghan-Bosnian Network*. London: Berg, 2004.

Kostiner, Joseph. *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*. New York, Oxford: Oxford University Press, 1993. (Studies in Middle Eastern History)

Lacey, Robert. *Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Modernists, Terrorists, and the Struggle for Saudi Arabia*. New York: Viking, 2009.

_____. *The Kingdom: Arabia and the House of Saud*. New York: Avon, 1981.

Lacroix, Stéphane. *Les Islamistes saoudiens - Une insurrection manqué*. Paris: Presses Universitaires de France, 2010. (Proche orient)

Landau, Jacob M. *The Politics of Pan-Islam: Ideology and Organization*. Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1990.

Lawrence, Bruce (ed.). *Messages to the World: The Statements of Osama Bin Laden*. Translated by James Howarth. London; New York: Verso, 2005.

Lia, Brynjar. *Architect of Global Jihad: The Life of Al-Qaeda Strategist Abu Mus'ab Al-Suri*. London: Hurst, 2007.

Meijer, Roel (ed.). *Global Salafism: Islam's New Religious Movement*. London; New York: Hurst and Columbia University Press, 2009.

Menashri, David (ed.). *The Iranian Revolution and the Muslim World*. Boulder, CO: Westview Press, 1990. (Westview Special Studies on the Middle East)

Munro, Alan. *An Embassy at War: Politics and Diplomacy behind the Gulf War*. London: Brassey's, 1996.

Al-Muqrin, 'Abed Al-'Aziz. *Al-Qa'ida's Doctrine for Insurgency: A Practical Course for Guerrilla War*. Translated and Analyzed by Norman Cigar; foreword by Julian Lewis. Washington, DC: Potomac Books, Inc., 2009.

Musharraf, Pervez. *In the Line of Fire: A Memoir*. London: Simon and Schuster, 2006.

Naylor, Sean. *Not a Good Day to Die*. London: Penguin, 2005.

Niblock, Tim. *Saudi Arabia: Power, Legitimacy and Survival*. London: Routledge, 2006. (Contemporary Middle East)

Piscatori, James (ed.). *Islamic Fundamentalisms and the Gulf Crisis*. Chicago, IL: Fundamentalism Project, American Academy of Arts and Sciences, 1991.

Posner, Gerald. *Why America Slept: The Failure to Prevent 9/11*. New York: Ballantine Books, 2003.

Quandt, William B. *Saudi Arabia in the 1980s: Foreign Policy, Security and Oil*. Washington, DC: Brookings Institution, 1981.

Rana, Muhammad Amir and Mubasher Bukhari. *Arabs in Afghan Jihad*. Lahore: Pak Institute for Peace Studies, 2007.

Randal, Jonathan. *Osama: The Making of a Terrorist*. New York: Vintage Books, 2004.

Al-Rasheed, Madawi. *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*.

Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 2007. (Cambridge Middle East Studies; 25)

_____. *A History of Saudi Arabia.* New York: Cambridge University Press, 2002.

_____ (ed.). *Kingdom without Borders: Saudi Arabia's Political, Religious and Media Frontiers.* New York: Columbia University Press, 2008.

Rashid, Ahmed. *Descent into Chaos: How the War Against Islamic Extremism is being Lost in Pakistan, Afghanistan and Central Asia.* New York: Viking, 2008.

Reeve, Simon. *The New Jackals: Ramzi Yousef, Osama bin Laden and the Future of Terrorism.* London: Andre Deutsch, 1999.

Riedel, Bruce. *The Search for Al Qaeda.* Washington, DC: Brookings Institution Press, 2008.

Al-Rodhan, Khalid R. *The Impact of the Abqaiq Attack on Saudi Energy Security.* Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2006.

Rosen, Nir. *In the Belly of the Green Bird: The Triumph of the Martyrs in Iraq.* New York: Free Press, 2006.

Rougier, Bernard. *Everyday Jihad: The Rise of Militant Islam among Palestinians in Lebanon.* Translated by Pascale Ghazaleh. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2007.

Roy, Olivier. *Islam and Resistance in Afghanistan.* 2nd ed. Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990. (Cambridge Middle East Library)

Rubin, Barnett R. *The Fragmentation of Afghanistan: State Formation and Collapse in the International System.* 2nd ed. New Haven, CT: Yale University Press, 2002.

Sageman, Marc. *Understanding Terror Networks.* Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004.

El Sayed Selim, Mohammad (ed.). *The Organization of the Islamic Conference in a Changing World.* Cairo: Cairo University, Center for Political Research and Studies, 1994.

Scheuer, Michael. *Imperial Hubris: Why the West is Losing the War on Terror.* Washington, DC: Brassey's, 2004.

_____, Stephen Ulph and John C. K. Daly. *Saudi Arabian Oil Facilities: The Achilles Heel of the Western Economy.* Washington, DC: Jamestown Foundation, 2006.

Schulze, Reinhard. *Islamischer Internationalismus im 20 Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltliga.* Leiden; New York: Brill, 1990. (Social, Economic, and Political Studies of the Middle East; v. 41)

Sheikh, Naveed S. *The New Politics of Islam: Pan-Islamic Foreign Policy in a World of States.* London; New York: RoutledgeCurzon, 2003.

Al-Shishani, Murad. *The Rise and Fall of Foreign Fighters in Chechnya.* Washington, DC: Jamestown Foundation, 2006.

Steinberg, Guido. *Religion und Staat in Saudi-Arabien: Die Wahhabitischen Gelehrten, 1902 - 1953.* Würzburg: Egon, 2002.

Suskind, Ron. *The One Percent Doctrine: Deep Inside America's Pursuit of its Enemies since 9/11.* New York: Simon and Schuster, 2006.

Teitelbaum, Joshua. *Holier than Thou: Saudi Arabia's Islamic Opposition.* Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2000. (Policy Papers; no. 52)

Tenet, George. *At the Center of the Storm: My Years at the CIA.* New York: HarperCollins, 2007.

Thomas, Dominique. *Les Hommes d'Al-Qaïda: Discours et stratégie.* Paris: Michalon, 2005. (Ligne d'horizon)

Trofimov, Yaroslav. *The Siege of Mecca: The Forgotten Uprising in Islam's Holiest Shrine and the Birth of al Qaeda.* New York: Doubleday, 2007.

Vassiliev, Alexei. *The History of Saudi Arabia.* London: Saqi Books, 2000.

Watts, Clint, Jacob Shapiro and Vahid Brown. *Al-Qa'ida's (Mis)Adventures in the Horn of Africa.* West Point: Combating Terrorism Center, 2007.

Wilhelmsen, Julie. *When Separatists Become Islamists: The Case of Chechnya.* Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment (FFI/Rapport), 2004.

Woodward, Bob. *Bush at War.* New York: Simon and Schuster, 2002.

World Report 1997. New York: Human Rights Watch, 1998.

Wright, Lawrence. *The Looming Tower: Al Qaeda and the Road to 9/11.* New York: Knopf, 2006.

Yousaf, Mohammad and Mark Adkin. *Afghanistan - the Bear Trap: The Defeat of a Superpower.* 2nd ed. Barnsley: Leo Cooper, 2001.

Zaidan, Ahmad Muaffaq. *The Afghan Arabs Media at Jihad.* Islamabad: Pakistan Futuristics and Institute, 1999.

Periodicals

Abdul Ghafour, P. K. «Cell Was Targeting Muslims.» *Arab News*: 5/11/2003.

_____ . «Al-Qaeda Controls Young Operatives by Torture Threats.» *Arab News*: 23/9/2004.

_____ . «Swiss Uncover Al-Qa'ida Cells Planning Attacks in Kingdom.» *Arab News*: 13/12/2003.

Abu Shiraz, «May 1998 Interview with Bin Laden Reported.» *Pakistan*: 20/2/1999.

Ahmad, Mahmoud. «Al-Qaeda Operatives are an Ignorant Lot, Say Former Members.» *Arab News*: 3/10/2003.

«Aid for Afghan Refugees.» *Journal of the Muslim World League*: vol. 8, no. 10, 1981.

Ansary, Abdullah F. «Combating Extremism: A Brief Overview of Saudi Arabia's Approach.» *Middle East Policy*: vol. 15, no. 2, 2008.

Al-Awadh, Khaled. «Another Scholar Recants.» *Arab News*: 23/11/2003.

Azzam, Maha. «The Gulf Crisis: Perceptions in the Muslim World.» *International Affairs*: vol. 67, no. 3, 1991.

Bahgat, Gawdat. «Saudi Arabia and the War on Terrorism.» *Arab Studies Quarterly*: vol. 26, no. 1, 2004.

Bakier, Abdul Hameed. «Lessons from al-Qaeda's Attack on the Khobar Compound.» *Terrorism Monitor*: vol. 4, no. 16, 2006.

Benthall, Jonathan. «L'Humanitarisme islamique.» *Cultures et Conflits*: no. 60, décembre 2005.

Bergen, Peter. «Enemy of our Enemy.» *New York Times*: 28/3/2006.

_____ and Paul Cruickshank. «The Unraveling: The Jihadist Revolt Against bin Laden.» *New Republic*: 11 June 2008.

Al-Binayyan, Hasin. «Al-Qaeda Arrests «Idle Speculation».» *Arab News*: 12/11/2001.

Blanche, Ed. «The Egyptians around Bin Laden.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 13, no. 12, 2001.

«Blowback Time Beckons as Saudi Jihadists are Squeezed in Iraq.» *Gulf States Newsletter*: vol. 29, no. 767, 2005.

Boucek, Christopher. «Extremist Reeducation and Rehabilitation in Saudi Arabia.» *Jamestown Terrorism Monitor*: vol. 5, no. 16, 2007.

BP Statistical Review of World Energy: June 2006.

Bradley, John R. «Clues Tie al Qaeda to Saudi Bombings.» *Washington Times*: 18/8/2003.

_____. «Saudi Sniper in Camouflage Fires on Australian at BAE Compound.» *Arab News*: 18/6/2002.

Brinkley, Joel. «Saudis Blame US and its Role in Iraq for Rise of Terror.» *New York Times*: 14/10/2004.

Bronner, Ethan. «In Bomber's Life, Glimpse of Saudi Dissent.» *Boston Globe*: 7/7/1996.

Bruce, James. «Arab Veterans of the Afghan War.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 7, no. 4, 1995.

Al-Buqami, Mutlaq. «Al-Shihri Says Sons Missing for 10 Months.» *Arab News*: 17/9/2001.

«Checkpoints Set up Near Riyadh to Track Down Terror Suspects.» *Arab News*: 10/5/2003.

Cline, Lawrence E. «Changing Jihadist Behaviour: The Saudi Model.» *Small Wars Journal*: 10/4/2009.

Coll, Steve and Steve LeVine. «Global Network Provides Money, Haven.» *Washington Post*: 3/8/1993.

Cragin, R. Kim. «Early History of al-Qa'ida.» *Historical Journal*: vol. 51, no. 4, 2008.

Cullison, Alan. «Inside Al-Qaeda's Hard Drive.» *Atlantic Monthly*: September 2004.

_____ and Andrew Higgins. «A Once-Stormy Terror Alliance Was Solidified by Cruise Missiles.» *Wall Street Journal*: 2/8/2002.

_____ and _____ . «Forgotten Computer Reveals Thinking behind Four Years of al Qaeda Doings.» *Wall Street Journal*: 31/12/2001.

Curcio, Sharon. «Generational Differences in Waging Jihad.» *Military Review*: vol. 85, no. 4, 2005.

Davis, Anthony, «The Afghan Files: Al-Qaeda Documents from Kabul.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 14, no. 2, 2002.

_____ . «Foreign Combatants in Afghanistan.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 5, no. 7, 1993.

Der Spiegel: 12/5/2003.

Devroy, Ann. «Internal US Probe Faults Policy on Bosnian Arms.» *Washington Post*: 16/4/1996.

Dobbs, Michael. «Saudis Funded Weapons for Bosnia, Official Says.» *Washington Post*: 2/2/1996.

Downey, Tom. «My Bloody Career.» *Observer*: 23/4/2006.

Edgar, Iain R. «The Dream Will Tell: Militant Muslim Dreaming in the Context of Traditional and Contemporary Islamic Dream Theory and Practice.» *Dreaming*: vol. 14, no. 1, 2004.

_____ . «The True Dream in Contemporary Islamic/Jihadist Dreamwork: A Case Study of the Dreams of Taliban Leader Mullah Omar.» *Contemporary South Asia*: vol. 15, no. 3, 2006.

Engelberg, Stephen. «US Denies Aiding Saudis in Arming the Bosnians.» *New York Times*: 3/2/1996.

«Extending a Helping Hand to Those in Need Throughout the World.» *Saudi Arabia*: vol. 16, no. 3, 1999.

Fattah, Hassan M. «Gunmen Kill 3 French Sightseers on Road Near Saudi Holy City.» *New York Times*: 27/2/2007.

Finn, Peter. «Al Qaeda Arms Traced to Saudi National Guard.» *Washington Post*: 19/5/2003.

_____ and Susan Schmidt. «Iran, al Qaeda and Iraq.» *Washington Post*: 6/9/2003.

«Four Saudis Held for Riyadh Blasts.» *Arab News*: 23/4/1996.

Gambetta Diego and Steffen Hertog, «Engineers of Jihad.» *University of Oxford: Sociology Working Papers*: no. 10, 2007.

Al-Ghamdi, Mohamed and Shahid Ali Khan. «Study Gives Insight on Terrorists' Lives.» *Saudi Gazette*: 1 May 2008.

Glass, E. and Y. Yehoshua. «Saudi Arabia's Anti-Terror Campaign.» *MEMRI Inquiry and Analysis Series*: no. 425, 2008.

Gourlay, Chris and Jonathan Calvert. «Al-Qaeda Kingpin: I Trained 9/11 Hijackers.» *Sunday Times*: 25/11/2007.

«Gunman Ignites Fire at McDonald's.» *Arab News*: 21/11/2002.

Haider, Saeed. «Briton Hurt in Car Bombing Loses a Hand.» *Arab News*: 18/12/2000.

Hairgrove, Frank and Douglas M. Mcleod. «Circles Drawing Toward High-Risk Activism.» *Studies in Conflict and Terrorism*: vol. 31, no. 5, 2008.

Al Hakeem, Mariam. «Do Not Allow Extremists to Exploit Students - Ministry.» *Gulf News*: 3/6/2006.

Al-Harbi, Muhammad. «Khudair Repents Supporting Terror Attacks.» *Arab News*: 18/11/2003.

Harrison, Roger. «US Warns of Terror Plans, but Kingdom has no Information.» *Arab News*: 1/5/2003.

Hassan, Javid. «SR 300,000 Offered for Capture of Fugitives.» *Arab News*: 9/5/2003.

Hastert, Paul. «Operation Anaconda: Perception Meets Reality in the Hills of Afghanistan.» *Studies in Conflict and Terrorism*: vol. 28, no. 1, 2005.

Hedges, Chris. «Saudi Fighter in Afghanistan Becomes «Martyr» in Bosnia.» *New York Times*: 5/12/1992.

Heffelfinger, Chris. «Statement to the Saudi Mujahideen Summons Iraq Returnees.» *Terrorism Focus*: vol. 3, no. 26, 2006.

Hegghammer, Thomas. «Deconstructing the Myth about al-Qa'ida and Khobar.» *Sentinel*: vol. 1, no. 3, 2008.

_____ . «Jihad, Yes, but not Revolution: Explaining the Extroversion of Islamist Militancy in Saudi Arabia.» *British Journal of Middle Eastern Studies*: vol. 35, no. 3, 2009.

_____ and Stéphane Lacroix. «Rejectionist Islamism in Saudi Arabia: The Story of Juhayman al-Revisited.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 39, no. 1, 2007.

Henderson, Simon. «Al-Qaeda Attack on Abqaiq: The Vulnerability of Saudi Oil.» *Policy Watch*: no. 1082 (Washington Institute of Near East Policy): 2006.

_____ and Matthew Levitt. «US-Saudi Counterterrorism Cooperation in the Wake of the Riyadh Bombing.» *Policy Watch* (Washington Institute for Near East Policy): no. 759, May 2003.

Ibrahim, Saad Eddin. «Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Notes and Preliminary Findings.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 12, no. 4, 1981.

«Intifada Stirs up Gulf Arab Resentment against Israel and the USA.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 13, no. 5, 2001.

Iyer, Vik and Elsa McLaren. «New Bin Laden Video Aired.» *Times*: 7/9/2006.

Jehl, Douglas. «Saudis Seek 19 Suspected of Terrorist Plot.» *New York Times*: 10/5/2003.

Johnsen, Gregory. «Tracking Yemen's 23 Escaped Jihadi Operatives - Part 1.» *Terrorism Monitor*: vol. 5, no. 18, 2007.

_____ . «Tracking Yemen's 23 Escaped Jihadi Operatives - Part 2.» *Terrorism Monitor*: vol. 5, no. 19, 2007.

Jones, Toby. «Rebellion on the Saudi Periphery: Modernity, Marginalization, and the ShiUprising of 1979.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 38, no. 2, 2006.

Kepel, Gilles. «Les Strategies islamistes de legitimation de la violence.» *Raisons politiques*: no. 9, 2003.

_____ . «Terrorisme islamiste: De l'anticommunisme au jihad anti-américain.» *Ramses*: 2003.

Khan, M. Ghazanfar Ali. «German Arrested in Riyadh for Alleged Al-Qaeda Link.» *Arab News*: 6/4/2003.

Khashoggi, Jamal. «Arab Mujahideen in Afghanistan-II: Masada Exemplifies the Unity of Islamic Ummah.» *Arab News*: 14/5/1988.

_____ . «Arab Youths Fight Shoulder to Shoulder with Mujahideen.» *Arab News*: 4/5/1988.

__________. «Kingdom Has Big Role to Play in Afghanistan's Reconstruction: Prince Turki.» *Arab News*: 9/11/2001.

_________. «Osama Offered to Form Army to Challenge Saddam's Forces: Turki.» *Arab News*: 7/11/2001.

Al-khereiji, Mohammed. «Abdullah Tells Citizens to Report Suspects.» *Arab News*: 22/6/2003.

Al -Khereiji, Nourah. «We Should Do More than Donate Money to Palestinians.» Arab News: 15/5/2002.

«Kingdom Arrests 7 Al-Qaeda Men.» *Arab News*: 19/6/2002.

«Kingdom not Targeted by Al-Qaeda, Sultan Says.» *Arab News*: 23/6/2002.

«Kingdom Unveils List of 85 Wanted Militants Abroad.» *Arab News*: 3/2/2009.

Knights, Michael. «Abqaiq Attack Underscores Terrorist Failings and Highlights Growing Focus on Oil Targets.» *Olive Group Special Report*: March 2006.

_____ . «The Current State of al-Qain Saudi Arabia.» *Sentinel*: vol. 1, no. 10, 2008.

_____ . «A New Afghanistan?: Exploring the Iraqi Jihadist Training Ground.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 18, no. 7, 2006.

_____ . «Saudi Terrorist Cells Await Return of Jihadists from Iraq.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 17, no. 12, 2005.

Kohlmann, Evan F. «The Role of Islamic Charities in International Terrorist Recruitment and Financing.» *DIIS Working Paper* (Danish Institute for International Studies): 2006.

Kramer, Mark. «The Perils of Counterinsurgency: Russia's War in Chechnya.» *International Security*: vol. 29, no. 3, 2004.

Krueger, Alan B. and Jitka Malečková. «Education, Poverty and Terrorism: Is there a Causal Connection?.» *Journal of Economic Perspectives*: vol. 17, no. 4, 2003.

Lacroix, Stéphane. «Between Islamists and Liberals: Saudi Arabia's Islamo-Liberal Reformists.» *Middle East Journal*: vol. 58, no. 3, 2004.

Lanskoy, Miriam. «Daghestan and Chechnya: The Wahhabi Challenge to the State.» *SAIS Review*: vol. 22, no. 2, 2002.

Lewis, Bernard. «License to Kill: Usama Bin Ladin's Declaration of Jihad.» *Foreign Affairs*: vol. 77, no. 6, November-December 1998.

Lia, Brynjar and Thomas Hegghammer. «Jihadi Strategic Studies: The Alleged Policy Study Preceding the Madrid Bombings.» *Studies in Conflict and Terrorism*: vol. 27, no. 5, 2004.

Lichtblau, Eric. «Documents Back Saudi Link to Extremists.» *New York Times*: 24/6/2009.

Looney, Robert. «Combating Terrorism Through Reforms: Implications of the Bremer-Kasarda Model for Saudi Arabia.» *Strategic Insights*: vol. 3, no. 4, 2004.

MacAskill, Ewan and Brian Whitaker. «Shaken Expatriates Rethink Saudi Future.» *Guardian*: 2/6/2004.

MacFarquhar, Neil. «Among Saudis, Attack has Soured Qaeda Supporters.» *New York Times*: 11/11/2003.

_____. «Car Bomb Kills a British Banker in Saudi Arabia.» *New York Times*: 21/6/2002.

_____. «Package Bomb Kills American in Saudi Arabia.» *New York Times*: 7/10/2001.

Al-Maeena, Khaled and Javid Hassan. «Prince Naif Denies Al-Qaeda Links in Kingdom.» *Arab News*: 21/10/2001.

Mahnaimi, Uzi. «Qatar Buys off Al-Qaeda Attack with Oil Millions.» *Sunday Times*: 1/5/2008.

Martin, Susan Taylor. «Americans Feared Attacks in Arabia.» *St. Petersburg Times*: 3/8/2003.

Al-Matrafi, Saad. «Terrorists Wanted to Film Killing of al-Sawat.» *Arab News*: 30/6/2005.

McCarthy, John D. and Mayer N. Zald. «Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory.» *American Journal of Sociology*: vol. 82, no. 6, 1977.

McCleod, Scott. «The Paladin of Jihad.» *Time*: 6 May 1996.

McFadden, Robert. «Nine Suspected of Terrorism are Arrested in Manila.» *New York Times*: 31/12/1995.

Miller, Judith. «Killing for the Glory of God, in a Land far from Home.» *New York Times*: 16/1/2001.

Molotsky, Irwin. «US Linked to Saudi Aid for Bosnians.» *New York Times*: 2/2/1996.

Moody, James. «Fighting a Hydra: A Note on the Network Embeddedness of the War on Terror.» *Structure and Dynamics: E-Journal of Anthropological and Related Sciences*: vol. 1, no. 2, 2006.

Al-Motawa, Abdul Rahman. «Carpet Trader Ends Up in Guantanamo.» *Arab News*: 17/3/2002.

_____. «Saudi Seeks Release of Son From US Jail.» *Arab News*: 3/5/2002.

Al-Mutawa, Ibrahim. «Smuggling on Saudi-Yemeni Border.» *Arab News*: 15/2/2003.

«Nearly 100 Saudis Detained in Guantanamo Bay: Naif.» *Arab News*: 29/1/2002.

«None Arrested in Kingdom Have Direct Link to Al-Qaeda.» *Arab News*: 27/8/2002.

Al-Nowaiser, Mowaffaq. «Khattab, the Man who Died for the Cause of Chechnya.» *Arab News*: 4/5/2002.

Ochsenwald, William. «Saudi Arabia and the Islamic Revival.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 13, no. 3, 1981.

Okruhlik, Gwenn. «Networks of Dissent: Islamism and Reform in Saudi Arabia.» *Current History*: vol. 101, no. 651, 2002.

«Operations in Riyadh in Search for al-Qaida Members, 8 Saudi Soldiers Wounded in Clashes.» ArabicNews.com: 18 November 2002.

«Organizer of Dhahran Demo Insane: Ahmad.» *Arab News*: 16/4/2002.

Ottaway, David B. and Robert G. Kaiser. «Saudis May Seek US Exit.» *Washington Post*: 18/1/2002.

«Over 300 Bin Laden Companions Arrested in Saudi Arabia.» *Ausaf*: 26 March 1999.

«Parents Happy over Efforts to Win Release of Guantanamo Prisoners.» *Arab News*: 31/8/2002.

Paz, Reuven. «Global Jihad and WMD: Between Martyrdom and Mass Destruction.» *Current Trends in Islamist Ideology*: vol. 2, September 2005.

Pedahzur, Ami, Leonard Weinberg and Arie Perliger. «Altruism and Fatalism: The Characteristics of Palestinian Suicide Terrorists.» *Deviant Behaviour*: vol. 24, no. 4, 2003.

Peterson, J. E. «Saudi Arabia: Internal Security Incidents Since 1979.» *Arabian Peninsula Background Note*: no. 3, 2005.

«Police Dragnet Yields 34; Army Uniforms Seized.» *Arab News*: 3/4/2007.

Pomfret, John. «How Bosnia's Muslims Dodged the Arms Embargo.» *Washington Post*: 22/9/1996.

Purdy, Matthew and Lowell Bergman. «Where the Trail Led: Between Evidence and Suspicion; Unclear Danger: Inside the Lackawanna Terror Case.» *New York Times*: 12/10/2003.

Priest, Dana and Susan Schmidt. «Al Qaeda Figure Tied to Riyadh Blasts.» *Washington Post*: 18/5/2003.

Prokop, Michaela. «Saudi Arabia: The Politics of Education.» *International Affairs*: vol. 79, no. 1, 2003.

Qusti, Raid. «Background of the Most Wanted Terrorists - Part 2.» *Arab News*: 12/12/2003.

_____. «Cleaning Up Our Own Backyard.» *Arab News*: 21/5/2003.

_____. «Al-Qaeda Plot Foiled.» *Arab News*: 8/5/2003.

_____. «Riyadh Cracking Down on «Drifting Shababs».» *Arab News*: 2/5/2007.

_____. «Saudi Being Held in Israel: Saud.» *Arab News*: 5/4/2006.

al-Rasheed, Madawi. «The Local and the Global in Saudi Salafism.» *ISIM Review*: vol. 21, 2008.

Riedel, Bruce and Bilal Y. Saab. «Al Qaeda's Third Front: Saudi Arabia.» *Washington Quarterly*: vol. 31, no. 2, 2008.

Risen, James. «A Top Qaeda Member, Tied to 9/11, is Captured.» *New York Times*: 1/5/2003.

«Riyadh Frees 160 Returnees from Afghanistan.» *Arab News*: 18/6/2002.

Roe, Sam, Laurie Cohen and Stephen Franklin. «How Saudi Wealth Fueled Holy War.» *Chicago Tribune*: 22/2/2004.

Rubin, Elizabeth. «The Jihadi Who Kept Asking Why.» *New York Times*: 7/3/2004.

Al-Saudi, Samir. «Officer Killed in Drive-By Shooting.» *Arab News*: 20/6/2005.

_____. «Terrorists Likely Killed Officer.» *Arab News*: 16/4/2007.

Saeed, Faisal. «Al-Qaeda Suspects Won't be Extradited to US: Saud.» *Arab News*: 13/8/2002.

«Saudi Ministry Denies Wounding of Security Men in Clashes with Bin Laden's Supporters.» ArabicNews.com: 19 November 2002.

«Saudi Sought by FBI May have Died Years Ago, Relatives Say.» *Arab News*: 20/1/2002.

«Saudi-US Cooperation in War on Terror Sharply Up: Official.» *Arab News*: 25/10/2003.

Schbley, Ayla Hammond. «Torn Between God, Family and Money: The Changing Profile of Lebanon's Religious Terrorists.» *Studies in Conflict and Terrorism*: vol. 23, no. 3, 2000.

Schmitt, Eric. «US to Withdraw All Combat Units from Saudi Arabia.» *New York Times*: 30/4/2003.

Schwartz, Stephen. «Wahhabism and al Qaeda in Bosnia Herzegovina.» *Terrorism Monitor*: vol. 2, no. 20, 2004.

Sciolino, Elaine. «Don't Weaken Arafat, Saudi Warns Bush.» *New York Times*: 27/1/2002.

_____. «In Saudi Oasis of Calm, Some See Seeds of Unrest.» *New York Times*: 15/5/1985.

Sennott, Charles M. «Before Oath to Jihad, Drifting and Boredom.» *Boston Globe*: 3/3/2002.

_____. «Why Bin Laden Plot Relied on Saudi Hijackers.» *Boston Globe*: 3/3/2002.

Shane, Scott. «Inside a 9/11 Mastermind's Interrogation.» *New York Times*: 22/6/2008.

Shenon, Philip. «A Major Suspect in Qaeda Attacks is in US Custody.» *New York Times*: 22/11/2002.

Silm, Bouchaib. «Notes on al Qaeda in Saudi Arabia.» *Asian Journal of Social Science*: vol. 35, nos. 4-5, 2007.

Sipress, Alan and Peter Finn. «Terror Cell had Recent Gun Battle with Police.» *Washington Post*: 14/5/2003.

Slackman, Michael. «Saudis Arrest 172 in Anti-terror Sweep.» *New York Times*: 27/4/2007.

_____. «Would-be Killer Linked to Al Qaeda, Saudis Say.» *New York Times*: 29/8/2009.

Smith, Craig S. «Saudi Idlers Attract Radicals and Worry Royals.» *New York Times*: 17/12/2002.

«SR600 Million Raised for Palestinians in Three-Day Telethon.» *Arab News*: 15/4/2002.

Stack, Megan. «Iraqi Strife Seeping into Saudi Kingdom.» *Los Angeles Times*: 26/4/2006.

Sturcke, James. «Come on in... the Bread and Water is Fine.» *Guardian*: 15/12/2004.

«Support for the Afghan Jihad Effort.» *Journal of the Muslim World League*: vol. 7, no. 8, 1980.

«Target: Westerners.» *St. Petersburg Times*: 22/7/2002.

Teitelbaum, Joshua. «Terrorist Challenges to Saudi Arabian Internal Security.» *Middle East Review of International Affairs*: vol. 9, no. 3, 2005.

«Terror Hunt Nets Huge Quantities of Explosives.» *Arab News*: 13/1/2004.

«Terrorists Offered Amnesty.» *Arab News*: 24/6/2004.

Testas, Abdelaziz. «The Roots of Algeria's Religious and Ethnic Violence.» *Studies in Conflict and Terrorism*: vol. 25, 2002.

Tyler, Patrick E. «Qaeda Suspect was Taking Flight Training Last Month.» *New York Times*: 23/12/2002.

_____. «Saudis Plan End to US Presence.» *New York Times*: 9/2/2003.

Ulph, Stephen. «Another al-Qaeda Group Forms in Saudi Arabia.» *Terrorism Focus*: vol. 2, no. 19, 2005.

_____. «Al-Qaeda's Diminishing Returns in the Peninsula.» *Terrorism Focus*: vol. 2, no. 1, 2005.

_____. «Mujahideen Explain Away Failures of the Abqaiq Attack.» *Terrorism Focus*: vol. 3, no. 9, 2006.

_____. «Shifting Sands: Al-Qaeda and Tribal Gunn Running along «the Yemeni Frontier».» *Terrorism Monitor*: vol. 2, no. 7, 2004.

«US Troops Picked up Saudi in Pakistan.» *Arab News*: 8/5/2002.

«US Warns Citizens of Al-Qaeda Threat.» *Arab News*: 3/5/2003.

Van Natta, Don (Jr.) and Desmond Butler. «How Tiny Swiss Cellphone Chips Helped Track Global Terror Web.» *New York Times*: 4/3/2004.

_____ and Neil MacFarquhar. «Al Qaeda Still Plotting in Saudi Arabia, Officials Say.» *New York Times*: 20/5/2003.

Vego, Milan. «The Army of Bosnia and Hercegovina.» *Jane's Intelligence Review*: vol. 5, no. 2, 1993.

Wagemakers, Joas. «Framing the «Threat to Islam»: Al-wala' wa al-bara' in Salafi Discourse.» *Arab Studies Quarterly*: vol. 30, no. 4, 2008.

Whitaker, Brian. «Saudi Car Bomb Find Fuels Fears of Terror Campaign.» *Guardian*: 1/7/2002.

Whitlock, Craig. «Al Qaeda Shifts its Strategy in Saudi Arabia.» *Washington Post*: 19/12/2004.

«Why Do they Drive around Aimlessly?.» *Arab News*: 11/5/2007.

Wines, Michael. «Russia Releases Tape to Support Claim of Chechen Rebel's Death.» *New York Times*: 27/4/2002.

Wright, Lawrence.«The Rebellion Within: An Al Qaeda Mastermind Questions Terrorism.» *New Yorker*: 2 June 2008.

Yehoshua, Y. «Are Saudi Summer Camps Encouraging Terrorism?.» *MEMRI Inquiry and Analysis Series*: no. 241, 2005.

«Yemen Extradites 21 Saudi Fugitives.» *Arab News*: 28/10/2001.

«Yusuf al-Uyayri and the Making of a Revolutionary Salafi Praxis.» *Die Welt des Islams*: vol. 47, nos. 3-4, 2007

Theses

Alfaleh, Matrook. «The Impact of the Processes of Modernization and Social Mobilization on the Social and Political Structures of the Arab Countries with Special Emphasis on Saudi Arabia.» (Ph. D. Dissertation, University of Kansas, 1987).

Hertog, Steffen. «Segmented Clientelism: The Politics of Economic Reform in Saudi Arabia.» (Dissertation Philosophy Thesis, Oxford University, 2006).

Lacroix, Stéphane. «Les Champs de la discorde: Une Sociologie politique de l'islamisme en Arabie Saoudite (1954-2005).» (Ph. D. Thesis, Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2007).

______. «Le Champ politico-religieux en Arabie Saoudite après le 11 septembre.» (Master's Thesis (memoire de DBA), Institut d'Etudes Politiques de Paris, 2003).

Conferences

The Annual Meeting of the Middle East Studies Association, Montreal, 19 November 2007.

King Faisal and the Modernisation of Saudi Arabia. Edited by Willard A. Beling. London: Croom Helm, 1980.

Electronical Studies

«820 Mujahideen Imprisoned in Saudi Arabia.» (March 1998), <http://www.azzam.-com>.

«Bin Laden and the Balkans: The Politics of Anti-Terrorism.» International Crisis Group, 9 November 2011, <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2001/bin-laden-and-the-balkans-the-politics-of-anti-terrorism.aspx>.

Bin Uthaymin, Muhammad. «Untitled Fatsoaon Chechnya.» (1999), <http://www.qoqaz.com>.

Cutts, Mark. «The Humanitarian Operation in Bosnia, 1992-1995: Dilemmas of Negotiating Humanitarian Access,» *New Issues in Refugee Research* (UNHCR), Working Paper: no. 8, 1999, <http://www.unhcr.org/3ae6a0c58.html>.

Federal Office of Criminal Investigation. «Expert Report Concerning the Area Financial Investigation.» 28 August 2003, <http://www.nytimes.com>.

Hegghammer, Thomas. «Saudi and Yemeni Branches of al-Qaida Unite.» 24 January 2009, <http://www.jihadica.com>.

«How We Can Coexist.» (Islam Today, 2002), <http://en.islamtoday.net/artshow-417-2953.htm>.

«In the Hearts of Green Birds.» Azzam Publications, <http://archive.org/details/In_-The_Heart_Of_Green_Birds>.

«The Martyrs of Afghanistan.» <http://www.alfirdaws.org>.

«Mujahideen Defeat 200 Serb Special Forces.» <http://www.azzam.com>.

«Operation Enduring Freedom - Operations.» <http://www.globalsecurity.org/military/ops/enduring-freedom-ops.htm>.

«Saudi Torturers Rape Mujahideen during Interrogation.» <http://www.azzam.com>.

«Strategy for Eliminating the Threat from the Jihadist Networks of al Qida: Status and Prospects.» (National Security Council Memo, 2000, <http://www.gwu.edu/~nsarchiv>.

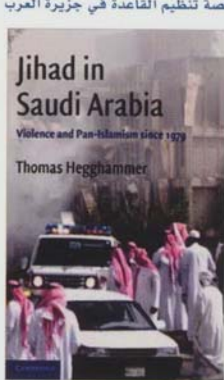
«What We are Fighting for - A Letter from America.» (Institute for American Values, 2002), <http://www.americanvalues.org>.

«World Exclusive Interview with Field Commander Shamil Basayev.» (Azzam Publications, 2000), <http://www.islamicawakening.com>.

هذا الكتاب

الجهاد في السعودية

قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب



تحتلّ السعودية مكاناً محورياً في التاريخ المعاصر للتيار الإسلامي، حيث روّجت منذ طفرة النفط في سبعينيات القرن الماضي لتفسيرها المحافظ للإسلام في العالم، وأضحت منذ ثمانينيات القرن الماضي منبعاً أساسياً للمجاهدين وموردِاً مالياً لهم في أفغانستان والبوسنة والشيشان وغيرها من مناطق تقع فيها أراضٍ إسلامية تحت الاحتلال. وفي الأمس القريب، تضررت سمعة السعودية كونها وطن أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، الذي قاد ابتداءً حملة جهاد عالمية ضد التحالف الصليبي (أمريكا والأنظمة العربية الموالية لها)، كان واحداً من أهم فصولها مشاركة خمسة عشر سعودياً من بين تسعة عشر رجلاً نفّذوا هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر. ثم ما لبث العنف الجهادي أن انتقل إلى داخل السعودية، وعاشت المملكة تجربة غير مسبوقة في مواجهة مقاتلين محليين قاموا بأعمال تفجير وعنف وتهريب للسلاح ومحاولاتٍ حثيثة لحشد الأنصار. ورغم ما عانته السعودية من عنف التيار الجهادي إلا أنها بقيت في نظر كثير من الغربيين مرادفة لصعود التشدد الإسلامي، ومسؤولة عنه جزئياً في أواخر القرن العشرين ومستهلّ القرن الحادي والعشرين.

قام الباحث النرويجي توماس هيغهامر في أطروحة الدكتوراه هذه برصد وتحليل وتتبع كل ما يخص ظاهرة التيار الجهادي في السعودية، منذ بداية تشكله الفكري ونشأته في أفغانستان ثم البوسنة والشيشان، مروراً بكل ما حصل في السعودية من أحداث ومواجهات وشخصيات وروافد فكرية وسياسية، حتى نهايات عام ٢٠٠٩م.

الثمن: ١٦ دولاراً

أو ما يعادلها

ISBN 978-614-431-031-1



الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بيروت ـ لبنان

هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١) - ٢٤٧٩٤٧ (٧١-٩٦١)

E-mail: info@arabiyanetwork.com